النبات في القران الكريم
دلائل واعجاز

اسم الكتاب: النبات في القران الكريم
دلائل واعجاز
اسم المؤلف: عصام عبد الرحمن حسن الحافظ

دار نون للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN: 978-9922-9626-1-0

E-mail muhammedyounes518@gmail. com
هاتف +964 773 455 2537

النبات في القران الكريم

دلائل واعجاز

عصام عبد الرحمن حسن الحافظ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ
نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ
حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ
وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنعام: الآية ٩٩

الاهداء

إلى كل من عرف الحقيقة أو أراد الولوج في معرفتها لتثبيت إيمانه وترسيخا لعقيدته وتنويراً لبصيرته ليعرف الطريق إلى الله ويستشعر قدرته وعظمته وتوحيده من خلال الاستدلال بآياته وإعجاز خلقه، ليكون الإيمان تام" والأتباع سلوكا فاعلا والتصديق يقينا والتعبد حق والإخلاص مجردة والانتماء نجاحا وتقربا .

إلى هؤلاء جميعا وإلى من شارك في بحثنا هذا بكلمة نصح أو إشارة علمية أو توجيه معرفة وإلى والديَ وآل بيتي جميعاً .

أهدي كتابي هذا

الجمعة ١/محرم الحرام
/١٤٣١
١٨ / كانون الأول /
٢٠٠٩

تقريظ لكتاب (النبات في القران الكريم دلائل و إعجاز)
للأخ عصام عبد الرحمن الحافظ

بقلم: أ. د. عماد الدين خليل

يأتـي هذا البحث القيم في سياق ما اصطلح عليـه (بالتفسيـر العلمـي للقران الكريم)

هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه و لا يخلق على كثرة الرد، والذي سبق في آيتـين كريمتـين أن أكد علـى الالتحـام بـين المعطـى القرانـي والحقـائق المعرفيـة التـي سيقدر للزمن القادم الكشف عنها: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]،﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[2].

وعلـى كل ما يقولـه المشككون و المرجفون والظـانون ظـن السوء، فـي ألا علاقـة بين كتاب الله و بين الكشوف العلمية، بحجة أن هذه الأخيرة تتعرض للتبدل والتغير، بينما كلمات الله لا تخضـع لمثل هذا.. و هم بكلمة الحق هذه التـي يراد به الباطل لا يدفعون عن القران ما قد يحيط به من تفاسير لا تصمد للنقد، وإنما يمضون وفق رؤية علمانـية حـادة تسعى إلـى سحب يد القران من الالتحـام بقضـية العلم و المعرفة، بتلك الحجـة التـي لا تستقيم و بداهات المنطق، و تجريده من الالتحـام بالسياسـة بحجـة إن هذه الأخيرة قد يخترقها الدنس، وقد تعتمد أسلوب الغاية تبرر الواسطة، فيما يأبا القران الكريم و يعلو عليه..وعن الالتحـام بالاقتصـاد للسبب نفسـه.. والهـدف من وراء عملية السحب هذه هي الحجر علـى كتـاب الله و قدرتـه المدهشـة علـى الالتحـام بالحيـاة بكل تفاصيلها و منحنياتها لإعادة صياغتها وفق ما يريده الله و رسوله.. وجعله من ثم كتابا

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٩.

طقوسيا شعائريا يقرا في المساجد و مجالس العزاء، إنها و الحق يقال لعبة ماكرة، وقد انطلت على الكثيرين من الإسلاميين الذين أتيح لي أن ادخل مع بعضهم في مناقشات طويلة حول تشكيكهم بالتفسير العلمي للقران دفاعا عن القران نفسه.

هناك علماء متخصصون كبار، اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ الدكتور زغلول النجار و الأستاذ الدكتور عبد المجيد الزنداني، والدكتور دلاور محمد صابر، والدكتور محمد جميل الحبال، وغيرهم كثيرون كتبوا في الموضوع، و قدموا كشوفا مدهشة عن ذلك التطابق المعجز بين كلمات الله و بين المعطيات العلمية و المعرفية..وهنالك دوائر و مؤسسات متخصصة تعمل ليلا ونهارا للمضي قدما في هذا الطريق، الذي يمكن أن يكون من أكثر الطرق على دعوة الشاكين و المتأرجحين انتماءا لهذا الدين، واقتناعا بمعطيات كتابه الكريم.

ثم يجئ جهد الباحث الفرنسي المعاصر (موريس بوكاي) لكي يتوج هذا كله بكتابه القيم (القران الكريم و التوراة والإنجيل و العلم)، و الذي يخلص فيه إلى القول، بعد عناء عشرين سنة من البحث و التمحيص بان تسعة أعشار المعطيات العلمية و المعرفية في التوراة لا تصمد بإحالتها على الكشوف العلمية و المعرفية المعاصرة، ولا يمر سوى العشر، و الأمر نفسه ينطبق على الإنجيل.. أما القران الكريم فان عشرة على عشرة من معطياته تمر باحالتها على الكشوف المعاصرة. وما يلبث أن يتساءل: كيف قدر لمحمد (ﷺ) على فرض تأليفه القران الكريم – أن يلغي تسعة أعشار ما ورد في التوراة و الإنجيل من معطيات معرفية ولا يتقبل سوى العشر في ضوء معرفة لن يقدر له أن تتحقق إلا بعد أربعة عشر قرنا من تاليفة ؟ و كيف أتيح له أن ينزل في كتابه هذا الحقائق كاملة في تطابقها المدهش، مع معرفة لن تتشكل إلا بعد أربعة عشر قرنا من الزمن ؟

انها لمعجزة بحيث أن هذا الكتاب المحكم لا يمكن إلا ان ياتي من فوق.. من السماء.. وفق رؤية إلهية الا ياتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها !!

البحث الذي يجده القارئ بين يديه يتمحور عند عالم النبات في القران الكريم، لكي يتابع بصير واضح ونفس طويلة كل مايتعلق بدلائل إعجازه وما أكثرها فهو بعد مقدمة مستفيضة و تمهيد شامل يوضح فيها الباحث منهجه في العمل، و مبررا اختياره لموضوعه هذا، يمضي في نصه الأول للحديث عن فسيولوجيا النبات لكي ما يلبث ان ينتهي إلى إيضاح مفهوم الطبيعة في القرآن الكريم، ويعرض المشاهد الماء في كتاب الله باعتباره أساس الحياة.

ينتقل في فصله الثاني للايغال في النص القراني وقصص أنبيائه الكرام عليهم السلام عبر متابعة متأنية متقصية لكل ما له علاقة بدنيا النبات عبر هذه القصص..

اما الفصل الثالث فيخصصه لجملة من (الاستدلالات) على وجود الخالق، وتوحيده، و حكمته، و عظمته، و قدرته، من خلال ما قدمة القران الكريم عن عالم النبات.

وفي الفصل الرابع وقفة عند (النبات و المثل في القرآن الكريم) وما أكثر ما يضرب القران الأمثال للناس لعلهم يؤمنون.. ذلك إن المثل تشخيص مرئي له الحقيقة أو تلك، ولهذه الحكمة أوتلك، تضع المرء وجها لوجه قبالة الدليل المنظور الذي لا يحتمل لجاجة أو إنكار.. ويبدع الباحث في فصله هذا وهو يجول جولته هذه في دنيا النبات، باحثا منقبا عن المثل الذي ضربه الله سبحانه مستمدا من عالم النبات.

والحديث عن المثل يقود بالضرورة إلى دراسة أسلوبيات القران الجمالية في وصف النبات و ذلك هو موضوع الفصل الخامس الذي يبدع الباحث في جنباته و هو ينتقل بين التشبيه و الاستعارة، و الإيجاز والإطناب، و المفاضلة و المشاركة، و التصوير و التناسق، و التقديم و التأخير، والالتفات و القسم.. إلى أخره.

وإما الفصل السادس فقد خصص لاستقصاء كل ما ورد في القرآن الكريم و السنة من نباتات و فواكه و ثمار، ومردودهم الايجابي على الإنسان، فيما يؤكد معجزة أخرى من معجزات التفسير العلمي للقران.

وفي مقابل هذا نجد كيف إن الفصل السابع ينحو منحى لغويا في تعرض المصطلحات النباتية في القرآن الكريم و التي يقارب عددها ٧٨ مصطلحا وردت في أكثر من ٢٦٦ أية قرآنية، جمعت من ٥٨ سورة. وهو مبحث ضروري لضبط الدلالات اللغوية لألفاظ النبات في كتاب الله عز وجل.

وأما الفصل الثامن فلا يعدو أن يكون عملا سرديا لمتابعة ما قالته بعض التفاسير القرآنية عن الموضوع، من مثل تفسير ابن كثير، و تفسير محاسن التأويل للقاسمي، و تفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا، وتفاسير عديدة اخرى ذكرت لاحقا.

ويجئ الفصل التاسع و الأخير امتدادا لهذا الفصل بإيراده ما ذكره الشهيد سيد قطب في (في ظلال القران) عن دنيا النبات و هو و الحق يقال، مسك الختام.. فان لمسات سيد التفسيرية تضع يدها دائما على المطلوب بحساسيته المدهشة تجاه النص القراني الذي يتعامل معه و كأنه ينزل عليه اللحظة.. رحمه الله

إن كتاب (النبات في القران الكريم) ليس رقما مضافا إلى المكتبة الإسلامية و لكنه بحثا أصيل يقدم إضافة قيمة إلى جل البحوث التي أبحرت في الاتجاه نفسه، فأقامت الناس صور و تحليلات مدهشة عن ذلك التطابق المعجز بين معطيات العلم الحديث و بين ما سبق وإن قاله كتاب الله.

و إلى الله وحده نتوجه بالكلمات و الإعمال

الأستاذ الدكتور

عماد الدين خليل

٣٠-٤-٢٠١٢

جملة الاحاديث التي ورد فيها النبات

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: ((**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة**))وأقروا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[1].

- جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ((**إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها**)) [2].
- وقد أخبرنا الرسول (ﷺ) عن شجرة (سدرة المنتهى) بشيء مما رآه: ((**ثم دفعت إلى سدرة المنتهى، فاذا نبقها مثل قل هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال (أي جبريل) هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، قلت:ما هذان جبريل؟ قال:أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات**))[3].
- ففي مسند احمد وتفسيره أبن جرير، وصحيح أبن حيان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ) قال: ((**طوبى شجرة في الجنة، مسيره مائه عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**)).
- عن أبن هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) ((**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**)) [4].

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٣٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الحقائق باب صفة الجنة، فتح الباري ٤١٦/١١، رواه مسلم في كتاب الجنة.

(٣) رواه البخاري و مسلم.

(٤) رواه الترمذي في السنن، صحيح الجامع ١٥٠/٥ وصححه الألباني.

- عن أبي عباس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: ((**نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، ولونها ذهب أحمر، وسعفها كسوه لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال الغلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن وأحلى حلاوة من العسل وألين من الزبد، ليس فيها عجم**)) [(١)].

- عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((**أهب الله آدم (عليه السلام) من الجنة وعلمة صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير**)) [(٢)].

- وعن سليم بن عامر (رضي الله عنه) قال: كان أصحاب رسول (ﷺ) يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب، ومسائلهم. أقبل أعرابي يوما فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة مؤذية تؤذي صاحبها قال رسول الله (ﷺ) وما هي ؟ قال السدر – (وهو شجر النبق) فإن له شوكة مؤذية، قال: أليس الله يقول: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة[(٣)]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وأبو نعيم، والبغدي في شرح السنة وأبن أبي الدنيا والبيتهي في البعث والنشور وابن أبي شيبه وأبن المبارك في النهر وأبو الشيخ في العظمة وإسناده صحيح.

(٢) رواه ابن خزيمة وصحيحة ورواه البيتهي برقم (٩١٠٧) والطيلساني برقم (١٧٥٤).

(٣) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٩٧٩/ ٩٧٨ / ٦٧٧) وقال رواه ابن أبي الدنيا وإسناده حسن وكذلك عزاه الزبيدي في تخريج الأحياء الى الحاكم في المسندك وصححه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى اله الطاهرين المحبين وصحابته الغر الميامين المحجلين، ومن تبعهم وسار على دربهم وإقتفي بأثرهم وسن سنتهم باحسان الى يوم الدين. أرسل الله الرسل، وأنزل الكتاب، لتصور معالم المنهج الرباني الصحيح لدفعة الانسان ورقيه المعرفي والاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، ليجعل من حياته البشرية صورة متكاملة على أتم ما يكون فيها الكمال والسعادة في الحياة من خلال دين الله الاسلام الذي جعل الله فيه الشمول والكمال والديمومة لجميع البشر، فأتمام ذلك يتم من خلال استيعاب البشرية للرسالات السماوية، وتدبر كتب الله التي أنزل على رسله اليتدبروا خلق الله وعظمته، ليتحقق لهم السعادة وحسن الختام.

والقران العظيم المنزل من الله سبحانه وتعالى بواسطة الوحي الأمين جبريل عليه السلام على خاتم الانبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه فكان أخر الكتب السماوية ليفسر العالم وجوده ومظاهر الطبيعة والخلق فيه ليستطيع الانسان تسخير كل ما في الكون والانتفاع به.

ان القران العظيم بين وفصل من الآيات الكونية وأخرى انسانية، ولفت النظر الى السماء والأرض وما بينهما والجبال والبحار والحيوان والنبات، ليبين القوانين عن طريق الاشارة التي سخرت بمقتضاها هذه الأكوان، وحض الانسان على معرفة مفاتيح هذه القوانين، وبين اسباب تسخير هذا الكون وبما فيه والأجرام السماوية، كل هذا ليصل بالانسان وفكره إلى معرفة الخالق لها وابداعه في خلقها، ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

﴿ شَىۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[١] ان من مخلوقات الله عز وجل ما هو مقدم للنفع والفائدة للحياة على العموم وللانسان على الخصوص بشكل مباشر ومحسوس أو غير ذلك، أن التفكر في نعم الله التي أنعم على الناس﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[٢].

يرتقي بالإيمان الى درجات عالية. فمنه يستثمر قدرة الله تعالى في خلقه وبديع صنعه وقوة تدبيره ودقة تنظيمه المحكم المتقن. إن صفات الله سبحانه وتعالى تتجلى في خلقه

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[٣].

إن من أقدم ما وجد على كوكب الأرض وأعظمها انتشارا وتكيفة وتنوعة وأعجابة بكل أصنافه وأنواعه وأشكاله وألوانه هو النبات.

إن المقدرة البشرية وعقلها المتطور لم يصل إلى إعطاء هذا المخلوق حقه في الوصف بالرغم من إعطاء صفة العالمية عليه فسمية ب (عالم النبات).

إن بديع خلق الله وعظمة ودقة صنعه المتجلية في النبات أعطى العلماء والباحثين مجالا واسعا في الخوض في غمار وأعماق أصناف هذا الكائن المتعدد الجوانب الواسع الانتشار المتمثلة فيه الحياة والجمال. فهو المصنع الذي يقدم للآخرين سبل المعيشة وديمومة الحياة من خلال عملياته المعقدة أسماه العلماء (عملية التركيب

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢)سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: الآيتين ٩٠-٩١.

الضوئي) فالنبات في احتوائه هذه الصفة أصبح المنتج للغذاء الموفر للطاقة مستغلا الموارد الطبيعية التي سخرها الباري عز وجل من الطاقة الشمسية والهواء والماء.

إن بديع خلق الإنسان وكونه آية من آيات الله عز وجل وما في خلقه من إعجاز رباني عظيم وكل ما جعل فيه من قدره فكرية وعقلية وإحساس ومشاعر تعبير وخيال وتصور وابداع واستيعاب وتطور بالإضافة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع أن الكثيرين شطو عن هذا الطريق إلا أن الاستيعاب لقدره النبات لم تصل الى حدها النهائي بالرغم من دراسة الإنسان للفضاء وأعالي الجبال والوديان وباطن الأرض وأعماق البحار والأنهار. حيث بقي هناك للنبات أسراراً وانتشاراً وتنوعاً هائلا يحتاج الى الكثير لغور أروقته والتشرب بمعرفته.

إن الباحث العلمي الذي قد قرن بحثه العلمي ومقدرته العلمية بالإيمان الراسخ بان الله هو المبدع الصانع ليجد أن كلمة أو بحثا أو عدة بحوث لا تكفي بل لا تصل على ما يوصف النبات بأنه عظيم وهائل وواسع ومتعدد و متنوع...

إن عظمة النبات تتجلى أمام الباحث المطلع من خلال قياس أكبر المعامل المنتجة اللغذاء مع مكائنها المعقدة ودقة صنعها واختصاصها وكبر حجمها إلا أنها لا تصل الى مقدره الورقة النباتية لصنع الغذاء وانتاج الطاقة الغذائية لادامة الحياة لكائنات الأخرى.

إن التنوع في الأزهار والثمار والأوراق والأشكال وحتى البذور يحتاج من العلماء وقفات طويلة وبحث عميق مترامي الأطراف لكشف حقيقة كل فرع وكل جزء وتكوين في النبات، إذ دراسة تصنيف النبات تعطي للباحث فكره مقبولة عن التنوع الهائل لهذا المخلوق العجيب.

كما أن دراسة مرفولوجيا النبات (دراسة الأشكال) قد وقفت هي الأخرى على الأنواع والأشكال ووقفت على الاختلافات في اللون والشكل والطعم والطباع. أما عالم البيئة فهوا أدرى بوسع انتشار هذا الكائن الذي يوجد على فوهات العيون الحارة التي

تتجاوز حرارتها ٨٠م وهي موجودة في الأماكن الباردة جدا الى حد التجمد. فسبحان الله عم يصفون.

إن دراسة الإحساس عند النبات والتعمق فيه يعطي صورة أن هذا المخلوق ذو إحساس عال جدا لما يجري حوله فهو ينتحي انتحاء موجباً للشمس والضوء والماء والهواء وحتى السماع للموسيقى، فالأوراق الخضراء والأزهار تميل بأتجاه الضوء لتحصل على الطاقة منها لتساعدها على أفعالها الحيوية مقاومة الجذب الأراضي. أما الجذور فهي على العكس تماما فهي تبتعد عن الضوء والهواء إلى التربة مع الجذب الأرضي شاقة طريقها عبر دهاليز التربة تبحث عن الغذاء والماء لتقوم بعملية النقل والتثبيت.

إن وجود اليخضور (الكلوروفيل) في النبات مع احتوائها على صبغات عديدة ومتنوعة منها البرتقالية والحمراء والزرقاء... يعطي للنبات طبيعة عجيبة للقيام بأفعال حيوية غاية في التعقيد.

فالانتقال من عالم الألوان الزاهي الذي يعطي البهجة للنفس والراحة والسكون الى عالم الاختلاف في الشكل والتنوع ليسحر الألباب ويسلب العقول على قدرة الله على الخلق والابداع.

إن اختلاف الليل والنهار واختلاف درجات الحرارة وطريقة توزيع المياه وهطول الأمطار على مواسم السنة واختلاف الترب وتركيباتها وارتفاعها عن مستوى سطح البحر أو بعدها وقربها من خط الاستواء وطبيعة تدخل الإنسان في زراعتها ونثرها، كل هذا وذلك وغيره يعطي للنبات الانتشار العجيب والتنوع فهو من شجرة طولها يتجاوز (١٥٠م) وعرضها (٥م) إلى نباتات دقيقة لا ترى بالعين المجردة وهي في بذورها من حجم بذرة جوز الهند الى بذرة الخردل التي ضرب الله بها مثلا في الصغر والدقة.

إن قدرة الله سبحانه وتعالى تجلت هي الأخرى عندما جاء ذكر النبات في القرآن الكريم في أكثر من (٥٨ سورة) تخللها أكثر من (٢٦٦ آية) قرآنية تطرق القرآن الكريم لها في أكثر من (٧٨ مصطلح) وتسمية يعطي كل واحد منها موقفا وتصورا وبحثا.

تناول بحثنا جميع هذه السور والآيات والمصطلحات بالقدر الذي شاء الله أن يمكننا فيه.

فالبحث عن النبات بالعموم والأعجاز فيه على الخصوص خاض غماره علماء كبار وباحثين سهروا الليالي واطلقوا عنان فكرهم ووقتهم له فتوصلوا بارك الله فيهم الى الكثير من الاكتشافات والدراسات التي قدمت البشرية وسلطت الضوء على عالم كبير عظيم اسمه عالم النبات. وبينوا رحمهم الله الأعجاز القرآني والقدرة على الخلق وما إلى ذلك في النبات على عمومه وبينوا تنوعه وأصنافه...

إلا أن بحثنا هذا يمتاز بأنه يبحث في النبات الذي ذكره القرآن أو اشار له من حيث العموم و الخصوص مبينا أراء العلماء والمفسرين للآيات القرآنية التي جاءت فيها المصطلحات النباتية التي ذكرها فأخذنا من التفاسير القديمة والحديثة وما بين هذا وذاك. فأخذنا من الرازي ومن الزمخشري ومن أبن كثير ومن القاسمي في محاسن التأويل ومن محمد رشيد رضا في تفسيره الحكيم المعروف بتفسير المنار واخذنا من ظلال القرآن لسيد قطب. كما أعتمدنا في بحثنا على الكثير من المراجع والمصادر والأبحاث ما أغنى بحثنا في تنوع الرأي والبحث وسلط الضوء من زاويا عديدة.

إن دراسة النبات أحتاج منا تناول المحيط الذي يعيشه ودراسة تركيب النبات بشئ يعطي للقارئ الكريم صورة عن التركيب الفسلجي والعمليات الفسلجية للنبات الراقي المتطور، ومن هذه علاقته بالبيئة وما يعتمده النبات من الماء والتربة وقد أفردنا فصلا عن الماء والسحاب...

إن بحثنا تناول قصص الأنبياء وما جاء منها في القرآن الكريم وما تعلق منهافي النبات. إضافة إلى التمثيل القرآني الذي جاء من خلال النبات وقد أبدع القرآن الكريم بهذا المجال في تقريب الأمر للذهن البشري على عموم الزمان والمكان.

أخذ البحث الكثير من سيرة المصطفى وأحاديثه والأعجاز النبوي وتأكيد رسالته (ﷺ) ودعم نبوته.

إن الأعجاز اللغوي الذي جاء من خلال ذكر النبات في القرآن الكريم كان له قصة في بحثنا وقد خصصنا لذلك فصلا مع القسم في القرآن الكريم.

إن الطب النبوي الشريف له حصته من بحثنا في موضوع النبات، وما دلائل الأعجاز ودلائل التوحيد والأبداع إلا أركان أعتمدها بحثنا ليصل الى الهدف المنشود وهو توحيد الله وفق عبوديته والامتثال لأوامره من خلال معرفة قدراته العظيمة الخلاقة وإن كل شيء له وبأمره.

ومن هنا جاء تسمية بحثنا النبات في القرآن دلائل وأعجاز فهو دليل على عظمة الله ووحدانية وبديع صفته وهو إعجاز رباني في الخلق والتكوين والتخصيص والتنوع والتوسع والابداع. سبحانه وتعالي عم يصفون.

هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء وهو الظاهر وهو الباطن وهو السميع العليم.

وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (١).

إن أمر النبات لا يقف عند هذا الحد بل أن عوالم كثيرة تقع تحت مظلة علم النبات ومنها علم الغابات والبحار فقد جعل الله سبحانه تنوعها وتوزيعها وانتشارها ما يعطي للباحث عظيم قدره الله عز وجل في خلقه. فأنواع الأشجار وأنواع النباتات وأنواع الأزهار والحشائش والأدغال وأنواع الثمار والبذور... وما تحمله من جمال خلاق ونكهة عظيمة تبتهج النفس بها وتظفي سحرة أخاذة على الناظر من خلال اكتمال المنظر الممزوج بألوان المياه الأخرى فهذا خرير الماء وهنا زقزقة العصافير والحانها وهناك

(١) سورة.الانعام: الآية ٩٩.

رقص الفراشات وسكون الموقف مع تنوع الحياة البرية واختلاف الأشكال وتنوع الألوان والأطعام والطباع كل ذاك يقف الناظر أمامه ليقول سبحان الله.

فعالم النبات خاص به وتنوع الحياة لا تجده في غيرها كما هي عليه في عالم الغابات والبحار. وما جاء ذكرها في أصحاب الأيكة وأنواع الشجر العظيمة فتبارك الله أحسن الخالقين.

إن الجنة وصفاتها التي جاءت في القرآن الكريم أعطت دليلا قاطعا على أهمية النبات، فقد صور لنا القرآن الكريم الجنة من خلال ظلالها الوارفة وأشجارها الممتدة وثمارها المتنوعة وقد ربط هذا كله بالنبات ليعطي تصور رائعة للمتصور فيجعل القلب يخفق لنيل هذا والحصول عليه، ولهذا أفردنا فصلا في النبات وصفة الجنة وسأترك للقارئ الكريم الكثير مما يتفحصه ويجده من خلال سطور بحثنا علنا استطعنا أن نقف على شيء من عظمة خلق الله وعظمة القرآن الكريم والأعجاز الرباني ودعوة نبينا محمد(ﷺ).

يقول تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ (٢)

كيف خلق النبات الأول (٣) ؟

ونحن لا نستطيع أن تفصل بعقلنا الطبيعي ومنطقنا السليم إلى أن هذه الأشياء قد أنشأت نفسها أو نشأت بمحض المصادفة، ولا بد لنا من البحث عن خالق مبدع، ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمرا بديهية تفرضه عقولنا علينا.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ١٣.

(٢) سورة يس: الايتان ٥٥-٥٦.

(٣) جاء في كتاب ايات الله للدكتور ماهر احمد الصوفي،مجلد٥،ص٢٦٤.

والآن لنعد الى سؤالنا الأصلي، من الذي خلق النباتات الأولى ؟ وللأجابة عن هذا السؤال دعني أسجل هنا ما جاء في كتاب كتب منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة وتناول حوادث وقعت منذ أربعة آلاف سنة على الأقل (الكلام الدكتور ماهر الصوفي ذلك هو سفر أيوب، حيث جاء في الفصل الثامن والثلاثين منه ما يأتي:

(أين كنت حين أسست الأرض... ترنمت كواكب الصبح معا وهتفت جميع عباد الله... ومن حجز البحر بمصاريع حين أندفق فخرج من الرحم. إذا جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه، وجزمت عليه خدي وأقمت له مغاليق ومصاريع، وقلت الى هنا تأتي ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لججك... في أي طريق يتوزع النور وتتفرق الشرقية على الأرض، من فرع قنوات للهطل وطريقا للصواعق ليمطر على أرض حيث لا إنسان، على قفر لا أحد فيه، ليروي البلقع والخلاء وينبت مخرج العشب... هل تربط أنت عقد الثريا أو تفك ربط الجبار، أتخرج المنازل في أوقاتها وتهدي النعش مع نباته، هل عرفت سنة السماوات أو جعلت تسلطها على الأرض.... من يهيئ للغراب صيده إذ تتعب فراخه إلا الله) [١].

إن الإجابة التي يقدمها ذلك السفر عن كل هذه الأسئلة التي تدور حول نشأة الكون وصيانته، هي نفس الإجابة التي أقدمها أنا أيضا. لقد نشأ كل شيء بقدرته سبحانه وتعالى. وهو الذي قدر كل شيء طريقه ثم هدى ودائما يدفعني السؤال كيف تكونت تلك الخلايا الأولى التي وزعت تنسيق يفوق تصوراتنا على كامل سطح الكرة الأرضية وكلما أفردت دراسة وتعمقت في دراسة طبيعة التربة والنبات والخلايا النباتية إزداد إيماني بالله وسجدت له إعجابا وتقديسه[٢][٣].

---

(١) يقول القرآن الكريم في معنى هذا: سورة النمل الآية ٦٤.

(٢) جون زمرمان أخصائي التبة وفسيولوجية النبات.

(٣) راجع آيات الله د. ماهر أحمد الصوفي.

إن التـربة الصـالحة الخصـيبة تتكـون مـن مـواد معدنـية ومعهـا بعـض المـواد العضـوية لهـا تـرجع الـى الأجسـام المتحللـة (حيوانـية ونباتـية) وبفضـل هـذه العناصـر مجتمعـة مـع الهـواء والمـاء تستمر العمليات الحيوية داخل أجسام الكائنات الحية، أما التربة التـي لا تحتوي إلا على المواد الصخرية والمعدنية فتعتبـر تـرب فقيرة مجدبة لا يمكن أن تكون مهدا للنبات على عكسها الترب الخصبة فإنها تحوي على العديد من النباتات وتحوي بين دقائقها وجزيئاتها على العديد من الكائنات الدقيقة المحللة.

إن نبـات نخيـل البلح ينـتج محصـولا هائـل مـن البلح الحلـو البنـي والـذي يعتبـره النـاس خيـر الفواكـه ولقد أزدهر نخيل البلح فـي بـلاد العرب ومنهـا بـلاد بابـل ومصـر والجزيرة العربية، والنخلة شجرة طويلة تتوجها أوراق خضراء ساطعة تدعى (السعفات)، ولا زالـت هـذه الشجرة المباركـة الـى اليوم أعظـم مصـدر للغـذاء والثـروه فـي الكثيـر مـن المناطق الصحراوية في شمال أفريقيا وجنوبي غربي آسيا، وقد ذكر لي أحد المسؤولين في الحكومة الصينية عند زيارتي لبكين عام ٢٠٠٧ شارحا لي صورة فوتغرافية التقطت سنة ١٩٢٠م للشعب الصيني تظهر حال المجاعة التي تعرض لها هذا الشعب حينما قال لي بالحرف: نحن ممتنين للشعب العراقي وله دين في أعناقنا حيث التمر العراقي الذي أرسل للشعب الصيني في حينها أنقذ حياة ملايين الصينيين من الهلاك المحقق. ولولا التمر العراقي لما كانت هناك حضارة كما نشاهدها اليوم في الصين.

وتنمـو ثمـار نخلـة (البلح) مـن أطـراف الشماريخ ويؤكـل البلح طازجـا أو بعـد أن يخففه ثمره البلح غنية جدا بالسكريات وهي تحوي على الدهون والبروتين. ويصنع منه الدبس وكذلك يصنع منه شراب يشبه القهوة من نوى التمر المحمص المسحوق، فيظفر من أوراقها الحصران (أبراش) والسلال (الحاويات)، ومن جذعها الذي٢٥ مترا يصل أحيانا إلى أو يزيد خشباً للتجارة وكذلك للوقود.

ويزرع في ظلالها أشجار من الفواكه الأخرى مثل البرتقال والليمون (الأضاليا)، والليمون المالح وكذلك أنواع من الخضراوات والأزهار.

ولحاجة النخلة الى الماء الكثير يقول عنها العرب أن النخلة يجب أن يكون رأسها في الشمس وجذورها أقدامها في الماء لتنمو وتحمل ثمارا.

وهذا ما يجعلنا نشاهد انتشار أشجار النخيل في الواحات الصحراوية. فهي تحتاج الى جفاف وحرارة مع كمية جيدة من الماء. إن أشجار النخيل تعتبر مصدرا اقتصادياً جيداً للكثير من العوائل والسكان واليوم تستثمر استثمارا جيدا.

وقد تصل نسبة الكائنات الحية التي تعبث في مثل هذه الترب الخصيبة إلى ما يقارب ٢٠ % من المادة العضوية التي بها. وقد يصل عدد هذه الكائنات الدقيقة الى بضعة بلايين في الغرام الواحد من التربة.

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [١].

يقول كارل هايم في كتابه (المسيحية والعلوم الطبيعية) (إن عجائب الكون لا تسمح بالايمان فحسب، بل تدعو الناس الى هذا الايمان. وان الاستدلال بالكون على وجود الله قد عاد الى الظهور من جديد في عصر النهضة والتفكير العقلي بسبب انهيار النظرية الآلية في تفسير الكون بعد أن كادت هذه النظرية تقضي على هذا النوع من الاستدلال) [٢]

(إن ما تنقله العلوم من عالم المجهول الى عالم الطبيعة لا ينال من الايمان او يتعارض معه، فالعلوم تسير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الطبيعة. وعلى ذلك فإن وظيفة العلوم هي العمل على أن ترد ظواهر الكون في نشأتها الأولى الى قدرة الله وجلاله) [٣]

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٢) انظر كتاب آيات الله ص٢٧٠ د. ماهر احمد الصوفي، كما يقول عالم النبات اللامع آساجراي في محاضراته التي ألقاها في جامعة بيل سنة ١٨٨٠ م.

(٣) نفس المصدر، ص٢٨١.

وبما أن الله خلق للإنسان ما في الأرض جميعا لقوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١).

فقد أمر الله سبحانه وتعالى النبات الموجود في الطبيعة بالأثمار دون الاستعانة بالإنسان وحتى بعد الرحلة وجود الإنسان بقت الطبيعة معطاءً لأن الإنسان اعتنى بتدجين الحيوانات وتأخر في تأهيل النبات.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ (٢)

أن الحديث عن أبحاث القرآن الكريم ليشدنا بالتأمل الدقيق المتفحص لما ولج به العلماء في علوم القرآن وبما جاء فيه من إشارات أو مواضيع أو قصص أو أمثال... تعطي للقارئ تصورات عدة لها جوانبها المتشعبة فتنقله من تصور إلى تصور ومن لوحة فنية الى أخرى، أبدع الخالق فيها خلقا وتصوره وتعبيره تجعلنا نشخص أمام الطبيعة الحية. والكلام عن الطبيعة وهدوءها أو جمالها ورونق زهوها يجعل من النبات أن يتخذ الصدارة فيها فالطبيعة بدون النبات تصبح طبيعة جرداء تكاد لا تكون فيها حياة ولا تألفها النفس البشرية ولا تستوطنها الكائنات الحية إلا من النذر القليل (٣)

فالنبات هو الحياة وهو ما اقترن مع الماء في كل شيء ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤)

فدراسة النبات في القرآن الكريم دراسة شاملة تعني بالناحية الأدبية والعلمية المتصلة بطبيعة خلق النبات يحتاج الى البحث والتبيان وتوسع مع الشمول مفسحة أمامي لأن الج هذا الباب وأدرس (النبات في القرآن الكريم دلائل وأعجاز).

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢٩.

(٢) سورة ق، الآية:١٠.

(٣) انظر كتاب الموسوعة الكونية الكبرى، ص٤٢٢.

(٤) سورة الانبياء، الآية:١٠.

هذه الدراسة تشمل الناحية الفكرية والعقائدية وتذوقها فنيا وأدبيا وبلاغيا. منطلقا من منهج القرآن الكريم نفسه وحقيقته التي لأمراء فيها باسلوب بليغ أبهر الفصحاء وأعجز الخلق جميعا.

أن النبات على اختلاف أنواعه لهو دليل ساطع على عظيم خلق الله والوهيته ووحدانيته وعلى قدرته وأعجازه الذي أدهش العقول ونور الأفكار والأذهان وفتح اللباب للتمعن بالنبات وكونه دلالة على التوحيد ودليل على الحياة والموت والبعث والنشور كما أراد الله أن يبينها للناس كافة ليتعضوا ويهتدوا ويسلكوا سبل السلام.

أن كل نبتة أو عشبة هي دليل وأعجاز فهي في الواقع صيدلية كاملة تحتوي على مواد فعالة نوعت بنسب وضعها الله سبحانه وتعالى بحكمته وتقديره.

و أن العرب لهم الفضل في تأسيس أول مذخر للأدوية والتي كانت تمتلئ بأوراق وجذور وأزهار وثمار وبذور النباتات.

هذا من ناحية العلمية وما يتبعها كثير قد أشار إليه القرآن الكريم أما من الناحية الفنية فأن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن وهكذا يكون قد فتح النفس على عالم الفن والجمال وأطلعها على عالم العقيدة كي يلتحمان في أعماق الوجود. أن الفن هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

أن العرب لم يتطرقوا بأشعارهم وأقوالهم الى وصف الطبيعة والتغني بها بالشكل الذي تستحقه وأنما كان الوصف لها والتأثير بها ضيقة جدا وهذا مما يبدو من خلال نثرهم وقصائدهم إلا أن القرآن الكريم جاء ليعطي هذا الباب مجالا من أوسع المجالات ففتح الأنظار وعمق الأنفاس لتأخذ من عبيرها وجمالها وعطرها وشدنها وصفائها وهو ما تستريح له النفس بكل حواسها فأصبح القرآن شاهدا على النبات خاصة وعلى الطبيعة بالعموم ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ (١).

(١) سورة يوسف: الآية٨١.

وهكذا ارتبطت المادة بكل من البصر، والجمع، والحضور، والطلوع، والمعاينة، والنظر. ومنها تقاس مشاهد الآخرة على مشاهد الدنيا وان كان علم حقيقتها عند الله والذي ييسر اعتبارها كذلك أنما هو الإيمان اليقيني الذي يسمح لنا بتمثيل المرائي الأخروية وننظرها كما ننظر مشاهد الدنيا.

فالنبات آية من آيات الله الكبرى ومعرض من معارض قدرته التي نورت القلوب ومشاهده أكثر من أن تحصى مشاهد تجذب النظر وتثير الحس وهي تهدف الى ربط الإنسان بالكون وتلمس مظاهرها واستقصاء أسرارها لاستجلاء أثار القدرة ومظاهر الإبداع فهو دليل وأعجاز.

أن تبين مفهومات النبات (الشجرة) في الفكر الوثني السابق للإسلام مما ورد في الأساطير القديمة والتي تعبر عن نظرة الإنسان الأول إلى النبات ومنه الى الكون جملة.

إن البحث في النبات بحث علمي أصولي إلا أنه مبحث في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإذا شاء الله أن ننال به أجراً حسنا في الدنيا فإن رجاءنا في أن ننال به أجرا في الآخرة والآخرة خير وأبقى.

وتعددت مراجعي بتعدد المباحث التي عالجتها في هذه الدراسة فاستعنت أولا بالقرآن الكريم ومن ثم بالتفاسير المختلفة قديما وحديثها تفسير الطبري، الزمخشري، الرازي، البيضاوي، أبن كثير، والقاسمي في محاسن التأويل وتفسير المنار محمد رشيد رضا، وفي ظلال القرآن... مستبعدا كل ما هو طارئ على النص القرآني من تأويلات متعسفة أحيانا وبخاصة الإسرائيليات واوجه الأشارة الى أهمية نظرات بليغ المفسرين – الزمخشري – المبدعة.

كما اعتمدت على بعض الكتب العلمية لمحاولة بيان الدلائل والأعجاز من واقع علمي من صلات.

أن لكتاب الطبيعة في القرآن الكريم للدكتور كاصد ياسر الزيدي. وكتاب المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية للدكتور حامد صادق قتيبي. كان لهما الأثر

الواضح في بحثنا هذا وكانت بصماتهما تتطبع في جوانب البحث جلية واضحة كما أن الكتاب الطب محراب الإيمان للدكتور خالص كنجو وكتاب نحو بيئة أفضل (مفاهيم- قضايا- استراتجيات) للأستاذ سعيد محمد الحفار وكذلك موسوعة الألفاظ القرآنية لمختار فوزي النعال وموسوعة الآيات القرآنية للدكتور ماهر الصوفي وكتاب صفة الجنة الدكتور عبد الحليم السلفي وكذلك للدكتور زغلول النجار في كتاب الحيوان وغيرها كثير بارك الله فيهم، كان لأطلاعي عليها الفائدة الكبيرة في صياغة الأفكار التي أنصبت في موضوع البحث.

كما أن الكتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب حصة في تبيان الفن والجمال القرآني في موضوع البحث، وكتاب النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي وكتاب الطب النبوي لابن القيم كان لها الأثر الكبير في الوصول الى اللمسات الأخيرة في فوائد النبات وصحة الإنسان.

كما أن الكتاب الأعجاز والبلاغة وبالأخص (دلائل الأعجاز) للجرجاني، وأعجاز القرآن للباقلاني نفع جليل في تفهم أسلوب القرآن في وصف النبات. وكتب كثيرة غيرها فجزاهم الله عنا كل الخير.

عصام عبد الرحمن الحافظ

تمهيد

الحمد لله الذي أنعم على الإسلام وأهله، وأرسل الينا نبيه محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) ليختم به الرسالات ويجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وحفظ القران الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١]

وأتم علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا فالحمد له كله والاستعانة به كلها خضعت له الرقاب واقشعرت بذكره الجلود وخشعت عنده القلوب وبحبه جفت العيون النوم لذة لأنسه وحياءا من غفلته سبحانه وتعالى.

لقد اثبت تاريخ الإنسانية أن هذا اليقين بالله عز وجل ساري فينا لن يكون غير الدين التزاما ومحبة وسمعا وطاعة وبصيره بالخلائق وتعظيما لخالقها الواحد الأحد.فهو وحده اعطى الجانبية بين المعلوم الذي تبدأ النفس سيرها منه وبين المجهول الذي تصير النفس إليه طوعا وكرها، ومادامت الجاذبية فيه وحده فلن يستطيع شيء غيره أن يقيم حدود الإنسانية أو يحفظ غاية العلم إلا أن يكون قوة في هذه الحدود او قوة لبعضها على بعضها بمنفعه او مضده وهي في الجملة ما اصطلحوا على تسميته بالآداب الإنسانية والأخلاق الإنسانية.

فأيتها الحصاة، ما يسخر منك الساخر بأكثر من أن يجلوك على الناس في علبه جوهرة. وهذا تشبيه لمن يعرف الله حق معرفته ولم يقدره حق قدره العلية جل شانه وعظمت قدرته. فالذي لا يدرك الشمس بنورها لا يعرف ما مقدارها ولا حاجة لها فيذهب الضياء عليه ليأتي ليل طويل بظلمته لايتحسس فيه الأشياء ولو التصقت به وقد عميت عليه والعياذ بالله، ومن تراه قد سخر منه القوة اشد سخرة به، يتهاوى من شدة جهله، فهو سبب ألحق ليظل بهم وجعلهم يرون القرآن كلام من الكلام يجرون عليه الحكم الذي يجري على غيره كما يظن الجاهل الذي ليس في نظره معان عقلية كل صوره ككل الصور وكل حصاة ككل الجواهر ألا ساء ما يحكمون.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

فأعلم أيها القارئ أن القرآن كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية. ولكل باب من هذه الأبواب وللأعجاز فصول وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول، وقد تحدى محمد رسول الله (ﷺ) النبي العربي الأمي العرب بأعجازه وحكا لهم عن ربه القصة بعجزهم عن الإتيان بسوره من مثله فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على أبطال دعوته واجتثاث نبتته، ونقل جميع المسلمين هذا التحدي الى جميع الأمم فظهر عجزها وبان ضعفها وهزالها.

ولما كان هذا القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، في صفاته الربانية واشراقاته النورانية فلابد وأن يكون مغايرة لكلام البشر: في نظمه ومحتواه وإشاراته العلمية والتاريخية والتربوية والنفسية وفي ضوابطه الإدارية والاقتصادية وفي أنباتاته المستقبلية وفي صموده أمام كل محاولات التمزيق، وفي تحديه للأنس والجن مجتمعين أن يأتوا بقرآن من مثله أو حتى بسورة واحدة من مثله، ولا يزال التحدي قائما مادامت السموات والأرض.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[١]

وأنظر (سورة هود: الايتان ١٣١٩)(سورةالبقرة: الاية٢٣) (سورة يونس: الاية٣٨) (سورة الطور: الآيتان ٣٣-٣٤).

ولقد عجز الجميع وقدراتهم البشرية القاصرة العاجزة على أن تداني كتاب الله في روعة بيانه وجمال نظمه، ودقة دلالته، أو في صدق إنبائه، وسمو معانيه، أو في نبل مقاصده وعدالة تشريعه، أو في إتمام إحاطته بطبائع النفس البشرية، وقدرته على التعامل معها وعلى الارتقاء بها في معراج الله عز وجل.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

ونبينا محمد (ﷺ) كسائر الأنبياء والمرسلين جعل الله سبحانه وتعالى له معجزة كما جعل لأخوته من الأنبياء والرسل فكان القرآن الكريم معجزة العصر التي أخرست فصاحة العرب و بلاغتهم وحسن بيانهم بل أذهل عقولهم وحير لبابهم فلم يجدوا سبيلا إلى الطعن فيه فلجأوا إلى وصفه بالشعر أو بالسحر إقرارا بعجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، ولقد أفرز علماء المسلمين شوطاً للأعجاز البياني والنظمي، والبلاغي للقرآن الكريم ظنا منهم أنه جمال لتحدي قدراتهم البشرية القاصرة العاجزة على أن تداني كتاب الله في روعه بيانه وجمال نظمه، ودقة دلالته أو في صدق أنبائه وسمو معانيه، أو في نيل مقاصده وعدالة بتشريعه وفي أتمام إحاطته بطبائع النفس البشرية، وقدرته على التعامل معها وعلى هدايتها والارتقاء بها في معراج الله عز وجل.

الأن بتسليمنا القاطع الواضح المعالم والرؤيا بأن القرآن المجيد معجز في نظمه لأنه ليس بالشعر ولا من قول الشاعر ولا بالنثر لأنه ليس من قول فصيح أديب. ولكنه نمط رباني فريد لم تعرفه العرب ولم تسمع به أذانهم ولم تألفه طباعهم.

فالقرآن الكريم هو الدين الحنيف الذي وضع، ركائزة الأساسية في العقيدة، والعبادة، والأخلاق والمعاملات، وقد جال وصال علماءنا في هذا، كبدء من هذه الركائز الإلهية التي شرعت للإنسان أحواله الشخصية ونظمت معاشه وحياته فأكرم مخلوق يسخر له كل شيء بأذن ربه. فالقرآن الكريم المنزل من الله بواسطة جبريل عليه السلام على صدر محمد (ﷺ) لم يقتصر إعجازه على هذا المقام فحسب، مما دفع علماء الأمة في البحث في مجالات أخرى وأوجه عدة فكان الإعجاز العقدي، والأعجاز التعبدي، والأعجاز الأخلاقي، والأعجاز التشريعي للقرآن الكريم واضحا جليا من ركائزة فهو أعجاز فوق ما شرع وثبت وسن من قوانين وبين من طرق.

إن الله سبحانه وتعالى عالم بما سيؤول إليه البشر من تصور ومعرفة وانطلاق في آفاق العلم والاكتشاف المعرفي في أرجاء المعمورة بل وحتى في عنان السماء وأبراجها وأجرامها وهو العلام الذي سبق علمه كل شيء معرفت منه أن الإنسان واصل الى معرفه الكون ومكوناته وبسنن الله الحاكمة له لم يصل إليه جيل من قبل فينسبه

ذلك حقيقة رسالته في الحياة الدنيا وأنه عبد الله يعيده راجياً رضاه لا نسياً لفضله وأنه المستخلف في الأرض بعمارتها وإقامة العدل فيها متذكر دائما بأن الله هو الباقي وأن الموت حق والبعث حق والحساب حق والخلود في الحياة الآخرة حق أما في الجنة الحق أو في النار الحق.

وهكذا تأخذ السيرة البشرية طريقها سعيا وراء الكشوف العلمية خاصة إن ما أكتشف من أسرار العلم تجعل الإنسان يندفع بقوة ومن منطلق مادي بحت، منكر ومتجاهل كل ما فوق المادة، حيث الانتقال في هضم هذه الأمور قد تجعل الإنسان ينسى صلته بوحي السماء وينزلق إلى متاهات الجدل والعلم المبتور الذي يجعل الإنسان يدور في فلكه لا يجد مخرجا منه وكأنه صعق من هول ما رأى وشاهد، إلا أن العارف بأمر الله عز وجل المتبصر في كتابه يجد بأن الله سبحانه وتعالى أبقى لنا في محكم كتابه مئات الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الكون وخلقه وعن الإنسان ونشأته وعن الموت والحياة وعن السموات والأرض وعن الشمس والقمر والنجوم والأجرام، عن الغيبيات والمخلوقات والمشاهدات، مصورا لنا التصوير الفني القرآني لما خلق الله عز وجل على هذه الأرض من مخلوقات عظيمة متنوعة منتشرة أبدع الخالق فيها ونسبها إليه وأقسم بها وأنها للفاحص الناظر المتفحص تخرج من مشكاة واحدة. أن السياق بالإشارة الى كم هائل من حقائق الكون قبل أن يصل إليه علم الإنسان بأكثر من عشرة قرون ونيف هو ما نسيمه بالأعجاز العلمي للقرآن الكريم. وهي اللغة الميسرة لجميع أهل عصرنا لفهم فضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات وفضل القرآن الكريم على غيره من الكتب.

ويلفت العلماء الباحثون أن الآيات القرآنية لم ترد في كتاب الله تعالى من قبيل الأخبار العلمي المباشر. لتجعل اجتهاد الناس جيلا بع جيل ليدرسوا ويفتشوا فيها لأن القدرات البشرية المحدودة مع الكم الذكي المعرفي في هذه المجالات يحتاج إلى وقفات من أمه إلى أمه ومن عالم الى آخر، محطات تصل بعضها بعضا لتفهم من هذا

المنجم العظيم والبحر الذي ليس له حدود في المعرفة والعلم، فكل يدلو بدلوه على مر العصور والأزمان.

وهذا دليل على عظمة الخالق وهو مقام للشهادة له بطلاقة القدرة على الخلق، وشهادة للخالق بالربوبية والألوهية والوحدانية المطلقة.

أن أشارة الخالق جل في علاه للإرشادات الكونية جاءت صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من معانيها يتناسب مع ما تواتر لهم من علم الكون، مكوناته وظواهره وتظل هذه المعاني تتسع مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكافلها لا تعرف التضاد والمقاطعة.

ولله المثل الأعلى فالمدرس البارع العالم المطلع الباحث فهو يصول ويجول في ثنايا أوراقه ومعرفة اختصاصه، فعندما يدخل على الطلاب في مراحلهم الأول يتكلم بكلام يفهمونه وعندما يأتي الى طلاب في مراحل متقدمة يتكلم ويطرح طروحات أخرى يفهمونها وهكذا يوصل رسالته للجميع.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١)

وهكذا يخبرنا الإعجاز العلمي للقران الكريم فالإعجاز: من إثبات (العجز) وهو الضعف وعدم القدرة يقال (عجز) عن كذا: أي لم يقدر عليه، فهو (عاجز) عن الإتيان به (والعجز) جمعه (إعجاز) مؤخر الشيء أو الجسم و(عجز) بيت الشعر هو الشطر الثاني منه (أعجاز) النخل هي أصولها.

ويقال (أعجاز) في الكلام أي أدنى لمعانيه بأبلغ الأساليب والإعجاز السبق والفوت مصدر من (أعجز).

وعلى ذلك تعرف (المعجزة) وجمعها (المعجزات) بأنها الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، المقرون بالنحوي بعجز الشيء عن الإتيان بمثله. (وأعجاز القرآن الكريم معناه (عجز) الخلق أجمعين أنسهم وجنهم، فرادى ومجتمعين، على أن

---

(١) سورة النمل: الآية ٩٣.

يأتوا بشيء من مثله فالقرآن الكريم معجز في بيانه ونظمه، معجز في فصاحته وبلاغة أسلوبه، معجز في كمال رسالته ودقه مضمونة، وعلى ذلك فالقرآن الكريم معجز في جموع العقائد التي يوعد الى الإيمان بها وفي مجموع العبادات التي يأمر بها، معجز في دستوره الخلاق الفريد وفي كل تشريح من تشريعاته الناطقة بدقتها، وعدلها وشمولها وتفاصيلها [١].

وهكذا يتنقل الأسلوب القرآني من الأعجاز التاريخي والعقدي الى الأعجاز البلاغي الى أسلوبه التربوي الفريد ومحاكاته النفس السوية ويشير الى الكون كله بمكوناته وظواهره والى الإنسان وخلقه ومراحله الجنينية وهذا الجانب من الخطاب هو جانب الأعجاز في كتاب الله المقصود بتعبير (الأعجاز العلمي في القرآن الكريم) ويقصد به سبق هذا الكتاب الكريم بالإشارة الى العديد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم صحيح للشيء منها إلا بعد قرون عدة ومراحل متطاولة. فالعاقل العارف بالطباع البشرية وبالسيرة التاريخية للأمم يعرف بأن مصدر هذا كله لا يمكن أن يكون إلا من خالق سبحانه وتعالى حيث لم تدرك هذه الأمور في زمن الوحي ولا القرون العديدة من بعده، إلا أن من الله سبحانه وتعالى على علماء عصرنا الذين أكدوا كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم الأنبياء ورسله وتصديق لنبوته وأنه المبلغ عن ربه، وان الأسلوب العلمي للقرآن الكريم كان ضربا من الأعجاز العلمي في أسلوب فريد في الدعوة الى الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشة، فكل ما يحيط بنا يصرخ ويوقن ويعترف ويركع خاشعة بأن الله هو الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ومن مبطن ما هو دليل قطعي على وحدانية الله وعظيم قدرته وعجائب صنعه النبات الذي هو جزء من خلق الله يسبح له ويسجد له كما لباقي المخلوقات من الشمس والقمر والجبال والبحار.

إن الإسلام يمر عبر العصور بحالات من التمويه لإثبات وجوده ومقدرته على محاكات عقول الناس وأنه للناس كافة في كل زمان ومكان وأنه دين الكمال، والشمول،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور.

والاستمرار والديمومه وفيه المثالية والواقعية وفيه العقاب والثواب جاء بلسان عربي مبين هداية للناس كافة بل للعالمين كافة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]

وأن هذا الكتاب الذي أنزل به بواسطة جبريل الأمين على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين من قبل أربعة عشر قرنا وفي أمه كانت غالبيتها من الأميين، إن هذا الكتاب يحوي من الحقائق الكونية وظواهرها وفي نفس البشرية وآفاق الدنيا وبكل مخلوقات الكون منه النبات بكل أنواعه وأطيافه وألوانه على اختلاف أطعامه وروائحه وطباعه وجنسه فهو خلق من خلق الله يدل على أن الله واحد لا يدانيه في ملكه أحد ولا يشترك في عبادته أحد فهو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو السميع العليم ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ [2].

إن حسن فهم القرآن الكريم يكون وفق ضوابط اللغة وقواعدها وأصولها لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين. وكذلك فهم المأثور عن الرسول (ﷺ) والرجوع الى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين والمعاصرين مع أدراج أسباب نزول الآيات القرآنية وفهمها.

إن روعة الموضوع المراد البحث عنه وجمع الآيات القرآنية فيه لتوضيح الصورة الفنية للقرآن وليفسر بعضه بعضا يعطي للقارئ وضوحا في الرؤيا واتصالا بالموضوع بعيدا عن التشتت والإطالة.

كل هذا يجب أن يكون بعيدة عن محاولة لي أعناق الآيات القرآنية من أجل موافقتها للحقيقة العلمية التي بين يدينا فالقرآن الكريم فيه من الشمول والدقة ما يكون

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥١.

أعز عليه من أن يحصر بين قوسين لأمر ما لأنه كلام الله الخالق وعلمه علم مطلق محيط بكل شيء وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فالأعجاز العلمي يعمل ضمن ضوابط المألوف والموجود حقيقة، بعيدا عن الغيبيات والتأويلات والتصورات التي تبعد التصور وتدور في أفلاك لا نهاية فيها ولا مخرج وتوقع المرء الباحث في هاوية الطيش، فالبحث بالذات الإلهية، والروح، والملائكة والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث والنشور والحساب والميزان، والصراط، والجنة والنار وغيرها. فهذه تحتاج الدليل القاطع بقصدها والإيمان بها إيمانا كاملا انطلاقا من الإيمان بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله الله (ﷺ) والعلم واليقين والوقوف عند عجز الإنسان لمثل هذه الأمور مهما سما علمه وطالت رقبته. واليقين المطلق بفناء الكون وبحتميه الآخرة.

وعليه فالتعامل مع الحقائق العلمية القاطعة في الاستشهاد على الأعجاز العلمي للقرآن الكريم في الموضوع الواحد أو في عدد من الموضوعات المتكاملة وذلك في جميع ما ذكر الله سبحانه في الآيات الكونية التي تدل عليه وأنه الخالق له الإطلاق في ذلك دون منازع وأن العالم المطلع العارف يجب أن يكتمل عنده التأكيد على أن ما توصل إليه العقل البشري والبحث العلمي في فهم دلالات الآيات القرآنية ليس المنتهي في الفهم لها، لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثره الرد.

والعلم والعمل والانطلاق من موقع اليقين المؤمن بأن الآيات القرآنية الكونية يمكن أن توصل الى حقائق لم يصل إليها الباحثون اليوم وهي سبق في الاكتشاف وهو ضرب من الأعجاز العلمي انطلاقا من الإيمان الكامل بأن القرآن هو كلام الله وأنه كله حق مطلق.

ان التواصل بين العلم القديم والحديث يعطي للبحث إشراقه وإطلاله أوسع بمعرفة جهود الآخرين وعدم التقليل من شأنهم لأن القرآن الكريم يفهم عند كل أمة بما أتيح لها من إمكانيات مادية وعلمية سخرها الله لهم تصلح لذلك الزمن دون غيره وحتى يظل القرآن الكريم مهيمنا على المعارف الإنسانية مهما اتسعت وتشعبت وعمق البحث فيها

فتبقى هي على شواطئ العلم الرباني النوراني وهو باب كبير من أبواب الأعجاز القرآني. وقد أبلى علماء التفسير في هذا الباب الكثير إلا أن التفسير للقرآن الكريم علمية يوضح ويعطي مفهوما للمفسر وصل إليه من الأدلة الواصلة من النصوص والأحاديث والآثار وهو غير الإعجاز العلمي فالأعجاز جعل السبق للشيء من خلال الإشارة إلى حقيقة من الحقائق الكونية أو تفسير الظاهرة من الظواهر أو طبيعة خلقية أو معاشيه أو سلوكية... من قبل وصول العلم إليها فالإشارة إلى مثل هذا هو السبق القرآني وهو الأعجاز الحقيقي للقرآن الكريم.

وعبرنا هذا كله على طريقة التعامل مع القرآن الكريم بدقة وقدر مع إخلاص النية والتجرد لله سبحانه. فالباحث الكريم ينهل من القرآن والسنة النبوية مستأنف بالأقوال والوقائع والبحوث السابقة دون الابتعاد والشطط في القول فإن من دار في فلك الشيء عن غير نظام وحساب دقيق خرج بعيدا تائها لا تسعفه معرفته القليلة إلا بعد الرجوع الى كتاب الله والتيقن من أن الله هو الباسط وقد سبق علمه كل شيء، فالتقول بما لا يعلم في القرآن الكريم أمر خطير يؤدي بصاحبه الى هاويه العذاب وغضب الله فهو تطاول على خلق الله وعلمه وبديع صنعه وعطاءه.

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي والإمام أحمد أن رسول الله (ﷺ) قال: **((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)).**

ولتذكر مقوله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وهو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما سئل عن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾فقال: أي أرض تقلني وأي سماء تغطيني أن قلت بكلام الله مالا أعلم. فهذا هو الأدب القرآني والرهبه من الخالق والخوف من الوقوع في الغرور والتجاوز والتأويلات التي لا تنفع ولا تقي أو تسمن من جوع﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1]

---

(١) سورة ابراهيم: الآية٥٢.

ورب سائل يسأل لماذا الاهتمام بالأعجاز القرآني كله والاهتمام في عصرنا بالأعجاز العلمي للقرآن الكريم. فحقيقة الأمر أن لكل عصر من العصور برز للناس نوع من الأعجاز فمن الأعجاز البلاغي الى الأعجاز الأخلاقي والأعجاز الصوري والأعجاز التشريعي، والأعجاز الغيبي والأعجاز في الخلق والأعجاز في التاريخي القصصي والأعجاز العلمي، وغيره كل ذلك له اهتمامه واستدراكه بالحواس والفهم والتصور لكل أمة من الأمم، واليوم الانطلاقة العلمية وعلم الفضاء والتوسع بالأبحاث العلمية وانتشار الجامعات وتطور المناهج والاكتشافات المطردة لأمور لم تكن معلومة مسبقا مع تقدم علم الحاسوب وتطور الكهرباء وأجهزتها وغزو الفضاء الخارجي والوصول الى أجرام بعيدة فبعد القمر زحل وبلوتو والزهرة وغيرها وحتى الشمس لم تكن في منأى من الرصد الإنساني والبحث العالمي وفي النفس البشرية وأعماقها وأغوارها وما جعل الله فيها من سر في خلقه وبديع صنعه وكذلك في باقي مخلوقاته ومنها النبات الواسع الانتشار وعلاقته بالكائنات الأخرى وموازنة الحياة على الأرض وأطرافها بزينة وجمال ووسع وانتشار وفائدة واقتصاد ومعاش وتكاثر وزهو وبعد كل ذلك التوسع يجعل الولوج اليوم في مشروع الأعجاز العلمي مهمة وضرورية في سبيل الدعوة الإسلامية.

إن الكلام بالأعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هي مفتاح الكثير من مجالات التحاور والإثراء الفكري الذي يمكن أن يعطي للداعية المجال الواسع لإيصال فكره الإيمان بالله وعظمة الشريعة الإسلامية وأحقيتها بالأتباع والالتزام، فهذا باب يطل على الكثيرين ويصل إلى أفئدتهم لتحاكي لغة العصر العلمية التي أصبحت لغة عالمية ينادي لها بصوت عال ومسموع وقد تأثر ببعضها الكثيرون فإن ربط القرآن الكريم لما عند الناس من مفاهيم علمية وبيان حقيقة أن الله هو الخالق المبدع يجعل أولئك الذين لم يجدوا طريقة واضحة لهم في الوصول الى الطريقة العقائدية والأخلاقية الإسلامية طريقة مسهلا لقلوبهم يدغدغ مشاعرهم ويحرك بذره الإيمان عندهم لأنها حقيقة علمية ولا شيء بعد الحقيقة والظاهرة الحية المقبولة الشاخصة أمام العيان.

إن القرآن الكريم أنزل ليفهم ويتبع ويطبق ويتعبد فيه، والآيات الكونية العلمية تعطي إضافة أيضا في اللغة لتقريب فهم القرآن الكريم وتمشي متوازية مع البلاغة القرآنية لتقريب الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم.

ولا يخفى على القارئ الكريم في أن الأمم بحضاراتها تكمل الواحدة الأخرى وتمشي في مشروع إلهي كبير سنة الله سبحانه على أنبياءه ورسله، إلا أن الكثير من هذه المفاهيم اليوم تأخذ مأخذا في أزاحه الحضارات والثقافات للغير فكل يجد نفسه اليوم مهددا أمام طغيان فكري وثقافي بل وحضاري بما في ذلك من أفكار هدامة ومشركة وكافرة تصيغ على الناس صيغة علمية ثقافية بعيدة عن طريق الإيمان بالله الحقيقي الذي يكون معه السمع والطاعة فإن ماديات هذه الحضارات اليوم وأخلاقياتها الساقطة المخطئة التي جاءت التغير بل لتجرف غيرها وتوظف لحالها ما استطاعت أن تحصل عليه من سبق علمي أو مادي أو عددي وما يشخص عندنا في الدول العربية والإسلامية لهو خير دليل على مثل هذا الصراع وما حال القضية الفلسطينية مع إسرائيل واحتلال العراق إلا واحدة من تلك التي كان يريد أصحاب الحضارات المعاصرة لا ذابة غيرهم في ما يعتقدون.

إن ظهور مسميات كثيرة اليوم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب يريدون أن يجعلوا من الإسلام بضاعة لكل ما هو مرفوض اجتماعيا ومن كل مالا ترضاه النفس البشرية وهذا فيه بهتان على الله وعلى شرعة الله، وما حملته الصور المزيفة لحقيقة النبي محمد (ﷺ) إلا واحدة من هذه المحاولات لتشويه الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية بأسماء شتى ما أنزل الله بها من سلطان – إن سيطرة أعداء الإسلام وتعطيل جميع الدفاعات التي يمكن لمسلم عاقل أن يدفع بها عن دينه مادية ومعنوية دفاعا عن النفس والدماء والأموال والأعراض وعن الدين والعقيدة، لهذا كان واجبا على المسلمين أن يجعلوا من الدلائل القرآنية العظيمة الواضحة سبيلا لنصرة الدين والدفاع عن حضارة أمة ودفاعا عن نبيها ورسولها وما أنزل إليه من الكتاب، والأعجاز العلمي طريق المثل هذا ليغني الموقف الإسلامي بأن الإسلام يشجع العلم والمعرفة بل يعتبرها

فريضة مهمة وواجب شرعي على كل مسلم ومسلمة. إن الأمة الإسلامية وما مر عليها من جهل وتمزيق جعلها تبقى في الركب الأخير بين الأمم وهذا ما أراده الأعداء بعد أن أبعدوا شبابها ورجالها عن العلم المعرفي الحقيقي والذي هو متوفر بين أيديهم فجعلوهم أمة متخلفة مشرذمة تستكدي العلم والمعرفة.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة إثراء عظيم للإسلام والمسلمين في جعلهم أمة تقف وسط هذه الأمم لا يبادلها ولا يجاريها أحد في علمها ومعرفتها بفضل الله تعالى وبفضل ما جاء في كتابه العزيز وخصصته السنة النبوية الشريفة واليوم لم يبق للأمة الإسلامية من طوق نجاه في زمن الفوضى الخلاقة والغربة والوحشة والابتعاد عن الله إلا الالتزام بدينها الحنيف الذي آثره الله لعبادة ولا يرتجي لهم سواه.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1]

لا يخفى على المسلم اليوم ما يقوم به الإعلام والقنوات الفضائية من هجمة شرسة على دين الله وإفساد الناس، وإبعادهم عن منهج الله سبحانه وسنة نبيه فالإعلام الصهيوني الصليبي المتطرف قد أشاع في الناس الفساد وأشاع عندهم روح التطرف علنا بدون خجل أو وجل فينكرون على الناس دينهم وشرعه نبيهم بتبجح، إن إثبات الأعجاز العلمي لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد (ﷺ) بالطريقة العلمية الحضارية الراقية وبالكلمة الطيبة الصادقة وبهدوء الحوار ووضوح الطريق وقرع الحجة بالحجة الواضحة البالغة والمؤثرة سيجعل من المسلمين اليوم يعتلون أعلى المنابر يتكلمون والعالم يسمع.

إن التقصير في إبلاغ دعوة الله سبحانه وإظهار عظمة خلقه وأنه له الأولى والآخرة وهو علام الغيوب فالق الحب والنوى وفالق الإصباح قد يكلفنا هذا التقصير

(١) سورة آل عمران: الآية٨٥.

الكثير من الإغراق والتأخر والانحطاط بل سيكلفنا حروب طاحنة كما شاهدنا في فلسطين والعراق وسوريا واليمن والبلقان وأفغانستان والفلبين والباكستان وغيرها كثير... مثل كشمير والشيشان، والصومال واليوم السودان ودارفور، كل هذا الأمر يدمي القلب لأن حاضرة بلاد المسلمين غارقة في دماء وهموم وخراب ودمار، أن الزحف الاقتصادي المادي الذي يرافق الزحف العسكري ولا نناله يعملان على إزاحة حضارة أمة كي لا يبقى فيها حجر على حجر ويبقى الجميع في شتات وجل حالهم يعمل على المصالحة فيما بينهم لأن الأمر مزق الجسد الواحد. ولكن أمر الله باق والأمل فيمن يرى النور في آخر النفق وهو نور رباني سيعم الدنيا ويصلح حالها بعد أن توضع اللبنات الصحيحة في البناء السليم ويكون الأمر كله لله.

أن ابتغاء حياة هنية مريحة متطورة متقدمة يحتاج منا أن نكون مع استنهاض الهمم واستثاره عقول المسلمين وأفكارهم وإبداعاتهم والاهتمام ببوابة العلوم والتكنولوجيا وعلم الفضاء والبايلوجيا والطب وعلوم الهندسة وغيرها مما وجد نفسه حاضرا في أعجاز القران العلمي يحتاج إلى المزيد من العمل والاهتمام لرص المعرفة وتجديد العلوم التقنية التي تحاكي العقل العصري الجديد وتماشي التطور المذهل الكبير، كل هذا يجب أن لا يخرج من الطريق النوراني والرباني المتواصل شرعا قولا وقالبا.

أن الشريعة الإسلامية داعمة لمشاريع العلم والتطور وناظره الى محراب الإعجاز العلمي بثقة وقدسية، وان العلم الشرعي يدفع بالعلوم المكتسبة الكونية الى الامام ودعمه في طريق البحث والتطور ويعتبر ذلك واجبا شرعيا مقدسا لإصلاح حال الأمة ورفاهيتها والدفاع عنها والحفاظ على حضارتها ومكانتها والشريعة الإسلامية المباركة جاءت تبيان لكل شرعه ومنهاج والكل يعلم إن القران الكريم جاء ببلاغ للناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ومشاربهم فكلهم عيال الله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾(١)

فتنقل أيها القارئ الكريم في جنبات القران الكريم ستجد أجوبة كثيرة على أسئلة باتت قديمة واهية لا يعرف طارحها غيرها معتقدين صوابها وصعوبة الجواب عليها فالقران الكريم فيه نور وهدى للعالمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢).

ولسنا ندعي إننا أشرفنا على الأقدار أو وقفنا على المعجزة الأكبر، فان هذا أمر ضيق كثير الالتواء لمن تلمس جوانبه، واقتحم مضاجعه وما أشبه القران الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة واغنوا جوانبه بحثا وتفتيشا. ثم هو بعد لا يزال عندهم على ذلك خلقا جديدا، ومراما بعيدا وصعبا شديدا والانتقاء المعجز الذي انحط عنده قدر الإنسان لأنه مما سمحت به الأقدار.

إما في وجه الإعجاز وما تحقق بعد البحث، وانتهينا إليه والتأمل وتصفح الآراء والتفاسير وإطالة الفكر واتضاح الرؤية وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه وأفراد أسلوبه ثم تعاطينا مع المثل في القرآن الكريم والقصص القرآني وسنة سيد الأنبياء والمرسلين وما كان من الطب النبوي الشريف وما صوره القرآن الكريم في تصويره الفني الرائع، وما ذكره صراحة ولفظا وما كان وراء العموم و التعميم وما كان فيه من التشابه والاختلاف والتقارب والتباعد، فيما كان في البلاغة والأعجاز العلمي، فنقول أن الذي ظهر أقل بكثير مما خفي علينا وأن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم

---

(١) سورة الإنعام: الآية١٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

من لفظ الأعجاز على إطلاقه فهو أمرا لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا وهو أثر كبير من الآثار الإلهية.

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في حاضرة الإنساني وإن وجدت في شيء فهي باقية ما بقيت.

وقال في وصف من امتزج القرآن بدمه ولحمه حاكية عن نفسه:

(إني عندما أسمع القرآن أو أتلوه أحسب أني في زمن الوحي، وأن الرسول (ﷺ) ينطق به كما أنزل عليه – أو نزل به عليه – جبريل عليه السلام) [١]

إن الله تعالى قد أوجد بالقرآن أعظم انقلاب في البشر، بتأثيره في أنفس العرب، إذ جعلهم بعد أميتهم أساتين الأمم وساده العجم، وما فقد المسلمون هدايته إلا لجهلهم بأسرار لغته، لذلك يهاجمه أعداؤه الملاحدة، المستعمرون من طريق لغته، فليعلم المسلمون هذا، وليحرصوا على حفظ دينهم بحفظ لغتهم وممارسة آدابها وأسرار بلاغتها ولكن غاية هذا كله فهم القرآن، كما كان يفهمه سلفنا الصالح ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [٢].

وتحقيق الإيمان بخالق السموات والأرض وبديعها وفاطرها، وقيومها، خالق النبات وخالق كل شيء ومليكه، وربه ومبدعة، فالق الأصباح هو الواحد الأحد الفرد الصمد الها واحدة لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو الذي يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، له يرجع الخلق كله، محصي أعمال الناس، محدد الأجال والأرزاق، عالم الغيب لا يغرب عن أمره شيء وهو السميع العليم، القاهر فوق عباده،طاعم ولا يطعم، العليم الخبير، الغني القادر له الأسماء الحسنى، منزل الكتاب ومجري السحاب ومرسل الأنبياء الى خلقه كافة يبدأ الخلق ثم يعيده، فالق الحب والنوى وجاعل من الماء كل شيء حي، ينزل الماء على الأرض الميتة فهتزت

(١) الامام محمد عبده (رحمه الله).

(٢) محمد رشيد رضا، منشيء مجلة المنار.

وتربت وأنبتت من كل زوج البهيج تبصره للعباد، لا إله إلا هو كل شيء يدل عليه فهو الواجد الموجود الأول والآخر، الظاهر والباطن، مخرج من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون، سبحانه وتعالى عما يصفون، نوع الخلائق وأكثر منها فاحصاها عددا وعرف بها فهي تسبح له بالغدو والآصال وعنت الوجوه للحي الذي لا يموت، فكل شيء زائل وجاعله كهشيم المحتضر ولا يبقى إلا وجهه الكريم.

فالحمد لله على نعمائه وبما حمد به نفسه في كتابه:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[١]

عصام عبد الرحمن الحافظ

(١) سورة الاحقاف: الآية ١٥.

الخلاصة

أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم معجزة باقية على وجه الدهر لا تنقضي عجائبه، ولا تخلق على كثرة الترداد جدته، ولا تمل قرائته وسبحانه القائل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (١).

أن محاولتي لان استشف النص القرآني الكريم للكشف عن روعة المشاهد وجلالها كانت الباكور في أعمالي، وأنها متواضعة فأنها لم تصل حد الكمال فالكمال لله وحده.

أن القرآن الكريم أظهر مفهوم النبات وأدلى بهذا المفهوم بقوة وعمق ووضوح فأحدث الأثر الواضح الذي جاء من أجله.

أن هذه المهمة الجسيمة والخطيرة، تحتاج إلى قرع الحجة بالحجة والفكر بالفكر حتى يصح الصحيح ويتميز، وينحسر المتعسف المشتط.

أن الله سبحانه وتعالى أبرز مخلوقاته وأعطاها المكانة اللائقة بها وسخرها للإنسان في حياته ومعاشه وتوجيه فكره فانتقل القران من القسم بالمخلوقات الى الأعجاز بخلقها وعظيم صنعها، وينتقل بها من المثل الى الدلالة على التوحيد وعظمة الله، الى صحة الإنسان وتداخلها مع حياته ومعيشته اليومية.

وأمل إلا يتوهم أحد أن المراد هنا أثبات شيء كان في الذهن مسبقا بل أن الرغبة في البحث بحث موضوعية هي التي حدت بإظهار ما هو آت. فان التقت العقيدة مع هذا البحث فذلك شيء طبيعي. بل إلا تكون تلك العقيدة حائلا دون أظهار الحقيقة مهما كانت تلك الحقيقة.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

والنبات جزء من خلق الله، والولوج بالبحث فيه وبين أروقة أعجازه ودلائله ليوصل المرء إلى الحقيقة ويثبت العقيدة ويصون الإيمان ويكشف الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ**﴾ [1]

(١) سورة الملك: الآية ٢٢.

الفصل الاول

النبات

الخلية النباتية ومكوناتها
العمليات الحيوية التي يقوم بها النبات
أولا: النتح.
ثانيا: الامتصاص ونقل الماء.
ثالثا: عملية التنفس.
رابعا: التركيب الضوئي
ظاهرة الارتباع
النوع في القرآن الكريم وفي علم التصنيف
النبات والطبيعة
النبات والتربة
النبات والضوء
النبات والرياح
النبات والأرض
النبات والحرارة
النبات والرطوبة
النبات والسماء
النبات وتطور الإنسان
النبات والعلاقات الاجتماعية
النبات والماء
الماء في التربة
الماء والحياة
مشاهد الماء في القرآن الكريم
مفهوم الطبيعة في القرآن الكريم
مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم
المفاهيم الأساسية للطبيعة السماوية في القرآن الكريم
المفاهيم الأساسية للطبيعة الأرضية في القرآن الكريم.

الفصل الاول

النبات

الخلية النباتية:-The plant Cell

بالرغم من أن النبات يبدو متجانس في التركيب نسبيا إلا أنه يمثل مجموعة من التراكيب أو الوحدات المجهرية التي تعرف بالخلايا وتعمل هذه الوحدات بتناسق تام لاستمرار الحياة في النبات، أما في النباتات الوحيدة الخلية مثل الطحالب فان الخلية تمثل وحدة مستقلة قادرة على الحياة دون الارتباط بخلايا أخرى وعليه فالخلية تمثل الوحدة الأساسية للحياة ونقصد بذلك أنها اصغر تركيب في الكون قادر على النمو والتكاثر بخصوصية منفصلة أو جماعية، ولهذا لا يمكن أن تعتبر الفيروسات (Viruses) وحدات أساسية للحياة ولو أنها اصغر بكثير من الخلايا لأنه لم يظهر فايروس دون أن يكون مرتبط بخلية حية ومعتمدا اعتمادا كليا في تكاثره عليها مستغلا تركيباتها الداخلية وشفرتها الوراثية، فالفيروسات تنقصها القدرة الذاتية على التضاعف والتكاثر.

هذا ويتوقف شكل وحجم النبات – الى حد كبير – على شكل – وعدد وترتيب خلاياه، حيث نلاحظ العلاقة او الترابط بين التراكيب والوظيفة فمثلا تتكون أنسجة التوصيل في النبات (الخشب واللحاء) من خلايا مهيأ من الناحية التركيبية لتنقل وبكفاءة عالية كميات كبيرة من الماء والغذاء، والخلايا مهما اختلفت في إشكالها وحجمها وتركيبها ووظيفتها فهي لا تتعدى نوعين رئيسيين: أولا: خلايا حية:تحوي مكونات حية (بروتوبلاست) ومكونات غير حية (جدار الخلية) ثانيا: خلايا ميتة: خلايا كانت في الأصل حية تم طرأت عليها تغييرات كثيرة أدت إلى موتها وذلك لغرض أداء وظيفة معينة كالأوعية والقصيبات والألياف والخلايا الفلينية.

وسنأتي بشئ عن: الخلية الحية The living cell تشمل الخلية الحية النباتية على مكونات حية يطلق عليها البروتوبلاست (protoplast).

والأخير ليس مجرد خليط لما يحويه من مواد لكنه تنظيم معقد التركيب سهل الحركة في حالته السائلة وتعتبر الحركة دليل مطلق على حيويته ونشاطه، والبرتوبلاست نظام غير متجانس ومتميز إلى عضيات Organelles متعددة.

السايتوبلازم Cytoplasm: وهو مادة برتوبلازمية (هلامية) تنغمر بها جميع العضيات البروتوبلازمية الأخرى وهو مسرح للعديد من التفاعلات الحيوية التي تجري داخل الخلية فالإنزيمات الضرورية لتحليل الكربوهيدرات في عملية الانشطار السكري(Clygolysis) التحلل السكري موجودة في السايتوبلازم، كما يعتبر موضع لبناء الأحماض الدهنية هذا وتعتمد الفعاليات الفسيولوجية على مواد أيضية خاصة من السايتوبلازم.

يتكون السايوتبلازم من الماء وهو المكون الأكبر له ومن مواد بروتينية بحالة غروية سائلة solution واحيانا شبه صلبة (Gel) كما أن جزء كبيرا من هذه البروتينات تكون ذات فعالية انزيمية وله مميزات.

١- الانسياب السايتوبلازمي cytoplasmic streaming

فالسايتوبلازم له حركة خاصة تسمى بالحركة السايتوبلازمية ويستدل عليها بملاحظة حركة البلاستيدات اذا كانت موجودة وتتأثر بالظروف الخارجية كدرجة الحرارة وأهمية هذه الحركة في تسهيل انتقال بعض المواد داخل الخلايا وتوزيعها من خلية إلى أخرى.

٢- وجود أغشية سايتوبلازمية Cyto plasmic membranes

هناك غشاء خارجي عبر السايتوبلازم يدعي البلازما plasma lemma او اكتوبلاست و Ecto plast ويمثل هذا الجهاز الحاجز الرئيسي لانتشار الذائبات من والى الخلية النباتية، كما ويبطن السايتوبلازم من الداخل غشاء يحيط بالفجوة العصارية ويسمى بالغشاء الفجوى Vacuolar membrane أو تونوبلاست (Tonoplast) ويسمى كذلك

بالاندوبلاست والأخير يلعب نفس دور الاكتو بلاست ولكن بين الفجوة وخارجها ضمن الخلية، يمكن تمييز هذه الأغشية عن طريق المجهر الإلكتروني ومن خاصيتها:

١- النفاذية الاختيارية (التفاضلية).

٢- النقل الفعال.

الشبكة الاندوبلازمية

" عضيات على هيئة أكياس منضغطة مكونة نظام غشائي متفرع في السايتوبلازم وهي على اتصال بالغشاء النووي كما وتصل إلى السطح الخلوي وقد تمتد خلال الجدران إلى الخلايا المجاورة عن طريق الروابط البلازمية. لها وظائف حيوية عديدة وتعمل كجهاز ناقل.

المايتوكوندريا Mitocondriou

ويطلق عليها بيوت الطاقة أو مراكز الطاقة وبهذا فهي تكثر في الخلايا ذات النشاط الخلوي العالي كالخلايا المولدة (المرستيمية) تحرر الطاقة نتيجة للأكسدة الحيوية كربوهيدرات والدهون والبروتينات في الخلية إلا أن الطاقة المتحررة هذه تحفظ بشكل أواصر فوسفاتية ذات طاقة عالية ويعتبر الأدينوسين ثلاثي الفوسفات (ATP) أكثر المركبات أهمية في هذا الخصوص Adinosen Tri phosphate وفائدته خزن الطاقة في هذه المركبات وله إمكانية تحررها واستغلالها بسهولة لغرض تيسير التفاعلات التي تستهلك طاقة في الخلية، وعليه فمركبات ATP تتكون في المايتوكوندريا ومن ثم تتوزع في أنحاء الخلية حيث مناطق استهلاك الطاقة.

المايتوكوندريا أجسام صغيرة يتراوح ما بين ٠,٢-٠,٣ مايكرون محاطة بغشاء مزدوج يغلف الحشوة الداخلية (Matrix)هذا وتمتد طياته العديدة من الغشاء الداخلي إلى أعماق الحشوة وقد تمتد بعضها مكونة جسورا ترتبط بالغشاء الداخلي للجهة المقابلة وتعرف هذه الطيات الممتدة من الغشاء الداخلي بمجموعها الكرستا (Cristae).

البلاستيدات الخضراء Chloroplast

تحاط البلاستيدات الخضراء بغشائين (خارجي وداخلي) حيث ينبعج الداخلي مكونا نظام غشائي داخلي معقد ذو تركيب بروتيني – لبيدي حيث يرتبط الكلورفيل والصبغات الأخرى بالجزء البروتيني من الاغشية ويتكون نظام الغشاء الداخلي من صفائح أو أقراص غشائية تسمى Thyla kids

وتبدو هذه الأقراص بالمجهر الالكتروني بشكل زوج من الأغشية المتقابلة والمرتبطة عند النهايتين وهي تختلف بتنظيم الصفائح الغشائية من نبات إلى أخر أما في النباتات الراقية فتكون الأقراص الغشائية منضدة الواحدة فوق الأخرى مكونة ما يسمى بالكرانم (Granum) كما وتعتمد بعض الصفائح الغشائية ما بين الكرانا وتسمى الصفائح الغشائية ما بين الكرانا أو صفائح الستروما (Stromal amellae) وتحتوي الكلوربولاست الواحدة على ١٠-٥٠ كرانا ويملئ الكلوروبلاست مادة ذو طبيعة بروتينية تدعى الستروما (Stroma) والتي تحوي على الإنزيمات المشتركة في عملية تثبيت ثاني أوكسيد الكاربون Co2 في البناء الضوئي وهناك بلاستيدات بيضاء وبلاستيدات ملونة ويمكن أن تتحول البلاستيدات من نوع إلى أخر مثلا في البطاطا توجد البلاستيدات البيضاء وعند تعرضها لضوء الشمس تتحول إلى بلاستيدات خضراء.

جهاز كولجي Golgi Apparatus

وهو نسبة إلى العالم المكتشف كولجي وهذا الجهاز يشمل مجموعة الدكتيوسومات الموجودة في الخلية الواحدة ويكثر في الخلايا الإفرازية ويتكون من جزئين:

١. مجموعة من صفائح بهيئة أكياس منضغطة تعرف بالسترنات (Cisternae).
٢. هناك حويصلات غشائية تتجمع حول نهايات السترنات كروية الشكل (Vesicles) تنشأ من أطراف السترنات.

الرايبوسومات

وهـي أجسـام صغيـرة تـرتبط بالشـبكة الاندوبلازميـة أو قـد تكـون حـرة فـي السايتوبلازم، وهي معقد من البروتين و RNA فوسفولبيد وهو ما يدعى (الرايبو نيوكليك أسيد) والرايبومار تعتبر من العضيات عادية الغشاء.

وبما أن RNA هو حامض نووي عمله الرئيسي بناء البروتين لهذا يعتبر أن الرايبوسومات تقوم بدور مهم في بناء البروتين.

الأجسام الدقيقة Microbodies

عضيات كروية محاطة بغشاء منفرد ولا تحوي على تركيب غشائي داخلي، يجري في داخلها جزء من مسلك ايضي وعليه فهي تعتمد تفاعلات في السايتوبلازم وفي عضيات أخرى وتشمل:

١ – الكلايوكسي سومات (Glyoxy Somes):

توجد في خلايا أنسجة الحبوب حيث يتحول فيها الدهون إلى كربوهيدرات لأنها تحوي على الأنزيمات الضرورية لمثل هذه التحولات.

٢- البيروكسيسومات (peroxisomes):

وهي عضيات تشبه الكلايوكسيسومات في مظهرها إلى حد كبير وكلا كيبات يحتويان على عدد من نفس الإنزيمات إلى أنها ترتبط بعملية التنفس الضوئي (التي تحدث في بعض وليس في جميع النباتات).

٣- السفيروسومات (Spherosomes):

عضيات صغيرة تحوي على عدد من الإنزيمات الخليلية مثل أنزيم (Hydrolase) والسفيروسومات في الخلايا النباتية تشبه الليسوسومات في الخلايا الحيوانية حيث تحتويان على عدد من الإنزيمات المتشابهة.

النواة Nucleus

تمثل النواة المركز المتحكم في جميع الفعاليات الحيوية التي تحدث داخل الخالية وذلك لكونها تسيطر على بناء الأنزيمات التي تنشط معظم التفاعلات الأيضية في الخلية وبمعنى أن النواة تسيطر على فسلجة الخلية علاوة على ذلك فالنواة تحمل الصفات الوراثية في الأجيال المتعاقبة والتي تسمى الشبكة الكروماتينية التي تحوي (الكروموسومات) وتتركب النواة من:

١- الغشاء النووي Nuclear Memberane.

٢- البلازما النووية Nuclear plasm.

٣- النوية Nucleolus.

الانيبيبيات الدقيقة Microtubules

وهي عضيات عديمة الغشاء بهئية تراكيب برتوبلازمية على هيئة انيبيبات دقيقة ويشار الى دورها في تكوين الجدار الخلوي. الروابط البلازمية: Plasmodesmata عبارة عن خيوط برتوبلازمية تمتد عبر الجدار الخلوي لتربط المادة الحية في جميع الخلايا في وحدة عضوية واحدة، وتنتقل خلال هذه الروابط المواد والمؤثرات من خلية الى اخرى.

جدار الخلية Cell Wall

تحاط الخلايا النباتية بتركيب صلب نسبيا يسمى جدار الخلية وهو ما تفتقد إليه الخلايا الحيوانية ويعتبر الجدار الخلية جزء غير حي يقوم بتكوينه والحفاظ عليه الجزء الحي من الخلية المسمى البروتوبلاست.

ويعتبر السليلوز المكون الأكبر الأساسي لجدار الخلية وتتكون جزيئة السليلوز من ترابط الآلاف الكثيرة من جزيئات السكر المتكونة في عملية البناء الضوئي ويحوي الجدار الخلوي بالإضافة على السليلوز على مواد بكتينية وهيمو سليلوزية واللكنين والسوبرين والكيوتين والبروتين.

ربما استطعنا أن نوصل فكرة عن الخلية النباتية وبشكل مختصر عله يعطي تصور واضح للقارئ الكريم عن النبات وتركيبه ودقة خلقه.

أهم العمليات الحيوية التي يقوم بها النبات:

أولا: النتح:

يفقد الماء بصورة أساسية من النبات على الشكل بخار الماء في عملية تدعى النتح فعند امتصاص الماء من التربة بواسطة الجذور ينقل عبر أنسجة الخشب إلى خلايا الطبقة الوسطى بالأوراق أن خلايا هذه المنطقة تتميز بجدرانها الدقيقة وكثرة المسافات البينية فيها مسهلة بذلك عملية التبخر من سطوح جدرانها اضافة لذلك توجد على سطح الورقة إعداد الكبيرة من فتحات مجهرية تدعى الثغور (stomata).

إن هذه الثغور تتفتح على المسافات البينية مما تسهل الاتصال بين أنسجة الورقة الداخلية والمحيط الخارجي فتجعل طريق الماء ممهد وغير معوق وعليه يمكن التصور بان مسار النتح هو عمود مستمر من الماء مسحوب من التربة خلال الجذور إلى أوعية الخشب متجها نحو الورقة حيث يفقد من قبل خلايا النسيج المتوسط عبر الثغور على شكل بخار ماء.

هنا يجب الإشارة إلى أن قسما من الماء يفقد على شكل بخار من س طوح الأوراق والسيقان العشبية والأغصان الغضة بصورة مباشرة وكذلك يفقد الماء عن طرق فتحات تدعى العديسات (Lenticels) تقع في النسيج الفليني الذي يغطي السيقان والفروع الخشبية ويسمى فقدان الماء بهذه الطريقة بالنتح العديسي، أن الماء الذي يفقد على شكل بخار من سطوح الأوراق وعبر طبقات الكيوتكل فيسمى بالنتح الآدمي، فالمادة الشمعية (Cutin) الكيوتين التي تغطي سطح الورقة والتي تمنع فقدان الماء بدرجة كبيرة وبدونها قد يكون من المستحيل احتفاظ النبات بماء كاف ومع هذا فهي تسمح لقسم قليل من بخار الماء بالخروج كمية فقد الماء بالنتح الأدمي أو النتح العديسي قليلة

وغير معنوية عند مقارنتها بالنتح الثغري ولكن في الظروف شديدة الجفاف وعند غلق الثغور يمكن اعتبار فقد الماء عن طريق النتح الآدمي أو العديسي مهم.

أن مقدار ما يصل اليه التبخر من سطوح النبات بما يعادل ٩٠ % من الماء الممتص ويختلف المعدل من نبات إلى أخر.

أهمية الماء في دعم النبات:

أن للخلايا قابلية محدودة في اتساع حجمها حيث تصل إلى الحجم الأقصى عند وصول ضغطها الانتفاخي أقصاه ولكن هذا الحجم يتحدد بالضغط المسلط عليها من الخلايا، لذا تسلط كل خلية في النسيج الواحد ضغطا على الخلية المجاورة لها ولذلك تكون الخلايا بحالة متراصة وكما هو معروف فان خلايا القشرة للساق أو خلايا النسيج المتوسط في الورقة هي خلاياه حشوية وان حجمها أكبر من حجم خلايا القشرة. وان خلايا البشرة في السيقان الفتية والأوراق مغطاة بمادة شمعية هي الكيوتين لذا فان قابلية التمدد الخلايا القشرة يحددها صغر حجمها وتراص خلايا البشرة، وكنتيجة لتعادل الضغط الانتفاخي لخلايا القشرة والضغط المسلط من قبل الخلايا بعضها على البعض الآخر إضافة إلى الضغط المسلط من قبل خلايا البشرة تنتصب السيقان العشبية ولكن عند شحة

الماء في خلايا القشرة يقل الضغط الانتفاخي وبذا يختل هذا التوازن فتنحني السيقان العشبية وتصاب بالذبول.

تركيب الثغور:

تحتوي بشرة الأوراق على إعداد كبيرة من الفتحات المجهرية تدعى الثغور (Stomata) وهذه الثغور محددة بخليتين بشريتين متخصصتين تدعى الخلايا الحارسة (Guard Cell) والتي تتحكم في فتح وغلق الثغور.

وقد تحتوي سطح الورقة ١٠٠٠–١٠،٠٠٠ ثغر في السنتمتر المربع الواحد علما أن عدد الثغور يعتمد على نوع النبات.

توجد الثغور بصورة مألوفة على السطح السفلي للأوراق ولكنها في كثير من الأنواع النباتية توجد على السطحين الأعلى والأسفل وفيما عدا بعض من الأنواع النباتية المائية فان كل النبات مغطاة البذور وعاريات البذور تحتوي على الثغور تسبب بعض العوامل المحيطة تأثيرا كبيرا على فتح وغلق الثغور.

العوامل المؤثرة على معدل النتح: منها ما تختص بالنبات ومنها عوامل بيئية:

١- العوامل النباتية:

أ- نسبة المجموع الجذري إلى الخضري:

إذا كان مقدار امتصاص الماء أقل من تبخره سيحدث عجز مائي في النبات مما يسبب خفض نتح الماء، وقد وجد العلماء أن النتح يزداد بزيادة نسبة المجموع الجذري إلى المجموع الخضري.

ب- المساحة السطحية للورقة:

يتضح منطقية بافتراض أنه كلما زادت المساحة السطحية للورقة كلما زادت كمية الماء المفقود ولهذا نجد التكيف الحاصل في أوراق النباتات الصحراوية فهي خيطية أو أبرية التقليل المساحة السطحية لها.

٢- العوامل المناخية: وهي:

أ- الضوء:

يعتبر الضوء عام أساسية من بين العوامل التي تؤثر على عملية النتح لذلك لتأثيره الواضح على عملية فتح الثغور. فثغور النباتات المعرضة للضوء تكون مفتوحة فتسمح للنتح أن يستمر، بينما في الظلام تكون الثغور مغلقة و عليه يتوقف النتح. لذا فإن تأثير العوامل المناخية الأخرى تعتمد على وجود الضوء.

ب- رطوبة الهواء:

أن التغيير في درجة الحرارة أو ضغط البخار يغير من الرطوبة النسبية كما وأن ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة مع عدم تغير ضغط البخار سوف يسبب خفض أو زيادة الرطوبة النسبية على التوالي، وان ارتفاع أو انخفاض في الضغط البخاري مع ثبوت درجة الحرارة يكون مصحوبة بارتفاع أو انخفاض في الرطوبة النسبية على التوالي. أن الماء سينتشر خلال الثغور من المنطقة ذات ضغط بخار عال إلى المنطقة ذات ضغط البخار الواطيء وكلما كان التدرج في ضغط البخار حادا كانت سرعة النتح أعلى.

ج- درجة الحرارة:

عندما نكون جميع العوامل الأخرى ثابتة فان زيادة درجة الحرارة في حدود معدل فسيولوجي معين تزيد في معدل النتح غالباً. وهذا يعود في تأثير درجة الحرارة على حركة الثغور والتدرج في ضغط البخار.

د- الرياح:

يكون تركيز بخار الماء في الهواء المحيط بالورقة أكثر منه في المناطق البعيدة عنها نسبية، وعلى هذا الأساس فان تدرج ضغط البخار يقل تحت هذه الظروف وبذا يقل معدل النتح ولكن عند انتشار بخار الماء بعيدا عن الجو المحيط بالورقة بواسطة الرياح يسرع عملية النتح والحالة أعقد من أن تفسر بهذه البساطة لأن هبوب الرياح يؤثر على درجة الحرارة إن تأثير الرياح على النتح حالة أعقد مما يفسر بهذه البساطة لأن هبوب الرياح يؤثر على درجة الحرارة مما يؤثر على معدل النتح، وان الرياح السريعة قد تسبب في غلق الثغور ومما تقدم يظهر أن الزيادة في النتح المسببة عن الريح هي في الحقيقة مجموع كل التأثيرات سواء كانت موجبة أو سالبة.

هـ- توافر ماء التربة:

قد يتأخر امتصاص الماء من قبل النبات عن تحرره بالنتح لفترة قصيرة دون أن يؤثر بشكل ملموس على النبات في حينه، ولكن عند استمرار مثل هذه الحالة ستحدث

ظروف تسبب عجز في الماء لأمد طويل حيث يظهر النبات في حالة ذبول وهنا يتضح أن توفر ماء التربة الجذور النبات والمقدرة على امتصاصه سيؤثران تأثيرا كبيرا على معدل النتح.

وهناك فوائد كثيرة للنتح منها:

١- خفض درجة حرارة النبات مما يحسن الظروف الحياتية ويعيد التوازن إلى الأفعال الحيوية ويعيد الذبول.

٢- التأثير على النمو التطوري للنبات.

٣- التأثير على امتصاص الأملاح المعدنية من التربة.

ظاهرة الادماع: Guttation

يفقد الماء من الأوراق على شكل سائل من فتحات دقيقة تسمى الثغور المائية Hydathodes تقع فوق المسافات البينية لخلايا الطبقة الوسطى للورقة حيث نهايات العروق الدقيقة بعملية تدعى الادماع، ويحدث الادماع في النباتات التي تنمو في تربة رطبة.

ثانيا: **امتصاص ونقل الماء**:

تحصل معظم النباتات الأرضية على الماء الضروري لها من التربة بواسطة المجموع الجذري Rootsystem بعملية تسمى عملية امتصاص الماء إلا أنها تستخدم كمية قليلة من هذا الماء في عملية النمو والبناء الضوئي أما القسم الأعظم منه فتفقده عن طريق النتح، وبعضها تفقده بعملية الادماع، وعليه فالماء يتحرك خلال الأنسجة والأعضاء من أماكن امتصاصه في الجذور إلى الأنسجة التي يستخدم فيها أو إلى الأنسجة التي ينطلق منها خارج النبات، ويطلق على عملية حركة الماء خلال النبات نقل أو انتقال الماء.

إن امتصاص الماء يتم من خلال دخوله إلى البذور خلال جدران الشعيرات الجذرية وخلايا البشرة لقمة الجذور نتيجة محال نقص الضغط الانتشاري وعليه فان معظم الماء الممتص يتم بالآلية الاسموزية وهناك نوعان من الامتصاص.

١- الامتصاص السلبي:

نتيجة لعملية النتح ينتج نقص الضغط الانتشاري D.P.D للماء في خلايا الميزوفيل للأوراق وهذا يجعل الماء في أوعية الخشب في حاله شد حتى يصل هذا الشد إلى الأنابيب الخشبية الموجودة في منطقة الامتصاص للجذر مما يسبب نقصا في الضغط الانتشاري للخلايا المجاورة والذي يزداد بصورة مستمرة من خلية إلى أخرى أبتداءا من طبقة البشرة وحتى قنوات الخشب. وما دام نقص الضغط الانتشاري للماء في الخلايا الجذرية أعلى من نظيره للماء في التربة فان الماء يتحرك من التربة إلى الجذر ويطلق على هذه العملية بالامتصاص السلبي.

٢- الامتصاص الفعال:

وعبرت امتصاص الماء نتيجة نشاط وفعالية خلايا الجذور والتي تتطلب طاقة أيضية لهذا الغرض وهو يحدث بأحدى الطريقتين:

أ. بآلية أزموزيه.

ب. نتيجة امتصاص وتجميع فعال للأملاح المعدنية.

العوامل المؤثرة على عملية امتصاص الماء:

١- درجة الحرارة.

٢- تركيز محلول التربة.

٣- تهوية التربة.

٤ – الماء الميسور للتربة.

ثالثا: عملية التنفس: Resperation

أن جمع الخلايا الحية نباتية أو حيوانية تقوم بعملية التنفس وبصورة مستمرة للتزود بالطاقة اللازمة لبناء جسمها وأدامتها. إن أغلب النباتات تتنفس بامتصاص الأوكسجين وطرح غاز ثاني أوكسيد الكاربون بحجوم متساوية على وجه التقريب، إلا أن هناك كائنات أخرى تتنفس لا هوائية أو بقلة من الأوكسجين ويسمى بالتنفس اللا أوكسجيني.

فالتنفس الأوكسجيني يعرف بأنه سيل من تفاعلات تأكسدية – أختزالية التي فيها تتأكسد مادة التفاعل (سكر الكلوكوز) إلى ثاني أوكسيد الكاربون بينما يختزل الأوكسجين ليدخل في تركيب السكريات والنشأ والحوامض الشحمية والعضوية والبروتينات. يمكن تلخيص عملية التنفس الأوكسجيني بالمعادلة العامة التالية:

$$C_6H_{12}O_6 + 6O_2 \rightarrow 6CO_2 + 6H_2O \quad + \text{طاقة}$$

(الكلوكوز) سكر العنب

والطاقة الناتجة قسم منها حراري والآخر يتحول كيمياوي يستفاد منه داخل الخلية نفسها والتي تستخدم فيما بعد لأغراض النمو والبناء والأدامة.

أن عملية التنفس عملية معقدة تنتج منها مركبات وسطية التي تعتبر أساسية في بناء الخلية فبعضا منها تتحول إلى:

١- الحوامض الأمينية التي تدخل بدورها في تركيب البروتينات.

٢- والبعض الأخر تحولها الخلية إلى النيوكليوتيدات التي تدخل بدورها في تركيب الحوامض النووية DNA،RNA

٣- والقسم الأخر من هذه المركبات تتحول إلى الحوامض الشحمية التي تدخل بدورها في تركيب الشحوم.

٤- كما أن هذه المركبات الوسطية تعتبر المصادر الكاربونية لعديد من الصبغات مثل:

- البروفرين Prophyrin
- السايتوكرومات Cytochromes
- الستيرولات Sterols
- مركبات عطرية Aromatics

إن تحلل جزيئة الكلوكوز أو ما يسمى بعملية التحلل السكري الكلايكولايزز Gycolysis عملية طويلة ومعقدة توضحها ما يسمى بدورة كريبس نسبة إلى العالم كريبس والتي تظهر العمليات الأنزيمية وتحرر الطاقة.

أهم العوامل المؤثرة على عملية التنفس:

١- التجوع:

أن أيه عملية تنفسية تعتمد على وجود مادة التفاعل وأنه من الواضح بأن النباتات المتجوعة التي تمتلك مخزونا منخفضة من النشأ والسكر تتنفس بمعدل واطئ نسبيا. وإذا ما قل مخزون المصادر الكاربوهيدراتية المتمثلة في المواد السكرية والنشوية، فإن الخلايا النباتية تبدأ بأكسده المواد البروتينية وتحليلها إلى الحوامض الأمينية والتي تتحول فيما بعد إلى المركبات المكونة لدورة كريبس والتخمر. وإذا ما استمر الوضع فإن أوراق النبات تصفر وتتجزأ معظم البروتينات والمركبات النيتروجينية داخل البلاستيدات الخضراء.

٢- الأوكسجين المتوفر:

إن وفره الأوكسجين يؤثر تأثيرا واضحة على عملية التنفس إلا أن مستوى التأثير يختلف باختلاف النباتات وكذلك بالنسبة للأعضاء المختلفة للنبات الواحد.

٣- درجة الحرارة:

أن للحرارة تأثيرات واضحة على معظم التفاعلات الحيوية البايولوجية وخاصة تلك التي تتحكم في الأنزيمات فما بين درجة صفر المئوي الى ٣٠ درجة مئوية يكون معدل التنفس جيد.

٤- الجروح والتأثيرات الميكانيكية والمرض:

الجروح التي تحصل في النبات غالبا ما تزيد من سرعة التنفس ولكن السبب في هذه الزيادة لم يعرف لحد الآن. وحتى الحك البسيط أو انحناء الأوراق لبعض النباتات يسبب زيادة في التنفس، وهذه الزيادة تتراوح بين ٢٠ إلى ٨٠ % كما أن الذبول القاس للنبات يؤدي أو يسبب زيادة سريعة في التنفس ولو أن هذا التأثير بسيط وهو أيضا لم يعرف تفسيره.

٥- الضوء :

لقد لوحظ بأن الضوء في بعض الأحياء يؤثر على التنفس في الأنسجة الخضراء حيث تزداد عملية التنفس عند تعرض هذه الأنسجة إلى الضوء. وهي زيادة غير مباشرة حيث يزيد الضوء في تكوين السكريات البسيطة بواسطة عملية التركيب الضوئي وكذلك يسبب في زيادة تكون حامض الكلايكول في البلاستيدات الخضراء، وان التأكسد السريع لنزول المركب يؤدي إلى تحرير CO، وأمتصاص الى O_2.

٦- المحتوى المائي للخلية:

وهذا ما يشاهد في أنواع البذور النباتية والتي تحتفظ بحبوتها لمدة طويلة عندما تخزن في جو جاف نسبيا. وتحت الظروف التي تكون فيها الرطوبة واطئة، تكون عملية التنفس وبعض الفعاليات الخلوية الأخرى تنخفض إلى الحد الأدنى وبعضها تتوقف كليه. وبمجرد إضافة كمية قليلة من الماء إلى البذور تحدث عملية التشرب وتنتفخ البذور ويزداد معدل التنفس في خلاياها بصورة سريعة.

رابعا: **البناء الضوئي**:

إن الشمس لا تزال المصدر الرئيس للطاقة لجميع أنواع وأشكال الحياة، وبالتشابه والمقارنة فإن كل خلية حية تحصل على طاقتها من المواد القابلة للأكسدة، وان هذه المواد تعرف بالغذاء. وتختلف المواد الغذائية في نوعيتها وطبيعتها وشكلها إلا أننا نستطيع أن نأخذ فكرة عامة عن طبيعتها بدراسة جزيئة سكر العنب (الكلوكوز) والتي تعتبر من السكريات البسيطة سداسية الكاربون وأهم المواد الغذائية استغلالا من قبل الخلية الحية.

إن هذه الجزئية التي يتم بنائها عن طريق عملية التركيب الضوئي في الخلايا النباتية الخضراء من مواد الاعضوية بسيطة كالماء وثاني أوكسيد الكاربون وبمساعدة الطاقة الضوئية. وفي الحقيقة أن النبات الأخضر عندما ينمو ويكبر فإنه يحول ويختزن الطاقة الشمسية الفيزياوية إلى طاقة كيمياوية في تركيب المواد العضوية الداخلة في بناء الخلية.

وبما أن الإنسان يعتمد في غذائه على النباتات الخضراء وبعضا من الكائنات الحيوانية الأخرى، فإنه بصورة غير مباشرة يعتمد في بقائه على الطاقة الشمسية.

فالنباتات الخضراء هي أرقى أنواع الأجهزة الطبيعية التي تستخدم الطاقة الكيمياوية. فعندما لا تكون هناك نباتات خضراء كمحمولات طبيعية للطاقة الشمسية فإن الحياة بكل أشكالها سوف تتوقف بصورة كلية على سطح الكرة الأرضية.

واستثناء من هذه، ربما تعيش بعض أنواع البكتريا التي تستنبط الطاقة التي تحتاجها من أكسده بعض المواد غير العضوية كأيونات الحديدوز وحتى هذه الأنواع البكتيرية قد تكون معتمدة على الطاقة الشمسية بصورة غير مباشرة لاستمرار بقائها، ومهما تكن الحالة فإن هذه الأنواع البكتيرية لا تشكل جزءا كبيرا من مجموع الحياة على الأرض.

فالنباتات الخضراء كأي من الكائنات الحية الأخرى تحتاج إلى ثلاثة أنواع رئيسية من المواد الغذائية:

١- المواد الغذائية القابلة للتأكسد.

٢- العناصر المعدنية.

٣- الماء.

أن النباتات الخضراء تختلف عن معظم الكائنات الأخرى لكونها ذاتية التغذية أي أنها تكون قادرة على تكوين غذائها بنفسها بتحويل ثاني أوكسيد الكاربون اللاعضوي إلى مواد عضوية سكرية بواسطة الطاقة داخل جهاز غاية في التنسيق والترتيب يعرف البلاستيدة الخضراء (chloroplast)، ولتفهم عملية التركيب الضوئي وأدراك جوانبها بصورة واضحة فإن على المرء أن يدرس تركيب البلاستيدات الخضراء أولا ويتعرف على الأصباغ التي تحتويها هذه الجسيمة السايتوبلازمية وقد مر ذكر البلاستيدة الخضراء في دراسة الخلية النباتية.

إن المعادلة الإجمالية التي تمثل عملية التركيب الضوئي:

$$6CO2 + 12\ H2O \rightarrow C6H12O6 + 602 + 6H2O$$

ماء أوكسجين سكر العنب الماء ثاني أوكسيد الكاربون

كما أن التعبير عن عملية التركيب الضوئي بمعادلة واحدة مفرده لا توضح بصورة صحيحة جميع الحقائق المتعلقة بما تحصل داخل جسيمة الكلوروبلاست حتى تكوين الجزئية العضوية من المواد العضوية البسيطة، وهناك مرحلتين لعملية التركيب الضوئي:

١- المرحلة الضوئية.

٢- المرحلة غير الضوئية (مرحلة الظلام).

وهناك عوامل خارجية تأثر على معدل التركيب الضوئي ومنها:

١- تركيز ثاني أوكسيد الكاربون.

٢- شدة الضوء.

٣- درجة الحرارة.

٤- الأوكسجين.

٥- الماء.

٦- وجود أملاح مختلفة.

ظاهرة الارتباع: Vernalization

لا تـزهر جميـع النباتـات التـي تتعرض إلـى فتـرة ضـوئية صـحيحة. ففـي نباتـات كثيرة تؤثر درجة الحرارة على بدء تكشف الأعضاء التكاثرية، ففي النباتات الحولية يبدأ النمو في الربـيع وتتكشف الأزهار فـي الصـيف وتتكون الأثمار والبذور فـي الخريـف. حيث يكون تأثيـر درجة الحرارة على النباتات الحولية ثانوية أما النباتات ثنائية الحول فتبقى بحالة خضرية لفترة غير محددة.

لقد تبين أن معظم النباتات ثنائية الحول عند تعرضها إلى معاملـة بـرودة بطريقة اصطناعية متبوعـة بفتـرة ضـوئية ودرجـة حـرارة صـحيحة فإنهـا تـزهر فـي فصـل النمـو الأول. والارتباع مصطلح استعمل لوصف هذه الظاهرة وهو (تحفيز القدرة على الأزهار بواسطة معاملة البرودة).

الارتباع والأزهار:

الا يحـث الارتبـاع علـى الأزهـار وأنمـا يهيـئ النبـات للأزهـار وعلـى العكـس فـإن الفترة الضوئية ليس فقط تهيئ النبات للأزهار وأنما تبدأ الأزهار.

موقع حدوث الارتباع:

لقد تبـين من التجارب التـي أجريت علـى كثيـر من النباتـات بـأن موقـع حـدوث الارتبـاع هـو القمـم الناميـة. حيـث عوملـت أجـزاء نباتـية مختلفـة فـي الكـرافس والبنجـر والـداودي وغيـرها موضـعية بـدرجات حراريـة منخفضـة ووجد أن القمـة هو جـزء النبـات الـذي يسـتجيب أولا إلـى معاملـة البـرودة والظـاهر أن قمـة السـاق تسـتلم الارتبـاع وينتقل

الحافز إلى أجزاء أخرى من النبات. كما ولوحظ في نبات الداودي أن حفظ القمة في جو دافئ وتبريد بقية النبات لم يؤثر في الأزهار بشكل يستحق الذكر(١).

النبات في علم التصنيف:

إن علماء الأحياء المختصين قاموا بتصنيف الأحياء الى قسمين رئيسين هما النبات والحيوان على أساس أن النبات هو المنتج للغذاء وأن الحيوان هو المستهلك له، وقد كان هذا التقسيم سائدة إلى أوائل القرن العشرين، على الرغم من اكتشاف العديد من الكائنات التي لم يتم تصنيفها تحت هذين العالمين.

إن اكتشاف الكائنات وحيدة الخلية والتي سميت بالطلائعيات (protista). وكذلك اكتشاف البكتريا والطحالب الخضراء المزرقة (Blue green Algae) وكلها كائنات بسيطة وحيدة الخلية، وبعد تطور العلم تم اكتشاف الفايروس (Viruses) وهذه لا تستطيع العيش لوحدها بل متطفلة على غيرها من الكائنات، وتتكاثر بداخلها وذلك بإدخال مادتها الوراثية إلى داخل الكائنات المتطفلة عليها مما يجعلها تقوم بعملية استنساخ المادة الوراثية للفايروس بمجهود الخلية المضيفة ونتيجة لذلك قسمت الأحياء خمسة ممالك هي مملكة البدائيات (Monena) ومملكة الطليعيات (protista) ومملكة النباتات (plantae) ومملكة الحيوانات (Animolia) ومملكة الفطريات وتشمل كل واحدة منها على:

١- **مملكة البدائيات (K.Monena) وتشمل كلا من:** الفايروسات والبكتريا والطحالب الخضراء المزرقة، وهي غالبا وحيدة الخلية وليس لها نواة حقيقية.

٢- **مملكة الطلائعيات (K.Protista)** وتشمل الكائنات الأولية (البلانكتون) (العوالق المائية) وبقية الطحالب وحيدة الخلية ولها نواة حقيقية.

---

(١) أنظر كتاب علم فسيولوجيا النبات د. فيصل عبد القادر د. فهيمة عبد اللطيف د. أحمد شوقي د. عباس أبو طبيخ د. غسان الخطيب طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٣- **مملكـــة الفطريـــات: (k.Fungi)**. وتشـمل جميـع الفطريـات الغروبـة والحقيقيـة والطحلبـيات وكـذلك الأشـنات وقـد تكـون وحيـدة الخليـة أو عبـاره عـن تجمعـات خلويـة،لا توجد صبغة اليخضور في الفطريات فلذلك هي غير منتجة للغذاء بل تتغـذى علـى تحليـل المـواد العضـوية للكائنـات الحيـة فهـي تعمـل علـى تحليـل الحيوانات الميتة والنباتات والأوراق المتساقطة المتحللة، وهناك الفطريات الطفيلية. كما أن قسم منها يكون كبيرا يستعمل كمادة غذائية كما في حاله (الفطر المشروم أو عش الغراب) حيث تحتوي على كمية من البروتينات ومن أنواع الفطريات عفن الخبز وكثير منها تسبب أمراضا للنبات والثمار.

٤ - **المملكـة النباتـية: (K.Plantae)** وتشـمل هـذه المملكـة كائنـات عديـدة جـدا، وهـي متعددة الخلايا متخصصة الأنسجة، لكل منها خلية ذات نواة حقيقية وتحتوي على البلاستـيدات التـي تحتوي علـى الصـبغات النباتـية واليخضـور الـذي تقوم بعمليـة البنـاء الضـوئي، والخلايـا ذات جدران سـميك سليلوزي غيـر حـي، وأغلبهـا تحتـوي على الجذور والسيقان والأوراق والأزهار التـي تكون البذور والثمار. وأغلبها مثبت بواسطة الجذور في التربة وتقوم إضافة لعملية التثبيت بامتصاص الماء والأملاح ودفعها إلى جسم النبات، وكائنات المملكة منتجة للغذاء فهي توفر الطاقة اللازمة للكائنات التي تتغذى عليها، وهو أساس بحثنا هذا.

٥- **المملكـة الحيوانـية (K. Animalia)** وتشـمل كائنـات جيد عديـدة ومتنوعـة وعديـدة الخلايـا وخلاياهـا نموذجيـة ذات نـواة حقيقيـة وجدار حـي، تنـتظم هـذه الخلايـا فـي أنسجة مكونـة الأعضـاء التـي تعطـي الحيوان القدرة علـى الحركة والتكاثـر والنمـو والتغذي على غيرها من النبات والحيوانات أحيانا (كما في الإنسان ويعتبر الإنسان (قارت) لأنه يستطيع أن يتغذى على النباتات والحيوانات معا أو على أحدهما.

إلا أن التصنـيف الحديث للكائنـات الحيـة والتـي اكتشـف منهـا البلايين والبلايين أراد أن يحتوي هذه الكائنات والإحاطة بها:

فقسمت كل مملكة من الممالك الخمسة التي ذكرت إلى قبائل (Phyla) وقسمت القبيلة إلى طوائف (Classes)، كما قسمت كل طائفة إلى عدد من الرتب (Condens) و قسمت كل رتبة إلى عدد من العائلات (Families) و قسمت كل عائلة إلى عدد من الأجناس (Genera) وقسم كل جنس إلى عدد من الأنواع (Species) وقسم كل نوع إلى عدد من الأصناف (Varieties) وقسم الصنف الواحد إلى عدد من السلالات (strains) وتشمل كل سلالة على العديد من الأفراد وعلى ذلك فإن كل نوع من الأنواع الحية يشمل مجموعة من الأمم أو الجماعات (poputations) التي تجمعها صفات خارجية، شكلية، وصفية، واحدة وصفات تشريحية واحدة، ووظائف أعضاء واحدة وبنية كيميائية حيوية واحدة، وصفات وراثية واحدة وظروف معيشية بيئية متشابهة، ولها القدرة على التزاوج فيما بينها وتكوين سلة من هذا اللقاح فلكل أمه صفات خاصة لأفرادها تجمع بين جميع أفراد كل أمم النوع الواحد. حيث الجميع يحمل شقرة وراثية واحدة.

فالنباتات والحيوانات وهكذا جميع الكائنات الحية أمم كما للإنسان أمه شبها متكاملا يدل على أن الجميع يخرج من مشكاة واحدة هو الخالق الباري المصور المبدع هو الله الذي لا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

النبات والتربة

للتربة أهمية بالغة في حياة النبات حيث أن الأخير يرتبط ارتباطا وثيقا بها خلال حياته فالنبات لا يمكن له أن يستغني عن التربة فهي التي تثبته من خلال تماسك الجذور باجراء التربة كما أنه يحصل على الماء والأملاح المذابة في الماء عن طريقها بعملية الامتصاص التي تحصل من قبل جذوره.

كما يمكن تصنيف مكونات التربة الى ثلاثة أنواع:

١- الصلبة.

٢- السائلة.

٣- الغازية.

فالمادة الصلبة تتكون من مواد عضوية أو غير عضوية ومواد حية أو غير حية يمكن تصنيفها إلى:

أ- الرمل. ب- الغرين. ج- الطين.

أن بكل تربة نسبة من هذه الأجزاء أو الأصناف وتعتبر أحسن الترب زراعية هي التربة الرملية - الطينية وتتكون فيها نسبة كل من الرمل والغرين ٤٠% ونسبة الطين ٪٢٠.

ولغرض أصلاح التربة الصالحة للزراعة وجب إضافة مواد عضوية تقلل من مسامية التربة الرملية وتزيد من قابليتها في الاحتفاظ بالماء إضافة إلى ذلك فانها على عكس تماسك التربة.

أما الترب الطينية الثقيلة فانها على عكس ذلك ويمكن معالجتها أيضا بإضافة السماد العضوي أن من الخواص المهمة للتربة الزراعية (الملائمة للنبات) هي تفاعلاتها (محلول التربة) فالنباتات والبكتريا تتأثر بحامضية وقاعدية التربة (PH). فالتربة الحامضية تكون ممثلة في مناطق تكون الأمطار الساقطة فيها غزيرة، إذ يؤدي ذلك إلى غسل المواد القاعدية فيها. إما التربة القاعدية فتكون نتيجة تراكم املاح كربونات الكالسيوم والصوديوم والمغنسيوم وكنتيجة لتاين هذه الاملاح فان مجموعة الهيدركسيل (OH^-) المتحدة تلاقي أيون الهيدروجين (H^+) فتتحد معها وبذا لا يكون لأيونات الهيدروجين تأثير يذكر. لان تأثيرها حامضي وتمتاز التربة القاعدية بصفات المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية.

كما أن الغطاء الخضري النباتي له تأثير كبير على خصوبة التربة وكذلك المحافظة على عدم تعرية التربة أن الغطاء الخضري يحد من سرعة الرياح ويجعل التربة محتفظة بموادها العضوية وغير العضوية. إضافة الى المحافظة على كمية الرطوبة فيها. ويحافظ النبات على تماسك التربة ويمنع تعريتها بواسطة الأمطار والسيول. وعند تساقط الأوراق وتكسر الأغصان أو موت النبات فان رجوعه للتربة له

أهمية كبيرة في أعادة خصوبتها وحيويتها لان المواد العضوية والأملاح المعدنية في النبات ترجع إلى التربة لتعيد دورتها ثانية.

فليس في الكون من شيء خلق ليكون عذابا للإنسان على الأرض فقد وضع الله سبحانه قوانيين الأرض جميعا بما يتناسب مع إمكانية الإنسان...

فإذا تحدثنا علمية عن الآية وعن قوانينها العلمية الموضوعة ذلك أن الله سبحانه هو الذي وضعها... نعم هناك قوانين إعجازية موضوعة ويمكن تفسيرها بما يشاء الله سبحانه، ولكنها وضعت على هذا الشكل لأنها تناسب الإنسان وضمن حدوده وقدرته فماذا في هذه الآية من علم ؟؟.

١- إذا كان حديثنا عن الأرض والقطع المتجاوزات فهذا يعني الحديث عن التربة... فالتربة المنتجة الخصبة يعيش فيها عدد لا يحصى من الكائنات الدقيقة قد تصل الى٢٠ % من المادة العضوية التي بها... وقد يصل عدد هذه الكائنات الحية الى بضعة مليارات في الغرام الواحد... وعلى ذلك فإن التربة تتكون من تأثير العوامل الجوية على الجزيء الصلب من سطح الأرض بالإضافة إلى ما يعيش فيها من الكائنات الحية ومنتجاتها على طول الزمان.. وهذه نبذة صغيرة عن التربة لنعلم كيف تنبت الأرض الواحدة هذه الأنواع المتعددة من الثمار والخضار والأشجار.

٢- إن الله سبحانه قد أعطى كل نوع من أنواع النبات شيفرة وراثية خاصة تمكنه من امتصاص عناصر خاصة من نفس التربة.. وهذه العناصر موجودة في التربة قد أوجدها الله سبحانه بقدرته ولا دخل للإنسان فيها أو قد أسلفت القول أن في التربة الخصبة قد تصل الكائنات الحية في الغرام الواحد الى عدة مليارات أو النبات على تنوعه في الأرض الواحدة مبقى هذه العناصر من التربة وتحت نفس الظروف البيئية، مما يؤدي إلى إنتاج ثمار متباينة في طعومها وأشكالها وأحجامها وألوانها. وهي تنبت من تربة واحدة، وتسقى بماء واحد وقد يصل هذا التباين الى درجات لا يكاد العقل البشري وتصورها لتنوع الصفات الوراثية أثناء عملية التلقيح بين الخلايا

الذكريـة والأنثويـة فـي النـوع الواحـد مـن النبـات... وقـد سـخر الله سـبحانه الريـاح والحشرات للقيام بالدور الأكبر فيها [١].

النبات والضوء

أن الضوء يعتبر من العوامل الأساسية التي تؤثر على نمو وتوزيع النباتات من خلال تأثيرها على عملية التركيب الضوئي والنتح وعمل الأنزيمات وإنتاج الأزهار ومعدل امتصاص الماء ودرجات الحرارة في التربة وانتحاء سيقان وأوراق النباتات الانتحاء الموجب للضوء وغيرها من العمليات المهمة. وهذا وأن النباتات تتكيف وظيفية لمجالات مختلفة من شدة الضوء وطول فترة الإضاءة.

تعتبر الشمس مصدر الطاقة والضوء هو جزء المرئي من هذه الطاقة فيمتص النبات جزء من هذه الطاقة عن طريق مادة الكلوروفيل (اليخضور) الموجود في بلاستيدات خلايا النباتات ذات طول موجي يتراوح بين ٣٩٠-٧٨٠ مليمايكرون وكنتيجة لذلك تقوم البلاستيدات بصنع الغذاء وتكوين الكاربوهيدات.

أن قسما من الضوء المرئي يستعمل في عملية التركيب الضوئي وهو البنفسجي والنيلي والأزرق أما أطول موجاته فتكون بين ٣٩٠-٥٥٠ مليماكرون والضوء البرتقالي والأحمر تتراوح موجاته بين ٩٠٠-٧٨٠ مليمايكرون.

أن للضوء تأثير على الهرمونات الخاصة بالنمو وكذلك انقسام الخلايا وتكاثرها وتكوين الأزهار وبنتيجتها تكوين الثمار والبذور.

أن النبات يتأثر بفترة الإضاءة وشدتها التي يعبر عنها بكمية الطاقة الضوئية الساقطة بصورة عمودية على وحدة السطوح في الثانية الواحدة.

(١) الموسوعة الكونية، الدكتور ماهر الصوفي، ص٣٧٣.

وهنا التأثير يختلف باختلاف المواسم في السنة وعليه تكون هناك نباتات صيفية ونباتات شتوية أو نباتات دائمة الخضرة أو متساقطة الأوراق.

النبات والرياح

عندما نلقي نظرة إلى مفهوم الرياح في القرآن الكريم، نجد الصلة التي تربط النبات بهذه الظاهرة الطبيعية، صلة فيها وعد به الحياة والخير والرحمة والمنفعة، فعندما نذكر الرياح تأتي بهذه المعاني الطيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ (١)، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (٢).

وإذا ذكر العذاب والغضب فإنها تأتي مع الأزمنة الماضية التي كفرت بأنعم الله، وتذكر للاعتبار واستثار الفطنة والنقل بالنظر والفكر بأحوال المعرضين عن الحق.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (٣) فالرحمة مقترنة بجلب السحاب وإنزال الماء من السماء بشرى وخير وسوقه من بلد إلى بلد وهي نعمة سماوية كما أن القرآن الكريم قد بين وفصل هذه النعمة وهذه البشري في موضع آخر منه فهي نعمة من السماء وهي نعمة في الأرض تجري الفلك في البحر بأمره وفيه ابتغاء فضل الله ورحمته﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤).

(١) سورة الحجر: الآية ٢٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٨.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٦.

(٤) سورة الروم: الآية ٤٦.

وتصريف الرياح آية من آيات الله عز وجل، وبينه من بناته، ونعمة من نعمة الظاهرة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1]

قال الطبري: وأرسل لكم الرياح لواقح لإنشاء ثماركم وغذائكم وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة مواشيكم ونعمكم...

- ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[2]
- ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[3]
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4]
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) تفسير الطبري: ٦٥/٢.

(٣) سورة الحجر: الآية ٢٢.

(٤) سورة الروم: الآية ٤٦.

(٥) سورة الروم: الآية ٤٨.

• ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(١).

• ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢)

وسبحان الله الذي جعل عناصر الطبيعة في خدمة الإنسان وجعلها نعمة ورحمة لقوم يوقنون، وقد قربها إلى النفس البشرية بأساليب شتى وأوصاف عدة، وهنا تتجلى علاقة الإنسان بالرياح والنبات والماء والتربة والضوء والحرارة... من عناصر الطبيعة التي خلقها الله وسخرها له.

وقد أنتقل القرآن الكريم في تصويره لحالة البيئة والطبيعة فجعلها في نظرة الإنسان المتفاعل بقدوم الخير ووفرة الرزق وصفاء النفس وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية تجعل الإنسان متفاعلا مدركا لأهمية ما يجري من حوله مرتبطة ارتباطا وثيقا بقدرة الله عز وجل وبديع صنعه وحسن تقدير وكمال جنابة، ليبتعد عن نظرة التشاؤم التي كانت كلامه في العهد القديم فاشرح صدره وزادت آماله وزادت ثقته بالله الخالق الواحد الأحد.

النبات والأرض

أن الانتقال إلى مفهوم القرآن عن الأرض يجعلنا ننطلق في آفاقها وجوانبها وأعماقها وهنا يتشعب بنا الأمر ويطول ولكن تسليط الضوء على علاقة الأرض بما تنبت وما تخرج من الثمرات زرقا للعباد يكون أقصر لموضوع البحث وأدق للتصدر

(١) سورة فاطر: الآية ٩.

(٢) سورة الجاثية: الآيتان ٣-٥.

فعلاقة الإنسان بالأرض واسعة وكبيرة منذ بدأ الخليقة لحد يومنا هذا وهي قائمة الى أن تقوم الساعة ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

أن الله سبحانه وتعالى وصف الأرض بأنها الفراش والسماء بناء ليخرج الرزق والثمار... ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]

قال الطبري: (وقوله) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً..... ﴾ يعني بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاد، وموطئة وقرارا يستقر عليها.

يذكر ربنا جل ذكره من قبله، زيادة نعمته عليهم وآلائه لديهم، ليذكروا أياته عندهم فيبدوا إلى طاعته، تعطفا منه بذلك عليهم، ورأفه منه بهم، ورحمة لهم من غير حاجة منه الى عبادتهم ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون.

وليس طعام الإنسان ما تنبته هذه الأرض من (شوك وحسك) كما مر ذلك في العهد القديم، بل إن طعامه من الطيبات التي أنعم الله بها عليه من نخيل وأعناب وزروع وثمرات تسقى بماء واحد ويفضل الله بعضها على بعض في الأكل.

وقد وصف النعم التي في الأرض بأنها رزق الإنسان، لما فيها من المتع المادية والمعنوية كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3]

والقرآن الكريم عندما يعبر عن الرزق يجعله في ذلك الشيء ذو حس ولذه وهو كثير في القرآن الكريم. وسورة الرحمن (عروس القرآن) أو سورة مجال الطبيعة في القرآن الكريم كما يسميها البعض ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ

(١) سورة الاعراف: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٣) سورة الملك: الآية ١٥.

ٱلۡأَكۡمَامِ﴾[1]،﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[2]

وذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها... ومنها تسليطهم (يعني بني آدم) على ما في الأرض وتشجيرهم لها، فالأرض لهم كالأم الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم، وهي منهم فراش ومهاد، والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة، وماء البحر ينتفع به للتجارة واستخراج الحلي منه، كما للهواء وهبوب الرياح ولولاهالستولى النتن على المعمورة..

فما تذكر الأرض ويذكر الماء إلا وكان النبات والرزق والبركة ملاصقة لهما مع الجمال وسكون النفس وراحتها والاطمئنان عليها ودعوتها.

فسبحان الله الذي خلقهن واستكمل الحياة بهن وهو على كل شيء قدير.

النبات والحرارة

تعتبر درجة الحرارة وكمية الأمطار الساقطة من أكثر العوامل المناخية تأثيرا على توزيع النباتات على الكرة الأرضية فالأنواع المختلفة من النباتات تختلف أيضا في تحملها الدرجة الحرارة من أجل أن تنمو وتعيش وتزهر. وكحقيقة علمية أن معظم النباتات تستطيع أن تقوم بأعمالها الفسلجية (الحيوية) بين درجتي ٢–٤٢ م. ومع ذلك نجد أن بعض الطحالب تستطيع أن تنمو على الشواطئ الثلجية وبعض الطحالب الأخرى يمكن أن تعيش في مياه الينابيع الحارة تحت درجة حرارة ٧٠–٨٠ م. (سبحان الله على عظيم خلقه وسعة قدرته وتنوع مخلوقاته).

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٠-١١.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٧٠.

ان إنتاج الأزهار وتكوين البذور تتأثر بصورة مباشرة بدرجة حرارة ذلك الوسط البيئي الذي تعيش فيه النباتات وعليه قد تكون درجة حرارة العامل المحدد لوجود أو عدم وجود هذه الأنواع من النباتات في ذلك الوسط.

النبات والرطوبة

ان الرطوبة عبارة عن بخار الماء الموجود في الهواء أما الرطوبة النسبية فهي النسبة المئوية لوزن بخار الماء الموجود فعلا في حجم معين من الهواء إلى وزن بخار الماء الذي يشبع ذلك الحجم من الهواء في درجة حرارة معينة أن كمية بخار الماء في الهواء تؤثر تأثيرا كبيرا على معدلات التبخر من التربة وعملية النتح أن الرطوبة تقلل من شدة أشعة الشمس سواء أكان ذلك من الطاقة الحرارية أو الضوئية وذلك نتيجة لامتصاص الرطوبة جزءا منها.

ان معدل المطر السنوي من العوامل الأساسية في توزيع النباتات والأحياء بصورة عامة، ان أوقات سقوط المطر وتوزيعه على مواسم السنة له علاقة وثيقة بنوع النباتات التي تنمو فان

سقطت أمطار في الشتاء فان ذلك يساعد على نمو أشجار الغابات وأن أقتصر على فصلي الشتاء والربيع فهذا ما يشجع الزراعة بعكس أمطار الصيف التي تنمو عليها النباتات ذات الجذور السطحية القريبة من سطح التربة.

النبات والسماء

علاقة النبات بالسماء علاقة متشابكة وطيدة مترابطة لا يستغني عنها النبات ولو لحظات فما يأتي من السماء من الأوكسجين فهو للتنفس وتحرير الطاقة المخزونة في النبات وذلك عن طريق التفاعلات الهدمية وما يؤخذ من ثاني أوكسيد الكاربون من الجو فهو للبناء الضوئي، وما يؤخذ من أشعة الشمس فهو كذلك لعمليات البناء

الضوئي. ومثل احتياج النبات للضوء يحتاج الى ظلمة الليل وأن النبات الذي يكون عنده الضوء والظلام بشكل متناوب ومتعاقب يعطي غذاء أو مخزونا من الغذاء أكثر من النباتات التي تتعرض للضوء بشكل مستمر لفترة طويلة أو للظلام فترة طويلة لان الكثير من المواد الوسيطة الناتجة في عملية التركيب الضوئي تحتاج الى الظلام لتستكمل مسيرتها البنائية وكذلك الماء النازل من السماء فهو يحتوي من المواد المذابة فيه ما يجعل التربة حامضية يستفيد منها النبات في نموه ومن فوائده زيادة رطوبة الجو وغسل أوراق النبات لتسهل وصول أشعة الضوء إليها لتستكمل عملية البناء الضوئي أو لفتح الثقوب بعد إزالة الأتربة من على سطوح النبات مما يساعد في عملية النتح والتنفس (تبادل الغازات).

أما الرعد والبرق فهما عاملان أساسيان لإنزال المطر واتحاد الأوكسجين بالهيدروجين لتكوين جزيئات الماء وكذلك فان للبرق صلة في اتحاد النايتروجين (الأزوت) الثابت الحر في الهواء مع الأوكسجين لتكوين أكاسيد النتروجين التي تذوب في ماء الأمطار المتساقطة لتصل التربة بشكل أحماض مخففة تزيد من خصوبة التربة وتزيد من نشاط النبات وتدعم نموه الخضري الذي يتكون من خلاله البروتين والأحماض الأمينية وقد تكلمنا عن الضوء والطاقة الحرارية ومالها من أهمية للنبات.

النبات وتطور الإنسان

النبات وعلى تعدد أصنافه واختلاف أنواعه فانه يدخل في ص ناعة الإنسان وبكل تكويناته من الجذور الى سيقان فالأوراق فالأزهار فالبذور والثمار. ومنها المخلفات الصناعية من النبات لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان وصناعته فهي أما تدخل في الأثاث أو الملابس أو الدواء أو الغذاء ولا نطيل في الكلام عن هذا الموضوع ونكتفي بالإشارة إليه لانه موضوع وطويل ويحتاج منا الى بحث خاص به. وسنأتي إلى فصل نذكر فيه النبات وصحة الإنسان وما نشاهده من التداوي بالأعشاب الطبية وما لأهمية حبة السوداء الوارد ذكرها في السنة النبوية الشريفة، وما صناعة الخشب اليوم

علينا بخافية من تنوعها وأهميتها في حياة الإنسان اليومية فهي تدخل من قلم الرصاص الى صناعة السفن وحتى الطائرات والعبارات والجسور والبناء والديكور والتحف وغيرها مما يبدع فيه العقل البشري.

وأن ما يستخرج من النبات من عطور وطيب وزيوت وما يدخل من مواد التجميل وما هو أساسي في المائدة المنزلية من التوابل والغذاء وكذلك صناعة الأصباغ والطلاء.

أن الصناعة البشرية تطورت فأخذت منحى سلبي وهو مادخل اليوم في الحروب البايلوجية (الجرثومية والكيميائية وصناعة السلاح. أما الملابس فهي تقي برد الشتاء وحر الصيف وهي زينة وستر للعورات﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[١]

كان الصينيون على الأرجح أول الشعوب التي أهتمت بتطوير الزراعة. وكان إمبراطور الصين (شان تونغ) قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام يرأس بنفسه أعياد الأرض، فقد كان يغرس بيده وخلال احتفال كبير خمس بزرات من الأجناس الأكثر خصبة، التي كانت معروفة وتزرع آنذاك وهي: الأرز – الحنطة – الذرة البيضاء – الدخن (الزؤانة) – الصوفية (صوية).

أما أمريكا وسلسلة جبال الأند والجبال الصخرية فقد ساهمت بسخاء في اتساع مواطن النبات بعد آسيا الصغرى وأيران والصين.

إن الهند هي منبت الأصل للأرز، ثم سار مع فرق الاسكندر الكبير ونفذ الى سوريا داخل أمتعة الفاتحين ومن هناك أدخله الشعب الى مصر.

تعد زراعة الذرة إلى أقدم الأزمنة فكان عند الهنود والمصريون في بلدين متباعدين جدا الواحد عن الآخر يقضمون بنهم ونشروا حبوب اللوتس كما وانتشرت زراعة الذرة في أوربا.: أما الفاصوليا، فتظهر وكأنها ولدت وتمت في العالم الجديد وقد وجدت بذورها في مقابر البيرو. لقد نما الحمص والفول دوما في أوربا، ووجدت

---

(١) سورة العلق: الآية ٥.

بذورهما في المدن البحيرية، وكان سابقا أساس لتغذية العالم القديم مع الملفوف والجزر والسلجم (اللفت) والشمندر.

كان البصل ينضج في الأراضي الرملية الدافئة في مصر القديمة وكان مقدساً بمثابة شيء إلهي. ينمو الثوم في حالة برية في صحراء كيرقيز، والقرع (اليقطين) جاء من البرازيل، والكوسا من المكسيك.

أكتشفت البطاطا عام ١٩٢٠م في البيرو من قبل (بيراز) ووجب الانتظار مائة وخمسون عاما حتى أقر (بارمانيتيه) مبدأ استعمالها كنبتة تؤكل. وطماطم صغيرة لذيذة تنبت في أفريقيا السوداء وثمرتها أصغر من كرزه. فهل الطماطم التي يستعملها الأوربيون جائتهم من أسبانيا، أو أفريقيا أو أمريكا ؟ هذا غير معروف.

أما بالنسبة للثمار، فإن أجدادنا يجنون التفاح الحامض من شجر التفاح البري في الغابات. والعنبية الحادة من عنب الديب (الكشمش) وتوت العليق والفراوله (توت الأرض).

يأتي شجر الدراقن والمشمش والخوخ والكرز من الصين، والسفرجل والأنكي دنيا (المشمش الهندي) من أرمينية وأيران.

ترتقي زراعة الكروم إلى أبعد عهود ما قبل التاريخ كان المصريون يزرعون الكرم السعترش، منذ ستة آلاف سنة.

أصل شجر الموز – البرتقال – الليمون – التي تعيش في بلاد الشمس هو من آسيا وكذلك الشوندر السكري.

عرف قصب السكر منذ قديم الزمن في الهند، لكن وجب انتظار القرون الوسطى حتى ظهر في مصر واسبانيا، أما بالنسبة للشمندر السكري فإنه كان نبته برية تنمو على سواحل المانش وبحر الشمال، وقد بدأت زراعته بالانتشار في فرنسا عام (١٨١٠م).

قبل عهد الملك لويس الرابع عشر في فرنسا كانت أوربا تجهل استعمال الشاي أو القهوة.استوردت أنكلترا الشاي من الصين في هذه الآونه ومنها وصل إلى فرنسا.

أما القهوة فقد اشتراها أهل البندقية من العرب، في أواخر القرن السادس عشر، ثم انتشر استعمالها قليلا فقليلا في الغرب واستطاع الصليبيون العيش في تخوم البلاد العربية، دون الاهتمام والانتباه لوجود هذه البذرة الثمينة.

ينبت الكاكاو بحرية في الأمازونيه، وبعد سحق جوزته وعجنها مع السكر يعطي الشوكولاتة.

والتبغ (الحشيش ذو النيكوت) اسم الذي جلبه من البرتغال. كان الهنود الحمر يلوكونه ويمضغونه، ولقد وجدت غلايين مصنعه ومنقوشة في بعض مقابر الازتيكية (شعب الأزتيك الذي نزل قديمة في المكسيك وأمريكا المتوسطة).

هجر الفول السوداني (فستق العبيد) من العالم الجديد، وهو يكون غني في الأراضي الرملية في أفريقيا الغربية، حيث أنه الزراعة الوحيدة التي تكتفي بالأمطار الغزيرة ولكنها نادرة في فصل الشتاء.

البرازيل موطن الكاوتشوك (المطاط) الأصلي، وجاءت النباتات النسيجية: القطن – القنب – وحتى الكتان ذو الألياف الطويلة، إلى أوربا من آسيا.

أبدلت صناعة الألوان، باستعمال الملونات الكيميائية. لكن فن صناعة السجاد والأغطية تكمل شوطها في أفريقيا والشرق باستعمال الأصباغ النباتية.

كما كان في السابق، إذ تعطي ألوانا ممتازة جدا مثلا في السجاد المصنوع من صوف (أوفادوغو) الشهير.

وورقنا الفاخر بعجينته الصافية هو على أساس خروق، لكن الغالبية العظمى للعجينة الورقية سحبت مباشرة من النبات، كما أن ورق البردي وكذلك الورق الياباني

القديم كان نوعا من قماش الرقيق الجيد، المصنوع من عجينة أوراق الصر والمقوي، فإنها تستهلك ملايين الأطنان من الخشب الطري كل عام[(١)]

النبات والعلاقات الاجتماعية

إن الجمال غذاء الروح وراحة النفس، فالجمال معنى يلمس الحس، وبعيدا عن المادة ومقاييسها. وقد حار الفلاسفة والمفكرين في التعبير عن الجمال، غير أن القيمة الثابتة هي أن الجمال قائم، في كل ما خلقه الله في الطبيعة، غير أن درجات التذوق عند الناس مختلفة باختلاف طبيعتهم ومعيشتهم وما درجوا عليه من تعاريف الحياة وألوانها.

ولعل البيئة النباتية تنوعها وإمكانية نموها وصورها الواسعة التباين واستقرارها في بيئاتها وإمكانية نموها فترة حياتها، يسير للإنسان على مر الزمان اعتبار هذه البيئة ميدانا حسيا رئيسيا للجمال يلجأ إليه كلما ضاقت به النفس وأعياه الإرهاق أو مالت به ظروف الزمان، كان المصريون أول من أحبوا الزهور واغرموا بها واتخذوها رمزا للوفاء والحب والتقدير للأحياء وتعبيرا لتكريم الموتى. لقد أبدعوا في تنسيقها والتحلي بها، كما بلغوا في متن التنسيق الداخلي للتصوير والمعابد مستوى رفيعا من الذوق والفن والجمال.

وكذلك أرتبط فن الزهور وتنسيقها في الحياة اليابانية منذ مئات السنين، ولم تقتصر على الناحية الدينية فقط، بل أرتبط بالطقوس الاجتماعية. ويعتبر هذا الفن عندهم أحد عوامل الثقافة. كان لفهمهم ذلك أثر واضح في مجال تنسيق الزهور في العالم الحديث ولهم في التنسيق فلسفة خاصة مبنية على أسس المشاهدة والتأمل والرمز.

---

(١) الحيوانات – النباتات والإنسان، رينيه كي دي غرويو، وزارة الثقافية والأرشاد دمشق. عن كتاب آيات الله ص ٢٨٩، د. ماهر الصوفي.

إن الاعتناء بالزهور وتربيتها وفن تنسيقها ما هو إلا تعبير عن النفس البشرية، ويرمز الى آمال وتمنيات قد يصعب تحقيقها.

ويعتبر هذا الأمر صحيفة شرف عند اليابانيين التي تمجد وتخلد تكوين الطبيعة التقليدي، عن طريق التجمهر والتألق، إن النباتات الشامخة تدل على العزة والكرامة والكبرياء، مما جعل الياباني يكرمها دون غيرها ومثال ذلك شجرة الصنوبر، أما الورد بألوانه الجميلة الجذابة وبتلاته الرقيقة يمثل السيدة الجملية الرقيقة الاجتماعية.

فالتمثيل الاجتماعي عن طريق تنسيق الأزهار مثلا هناك تكوين من نباتات الظل مع قليل من الورد الأحمر ترمز إلى أحد العظماء يحاول التعرف على ما حوله خلال كلمات وصيفات الشرق اللاتي يحطن به في رقة ووداعه ممثلة في الورود. حتى في أيام الحروب وهي أيام صعبة كان الناس وخاصة في المجتمع الياباني يحترمون الورد والتنسيق ويعتبرونه شيئا معبرا عن حياتهم الاجتماعية وأنهم يقدرون ويحترمون كل من يتفهم الفن ويبرع فيه ويمارسه.

كما أن النبات في حياة الناس رمزا حيث ترمز الأشجار عادة الى جنس المذكر الجنس القوي الخشن بينما الأزهار ترمز إلى المؤنث (الجنس الناعم) وكذلك الألوان القوية في الأزهار ترمز إلى جنس المذكر مثل الأحمر والقرمزي والبنفسجي والبرتقالي، أما اللون الأزرق والأبيض فيرمزان إلى المؤنث. ودراسة النباتات وطبائع نموها وطرق زراعتها يعتمد على الذوق السليم والخيال الواسع وعلى تمييز الألوان المختلفة.

كما أن للزهور لغة شبه عالية تعارف الناس واتفقوا عليها بقلوبهم، وليس بألسنتهم، واستعملوها للتعبير عن مشاعرهم، وبالتالي فهي لغة، كلماتها الأزهار وقواعدها الألوان وبلاغتها في اختيار أنسب الكلمات وأفضل القواعد ويمكن القول بأن هناك لغة عامة للزهور، وأخرى أكثر تخصصا فمثلا نجد أوراق الزيتون ترمز للسلام والورد المتفتح نوعا يعني الإعجاب بالجمال والياسمين يدل على الرغبة والبنفسج يعني الإخلاص والوفاء والآس يعبر عن الحزن والمواساة.

أما عن اللغة الأكثر تخصصا فأن اللون يدخل فيها مع نوع الأزهار ليعبرا معا عن نوع معين من المشاعر فيتغير بتغير أي منها.

وعموما فأن هذه اللغة تتأثر كثيرا بما يمكن أن تضيف إليها طريقة التخاطب، أي طريقة تقديم الزهور وتعبيرات وجه مقدمها ونظراته وانفعالاته وباختصار شديد، فهي لغة إذا خرجت من القلب دخلت القلب، بالإضافة إلى أن لكل لون مدلوله، حيث اتفق على أن اللون الأبيض لصفاء القلب والحب الطاهر واللون الأصفر يرمز للفراق والغيرة، واللون الأحمر الزاهي يرمز للحب الملتهب والنشاط والشجون قد يعبر اللون الأحمر عن التفكير المستمر، والوردي عن الدلال والأحمر عن الغرام الملتهب. أما القرنفل الأبيض فانه يرمز عن الثقة بالنفس. فلاعتناء والاهتمام بالزهور وتربيتها وتنسيقها يشمل نواحي عديدة من حياة الإنسان منها:

١- تجميل المباني والمدن:

فعندما تدخل إلى مدينة وتشاهد حدائقها وشوارعها وأرصفتها قد صف فيها الورد ونسق فيها الزرع فأعلم أنها على حال جيدة حيث ترتاح النفس وتنشرح الصدور لمثل هذه المناظر ولذلك نجد أن المدن المتقدمة والمتطورة أهلها يعنون بتنسيق حدائقهم اعتناءة كبيرا تدل على شخصيتهم واهتمامهم بالحياة والإنسان.

٢- تحسين الصحة:

حيث توصف بأنها تعفير رئات للتنفس خاصة في الأماكن المزدحم ومناطق الاستجمام. كما وأن الأزهار، تلعب دورا هاما في المناسبات بحيث لن نجد هدية تقدمها وفي آية مناسبة، أجمل من هدية مختارة من الأزهار الجذابة ويمكن أن تلاقي أي هدية نوعا من النقد أما هدية الزهور فمجال النقد فيها ضئيل إن لم يكن معدوم. فالقيمة الجمالية للزهور أعظم بكثير من أي هدية مادية أخرى. لذا أصبحت الأزهار رمزا للتعبير عن الحياة، وفيما سبق رأينا أنها أحسن ما يقدم في الولائم ليعبر إلى كرم الضيافة والأبتهاج بالضيوف. حيث أنها تلائم جميع الأذواق وهي تقدم أيضا في

مناسبات عديدة مثل الولادة وأعياد الميلاد وأول لقاء بين المحبين والزواج والاحتفالات السنوية كعيد الأم وعيد رأس السنة وحفلات التكريم وغيرها.

٣- تقديم الزهور إلى المرضى:

عند تقديم الزهور إلى المريض، لوضعها في غرفته يجب أن تكون عديمة الرائحة ذات ألوان هادئة تبعث في النفس والأمل والحياة يجب أن تكون منسقة تنسيق جميلا مع التنوع في الحجم والملمس واللون لتوحي للمريض بالطمأنينة، ويجب أن ينسقها مقدمها في إناء بمعرفته. وأنسب أنواع الزهور التي تقدم للمريض هي: الورد، الجلاديولس ولايفضل الألوان القوية مثل الزرقاء والبنفسجي والأحمر.

٤- تقديم الزهور في مناسبات الولادة:

يقدم في مناسبات الولادة باقة منسقة للأم وأخرى صغيرة للطفل المولود. وهذه تحتوي على الليلم الوردي وبعض الزهور الأخرى الرقيقة وفي حالة المولود الذكر تراعي في التنسيق أزهار زرقاء وللأنثى أزهار قرنفلية.

ويفضل ما يقدم لكم أن يكون من نوع الكورساج وخاصة للأم الصغيرة السن.

٥-تقديم الزهور للمسافرين:

يستحسن تقديم الزهور المنسقة في صندوق لتضفي على الحجرة رونقا يشعر المسافر معها بجمال وحرارة الوداع.

٦-تقديم الزهور في الاعياد:

تعتبر الازهار من الهدايا المحببة لقلوب الجنس اللطيف وهي بالنسبة لها الهدية المثالية التي تقدم بمناسبة الاعياد السنوية سواءا كانت منسقة او على شكل كورساج فانها تزيد من بهجت هذا العيد وتجعله يوما لاينسى.

٧- تقديم الزهور في حفلات الزواج:

في حفلات الزواج تعمل كوشة للعروس ويختار المكان المناسب لها ويستحسن وضعها في مكان اعلى من مكان الاحتفال كان يكون في صدر القاعة مع العناية

بالمنظر الخلفي وتنسيق الازهار خلف المكان المخصص لجلوس العروسين مع اختيار الازهار التي تناسب المنظر الخلفي للكوشة، ويستحسن ان تكون الازهار التي تحملها وصيفات الشرف للعروس ذات لون اصفر او وردي فاتح او قرنفلي او بلون الفستان.

٨-تقديم الزهور في حفلات الاستقبال:

يقدم الكورساج ايضا في حفلات العشاء وفي الاستقبالات الرسمية وفي المطارات ومحطات سكك الحديد ويجب ان تكون الازهار فتية حيث تكمل جمال الشباب وهي ايضا تعبير رقيق عن الترحيب.

٩-تقديم الزهور في العزاء:

الزهور التي تقدم في حفلات التابين او التي توضع على القبور يجب ان تكون بسيطة، لتدل على الذوق الرفيع ويكون لونها ابيض او أي لون رقيق اذا كان الفقيد طفلا، ولون احمر اذا كان كبيراً او ذات الوان باهتة، كما ويجب اختيار الازهار الطبيعية لا الصناعية حيث يعبر مثل هذه الهدايا عن تكريم فقيد عزيز[١]

النبات والماء

الماء في التـربة

بعد ان تعرفنا على تركيب الماء وماله من قدرة عجيبة على تحليل المواد واذابتها فيه من اتحاده الذري والكهربائي فان الماء يبدأ رحلته مع النبات عن طريق امتصاصه من قبل الجذور أو السطوح الخارجية للأنسجة الورقية في بعض النباتات وحسب تركيب وتكيف النبات. ينقسم الماء في التربة الى ثلاثة أقسام:

(١) التنسيق الداخلي لنباتات الظل وانتاج الازهار والقطف، د.طاهر نجم رسول.

١- **الماء الهايكروسكوبي Hygroscopic**

وهو عبارة عن طبقة رقيقة جدا من الماء تحيط بدقائق التربة ويعتبر هذا النوع من الماء غير فعال كيميائية وحياتية إذ أن النبات لا يمكن أن يستخدمه لغرض الأمتصاص بواسطة الجذور.

٢- **الماء الشعري copillary**

وهو الذي يملأ المسافات الصغيرة الموجودة بين دقائق التربة ويعتمد النبات على جزء من هذا الماء لغرض الأمتصاص.

٣- **الماء الجذبي Gravitational**

وهو الماء الذي لا يمكن للتربة الاحتفاظ به ضد قوى جذب الأرض وهذا الماء يملا المساحات الكبيرة ويؤثر بصورة رئيسية على هواء التربة ومن ثم على نمو جذور النبات. ولهذا وجب تصريفه الى الأنهار والبحيرات.

الماء في القرآن الكريم

أذا تتبعنا مفهوم الماء في القرآن الكريم وجدناه:

أنه منفعه وقد عبر عنها القرآن بالنعمة وبالرزق وبالرحمة والبركات قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾(١)

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٢.

يقول الله تعالى في الرزق:

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(١)

ويقول تعالى في الرحمة:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢)

والله تعالى يقول في البركات:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٣)

ويقول تبارك وتعالى في كون الماء للتطهير والتثبيت:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(٤)

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٦.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٩٦.

(٤) سورة الانفال: الآية ١١.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾(١)

ومن مثل اظهار نعمة الماء في القرآن الكريم بشمولها الإنسان وما يتصل به من نبات وحيوان، قوله تعالى أيضا ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

فالاية قد عرضت عدة مظاهر تتجلى فيها نعمة الماء كونه شرابا لبني الإنسان وكونه سببا في الشجر الذي يرعون فيه دوابهم وكونه سببا في الشجر الذي يجدون فيه طعامهم وفاكهتهم وسائر حاجاتهم وليس ذلك إلا للأشعار بهذه المنة بعرض مظاهرها المختلفة(٣)

والكلام عن الماء في القران الكريم كبير منها الأنهار والعيون والبحار وتسخيرها للإنسان وما فيها من تكريم له. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾(٤)

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٨-٤٩.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠-١١.

(٣) الزيدي: د. كاصد ياسر الطبيعة في القران ص ٨٠.

(٤) سورة الاسراء: الآية ٧٠.

وقولــــه تعـــالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(١)

الماء والحياة

اهمية الماء للحياة وللأفعال الحيوية وذلك لان الماء يمثل الأساس في الحياة فهو يدخل في تركيب جميع الكائنات الحية فأينما وجد وجدت الحياة. وهو يدخل في تركيب الخلية بشكل حيوي وهو أساسي ويكون ما يقارب٩٢ % من مكونات الخلية الحية النباتية ويتخلل الماء جميع الأنسجة النباتية ولا حياة للخلايا بدون الماء وصدق الله العظيم إذ قال:﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٢)

ويوجد الماء في الخلية بثلاثة أشكال وليس بشكل الماء العادي الذي نعرفه في الطبيعة فهو يوجد:

١- متحد اتحاد كيمياويا في هيولي الخلية.

٢- متشرب بجزيئاتها.

٣- أو كما يوجد الماء في عيون الأسفنج.

والماء يتمتع بنسبة ثابتة في الخلية حسب ما تحتويه من الشحوم ثم لنلق نظرة على محتويات الخلية غير المصورة أي الأجزاء التي لا تتجمع بشكل كتل وتأخذ أحجاما وصورا معينة ثابتة تقوم بدور معين كما ذكر عن المصورات الحيوية أو ماتسمى بالمايتوكندريا أو البلاستيدات الخضراء... فأننا نجد أولا الماء ثم الأملاح المعدنية حيث تحتوي خلايا جميع الأحياء على عناصر معدنية أساسية وأخرى ثانوية وعناصر قليلة جدا مثل اليود، والمنغنيز والنحاس. أن العناصر الموجودة في النبات

---

(١) سورة النحل: الآية ١٤.

(٢) سورة الانبياء: الآية ٣٠.

هي ذاتها الموجودة في الحيوان وهي ذاتها الموجودة في التربة وعددها ١٨ عنصر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[١]

وكذلك النبات بنفس التركيبة وبنفس العناصر وأن الإنسان والحيوان والنبات يخرجان من مشكاة واحدة.

مشاهد الماء في القرآن الكريم

لأهمية الماء وارتباطه بالنبات والحياة العامة لجميع الكائنات لاستكمال الموضوع من جوانبه حيث فاعلية النبات مع الماء ومع التربة والهواء والضوء نجد أن القران الكريم قد خص الماء بأهمية كبيرة وحيث ذكرت كلمة الماء ثلاث وستين مرة [٢].

وحيثما خلق الله الماء وجعله سبب الحياة والأرزاق. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] فلماء سبب كل شيء حي ولا بد منه ولم تبدأ الحياة على سطح الأرض إلا بعد وجود الماء[٤] كما أشار الله سبحانه وتعالى الى ذلك في قوله:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [٥] (وماءها عيونها المتفجرة بالماء) [٦] والحياة لا توجد في شيء ما إلا أذا كانت فيه نسبة معينة من الماء تختلف

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٢.

(٢) أنظر معجم ألفاظ القران الكريم ص ٦٨٤.

(٣) سورة الانبياء: الآية ٣٠.

(٤) الزمخشري: تفسير الكشاف٢/٥٧٠.

(٥) سورة النازعات: الآيتان٣٠-٣١.

(٦)الزمخشري: تفسير الكشاف٤/٢١٥.

بحسب أجزاء الأجسام وقد بينا في موضوع سابق (ولا يمكن أن توجد الحياة في شيء جاف ابدأ لان الجفاف يوقف التغيرات الكيميائية التي هي شرط أساسي لتغيرات الجسم الحي وقوفا تاما وذلك يؤدي الى الموت الحتمي) [1]

وليس عبثا أن يغطي الماء أربعة أخماس سطح الأرض بل هو قصد وتقدير من خالق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [2]

فالماء لم ينزل على سطح الأرض مصادفة واعتباطا بل أنزله تعالى ((بقدر)) أي بالقدر اللازم للحياة لأنه أذا كثر وزاد اتلف وأغرق وان قل كان الجدب والمحال ولو نزل في غير أوانه لذهب بددا دون فائدة وقوله تعالى:﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي جعلنا الماء أذا نزل من السحب يخلد في الأرض وجعلنا في الأرض قبولا له فتشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى[3].

وكثيرا ما يذكر القران الماء في صور ذكر الحياة والإثبات قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [4].

---

(١) عبد العزيز إسماعيل. الإسلام والطب الحديث، ص١٢٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ١٨-٢٠.

(٣)انظر تفسير ابن كثير ٢٤٢/٣.

(٤) سورة.الانعام: الآية ٩٩.

فالآية تشير إلى أنزال الماء من السماء وجعله سببا للانبات وجعل النبات المسبب عنه أنواع كثيرة مشتبها وغير متشابه وبذلك يلتقي أخر هذا السياق بأوله. أي وهو الذي أنزل من السحاب ماء فأخرجنا بسبب هذا الماء الواحد نبات كل شيء الذي يخرج من الأرض على أصناف متباينة فمنها السنبل المنتصب في الفضاء بشموخ وقد ملئ بثماره الذهبية البديعة متراكبا بعضه فوق بعض. ومنها النخل الذي تدلت عذوقه جنية مقربة بالقطاف ومنها بساتين الكروم والأعناب الشهية التي تزينت بعناقيدها تزين الحسناء بما هو ثمين من العقود وفيها الزيتون والرمان الشهي الناظر كل ذلك يرى متشابها ومختلفا. وكل هذا دليل على أبداع الله سبحانه وتعالى في خلقه بما تتمتع به الحواس من النظر والتذوق والشم من بدائع صنع الله في تتطور أشكالها وتنوعها.

والماء الهاطل والشجر النامي من مشاهد هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف من الآيات الكبرى الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى وعظمة النعمة والمنة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1)

الماء ينزل من السماء بأمر الله سبحانه وتعالى بقوانين وحسابات ربانية خاصة تدل على القدرة الإلهية وانفراد الله سبحانه بهذا الأمر العظيم ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ (2) هذا الماء يحمل نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى التي ساقها للعباد ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ (3) ثم نعمة انبات المراعي الذي هو خصوصية بعد خصوصية

(1) سورة النحل: الآية ١٠-١١.

(2) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(3) سورة النحل: الآية ١٠.

الشراب ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[1] أي المراعي التي تربون فيها السوائم وهي الحيوانات الدواب. وبعدها الآية الى ما يأكل الإنسان من الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من الثمار والزرع والخضار المتنوعة الشهية الكثيرة ومن الماء النازل ما يخرج من الأرض ينابيع وانهار ثم تلتقي في البحار وسبحان الله الذي جعل الفرات العذب وجعل الملح الأجاج من مياه البحر أمر البحار أن لا تطغى على مياه الأنهار والعيون لكي لا يختلط الملح الأجاج بالعذب الفرات السائغ شرابه. والخوض في هذا المضمار يبعدنا عن بحثنا الذي نحن بصدده وتحت عنوانه.

إلا أن الذي يهمنا منه ما تواجد من نبات شتى في البحار والأنهار وما أهميتها للحياة فيها فلولا النبات ومنها الاشنات والسرخسيات والحزازيات لما كانت هناك حياة في البحر ولا في النهر وقد ذكرنا سابقا ما لأهمية النبات في صنع الغذاء وإكمال دورة الحياة فيها بشكل كامل وتام ومنسق بديع يدل على أن الكل مرتبط بقدره واحدة وخارج من مشكاة واحدة ويسير ض من نواميس واحدة وهي قدرة ونظام الله وفطرته التي فطر الخلق عليها.

أن ما يوفره النبات من أوكسجين للماء من خلال عملية التركيب الضوئي لهو أمر في غاية الأهمية في أعطاء الحيوانات في المياه عامة ديمومة الحياة التي تتنفس على الأوكسجين المذاب فيه وان ما توفره النبات من غذاء لهو أمر جلي واضح على ما تعيش عليه هذه الحيوانات على اختلاف أنواعها وأشكالها وطرق معيشتها وان ما يقوم به النبات من تحويل المواد والفضلات المتفسخة إلى مواد غذائية فهو يقوم بتنظيف البيئة المائية بشكل دقيق وعظيم مما يعطي الحياة توازنها من كل شيء وللبحار في القران الكريم حديث جليل ذو شجون فيه من الأعجاز والعلم والعبرة والدلائل الكثيرة. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا

(١) سورة النحل: الآية ١٠.

طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [2]

وقال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [4]

وقال تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [5]

والأنهار كذلك قد أخذت شوطا من الحديث الجليل جعلها الله في طلائع النعم التي يفيضها على عباده في جناته يوم القيامة حتى كأن الجنة لا تكون جنة إلا بهذه الأنهار.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٢.

(٣) سورة الاسراء: الآيتان ٦٦-٦٧.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٥٣.

(٥) سورة الرحمن: الآيتان ١٩-٢٠.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ (١)

هناك أناس يصلح لتربيتهم و لاستجاشة همتهم للعمل كما يصلح عزائمهم ويرضى نفوسهم أن تكون لهم انهار من ماء غير آسن أو انهار من لبن لم يتغير طعمه أو انهار من عسل مصفي أو انهار من خمر لذة للشاربين أو صنوف من كل الثمرات مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات فلهؤلاء ما يصلح لتربيتهم وما يليق لجزائهم (٢).

قال عكرمة: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي نعتها فيها أنها ﴿ مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال أبن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة يعني غير متغير وقال آخرون غير منتن والعرب تقول آسن الماء أذا تغير ريحه وفي حديث مرفوع أورده أبن أبي حاتم ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ يعني الصافي الذي لا كدر فيه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك (٣)

ويتضح مما ورد أن الآسن هو ما يجعل الماء غير صافي وان النبات من الاشنات والحزازيات التي تعيش في الماء تغير من طعم الماء كما أن الفطريات والبكتريا لها دور كبير في آسن الماء وكذلك من النباتات المجهرية مثل (الكلاميدوموناس) وهو نبات وحيد الخلية يسبح في الماء بواسطة اسواط وكذلك (السبايروجرا) وهو أشن خيطي وغيرها كثير. والله أعلم أن هذه الكائنات لا تتواجد في الأنهار الموجودة في الجنة والتي تسبب آسن الماء فيكون الماء صافية خالية من الكدرة وتغير الطعم والرائحة خلاف انهار الدنيا او انها لاتؤثر فيه سلبا.

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القران، م٧،ص٦٣.

(٣) ابم كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: في تفسيره،م٤،ص١٨٦.

ونظرية المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر أنها تتسرب إلى باطن الأرض فتحفظ هناك (نظرية حديثة) قد كان المظنون الى وقت قريب أنه لا علاقة بين المياه الجوفية والمياه السطحية ولكن هاهو القران الكريم قرر هذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة سنة وبتقدير الله وقدرته يسكن بعض الماء جوف الأرض ويختار بعضه ليخرج عيونا دافقة ويسيل بعضه على سطحها فتمتلئ به الأودية وتتكون منه الأنهار ويسقى به الزرع قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا﴾ (١)

ومن هنا نستنبط ان المياه التي يتغذى عليها النبات والحيوان على سطح الأرض كلها من المطر النازل من السماء بأمر الله ولا يستثنى من ذلك البقاع التي تعتمد في حياتها على مياه الأنهار والعيون دون المطر فان مياه الأنهار والعيون التي تنبع من الأرض كلها من المطر يغور ليجتمع ويندفع ويخرج به زرعا مختلفا ألوانه قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وقال أيضا ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢١.

(٢) سورة يس: الآيتان ٣٣-٣٦.

(٣) سورة الاعراف: الآيتان ٥٧-٥٨.

وكـــذلك ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [(١)]

وأحياء الأرض هنا أشارة واضحة لإنبات النبات والزرع التي تكون الحياة عليها بعد فرقة وموت وهذا ما يريد القران أن يصوره لنا فهذه الصحراء يمر عليها الإنسان يوما فيجدها قاحلة جدباء ثم يمر عليها غداة يوم آخر فيجدها مرعى خضراء من أثار الماء النازل عليها فهي كما كانت ميتة فأحياها الله سبحانه وتعالى والقران الكريم يتخذ موحياته من مألوف البشر مما يمرون عليه غافلين وهو معجب حين تملاه البصائر والعيون [(٢)] وهكذا وبعد عرضنا المشاهد الماء أنه من أعظم نعم الله على الإنسان وتبين لنا ارتباطه الوثيق بإنبات الزرع وإدامة الحياة وقد خصه الله من بين نعمه بالذكر أنه ضروري للحياة.

مفهوم الطبيعة في القرآن الكريم

أن المفاهيم القرآنية تعتبر حدا فاصلا بين الوثنية والتوحيد فاذا كانت المفاهيم الأولي على أساس الشرك وتعدد الإلهة وتأليه النبات والشجر على الخصوص وتصورها بالتصور الميثولوجي أو الأسطوري. قامت المفاهيم القرآنية على أساس أثبات الخالق وتوحيده وعلى استبعاد كل تصور أسطوري يتصل بالنبات وعلى مباينة تلك المفاهيم مباينة واضحة وهذا ما يرد المزاعم المختلفة التي تقول أن القران في مفاهيمه الكونية قد تأثر إلى حد بعيد بالديانات الوثنية السابقة له كالمجوسية والهندية. وشهد على ذلك عالم غربي هو الدكتور غوستاف الويون الذي يقول: (وزعم أن الروح

(١) سورة فاطر: الآية ٩.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القران،٦٧٩/٦.

الفارسية والهندية ظاهرة في النصرانية والإسلام على السواء ونحن نراها في الإسلام ضعيفة إلى الغاية) (١).

ويقول أيضا: (وللإسلام وحده كل الفخر بأنه أول دين أدخل الى العالم التوحيد المحض). ويشير الى هذا التوحيد الخالص بسهولة الإسلام فيقول: (وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام) (٢).

أن المفهوم القرآني كان له جل اهتمامه بحقيقة العلاقة الآلة والطبيعة وهو من اخطر ما أهتم به في هذا المجال فضلا على اهتمامه بحقيقة العلاقة بين الإنسان والطبيعة على العموم وبين الإنسان والنبات على الخصوص.

وفي هذا يقول الدكتور محمد يوسف موسى: (اتعب المفكرون والفلاسفة في قديم الزمان وحديثه عقولهم في البحث عن المبدأ الأول لهذا الكون سمائه وأرضه، وكيف ص در هذا العالم عنه، أن كان يرجع حقا في وجوده الى مبدأ واحد وقد اختلفوا في هذا وذلك أشد الاختلاف ولا يزالون مختلفين حتى اليوم. ولكن القرآن جاء في كل هذه المشاكل بالقول الفصل... من أن العالم لم يتكون وحده كما يقول الدهريون أو الطبيعيون وأنه ينشأ بعد عدم. وأنه صنع أله واحد لا شريك له، ولا معين سبحانه وتعالى) (٣).

ولقد أغنى القران الكريم المسلمين الأوائل عن الفلسفة التي هي كما يقول الدكتور محمد يوسف (المعرفة الحقة لله والكون السماوي والأرض والإنسان أو هي نظر العقل في تفكيره الذي يراد به معرفة حقائق الوجود في العالم الأكبر المحيط بالإنسان والعالم الأصغر الذي هو الإنسان) (٤).

---

(١) حضارة: ص١٤٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) محمد يوسف موسى،القران والفلسفة،ص١٦.

(٤) نفس المصدر.

وهذا الرأي هو ما يراه البارون (كاردي فو) المستشرق الفرنسي المعاصر: الملاحظ عند دراسة مفاهيم الطبيعة في القرآن الكريم أنها كانت عامة تشمل الطبيعة السماوية والأرضية على السواء غير انه يلاحظ أن هناك شيئا من التمايز بين مفاهيم الطبيعة السماوية والطبيعة الأرضية أو بعبارة أخرى أن مفهومات الطبيعة السماوية في القرآن الكريم تبدو وكأنها موجهة لأبطال المفهومات القديمة عن الطبيعة السماوية وكذلك مفهومات الطبيعة الأرضية فهي الأخرى تبدو فيه كأنها موجهة لأبطال المفهومات الأولى عن الطبيعة الأرضية) [١].

مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

ونظرا لأن النبات عنصرا أساسيا في الطبيعة وتفاعله معها وتأثيره عليها واكتمال الصورة الجميلة به كان التكلم عن الطبيعة في المجمل وبما يخص موضوعنا ليعطي للنفس البشرية اشتراكها وعمق النظر بالمخلوقات عامة واندماج بعضها بالبعض سلوكة وتفاعلا ومعيشتا وتأثيرا وتأثرا إيجابا أو سلبا.

يعجب الإنسان حين يستعرض مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم كيف خلا الشعر العربي من وصف الطبيعة إلا في النادر وفي وصف يكاد لا يتعمق بالطبيعة إلا قليلا ولا يكاد يصل بينها وبين الوجدان البشري إلا في الأقل ! [٢]، هذا مع أن احتفال القران بالطبيعة أمر بارز بلغت النظر وبلغت الحس (ومنه خصوصا النبات). ولا يمكن أن يقرا القران قارئ دون أن تلفته هذه الظاهرة في ثناياه. و (الجمال) من أوسع المنافذ الى النفس... تهش لها بفطرتها وتلتقي روحها بروحه في أخوة واستجابة واشتياق وجمال الطبيعة النبات) من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق.

---

(١) الطبيعة في القران: د.ياسر الزيدي.

(٢) قطب: محمد، منهج الفن الاسلامي،ص١٢١.

أن القران الكريم وهو منهج حياة يهمه كذلك أن يوقظ النفس من تبلدها لتتفتح وتستنشق الحياة. فمن أجل خير هذه النفس وصلاحها من أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القران الى تحريك هذه الحواس لتنفصل بالحياة في أعماقها وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء والأحياء والنبات.

والقران حافل بهذه الدعوة للإنسان أن يفتح بصيرته على آيات الله في السكون، ويستشعر من ورائها يد القدرة القادرة الخلاقة المبدعة... في أسلوب أخاذ يأخذ بمجامح النفس ويوقظها من الفها وعادتها فتتفتح لتكون كائن جديد.

وحين يحدث هذا التفتح فأنه يحدث أعجب الأثر في الكيان البشري والفتح النفسي يشبه تأثر الإنسان الحي عندما يخرج من ظلمة في غرفة مقفلة وهواء فاسد فيلتقي النور والنسيم المنعش، ولكنه أعمق وأشمل وأروع. أنه يهز الكيان النفسي كله ويوقظه وينشطه ويجدد حياته)[١].

وما أعجب كل شيء يحدث لأول مرة أنه تجربة نفسية رائعة حية ولو أستطاع الإنسان أن يعيش كل شيء كأنما يحدث لأول مرة... ! أذن لأستطاع أن يحس بالشباب الدائم الذي لا يدب إليه العجز ولا الشيخوخة ولا الفناء.

ومع ذلك فان القران يصنع هذه الأعجوبة الكونية. فالإنسان يعيش القران مع الكون في لقاء دائم جميل حبيب لقاء يلذ النفس ويمتع الحس ويطلق الروح... نشطه طليقة تسبح لله. والقران في ذاته كتاب جميل ممتع لا ينتهي منه قارئه حتى يحب أن يعود إليه من جديد ومن ثم كان اللقاء متجددا في داخل النفس وفي صفحة الكون لا ينفذ، ولا يسام، ولا يزول [٢].

ونأخذ بعض الأمثلة لمشاهد الطبيعة عامة والنبات خاصة في القرآن الكريم. قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ

(١) الزيدي: د.كاصد ياسر، الطبيعة في القران الكريم.

(٢) منهج التربية الاسلامية((المصدر نفسه)).

وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)، والاستعراض يطول لو مضينا نستعرض كل مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم فما تكاد سورة تخلو من مشهد أو عدة مشاهد في اتجاهات شتى وبطرق للعرض متباينة وإنما نكتفي بنماذج متفرقة تعطينا (عينات) فنية مختلفة وهذه عينة أخرى من التنوع يستخدم أداة مختلفة: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢)

أن الحس يوجه هذا الى ظاهرة معينة في قدرة الله سبحانه هي تنويع الألوان في الخليقة. فهو يرسم لوحة واسعة فيها مخلوقات الأرض جميعا من جماد ونبات وحيوان وإنسان. النبات مختلف ألوانه...وهذا ركن من أركان اللوحة الواسعة الذي سلط عليها الضوء. أو وحدة من وحداتها منتشرة على رقعة اللوحة تناثرها في الطبيعة الواسعة. وتنسجم انسجاما بديعا مع باقي أركان اللوحة أو وحداتها المتبقية من ناس ودواب مختلف ألوانها كذلك.

---

(١) سورة الانعام: الآيتان ٩٥-٩٩.

(٢) سورة فاطر: الآيتان ٢٧-٢٨.

وهناك حركة من نوع أخر وتنويع أخر يستخدم بأداة جديدة قال تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١)

هذه صورة مجسمة بلوحة بديعة واسعة شاملة تشبه في بعض سماتها اللوحة الأولى. فإضافة إلى نبات الأرض المختلف الأنواع هناك عناصر الطبيعة بجماليتها وتفاعلها ففيها الليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر مع العيون المفجرة في الأرض وكذلك الفلك المواخر في البحر. الآية الكريمة تلفت النظر الى الطبيعة الحركة في كل جزء من أجزائها:

ففلق الحب والنوى حركة في لفظها شيء من العنف تتم في بطء شديد وخفاء واستتار. خروج الحي من الميت والميت من الحي حركة كذلك وئيدة خفية مستترة.

انفلاق الصبح يتم في بطء خفي حتى يظهر النور الهادئ وهناك الليل الساكن والشمس والقمر بحسبان. والحسبان حركة رتيبة متتابعة تتم في بطء وئيد (٢).

---

(١) سورة يس: الآيتان ٣٣-٤٤.

(٢) الزيدي: كاصد ياسر، الطبيعة في القران.

والنجوم التـي يهتدي بهـا النـاس فـي ظلمـات البـر والبحر... ثم تنتقل بنـا السـورة الـى النبـات المختلـف يقـال فيـه: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ ﴾ والأثمـار حركـة لطيفة وئيدة تتم في خفاء حتـى تظهر أخر الأمر فـي هدوء. والنظر ذاتـه هادئ وديـع. وأترك القارئ أن يتخيل باقي حركات السورة من تفجير العيون العنيفة إلى أخرى هادئـة وئيدة وسبحان الله العظيم.

انظـر الـى سيـاق الآيـة الـذي تـرى فيـه مشـاهد الطبيعة فـي صـورة الرحمـة الإلهيـة علـى النـاس: قـال تعـالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾ (١)

وكذلك فـي لوحـة النـور مـع سـورة النـور ليرسمهـا مقابـل لوحـة الظـلام التـي يذكرهـا الله سبحانه وتعالى فـي أكثـر مـن موقـع: قـال تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (٢)

وهنـا ظـاهرة يلتقـي فيهـا الفـن والـدين التقـاء كـاملا كأنهمـا متطابقـان ويعمـل فيهـا الأعجـاز الفنـي جنبـا إلـى جنـب مـع التوجيـه الدينـي المطلـوب مـن وراء تلـك الصـور

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٤٥-٤٩.

(٢) سورة النور: ٣٥.

الجملية الحية المتحركة التي توقظ الحس للجمال لتوقظه لآيات الله في صفحة الوجود. (من هنا نرى مدى الخسارة التي أصابت الفن العربي من عدم استمداده من الرصيد القرآني المذخور ومدى ما كان يمكن أن يكون عليه من الثراء الفني، لو أنه أتجه الى هذا الرصيد الفني يستمد منه الوحي والتوجيه) [١]

المفاهيم الأساسية للطبيعة السماوية في القرآن الكريم

يمكن أن نجمل المفاهيم الأساسية للطبيعة السماوية بالنقاط الأتية:

١- أن الطبيعة السماوية بجميع عناصرها خاضعة لاله واحد هو الله ولذلك فان الحديث عن الشمس والقمر والنجوم في القرآن الكريم مرتبطة بإدارة الله المتصرفة في هذه العناصر كما هي متصرفة في الكون جميعه ومنها السحاب والرياح والماء النازل من السماء.

٢- أن عناصر الطبيعة السماوية ليست آلهة في القرآن الكريم بل هي مفتاح لمعرفة الإله الواحد

الأحد الذي هو الله سبحانه وتعالى.

٣- وهي ليست أزلية قديمة بل هي محدثة مخلوقة وخالقها الله وحده.

٤- وهي ليست أبدية بل هي فانية زائلة.

٥- أن الوشيجة التي تربط عناصر الطبيعة السماوية والأرضية وشيجة البركة والمنفعة والخير الذي مر ذكرها.

٦- ليست العناصر السماوية هي المتحكمة بشؤون المخلوقات الأرضية من إنسان وحيوان ونبات بل هو الله وحده المتحكم بها.

---

(١) قطب: محمد، التصوير الفني في القران.

المفاهيم الأساسية للطبيعة الأرضية في القرآن الكريم

وأهم ما يلاحظ في المفهومات الأساسية للطبيعة الأرضية ما يلي:

١- أن هذه العناصر ليست شرا للإنسان أو أذا له كما كان في التصور القديم بل هي نعمة له أنعمها الله عليه. ولهذه النعمة مظاهر نوجزها:

أ- أنها تشتمل في منافعها لكل كائن حي فالماء مثلا ينفع الإنسان والحيوان والنبات. والنبات بدوره ينفع الحيوان والإنسان.

ب- أنها تتصل بوجود الإنسان المادي والمعنوي.

ج- أنها من الله للإنسان أو مسخرة له.

د- أن جوانب هذه المنفعة والنعمة تتحقق بما يحصل من تازر وانسجام بين عناصر الطبيعة السماوية والأرضية.

هـ- أن هذه النعمة ترتبط بسلوك الإنسان في الحياة ومدى طاعته لله أو ارتباطه بالطبيعة السماوية والأرضية.

و- أن هذه النعم الدنيوية ليست هي النهائية بل هي مقدمة لنعم أعظم منها.

ز- أن هذه النعمة بعيدة عن كل تصور أسطوري يمكن أن يخلع على الطبيعة صفة (الحيوية) ويجعلها شيئا غريبة عن دافع كونها حقيقة.

٢- أن عناصر الطبيعة الأرضية ليست آلهة أيضاً بل أنها مفتاح لمعرفة الإله الأحد ولذلك فان كل ما فيها من العناصر (أية) من آيات الله. لأنه الدلالة الظاهرة على قدرة الله وحكمته. ولهذه الآية مظاهر:

أ- أن السبب واحد والمسبب كثير أو المصدر واحد وما يصدر عنه كثير.

ب- أن ما يدل على كونه أية. مقدر بمقدار معلوم لا يزيد ولا ينقص.

ج- أن هذه الآيات دلائل وبينات على حقائق أخرى وراء هذا الكون كتوحيد الله سبحانه.

د- أن اختلاف العنصر الواحد من عناصر الطبيعة في صفاته مع تأثره بسبب واحد.

هـ- أن هذه الآيات وأن كان طريقها الحس غير أنها ترتبط بالعقل والفكر.

و- أن هذه الآيات تجري على سنن ونظام ولا تحدث فرية كما يفعل السحرة والكهنة وأصحاب الطلاسم.

ز- أن هذه الآيات التي في الطبيعة ليست بأفضل من الآية الكبرى القران لأنه بالغ الدلالة في الأعجاز.

ح- أن خروج الحياة وسط المادة التي تبدو كأنها ميتة آية من آيات الله.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ (٢)(٣).

(١) سورة النمل: الآية ٦٠.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٤٦-١٤٨.

(٣) انظر: الطبيعة في القران، د. ياسر الزيدي.

الفصل الثاني

الباب الاول

مفهوم النبات قديما وحديثا

مفهوم الشجر في القرآن الكريم

- الشجر آية من آيات الله.
- النبات في حياة الأنبياء.

– قصة آدم عليه السلام.

– قصة نوح عليه السلام.

– قصة إبراهيم عليه السلام.

– قصة يوسف عليه السلام.

– قصة موسى عليه السلام.

– قصة سليمان عليه السلام.

– قصة يونس عليه السلام.

– قصة أيوب عليه السلام.

– قصة شعيب عليه السلام أصحاب الأيكة.

مفهوم النبات قديما وحديثا

أن الشجر في الفكر الوثني القديم وجد مقترنة بجانبي الشر والخير ووجدنا أن هذين الجانبين قد تلبسا بلبوس التصور الأسطوري الذي جعل الشجر في ذلك القصور أما الها مقدسا حريا بالعبادة والتعظيم وأما سببا للخلود والبقاء وتجدد الحياة وكان هذا المفهوم وليد عجز الإنسان عن تعليل ما يصاحب الشجر من ظواهر الطبيعة وعناصرها كخروج النار من بطن الشجر الأخضر. وكحقيقة أن عبادة الأشجار كانت معروفة عند العرب وعند غيرهم من الساميين بل عرف الآريون أيضا عبادة الأشجار.

وتردد في ملحمة جلجامش البابلية حديث (شجرة الأرز المقدسة) وكانت المجوس تعبد شجرة الصنوبر) وهو أصحاب الرس الذين ورد ذكرهم في القران الكريم في رواية للأمام علي عليه السلام.

أما الهنود القدماء فقد قدسوا الشجر أيضا. ولذلك شجرة (بوذي) المقدسة في عهد (بوذا) كانت تمثل تقديسهم لجلال الأشجار الصامت.

وكان النبات عندهم ثمرة التقاء إله الشمس بإله الأرض بواسطة المطر فهو أذا عندهم وليد الإلهة وهو حري بالتقديس لهذا السبب وكذلك عند اليونان فالنبات المسمى (سوما) ألها عند البدويين يقابل ما كان (يونسيس) عند اليونان والرومان قدسوا شجر الصنوبر وكان الإله أنيس اله الرعاة قد قطع نفسه ونزف دمه في جذور تلك الشجرة المقدسة حسب فهمهم ولعل كلام أفلاطون الفيلسوف اليوناني الشهير يعبر لنا عن مفهوم (حيوية الشجر) في الفكر الإنساني الأول فقد قال هذا الفيلسوف (أن الإنسان نبات سماوي والدليل على هذا أنه شبيه بشجرة منكوسة أصلها في السماء وفرعها في الأرض).

وفي عرب الجاهلية كان العربي يخشى قسما من الأشجار وكان يرى فيها روح الشر مثل (الحماطة) أو (العشر) التي كانت العرب تظنها مسكن الشياطين وكذلك شجرة (الرقم) التي يرون فيها أنباء الغيب وأعلام المجهول من الأمور وكانت (العزى)

تعبد بثلاث شجرات سمرات ببطن نخلة إضافة إلى الصنم الذي يعبد وأمر الرسول (ﷺ) خالد بن الوليد بعد فتح مكة أن يقطعها وقتل سادنها (ديبة) وقصتها معروفة.

وكما تردد حديث النبات الذي يسبب الخلود في الأساطير القديمة ويبعد الشر ويأتي بالغيب تردد أيضا حديث (نبات الولادة) ذلك النبات العجيب الذي يمنع الإنسان القدرة على أنجاب الأولاد وهذا ما ورد في أحدى الأساطير البابلية. وحديث العشب الذي يذهب السحر الذي تردد في الأساطير اليونانية.

وخلاصة القول أن الشجر قد اقترن في الفكر الوثني القديم بالشر تارة وبالنفع تارة أخرى. وهو في كل ذلك لم يخرج عن التصور الأسطوري الذي يجعله إلها مقدسا حرية بالعبادة والتعظيم) [1]

مفهوم الشجر في القرآن الكريم

كما وجدنا أن الماء نعمة ورزقا وبركة نجد أن الشجر هو الأخر نعمة ورزق أيضا قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾[2]

فاخرج الثمرات رزقا للعباد ينتفعون بها كفاكهة أو كطعام وفوق ذلك فهو نعمة ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3]

---

(١) الزيدي: كاصد ياسر. الطبيعة في القران.. (بتصرف).

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٣٢.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.

وجانب النعمة على جانبين: جانب مادية وجانبة معنوية فالجانب المادي كونه طعاما للإنسان يواصل به حياته ووجوده في الحياة أن كان هذا مباشرة أو غير مباشر عن طريق الحيوان.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[١]

أما النعمة المعنوية أو النفسية فتتجلى في زينة الإنسان يسر به ويرتاح له حين يرى منظره المنبسط على الأرض في خشوع وتتامله العين الفاحصة فنجد فيه ألوانا متباينة فيشعر الإنسان بالبهجة كونها تسر الناظرين. فالقران حين يظهر هذا الجانب المعنوي من نعمة الشجر فأنه يفتح للنفس أفاقا بعيدة تحملها على التحسس بجمال الطبيعة والتأمل في صفاتها المشرقة فوق ما يحققه من غرض ديني بإظهار نعمة الله على الإنسان وأحسانا إليه [٢]

قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣]

وقال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[٤]

---

(١) سورة طه: الآيتان ٥٣-٥٤.

(٢) الزيدي: كاصد ياسر. الطبيعة في القران.. (بتصرف).

(٣) سورة الكهف: الآية ٧.

(٤) سورة الحج: الآية ٥.

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[1].

وهكذا يرتبط مفهوم البهجة بالنفس ويتصل اتصالا وثيقا بإحساسات الإنسان الباطنية ويوضح لما يحدثه في النفس من الأرتياح.

أن التمثيل في القرآن الكريم يشبه الشجر والزرع بالرسول (ﷺ) وأصحابه الكرام وذلك بنموه بقوة وانتصابه في الفضاء بشموخ يثير أعجاب الزراع وإحساساتهم لما فيه من مظاهر الخير والأنس والنفع ثم عرض ذلك في بطء ليتملاه الحس وليستمتع به الخيال قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[2]

وسيأتي فصل في ذكر المثل والنبات في القرآن الكريم...

أن القران الكريم حبب الشجر إلى الإنسان وقربه إليه والتي تبعد عن الفكر مفهوم الشر والأذى اللذين خلطا الشجر في الفكر القديم والذي أشرنا إليه في بحثنا.

ومن ناحية أخرى فأن القران أبعد عن ذهن الإنسان كل تصور ميثولوجي يجعل الشجرة قوة مستعلية على الإنسان ومتسلطة عليه وعلى العكس أظهر القران استعلاء

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٠.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

البشر على الشجر وذلك بما أظهر الله في الشجر من معاني النعمة والرزق والمنفعة والبركة التي جعلها مسخرة للإنسان مقيضة له.

الشجر آية من آيات الله

أن الحواس الجسمية التي يمتلكها الإنسان توصل الى الإحساس بمثل هذه الآية وهي ترتبط بالفكر لان الرؤية البصرية ليست منعزلة عن العملية الفكرية بل هي الطريق لأدراك معنى الآية وتفهم الشيء الدال على ذلك بوعي ويقظة وتفاعل ولذلك ربطها القران بالتفكير تارة وبالفعل تارة وبالعلم تارة أخرى.

وقد فرق القران الكريم بين الآية ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وبين الاية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فالأولى لا تحتاج إلى مزيد نظر بل هي واضحة يستشعرها الإنسان بيسر أما الثانية فهي تحتاج الى مزيد نظر وتأمل فلذلك وصف الذين يمرون عليها **(بانهم يتفكرون)**.

كثيرا ما يجمع القران الكريم بين النعمة والاية في سياق واحد كما هو في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[١].

فالاية الكريمة تعدد انواعا من النعم فمنها النبات الغض الطري المزدان بالحب المتراكب والنخل ذوات العذوق الدانيات والجنات المزدانة بالاعناب والزيتون والرمان وهذا كله مع اتصاله بمنفعة الانسان ووجوده على الارض فهو متصل كذلك بفكره او دلالة بينة على كمال قدرة الله وحكمته وفي ذلك يقول الرازي: (اعلم ان هذا النوع الخامس من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته ووجوه احسانه الى خلقه واعلم ان هذه الدلائل كما انها دلائل فهي ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة

(١) سورة الانعام: الآية ٩٩.

الكلام اذا كان دليلا من بعض الوجوه وكان احسانا من سائر الوجوه كان تاثيره في القلب عظميا)[1]

ان للشجر اصنافا متعددة رغم ان سببها واحد كما في الاية التي مرت اذ عددت اصنافا من الشجر كثير ما بين سنبل ونخل وعنب وزيتون ورمان كلها متسبب عن شيء واحد هو الماء.

وقد عبر القران عن كثرة هذه الاصناف بلفظة (كم) كما عبر عن الاحاطة بها بلفظة (كل) وربط ذلك كله بالاية الدالة على قدرة الله المتصرفة في الكون فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]

ان تشابه الشجرة من ناحية واختلافه من ناحية اخرى اية ولذلك قال تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾وقد مرت بنا الاية الكريمة وهذه الظاهرة جلية واضحة في متشابه الشجر واختلاق في الصفات وان ذلك واضحا امام الحس البشري قال الطبري: (جائز ان يكون مراد اية مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم) [3]، وحكى الطوسي عن الاخفش انه: (يشبه بعضه بعضا الا في المنظر والطعم أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للاخر في نحوه)[4] انتهى.

وقال ابو حيان: (قال قتادة يتشابه في الورق ويختلف في الثمر وقال ابن جريج: متشابهة في المنظر وغير متشابهة في الطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف)[5].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٧- ٨.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٧- ٨.

(٤) الطوسي: التبيان في تفسير القران.

(٥) البحر المحيط: من المصدر نفسه.

وكثيـر هـي الآراء فـي ذلـك فمـنهم مـن قـال بـأن التشـابه فـي أوراق الشـجر والاختلاف في الثمار ومنهم من قال يتشابه القشر والعجم وأما فيها من اللحم والرطوبة فانه يكون مختلفا في الطعم وهكذا فانه ما يراه زيد لا يراه عمر وكل ينظر من زاوية ومنظار وكله يصب في سياق الآية الكريمة.

وكذلك انتقال الثمر من حال إلى حال آية إذ هو يبدأ ضعيفا أول الأمر ثم يصبح قويا زاهرا حين يتم نضجه واكتماله وقد أظهر القران هاتين الحالتين البداية والنهاية فبداية الفاكهة تتباين تباينا واضحا مع نهايتها وهذا يتناسب والآية التي تتسم بالظهور والوضوح كما مر ذلك من قبل كي تدل على ما وراءها من القدرة الإلهية.. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١]، وظهور الحياة وسط المادة التي تبدو وكأنها ميتة آية أخرى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٢].

هنا نلاحظ شيئين متباينين: الجنة التي تبدو وكأنها ميتة لا حياة فيها من جهة والنبات الذي نبت بعد خلقها ينبض بالحياة من جهة أخرى. قال النيسابوري: قوله ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾.. لأنه خلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس أخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الأرض بعد موتها) [٣].

---

(١) سورة الانعام: الآية ١٤١.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩٥.

(٣) النيسابوري في تفسيره:١٩٧/٧.

(ان طبيعة نمو الشجر تلفت الى سياق نمو الشجر فمن الشجرة ما يهوى الهبوط الى أعماق الأرض (الجذور) وأخر تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء ويقتضي معها الصعود الى الهواء والشمس مضاد للجزء الأول. ونرى أن الحس والعقل يشهد بكون طبيعة أحدى هاتين الشجرتين مضاد لطبيعة الشجرة الأخرى علمنا أن ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى الإيجاد والإبداع والتكوين والاختراع) [١].

وسبحان الله الذي جعل الشجرة على جزيئن أحدهما ينتحي انتحاءا موجبا للجاذبية سالبة للهواء والشمس والجزء الأخضر ينتحي انتحاءاً سالباً للجاذبية موجبة للشمس والهواء ويكون بذلك امتداد متعاكس الواحد عن الأخر فالجذور تشق الأرض بعيدا والساق والأوراق تشق عنان السماء بعيدا الى الهواء والضوء.

والكل في سياق منتظم دقيق لامتصاص الماء من التربة نتيجة الفرق بالضغط الازموزي مابين الخلايا وخلايا الشعيرات الجذرية ومابين التربة وعليه ينتقل الماء من الضغط الواطي التركيز المنخفظ في التربية الى الضغط العالي التركيز العالي في الخلايا وهكذا من خلية إلى أخرى حتى يصل إلى أخر الخلايا في أعالي النبات ليوصل الماء والأملاح المذابة فيه وينزل من الأوراق الغذاء المصنوع فيها من عملية التركيب الضوئي الى أنحاء النبات الأخرى لتتغذى عليه علما أن قسم من الأشجار تنزل جذورها الى عشرات الأمتار تحت سطح الأرض وتمتد ساقها الى عشرات الأمتار في الهواء مما يحتاج الى قوة دفع كبيرة جدا لتوصيل الماء من أول خلية في النبات تحت سطح التربة الى أخر الخلايا في الأعالي وسبحان الله القادر الفاعل.

أن أخراج الشجر بمقدار معلوم يتناسب والمنفعة التي تتوخى منه آية:

فالشجر لا يزيد ولا ينقص وبهذا وصفة القران بأنه ((موزون)) وفيه دليل على التناسق في الخلق الدال على الحكمة الإلهية البالغة والقدرة العجيبة التي تعين كل شيء بمقدار وتزن كل موجود بميزان بحيث تتحقق فيه المنفعة التي أرادها الله للعباد.

---

(١) الرازي مفاتيح الطيب: ٩٦/٤.

ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾[1].

قال الطبرسي: (والموزون: المقدر المعلوم وزن بميزان الحكمة وقدر في ابواب المنفعة)[2] وقال الراغب الأصفهاني: (وقيل بل ذلك أشارة الى كل ما أوجده الله تعالى وانه خلقه باعتدال كما قال.

وهكذا يستكمل التصور لدينا كيف نقل الله سبحانه وتعالى الفكر الإنساني من التصور القديم الى الفكر الجديد وبين انه سيد هذه المخلوقات ورئيسها المستفيد منها بهذا (التسخير) الذي اودعه الله فيها فجعلها في خدمة الإنسان دائبة لا تكل ولا تمل ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾[3].

فالله هو الذي خلق عالمنا فسواه تسوية تامة كاملة لاعوج فيها ولا اضطراب ولانقص ولا زيادة بل كل شيء فيه في وضعه الصحيح يؤدي الغرض الذي من أجله خلق فهو الذي ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي قدر لكل حي ما يصلحه مدة بقائه وهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع بما فيه من منفعة له ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ أي أنبته جميعه وما من نبت ينبت إلا وهو يصلح أن يكون مرعى لحيوان ما خلقه الله ليتكيف وذلك المرعى. ثم بعد ذلك انبت النبات ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ والغثاء هو الهشيم أو الهالك البالي. والأحوى الذي يميل لونه الى اللون الأسود.

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ١٩-٢١.

(٢) الطوسي: جوامع الجامع في تفسير القران،ص٢٣٧.

(٣) مفردات القران: (وزن).

وهنا التفاتة علمية نقف عندها ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ أي جعله بعد خضرة يابسة اسود. وهل يوجد نبات أذا جف صار يابسة أسود ؟ لا يوجد فيما نعلم نبات هكذا أذن فكيف أخرج الله تبارك وتعالى المرعى ثم جعله يابسة أسود ؟ كيف ومتى ؟.

ويقول العلماء بعد أن نفكر ونتمعن في الآية ونرجع الى مرجعات الطبيعة والعصور القديمة التي مرت إلا ينطبق هذا كل الانطباق على الفحم الحجري الذي تكون معظمه في حقب الحياة القديمة حينما ظهر النبات غير المزهر والسرخسيات بكثرة عظيمة ثم تراكمت فوقها في بعض الجهات رواسب أخرى فتحولت الى الفحم الحجري مع طول الزمن وارتفاع الضغط والحرارة العالية ! نعم هذا هو الغثاء الأحوى الذي تكلم عنه القرآن الكريم وعلله فأصاب واوجز والله أعلم.

هذا وان علمنا أن الغثاء هو اليابس والحوى من الحوه وهي سواد الى الخضرة أو حمرة الى السواد، وقد كثر كلام العرب حتى سمو كل أسود أحوى [١].

النبات في حياة الأنبياء

آدم عليه السلام

سكن آدم وزوجه الجنة وخرجا منها بسبب أغراء إبليس لهما أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلف له حواء يسكن إليها، وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عينها لهما، ولكن إبليس وسوس لهما بالآكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال لهما: أن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونان خالدين، ولا يقرب الموت والفناء ساحتكما قال تعالى:﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا

(١) لسان العرب.

رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[١]. فأكل آدم وحواء من الشجرة رغم التحذير الثاني الذي حذرهما ربهما من إبليس. فبدت لهما سواءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

ليسترا عوراتهما ويجعلان ورق الشجرة على هيئة الثوب الساتر، فعاقب الله سبحانه آدم على الأكل من الشجرة وطرده هو وحواء من الجنة وطرد إبليس. ثم هدى الله سبحانه آدم واجتباه وبقي في الأرض هو وبنوه الذين اتي بهم من حواء في الأرض[٢].

نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾[٣].

والجنات أول ما يقدح في الذهن أن فيها من الشجرة والخضرة والفاكهة فيكون النبات قد طور الأمر في دعوة نوح عليه السلام لأصحابه بان جعل من خلق الله (النبات) وسيلة للدعوة والأغراء والترغيب الى طاعة الله سبحانه وتعالى فجعله جزاءا من الثواب الدنيوي الجميل الذي ترغب النفس وترتاح له.

(١) سورة الاعراف: الايات ١٩-٢٢.

(٢) النجار: عبد الوهاب، قصص الانبياء.

(٣) سورة نوح: الآيتان ١٠-١٢.

نوح عليه السلام وصناعة السفينة:

ولعل في صناعة السفينة التـي أمر الله بها نوحا أول ما يقدم في الذهن الألواح الخشبية الان السفن تصنع من الخشب في حينها والخشب اللازم لصناعة مثل سفينة نوح يحتاج الى كمية كبيرة. والألواح ضخمة متراصنة منضبطة وهنا ترك لنا القران التصور والخيال الأشجار التي قطعت وصنعت منها الألواح. فكان للنبات دور أساسي في أنقاذ البشرية من المؤمنين ممن تبعوا نوحا عليه السلام. فقصة صناعة السفينة جاءت تذكير البنيان بصورة صحيحة ومختصرة ليبين لنا الله سبحانه وتعالى ما عاناه نوحا في صناعة السفينة من قطع وجمع الأخشاب ثم تصنيعها لتحمل هذا الكم من الخلق.

إبـراهيم عليه السلام

وإبراهيم يذكر انه أسكن من ذريتة هو بواد غير زرع عند بيت الله الحرام. ويدعو الله أن يرزقهم من الثمرات ويحمد الله أن وهب له إسماعيل وأسحق وأمر قوله تعالى في سـورة إبـراهيم:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(١).

فإبراهيم عليه السلام يعرف ما لأهمية الزرع للإنسان التي سيتوطن بقربه وإذا ما وجد الزرع فلا بد لوجود الماء وهذا دليل ضمنـي أن الأرض أو الوادي الذي أسكن إبراهيم ذريته فيه وهو إسماعيل وأمه هاجر لم يكن فيه ماءا وعليه ليس فيه زرع. وكلمة زرع تدل على العموم من جمع النباتات ثم دعا إبراهيم عليه السلام أن يرزقهم من الثمرات. ولكن أي الثمرات هذه ولم يكن هنالك زرع ؟ فهنا تنقلنا الآية في تصور عميق بأن يجعل الله سبحانه وتعالى الماء ثم يخرج الزرع ثم يثمر فيأكلون منه رزقا طيبة.

والدعوة لم تقف عند ثمرات الزرع في الواد المحرم وإنما من ثمرات كل شيء فنحن نرى أن دعوة إبراهيم عليه السلام قائمة الى يومنا هذا وأن الله سبحانه وتعالى قد

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٥.

رزقهم من ثمرات الدنيا جميعها من الزرع ومن معادنها وهم الى يومنا هذا يعيشون في بحبوحة من العيش من أثر دعوة إبراهيم عليه السلام فكان للنبات أثر واضح في حياة إبراهيم وإسماعيل وهاجر والى يومنا هذا.

رحلة إسماعيل وهاجر الى وادي مكة

رحلة إسماعيل وهاجر الى مكة لم تفصل في الكتاب الكريم، ولم يذكر منها فيه سوى قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1]

ويظهر لي أن إبراهيم دعا هذا الدعاء بعد بناء البيت. والوادي الذي لا زرع فيه هو الوادي الذي به مكة اليوم.

ولم يبني بمكة شيء بعد البيت إلا في القرن الثاني قبل الإسلام، في عهد قصي بن كلاب. فأنه بني دار الندوة وتبعته قريش تبني حول المسجد. وكان المسجد ساحة فبنوا حوله وذلك من نحو خمسين ومائة سنة قبل الإسلام[2] ومكة والحرم الذي حولها لا تنبت شجرا يثمر سوى شجر البادية، قال أبن حوقل: وليس بمكة والحرم شجر يثمر إلا شجر البادية أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار[3].

ولقد فصلت مسألة ذهاب إسماعيل عن بلاد أبيه الى فاران في سفر التكوين.

وفي البخاري: عن ابن عباس أن النبي (ﷺ) قال: (أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء ووضعهما هناك ووضع عندهما جرابا

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٥.

(٢) صبح الاعشى: ج٤، ص٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٥.

فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفي إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها؛ فقالت لـه: الله أمرك بهذا ؟ قال نعم، قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ حتى بلغ ((**يشكرون**)). وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش أبنها وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال: يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه. فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها؛ فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي. ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات) قال ابن عباس: قال النبي (ﷺ) (فذلك سعي الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه – تريد نفسها – ثم تسمعت فسمعت أيضا. فقالت قد أسمعت أن كان عندك غوث؛ فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا. وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف) قال ابن عباس: قال النبي (ﷺ) (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينا معينا وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذعن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم – أو أهل بيت من جرهم – مقبلين عن طريق كداء. فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرة عائفا فقالوا أن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلو جريا أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء. فأقبلوا) قال (أم

إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك، فقالت نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا نعم.

قال ابن عباس: قال النبي (ﷺ) (فألفي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس. فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل. يطالع تركته فلم يجد إسماعيل. فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة؛ فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته؛ وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني أن أقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك، قال ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت خرج يبتغي لنا، قال كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله، فقال ما طعامكم ؟ قالت اللحم، قال فما شرابكم ؟ قالت الماء، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء) قال النبي (ﷺ) (ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه) قال (فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه) قال (فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير، قال فأوصاك بشيء ؟ قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال ذاك أبي. وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله. ثم جاء بعد ذلك. وإسماعيل يبرى نبلا له قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل؛ أن الله أمرني بأمر، قال فأصنع ما أمرك ربك، قال وتعينني ؟ قال: وأعينك، قال فان الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها) قال (فعندك ذلك

رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا أرتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم) قال (فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا أنك السميع العليم) وقد قرأت في كتاب من كتب الأدب العبري قريبة من ذلك[١].

يوسف عليه السلام

بعد شيوع الخبر في المدينة واعدت إمرأه العزيز النساء به والخبر هو ما حدثنا القرآن عنه من أن امرآءة العزيز تراود. فاها عن نفسه. ودوى صدى هذا القول في أذن أمرأة العزيز فأخذت في الكيد لهن ليعذرونها ولا يعذلنها..

فأرسلت إليهن واعتدت لهن مكانا يجلفين فيه وقدمت إليهن فاكهة وهو ما يحتاج الى قطع بالسكين وأمرت يوسف أن يخرج عليهن فبهرهن مما له من جمال والهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التي بأيديهن فقطعت أيديهن.. فكان للفاكهة وهي من جنس النبات حضوره في قصة يوسف عليه السلام. ويرجع النبات ليكون له مع يوسف وهو في السجن يدعو لدين الله موقفا متميزا. كان له أثر في تغيير حياة يوسف عليه السلام. أدخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك والثاني رئيس سقاته. فبعد يوم أتاه ص احب شراب الملك وأخبره انه رأى في منامه أنه يعصر خمرة في كأس الملك يتناول العنقود من العنب ويعصره في كأس الملك.

وجاء الخباز وقال له: أني رأيته فوق رأسي طبقة من الخبز والطير يأكل من ذلك الخبز (الخبز مصنوع من النبات). وطلب إليه أن ينبا كل واحد منهما بتأويل ما رأى في منامه.

---

(١) انظر قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار.

ويرجع النبات مرة أخرة ليكون له وقع في حياة يوسف عليه السلام: عندما خرج رئيس الخبازين من السجن وجد الملك قد رأى رؤيا في منامه وطلب من الناس أن يفتوه تذكر رئيس الخبازين يوسف عليه السلام وذكره عند الملك. فلما التقى الملك بيوسف قال له: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾(1) تأكل الخضر فاخبره يوسف بتأويل ذلك: وهو أن مصر يأتي عليها سبع سنين مخصبات تجود الأرض فيها بالغلات الوافرة ثم سبع سنين مجدبة تأتي على المخزون من السنين السبع التي تقدمتها ثم بعد ذلك تأتي أعوام الخصب والرغد. وان عليهم أن يقتصروا في سني الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبلة. حتى أذا حل الجدب وجدوا في اهرائهم ومخازنهم ما يسد الرمق ويمسك الحوبة الى أن يأتي الخصب.

موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٤.

(٢) سورة طه: الآيتان ١٧-١٩.

(٣) سورة النمل: الآية ١٠.

تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾[1].

وهنا يلاحظ في الآية الكريمة تداخل الشجرة مع موقف موسي عندما أراد الله سبحانه أن يكلمه فكان البقعة المباركة من الشجرة وهذا اقتران الطيف مقدس بالمكان والزمان والفعل.

وكذلك عصا موسى أنها من النبات وهي من أحد أنواع الشجر. وكان موسى عليه السلام يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه وكان له فيها مآرب أخرى لم يفصح عنها القرآن الكريم. ونعلم ما لقصة موسى ومعجزته بصلة كبيرة بعصاه لتقديم المعجزة للسحرة وللكافرين ولفرعون نفسه فكانت أكبر معجزة لموسى في عصاه التي من النبات فاقترن النبات مرة أخرى بسلوك موسى اليومي وبأعجاز نبوته من جهة أخرى والقرآن بين ذلك كما أشرنا في السور السابقة. وكذلك قول الله تعالى:﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾[2].

ثم تستمر الآية الى أن تصل﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾[3].

وقال تعالى:﴿ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾[4].

---

(١) سورة القصص: الآيتان ٣٠-٣١.

(٢) سورة الاعراف: الآيتان ١٠٦-١٠٧.

(٣) سورة االاعراف: الآيتان ١١٧-١١٩.

(٤) سورة طه: الآية ٦٩.

وقــال تعــالى: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

وقولــه تعــالى فــي ســورة الشــعراء: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[2].

نجد أن القران الكريم يطلعنا ثانية على مشهد من مشاهد قصة موسى عليه السلام مع فرعون وهو انقلاب البحر وكانت العصا هي المعجزة وكان أمر الله واقع. وظهرت العصا في حياة موسى مع فرعون وسبحان الله الذي جعل السر بهذه العصا وهي قطع من نبات ينجي نبيه من أهل الكفر والطغيان.

وتختم سور الدخان مشهد من أعظم المشاهد ليدخل النبات والزرع والجنات والعيون في قصة موسى مع قومه آل فرعون ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾[3].

في سورة البقرة وقد مررنا عليها اذ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٣٠-٣٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٦٠-٦٦.

(٣) سورة الدخان: الآية ٢١.

ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[1].

وتـرجعنا سـورة الأعـراف الـى عصـا موسـى ثالثـا: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[2].

قصة سليمان عليه السلام والعصا

انه عليه السلام وجد في محرابه، فأدركه الموت وهو جالس متكئ على عصاه فجاءت الأرضة (دابة الأرض) واشتغلت تأكل طرف العصا فأكلت بعضه، فإنهار الجزء من عاما الذي أكلته فأختل توازنه فخر، فدل ذلك أهله على موته.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها عن النبي (ﷺ) قال: كان نبي الله سليمان عليه السلام أذا صلى رأي شجرة بين يديه فيقول لها: ما أسمك؟ فتقول كذا فيقول: أي شيء أنت ؟ فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت – فبينما هو در نيت يصلي ذات يوم رأى شجرة بين يديه فقال لها: ما أسمك؟ قالت الخروب، قال لأي شي أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان عليه السلام: اللهم غم على الجن موتي حتى يعلم لها الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب. فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فاكلتها الأرضة فتبينت الأنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا في العذاب المهين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) سورة الاعراف: الآيتان ١٥٩-١٦٠.

قــال تعــالى:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[1].

قال: وكان أبن عباس كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه أبن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان وفي رفعه غرابه ونكاره. والأقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبي مسلم الخرساني له غرابات وفي بعض حديثه نكاره وقال السدي: في حديثه نكاره.

ومنسأة: هي العصا بلسان أهل الحبشة.

قصة يونس عليه السلام

قــال تعــالى:﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾[2].

أن يونس بعد أن لبث في بطن الحوت ثلاثا وقيل سبعا أو أكثر أو أقل فنبذه في العراء وهو سقيم. وان الله انبت عليه شجرة من يقطين، فلما خرج بها وارتفعت س لط الله عليها حيوانا قارضا فأكل أصلها ولفحتها ريح السموم فذوت وشقت ذلك على نفسه، فافهمه الله أنه قد ناله الأسف على يقطينة ليس لها شأن وقد أهتم بها. أفلا يهتم الله تعالى ويوجه عنايته الى قرية فيها أكثر من مائة ألف يريد أنقاذهم من ضلالهم ويقيهم نزول الغضب بهم ثم أرسل إليهم فامنوا. ومن هنا بين الآية والقصة علاقة يونس

(١) سورة سبأ: الآية ١٤.

(٢) سورة الصافات: الآيتان ١٣٩-١٤٦.

بالنبات وبالذات شجرة اليقطين التـي تكلمنا عنه وعن فوائده وقصـة مريم قد ذكرها فـي الحديث عن النخل والرطب.

قصة أيوب عليه السلام

قصـة أيوب قال تعـالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(١)].

حلف أيوب فـي مرضـه (أقسم يمينـأ) ليضـربن امرأتـه مائـه سـوط إذا بـرئ مـن مرضه لأنها ذهبت في بعض المهمات فأبطات عليه، ولما كانت إمراته حسنة الخدمة له فقد حل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، وذلك بأن أمره يأخذ حزمة صغيرة من حشيش أو عيدان أو غير ذلك ويضربها ضربه واحدة ويكون هذا بمنزله الضرب بمائه سوط فيتحلل من قسمة وهذا الفرج والمخرج لمن إتقى الله وأطاعـه ولاسيما فـي حق امرأته الصابرة الصديقة الباره[(٢)] فالضـغث هو حزمة من الريحان أو العشب أو العيدان الصغيرة [(٣)].

قصة شعيب عليه السلام

ذكر شعيب في القرآن الكريم عشرات المرات وهي في سورة الأعراف في الآيات:

٨٥–٨٨–٩٠–٩٢ وفـي سـورة هـود فـي الآيـات ٨٤–٨٧–٩٠–٩٠ وفـي الآيـة ١٧٧ من سورة الشعراء وفي الآية ٣٦ من سورة العنكبوت.

---

(١) سورة ص: الآية ٤٤.

(٢) (مع الانبيـاء فـي القران الكريم)،عفيف عبد الفتـاح طيـارة، قصـص الانبيـاء، عبد الوهـاب النجار، ص٢١١.

(٣) وحدانيـة الله تتجلـى فـي وحـدة مخلوقاتـه........ دنيـا النبـات ص ٣٢٩–٣٤٠ سـنبل – سنبلة.

قوم شعيب من شعب مدين بن إبراهيم عليه السلام. كانوا أهل تجارة وكانوا مشركين ويفعلون الشرور ولا يكفون. ومن أبرز هذا كانوا يطففون المكيال والميزان، وبما كسون الناس في سلعهم أراده شرائها بثمن بخس. وقد عادوا دعوة نبيهم شعيب أشد العداء ويتوعدون من آمن مع شعيب(١).

أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم عذاب يوم الظلة بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت مياههم، ثم ساق عليهم غمامه ما جتمعوا للاستظل بها من وهج الشمس فأمطرت عليهم نارا ماحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوم شعيب هم أصحاب الأيكة التي هي موضع بحثنا وكما قلنا هو الشجر الكثيف الأخضر. إقرأ من سورة الشعراء قوله تعالى:﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

(١) أنظر قصص الأنبياء بعد الوهاب النجاح وعفيف طيارة.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٧٦-١٩١.

كان زمن شعيب قبل زمن موسى عليه السلام، فإن الله جل ذكره لما ذكر نوما ثم هودا ثم صالحا ثم لوطا ثم شعيبة قال:﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾(1).

وكذلك فـي سورة يونس بعد أن ذكرهم قال:﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾(2)وكذلك ورد ذلك في سورة الحج وسورة هود وفي سورة العنكبوت(3).

واستمر شعيب عليه السلام ينهاهم عن عبادة ما كان آباءهم يعيدون من دون الله وكيف يأمرهم بالعدل فـي الكيل والميزان، إلا أنهم عابوا عليه صلاته وعبادته ودعوته، فأخذتهم الرجفة وهي الزلزال فبادوا كان لم يغنوا فيها. وهذا العذاب كان لأهل المدين.

ثم أرسله الله سبحانه بعد أن نجاه ومن آمن معه الى أصحاب الأيكة – وهي غيضة تنبت ناعم الشجر كانت بقرب مدين تسكنها طائفة من عباد الله، قبل كانوا بادية مدين، وكان شعيب أجنبية منهم، وكانوا على مثل أهل طريقة أهل مدين فلما نهاهم عماهم فيه قالوا:﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾(4) وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾(5)

وطلبوا من شعيب أن ينزل عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين. وكما ذكرنا أهلكوا بيوم الظلة. وقد ذكرت قصة أصحاب الأيكة في أكثر من موضع في بحثنا هذا.

---

(1) سورة الاعراف: الآية ١٠٣.

(2) سورة يونس: الآية ٧٥.

(3) قصص الانبياء عبد الوهاب النجار،ص٦٤٩.

(4) سورة الشعراء: الآية ١٥٣.

(5)سورة الشعراء: الآية ١٨٦.

الفصل الثاني

الباب الثاني

النبات والمثل في القران الكريم

- المدخل.
- المثل في الاصطلاح.
- آيات المثل القرآنـي والنبات.
- الإنسان بـين يدي المثل القرآنـي.

أ- المؤمنون.

ب- الكافرون.

ج- المنافقون وأهل الكتاب.

- الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.
- الحياة الدنـيا في المثل والنبات.
- البر وسبل الإيثار في المثل والنبات.
- المثل في قصص الغابرين.

المدخل

لقد أورد القرآن الكريم أمثلة في الكثير من المفاصل ونوع فيها وفي توصيفها وسياقها اللغوي فجاء ذلك بـ:١- الشبه. ٢- المثل (بالكسر). ٣- الصفة. ٤ - العبرة والحجة والآية والحديث. ٥- المثال (الحذر والشاخص) [١].

المثل في الاصطلاح

صورة حية ماثلة المشهد واقعي أو متخيل مرسومة بكلمات معبرة موجزة يؤتى بها غالبا لتقريب ما يضرب له من طريق الاستعارة أو الكناية أو التشبيه مع ملاحظة بعض الشروط:

الأول: وجود علاقة متشابهة بين الحالتين. الأولى والثانية.

الثاني: السير والتداول بين الناس.

الثالث: عدم التغيير في لفظة الموضوع له [٢].

آيات المثل القرآني والنبات

١. ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ.... ﴾[٣]

٢. ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتًا مِّنۡ... ﴾[٤]

---

(١)الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز.

(٢)المصدر نفسه.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

٣. ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن...﴾ (١)

٤.﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا...﴾ (٢)

٥.﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ...﴾ (٣)

٦.﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ...﴾(٤)

٧.﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا...﴾ (٥)

٨.﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا...﴾ (٦)

٩.﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى...﴾(٧)

١٠.﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...﴾ (٨)

١١.﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ...﴾ (٩)

١٢.﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ... ﴾ (١٠)

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٥٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٤.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٦) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٧) سورة ابراهيم: الآية ١٨.

(٨) سورة ابراهيم: الآية ٢٤.

(٩) سورة الكهف: الآية ٣٢.

(١٠) سورة الكهف: الآية ٤٥.

١٣.﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ...﴾ (١)

١٤.﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ... ﴾ (٢)

١٥.﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ...﴾ (٣)

١٦.﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ...﴾ (٤)

الإنسان بين يدي المثل القرآني

حديث الإنسان بين يدي المثل القرآني يشمل ثلاث طبقات: طبقة ص دقت وأذعنت للدين الجديد، وطبقة كذبت وجانبت الدعوة، وثالثة تارجحت بين التظاهر بالإيمان والتصديق، واستبطان الكفر والمروق. وهذه الطبقات هي على التوالي:

أ- المؤمنون. ب – الكافرون. ج – المنافقون.

وهذا أمر طبيعي يقوم إزاء كل دعوة جديدة وتغيير شامل في العادات والنظم والمقاييس إذ لابد أن تتبلور اتجاهات متضاربة في مثل هذه الأحداث، مؤمن بها، جاحد بها، ومتزلزل بالموقف تجاهها وقد عني المثل القرآني بهذه الأصناف الثلاثة من الناس عناية خاصة واهتماما متميزا وهذا الاهتمام يفسر لنا هدف المثل في تركيز مهمته في الاصلاح والهداية وهو في مقام التبشير للمؤمنين ونفسه في مجال الإنذار للكافرين والتحذير للمنافقين.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٠.

أ- **المؤمنون:**

وأول المؤمنـين هـو قائـدهم:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1].

محمد رسول الله وكفى وهذه الحقيقة لا تقبل الجدل ولا تحتم أطالة الوقوف عندها فتحولت الآية الكريمة الى صفات صحابته النفسية والعلمية بحكم صياغة النبي (صلى الله عليه وسلم) لها صياغة اقتضتها طبيعة رسالته، ثم محاولة استكمالها بما ضرب لهم من أمثال، فحدد موقفهم من الكفرة وموقفهم حيال أنفسهم ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، ووعد الله بالمغفرة والأجر العظيم وهو مشهد متأنق يحمل إلينا في أناة وتريث ويكتب أبرز الملامح لجماعة الرسول الأعظم (ﷺ) وقد ثبت أصولها القويمة بما يلي: أولا: التركيب الخلقي:

فهم أشداء على الكفار يحملون الغلظة في الطباع والجدية في التصرف والثبات على المبدأ في معاداة خصماء الدين وفيهم الأباء والأبناء والأخوان والأرحام.

وهم على النقيض من ذلك عندما يكونون مع أخوانهم في الدين فهم مثال اللين والشفقة والتودد وهذه ليست صفات ثابتة لا تقبل التكليف بل على العكس تماما فمن كانوا معه أشداء سيعودون معه رحماء لو أسلم ومن كانوا معه رحماء سيكونون معه أشداء لو أرتد. ثانيا: الواقع العقائدي:

وهو حديث النفس والنية وهم بعد يبتغون فضل الله ويحرصون من أعماقهم على رضوان الله متجردين عن عوامل الطمع ودوافع الأثرة ومظاهر الرياء.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

فلا شغل إلا في ذات الله ولا أمل إلا عند الله ولا رضوان إلا في رحاب الله. ثالثا:الحالة التعبدية

وهي تستند إلى أرقى درجات العبادة (ويخص فيها الصلاة) فهم ركع سجد بهذه الصيغة مبالغة في عبادتهم، فالصلاة معراج المؤمنين. رابعا: التمثيل الحسي:

وفيه جانبان، تمثيل بما هو مرئي محسوس في ملامحهم وتمثيل بما هو مدرك من مظاهر الطبيعة لتازرهم وتكاثرهم فالأول فيتعهد بوصفه التوراة والثاني فيتعهد الإنجيل بتصويره فهم في تكامل مجموعتهم وتكافل أفرادهم ووحدة صفهم كالزرع القوي المتفرع المتشابك يشد بعضه بعضا ويلائم صغيرة كبيرة حتى يتضخم ويعجب الناظرين مستقيما دون انحناء سويا بلا اعوجاج قويا ثابتا متطاولا يغيظ الكافرين ويضفي السرور على المؤمنين فهو نبتة الله. خامسا: التكريم في الجزاء:

وتأتي صفته بوعد الله الصادق وجزائه المرتقب وعطائه الذي لا ينفذ للذين أمنوا وعملوا الصالحات منهم المغفرة وما أروعها والأجر العظيم وقد أستعظمه أعظم العظماء فكل وصف له قليل وكل حديث عنه لا يعطيه حقه.

بهذا الشكل الموجز يتحدث القرآن في أمثاله عن المؤمنين أما فوزهم بالنعيم وأما منزلتهم في الدنيا وعند الله ففي الموازنة بين القوى الخيرة والقوى الشريرة ليفرغ المثل الإشباع موضوع الكافرين في عناصره المتشابكة وسنأتي على تفسير هذه الآيات من سورة الفتح.

ب – الكافرون:

والحديث عن الكافرين في المثل القرآني يستقطب أصناف الكافرين من مشركين ومعاندين ومكذبين ويطيل معهم الحجج والمناقشة ويثير التساؤلات والاعتراضات ويدلي بالأدلة تباعا على بطلان عقائدهم ويضرب الأمثلة على فساد أمثلتهم.

وتتلاحق الأمثال في خضم المقارنات بين الفريقين (المؤمنون والكافرين) فتلمس البعد الرمزي والحسي الاستعاري يعتنقان في تقرير حقيقة هؤلاء وحقيقة هؤلاء في قوله

تعـــــــالى:﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾(١).

فالتربة الصالحة ذات عطاء صالح وموزونة والتربة الخبيثة ذات عسر ومرارة وصعوبة وكذلك شأن المؤمن وحديث الكافر فالأول مثله الأرض الطيبة و عمرانها والثاني مسباخ الأرض وغامرها. تخرج التربة الصالحة نباتها وغلتها بيسر وسلامة وتتعسر الأرض الخبيثة بالإخراج ولا يكون قطفها إلا نكدا. وضرب الله من بين الحق والباطل فقال تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾(٢).

قال الزمخشري: "هذا مثل ضرب الله للحق وأهله والباطل وحزبه وكما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور، والظل والحرور مثلا لهما، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع فتبقى أثارة في العيون والجيوب كما تبقى في الثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنه طويلة.

وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزيد السيل الذي يرمي به، ويزيد الذي يطفو فوقه أذا أذيب"(٣).

كذلك ضرب الله مثلا أخر جديد يصور حقيقة الإيمان ومعتنقه وحقيقة الكفر ومقترفه بكلمتين طيبة وخبيثة مثلهما بشجرتين من جنسهما فقال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٥٨.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٣) الزمخشري: الكشاف ٥/٥٢٣.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[١].

ج – المنافقون وأهل الكتاب:

يرتبط المنافقون وأهل الكتاب بأكثر من مخلط واحد تشدهم أواصر الكيد للدين الجديد دين الإسلام) وتجمعهم– وحدة الهدف في مقاومة الجماعة الإسلامية. فالفريقان يبطنان النفاق ويبرزان الإيمان، وأن افترقا شدة وضعفا فهناك ما أنفرد به المنافقون بالتمثيل وهناك ما أنفرد به أهل الكتاب، وهناك ما انفرد في التنظير له بين الاثنين فهو لهؤلاء وهؤلاء والنفاق بعد هذا شامل يعم أهل الكتاب وغيرهم ويستوعب أهل الأهواء بأشتات هوياتهم فقد حمل أبو الأعلى المودودي توجيه الكلام بأية النور ومثلها في قوله:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... ﴾ [٢].

على المنافقين تعبيرا عن عدم استفادتهم بهذا النور الهادي (فكانوا على دعواهم للإيمان لا يستفيدون قليلا ولا كثيرة بذلك النور الذي كان قد بزغ في العالم بسبب القران ومحمد(ﷺ) فالذي قد قيل في هذه الآية من المنافقين بدون أن يكون الخطاب لهم قد اريدت به ثلاث أمور:

الأول: أن يذكروا لعل الذكرى تنفعهم.

الثاني: أن يبين الفرق بكل إيضاح بين الإيمان والنفاق حتى لا يتعسر على احد له مسحة من العقل أن يميز بين المؤمنين والمنافقين.

ثالثا: أن ينبه المنافقين على أن الوعود التي قطعها الله تعالى للمؤمنين في كتابه أنما هي اللذين يؤمنون بصدق قلوبهم وينجزون مقتضيات إيمانهم) [٣].

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٤.

(٢) سورة نور: الآية ٣٥.

(٣) المودودي: أبو الأعلى، تفسير سورة النور ص٢٢٨ وما بعدها.

والحق أن مضامين آية النور تتحمل هذا التوجيه لأنها في بيان عظمة الله وقدرته وسيطرته على الكون فهو نور السموات والأرض وهاديها ومزينها بالأنبياء والدعاة وإضافة النور لذاته الشريفة لهذا النور وشدة تأثيره فجمع الى نوره نور الهدى ونور التوحيد ليهدي بهما لدينه من يشاء من عباده أما النافقون فقد لمحوا هذا النور وابتعدوا عنه وهنا تتجلى أهمية الصورة الفنية في تحميل الألفاظ أكثر من المعنى الظاهر لها.

النور هنا يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية فالعرض الإلهي لهذه الشجرة جاء ملفتا للإحساس البشري أي تعظيم النور وقوته وأتساعه ليصل بنا إلى التصور الأقرب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ ﴾.

أن البركة عندما تعم يكثر الخير في الدنيا والآخرة فبركة الله سبحانه في الزرع والرزق يضاعفها أضعافا كثيرة يجعل الإنسان في نعمة واضحة وحياة ناعمة كريمة فكما أن الربح الوفير جاء بسهولة ويسر وبركة في الزراعة وجعل صاحبها يعيش عيشة رغيدة مباركة هنيئة كذلك المسلم عندما يقدم حسنة لوجه الله سبحانه وتعالى فهو يربيها عنده أضعافا كثيرة مثل هذه الجنة المباركة فتكون إلى سبعمائة ضعف ويضاعف الله لمن يشاء أضعافا كثيرة بلا حدود ولا قيود ومن جاء الإخلاص في النية في السل الله سبحانه وتعالى وجاء ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ ولرؤية هذا بالمشاهدة والإحساس و بركة الحسنات ومضاعفتها ليحثنا الله سبحانه وتعالى على عمل الخير والإحسان والبر والتقوى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ ﴾.

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

أن الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في القران الكريم يلفت الإحساس وينظر الى المثل والتشبيه وهو أعجاز بحد ذاته والتشبيه بالنبات كان واضحا وقد أخذ حيزا كبيرا في المثل والقصة القرآنية فكل الكلام يقسم الى طيب وخبيث فالأشجار تقسم الى طيبة وأشجار خبيثة.

وأعطى الله سبحانه وتعالى شكل الشجرة الطيبة بأنها ثابتة راسخة لا تتأثر بعوامل البيئة القاسية والتأثيرات الخارجية فهي تستمد غذائها وماءها من الأعماق التي توفرت فيها المياه الجوفية وهي ثابتة راسخة لا تقلعها ريح الأعاصير وفرعها قد مد عنانه الى السماء بثقة وجمال يتطلع بخشوع الى نور الله سبحانه وتعالى والى ضوء الشمس والهواء الصافي لينال منه حصته العظيمة باطمئنان وهدوء وبتناسق عجيب مع رسوخ الجذور في أعماق الأرض وهكذا فكل ما يكون شامخة ثابتة لابد أن يكون له أساس قوي ثابت رصين مدعوم بالدليل والبرهان وكذلك الكلمة الطيبة.

أما الشجرة الخبيثة فهي على العكس بالضبط ليس لها أساس ثابت وهي واهية مريضة تتأثر بأدنى العوامل البيئية والرياح وكونها غير راسخة فهي قد اجتثت من سطح الأرض تذروها الرياح وتلعب فيها عناصر الطبيعة كيفما حطت واستدارت فهي لا تقف على قرار وتتبدل من حين الى حين وتتلون بتلون العاديات كالكلمة الخبيثة ينطقها صاحبها لا أساس لها من الصحة والدليل والبرهان والأصل فهي مع ما تخرج من فمه تذروها الرياح فلا تجد لها استقرار، ولا ركزة أمنا فهي تتلاطمها الرياح والأمواج في قطع من الليل المظلم القارص البرد الشديد الريح.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٤-٢٦.

الحياة الدنيا في المثل والنبات

قـــال تعـــالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ...﴾(١).

وهذا التخيل يصور لنا المناخ الحقيقي لأمر الدنيا في ساعة ازدهاره ولمحة اختفائه فهو يجمع بين الحياة القائمة والدنيا المتلاشية ويمثل لنا حقيقة الوجود في تكامله وحقيقة العدم في اضمحلاله ومع هذا القيام ونهايته العدم كأنما لم تلبث إلا ريثما يهبط المطر من السماء فيمتزج بنبات الأرض وإذا بالنعيم المستعار قد أنقضى ورفع القلم وحان الحساب. أشار الفخر الرازي بقوله: (لعله تعالى أنما ضرب هذا المثل لمن لا يؤمن بالميعاد وذلك لانا نرى الزرع الذي قد انتهى إلى الغاية القصوى في التربية قد بلغ الغاية في الزينة والحسن، ثم يعرض للأرض المتزينة به آفة فيزول ذلك الحسن بالكلية ثم تصير تلك الأرض مرصوفة بتلك الزينة مرة أخرى، فذكر هذا المثال ليدل على أن من قدر على ذلك فأنه قادر على أعادة الحياة في الآخرة(٢).

في مجال التصوير للحياة الدنيا قال تعالى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٣).

يقرب الله سبحانه وتعالى انطواء مسيرة الحياة وسرعة فنائها وعاقبة أمرها – تزهيدا بالحياة الدنيا وترغيبا بالآخرة – بماء نزل خاطفة فما سال ولا تجمع ولا انتشر ولا استقر، أمتزج بالتربة خطفا، ومسح وجه الأرض مسحا، فما ربت التربة ولا اهتز

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٤-٢٦.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب ٨٢٩/٤

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.

النبت ولا ازدهرت الأرض. بل الصورة على العكس من كون النبات أصبح منكسرة فتات تتناقله الريح من موضع الى موضوع.

ضرب تبارك وتعالى مثلا الزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله في الأرض بماء انزل من السماء مما يأكل الناس من زرع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك **(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها)**. أي زينتها الفانية وازينت أي جنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان **(وظن أهلها)** الذين رعوها وغرسوها **(أنهم قادرون عليها)** أي على جذاذها وحصادها وفيما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة اوريح شديدة باردة فايبست أوراقها وأتلفت ثمارها ولهذا قال وأتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدة. أي يابسة بعد الخضرة والنضارة. وقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير آية من كتابة العزيز[1].

ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها حين يرضون بها ويقفون عندها ولا يتطلعون فيها إلى ما هو أكرم وأبقي هذا هو الماء ينزل من السماء وهذا النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر وها هي ذي الأرض كأنها عروس تتزين لعرس وتتبرج وأهلها مزهوة بها يظنون أنها بجهدهم ازدهرت وبإرادتهم تزينت وأنهم أصحاب الأمر فيها لا يغيرها عليهم مغير لا ينازعهم فيها منازع. وبعد هذا الاطمئنان والفرح الملمح **(أتاها أمرنا ليلا...)** في رمضة، وفي جملة، وفي خطفة. وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصيب والزينة والاطمئنان.

هذه هي الدنيا لا أمن فيها ولا استقرار ولا اطمئنان ولا ثبات ولا يملك الناس من أمرنا شيئا إلا بمقدار[2].

---

(١) ابن كثير:ج٢ ص٢١٤.

(٢) قطب، السيد: في ظلال القران، م٤،ص١٣٦.

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾[1].

وهنا يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم وضرب مثل الحياة الدنيا للناس في زوالها وفنائها وانقضائها مثلا مشابها﴿ كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي ما فيها من نبات علاه الزهو والنور والنضرة ثم بعد هذا كله أصبح هشيمة يابسة ﴿ تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴾ أي تفرقه وتضربه ذات اليمين وذات الشمال. وكثيرا ما يضرب الله الأمثال من هذا النوع كما لاحظنا ذلك في سورة يونس ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾[2].

وكذلك قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3]. وقال في سورة الحديد ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[4]

(١) سورة الكهف: الآية ٤٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٢.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢١.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٠.

وفي الحديث ((الدنيا خضرة حلوة)) وقوله تعالى ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١).

هذا المشهد يعرض قصيرة خاطفة ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض والنبات لا ينمو ولا ينضج لكنه يصبح هشيما تذروه الرياح وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ فما أقصرها حياة وما أهوانها حياة(٢).

وهنا التفاتة لكلمة الاختلاط في الآية الكريمة فالله سبحانه يقول ((اختلط به نبات الأرض)) حيث أن الماء النازل من السماء بعد سقوطه على الأرض وعلى النبات فأن النبات سيقوم بامتصاص ما يحتاجه من هذا الماء فيدخل الماء في داخل النبات بشكل متأين مع الأملاح الذائبة فيه وهكذا يدخل في تركيب الخلية نفسها وبجميع أنحائها فيختلط اختلاطا كاملا الجميع أجزاء النبات وتركيبه وجزئياته وقد سبق في بحث الماء أن ذكرنا بأن الماء يدخل في جميع التراكيب الكيمياوية العضوية والحياتية للنبات والحيوان﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وهكذا نجد أن القران الكريم في أكثر من موضع يضع النبات والجنات والعيون مثلا للحياة ومثلا للأعمال. قال تعالى في سورة الكهف:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (٣).

---

(١) ابن كثير: ج٣، ص٨٥.

(٢) قطب، السيد: في ظلال القران،م٥،ص٦٩.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٢.

فنجد أن النفس البشرية في كثير من حالات الغطرسة والتكبر تجد في الحياة الدنيا وزينتها نوع من التعال والتفاخر والتكاثر والجاه والسلطان لان ذلك ينبع من مصدر القوة والتجهيز والطغيان وهكذا في أعطاء مثلا للمشركين المستكبرين عن مجاملة الضعفاء المساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وإحسانهم فجاء هذا المثل مطابقة لحالهم وخاضعا لأمرهم ومقربة ذلك لخيال الناس وذهنهم.

ومن هنا يظهر لنا التمثيل في الآيتين عن قصر الحياة وتناهي ملذاتها من ذاك الابتهاج والتزخرف الى هذا الحطام والجفاف.

ويمتد التصوير بنا إلى واقع الحياة الدنيا ويبرز ظاهرة التنافس والتطاول فيها ويكشف طبيعة التفاخر والتكاثر بين أهلها. قال تعالى:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾[1].

والأساليب في التمثيل متقاربة ومترابطة بما سبق التعبير عنه بالنبات الذي عليه الأمل فيصاب بأفة فتجف جذوره ويصفر جذعه وأوراقه ينتهي عطاءه ليصبح هشيما متطايرا في.. مهب الريح. وللاستصغار من الحياة الدنيا فجعلها كلعب الصبيان ولهو يستهوي النفوس ولا

ينتهي بطائل، وزينة باهتة مصيرها الزوال وهي تفاخر بالإحسان والأنساب والرتب والألقاب، وتكاثر بالأموال والأولاد.

ومن بعد انتهاء وفناء الدنيا يكتنفها عاملان متقابلان: عذاب شديد لمن أغتر بهذه الدنيا ومغفرة ورضوان لمن سعى للآخرة سعيها وأدى حقها باقتران قوله بعمله. وهكذا يتجلى لنا أن الدنيا مزرعة الآخرة وطريق قد يوصل الى العذاب أو يوصل الى مغفرة والرضوان، فالله سبحانه وتعالى أمر بالعمل في هذه لهذه والجميع بين هذه وهذه وحسبنا قوله:﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ.... ﴾[2] صدق الله

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٧.

البر والأنفاق وسبل الإيثار في المثل والنبات

المشكلة الاقتصادية في المجتمعات عامة تأخذ الصدارة بالمعالجة ومنها مشكلة الفقر والبطالة فجعل الله سبحانه وتعالى حلولا لهذه المشكلة وجعله محببا إلى النفوس وهو الأنفاق وأعمال البر وسبل الإيثار وهذا من أبر الطرق التي يتواسى به الناس.

أمتاز المثل القرآني للأنفاق بقصد القرية المطلق وأراد وجه الله سبحانه. لا رياء وظهورا أمام الناس ولا أذي يلحق الناس البؤساء فالأول له مكانه القبول عند الله والبغض هو حصيلة الحالة الثانية.

أنظر إلى نداء البر والأنفاق وهدير المضاعفة عليه والوعد بالحسنى. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ... ﴾[1].

فتمثيله بالذرة الصالحة في التربة الطيبة التي تنتج اضعافها ليعطي للقارئ مشهدا مقربا ومحببا اليه وهو الانتاج الغزير والربح الوفير والتحصيل العالي والبركة العظيمة فهو امر المضاعفة غير المشروط لانها مقترنة بعطاء الله الكريم الذي يتجاوز الحدود والتقرير.

ومحببة إليه وهو الإنتاج الغزير والربح الوفير والتحصيل العالي والبركة العظيمة فهو أمر المضاعفة غير المشروط لأنها مقترنة بعطاء الله الكريم الذي يتجاوز الحدود والتقرير.

أما الصورة الثانية فصورة القربى ابتغاء مرضاة الله ووضع الشيء في موضعه تثبيتا للنفوس واطمئنانة بالعاقبة، وكسبا للرضوان. قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾ [2]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

فمثل أنفاق هؤلاء وبرهم كمثل جنة فيحاء في مرتفع من المكان، ونشر من الأرض، بهي المنظر زاهي الثمر فهو قد اجتمعت جميع عوامل الإثبات الجيد عليه من تعرضه للهواء الطلق والشمس المضيئة الدافئة مع جودة التربة وحسن الموقع والمطر الغزير في وابلة فإن لم يصبها وابل فطل وهو المطر الخفيف ويقول سيد قطب: (هي في هذه المرة كالجنة لا كحفنة من التراب، وإذا كانت حفنة التراب هناك على وجه صفوان، فالجنة هنا فوق ربوة، وهكذا هو الوابل مشتركة بين الحالتين، ولكنه في الحالة الأولى يمحو ويمحق، في الحالة الثانية يربي ويخصب، في الحالة الأولى يصيب الصفوان، فيكش عن وجه كالح كالأذى، وفي الحالة الثانية يصيب الجنة فيمتزج بالتربة ويخرج أكلا) [(١)].

قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(٢)].

قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [(٣)].

وقال تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ

(١) قطب، السيد: التصوير الفني في القران، ص٣٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

في الآية الكريمة الأولى ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ ﴾ هذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فأن هذا فيه أشارة الى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع. الأمام أحمد عن أبن مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله (ﷺ) (لتاتين يوم القيامة بسمعمائة ناقة مخطومة) رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن مهران[2].

أن الدستور لا يبدأ بالغرض والتكليف أنما يبدأ بالحصر والتأليف.. أنه يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني كله.. أنه يعرض ص ورة الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة: صور الزرع هبة الله أو هبة الأرض الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه ويهب غلاته مضاعفة بالقياس الى بذوره يعرض هذه الصورة الموجبة مثلا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله.

أن المعنى الذهني للتعبير ينتهي الى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة الى سبعمائة حبة. أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل، وأكثر استجاشة للمشاعر وتأثيرا في الضمائر أنه مشهد الحياة النامية. مشهد الطبيعة الجنة. مشهد الزراعة الواهبة. ثم مشهد العجيبة في عالم النبات: العود الذي يحمل سبع سنابل. والسنبلة التي تحوي مئة حبة.

وفي مركب الحياة النامية الواهبة يتجه بالضمير البشري الى البذل والطاء أنه لا يعطي بل يأخذ وأنه لا ينقص بل يزاد.. وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها)[3].

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٢) أبن كثير: المجلد الأول: ص ٣٧٩.

(٣) قطب: سيد: في ظلال القران ج٢ ص٥٢.

أن الجنة تعطي عطاءا وهبة كبيرة إلا انه حبة القمح الواحدة قد اشتركت معها في العطاء الشمس والهواء والماء والتربة وهذه كلها ليست بمقدور الإنسان الذي زرع الحبة ليحصد الحاصل والهبة وعليه فأذا أعطى الإنسان من ماله فليس له فيه شيء فأنه مال الله وهبة الله وإذا أسلف حسنة فإنما هي قرض له يضاعفه له أضعافا كثيرة.

قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ...﴾ [1].

وهذا مثل المؤمنين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك **(وتثبيتة من أنفسهم)** أي أنهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء.: وقوله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾ أي كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد أبن عباس والضحاك وتجري فيه الأنهار وقوله ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ وهو المطر الشديد كما تقدم فأتت **(أكلها)** أي ثمرتها **(ضعفين)** أي بالنسبة الى غيرها من الجنات ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أي هذه الجنة وهذه الربوة لا تحمل أبدا لأنها أن لم يصبها وابل فطل وأياما كان فهو كسبها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدا يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال ﴿ إِنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي لا يخفى عليه من عباده شيء[2].

(أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد... فقلب عامر بالإيمان، ندى بشاشته، ينفق ماله ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير، نابعة من الإيمان، عميقة الجذور في الضمير.. وإذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب، فالقلب المؤمن تمثله جنة، جنة خصبة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

(٢) ابن كثير: ج١،ص٣١٩.

عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنة تقدم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنه التراب ! ليكون المنظر متناسق الأشكال ! فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها) [1].

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2].

هذه الصدقة في أجلها وفي أثارها تمثل في عالم المحسوسات. أنها ظليلة وارفة خصبة مثمرة.. وكذلك الصدقة في طبيعتها وفي أثارها كذلك هي حياة المعطي والأخذ وحياة الجماعة الإنسانية كذلك هي ذات روح وظل، وذات خير وبركة، وذات غذاء وري، وذات زكاة ونماء، فمن يود أن تكون له هذه الجنة.. أو هذه الجنة.. ثم يرسل عليها المن والأذي يمحقها محقا كما يمحق الجنة الإعصار فيه نار أن جميع المشاهد السابقة تعرض في محيط متجانس. محيط زراعي حبة انبتت سبع سنابل. صفوان عليه تراب فأصابه وابل.

جنة بربوة فاتت أكلها ضعفين. جنة من نخيل وأعناب... حتى الوابل والطل والإعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير.

(١) قطب: سيد:في ظلال القران، ج٢،ص٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(1).

كذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه.

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾أي برد شديد وقال عطاء برد وجليد وعن ابن عباس وفيها صر أي نار وهو يرجع الى الأول فأن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء النار.

أما الصورة الأخرى للأنفاق، وهو ما كان في سبيل اللذائذ الفانية المحرقة أو في عداء الرسول الأعظم (ﷺ) والدين الإسلامي الحنيف، وهو أنفاق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فهو لا يسمن ولا يغني من جوع شيئا قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(2).

ويأتي تصوير المال الطائر، والتحويلات المادية التي منحها الله لعباده لتنفق في مرضاته وطاعته، فضل أصحابها الطريق، وقد صهرها إعصار ناري هائل فقال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ... ﴾ (3).فهي الحسرة الكبرى والفداحة العظمى ولات ساعة مندم أن تعود جنته قاعا صفصفا حين احتياجه لها، وعند الكبر وهي حالة الضعف البشري وترعرع الأطفال وهم ضعفاء لا يقدرون على شيء، ومع الوهن والضعف يأتي المارد الكبير، الإعصار الحارق بلهيبه توهج النار المحرقة، فتعود ثمارها هباء كان لم تغن بالأمس، وهكذا حال الدنيا بعد أن انقطعت

---

(1) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(2) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

(3) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

عاد كل شيء عنه صفر اليدين يقلب كفيه مما أصابه وندما على ما أحاط به وبما جمع وحصل وتباهي وتكاثر فالكل أدراج الرياح والإعصار.

المثل في قصص الغابرين

في الحديث القرآني أعطاء المثل عن الغابرين وتصويره لأهم جوانب أثارته، دقة في التعبير وضرب من التجديد المشوق، فهو يأخذ جمال العبرة ومظنة الغرض، فهو يقرب عنصر النظر والتأمل والإدراك واتاح للفكر الراصد للنفس الفطنة، ولذوي الألباب الاعتبار. وفي حديث صاحب الجنتين وصاحبه، أهتمام بالعلاقات بين فرد و فرد، وصديق وصديق، وأخ وأخ، إن ضل أحدهما أرشده الآخر، وأن جحد أولهما ذكره الثاني وفي هذا كشف لنبات قرين السوء من الجليس الصالح. قال تعالى:﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ... ﴾[1].

وهذه المرحلة تبرز من أمر الرجلين غنى أحدهما وفقر الآخر، وتضرب نموذجا لما عليه الأول من الجنتين وهما البستانان العظيمان، وما أكتنف الجنتين من شجر وثمر ونخيل حين أصبح منظرها أخذا بمجاميع القلوب والأبصار وهما قد طابا ثمرا وغلة بسخاء واطراد، يخترقها نهر يسقي الزروع ويروي التربة. ولصاحب الجنتين خدم وحشم فهو الأمر المطاع والعزيز ذو النعمة والقوة، أما صاحبه فلم يثبت له ما ثبت للأول، ولم ينف عنه شيء مما عليه ولكن يبدو أنه كفاف وشظف كما توضح الآيات اللاحقة من حاله وتبدأ المرحلة الثانية في بيان طغيان البصر وغروره، وليصوغ محاورته مع الرجل المؤمن على الوجه الذي يصوره المثل قال تعالى:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ

(١) سورة الكهف: الآيتان ٣٢-٣٤.

فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴾ [1].

فالصورة فخرا بالأموال، واعتداد الأعوان، مع بطر النعمة وطيش الرفاهية، وتستمر الآية بالوصف ثم تبين حال الآخر من شظف المعيشة، وقلة الأنصار وصاحبه ينظر إليه بهزوء، ويرمقه بامتعاض، ومن المفاخرة القولية ينتقل الى المفاخرة العقلية، فجعل يستعرض جنته وما فيها من ثمار وخيرات وهو منطو على هذا الظلم لنفسه، وعلى هذه النية الخبيثة الذميمة.

وتستمر معنا الصورة لترسم لنا منظرا أخاذا لجنة عظيمة فيها من كل مالذ وطاب وكل ما تشتهي الأنفس، يجري تعداد ما فيها من نعم وأثار، وما حولها من خول وخدم وصخب في المياه، وانغماس في الملاذ، وما يتطلب ذلك من مقاعد مريحة، وأرائك منضدة، وملاعب مهياة، وبالطبع يقود هذا صاحبه الى خيلاء المترهلين وتفكير الجهلة فينطق هذا الرجل بكلمة الجهل ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ ثم فاه بكلمة الكفر ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ ﴾ ثم بكلمة الطيش وركب النقص ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ وكأنه انفذ بذلك عهد عنه الله. ثم تنتقل الصورة بنا إلى المرحلة أخرى وهذه المرحلة تبدأ برد صاحبه المؤمن قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ....﴾[2].

وهنا شمر صاحبه المؤمن عن ساعده في محاورة هادئة فيها الأضواء مسلطة عليه قال له (أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذي خلق أصلك أدم من تراب، ثم من نطفة مائية، ثم صورك رجلا كاملا، فان اغتررت بمالك وعشيرتك فأذكر ربك، وأصلك الذي

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٣٤-٣٥.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ٣٧-٤١.

هو من طين) [١] يبين أن المؤمن قابل جحود صاحبه القدرة الله بإيمانه هو بالله ربا في قوله (**هُوَ اللهُ رَبي**) ثم أشار بقوله (**ولاَ أُشِركُ بربي أحَداً**).

ثم كان لوم فيه تقريع، وتوجيه، معه توبيخ، فهلا حين دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فأنه الأراد لفضله ولا يقوى احد على صد قدرته ومالك أيها المكاثر بولدك والمفاخر بمالك، فعسى الله أن يعطينـي ما هو أبقى من ثروتك، وجنتك فيكون لي خيرا في عقباه استدامة، فما حولك في انقطاعه.

وتنتهي بنا الصورة بعد هذا الحوار والتقريع بوصف دقيق ينقلنا إلى نهاية المشهد وهي تصف لنا خراب الجنة، وفقدان النصره بقوله تعالى:﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا... ﴾[٢].

فأصاب جنته التلف وأهلك الأشجار والثمار فعاد صفر اليدين يقلب كفيه حسرة وندامة على مالحقها من تدمير، وعلى ما أنفق عليها من مال وجهد، وبقيت أثارها عبرة لمن أعتبر. وهكذا تنتهي قصة صاحب الجنتين وصاحبه، وقد بلغ الفن القصصي ذروته أسلوبا ومحاورة واحتجاجا، بداية وحدثة ونهاية.

---

(١) المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،المنتخب من تفسير القران الكريم(المصدر نفسه).

(٢) سورة الكهف: الآيتان ٤٢-٤٤.

الفصل الثاني

الباب الثالث

النبات واسلوب القران في الوصف

- التشبيه.
- الاستعارة.
- الإيجاز والأطناب.
- مراعاة المفاصلة أو المشاكلة.
- التصوير.

أ-النشخيص. ب- التجسيم. ج- التخيل.

- التناسق.

أ- التناسق الموسيقي ب- التقابل ج- التناظر
د- التناسق المعنوي هـ- التناسق بين أجزاء الصورة و التناسق الزمني

- استعمال الأفعال وأسماء الأفعال.
- التقديم والتأخير.
- الأفراد والإجماع.
- التخصيص بعد التعميم.
- الالتفاف.
- القسم.

أسلوب القران في الوصف والنبات

أن القران ينفرد بأسلوبه لأنه ليس وضعة إنسانية ولو كان من وضع الإنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب أو جاء بعدهم الى هذا العهد ولا من الاختلاف فيه في طريقته ونسقه ومعانيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) [١].

ولا بد بعد هذا التمهيد بعد الانتقال إلى أسلوب القران في وصف الطبيعة والنبات

التشبيه:

عرفه جماعة ومنهم السكاكي بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، وقال أبن أبي الأصبع هو (أخراج الاغمض الى الأظهار) [٢].

و تكون التشبهات في القران عنصرا هاما وتقع في الغالب مشبها بها وقد تنوعت هذه التشبيهات القرآنية فمنها المفردة وهي ما كان التشبيه فيه حاصلا باعتبار صورة بصورة أو معنى بمعنى من غير زيادة كقوله تعالى في وصف السماء يوم القيامة ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ ومنها الحركية: وهي التي ينتزع فيها وجه الشبه من أمور مجموع بعضها الى بعض) [٣].

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤].

---

(١) الرافعي ا.جاز القران: ص٨٧

(٢) السيوطي:الاتقان في علوم القران٢٠/١٠٩.

(٣) العلوي: الطراز ٣/٣٢٣.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٤.

قال السيوطي: (فان فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط شيء منها أختل التشبيه) [1].

وكما أن القران يشبه المحسوس بالمحسوس: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ[2] ٱلْقَدِيمِ ﴾ [3].

فأن القران قد يشبه ما يقع عليه الحس بما لا يقع عليه كما قال تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾.

فإن الطلع معروف معهود ولكن رؤوس الشياطين ليست كذلك و إنما لها صورة منحيلة تتباين بتباين البيئات والجماعات قال السيوطي:

(شبه بما لا ينكر انه منكر قبيح لما حصل في تقول الناس من يشاعة صور الشياطين وان لم ترها عيانا) [4].

وقد يعكس الأمر تشبيه الغيبي بالمحسوس كما قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[5].

وقد يكون المشبه به عنصرا من عناصر الطبيعة الصامتة النباتية كقوله تعالى في صفة الرسول محمد (ﷺ) وأصحابه: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ

---

(١) الاتقان ٢/٤٢.

(٢) العرجون:هو الغذق وانما وصفه بالقدم اعلاما بانحنائه وتقوسه.

(٣) سورة يس: ٣٩.

(٤) السيوطي: الاتقان في علومم القران ١٠٩/٢٠.

(٥) سورة الحديد: الآية ٢١.

كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [١].

فقد شبههم في بهائهم ونماء الإسلام وترقيته بهم بالنبات الذي يؤازر بعضه بعضا ويوصد بعضه بعضا..

الاستعارة

عرفها الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الأعجاز بأن: (تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى الاسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه) [٢].

وقد بين الجرجاني: الاستعارة القرآنية لا يمكن أن تكون الأصل في الأعجاز وأن يقصد إليها لأن ذلك يجعل الأعجاز قائمة في آيات معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة ورد الأعجاز الى النظم والتأليف[٣].

والواقع أن استعارات القرآن رائعة فريدة وأروعها فيما يبدو تلك التي اختصت بالطبيعة ومنها النبات. وبين العلوي في الطراز المحسس قد سبق للمحسس كقوله: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[٤].

الان المستعار له هو الأرض المتزخرفة المتزينة بالنبات والمستعار منه هو نباتها وكلاهما سيان أيضا[٥].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) الجرجاني: دلائل الاعجاز،ص١١٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة يونس: الآية ٢١.

(٥) العلوي: الطراز ٣٣٥/٣.

وهكذا نجد أن القرآن يسلك في الاستعارة مسلكا يزيدها قوة وتأثيرا ولا نريد أن نطيل في الحديث عنها.

الإيجاز والأطناب

قال العلوي الإيجاز انه: (في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها) كما قال في الأطناب بأنه (تأدية المقصود من الكلام بأكثر من عبارة متعارف عليها)(١).

ومن روائع الإيجار قوله تعالى:﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (٢). فقد أغنت لفظتا الماء والمرعى عن أشياء كثيرة في الطبيعة قال السيوطي: (دل بها تبين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العيش والشجر والحب والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء) (٣).

و أما الأطناب: فهو ملحوظ في آيات كثيرة تصف الطبيعة على وجه التفصيل كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

فهذه الآيات فصلت نعم الله الدالة على قدرته ووحدانيته تفصيلا وأطنبت في تبيانها وتجليها للأنظار بصورة شاملة.

---

(١)العلوي: الطراز ٣/٣٦.

(٢) سورة النازعات: الآية ٣١.

(٣) السيوطي: الاتقان في علوم القران،١٢١/٢.

(٤)سورة البقرة: الآية ١٦٤

ومن أمثلة قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(1).

فلم يقتصر بذكر الجنة فحسب مع انه كان كافيا بل فسرها بقوله (من نخيل وأعناب) الان في ذلك تبينا المصاب صاحبها وعظم رزئه بفقدها ثم أضاف في بيان محاسن تلك الجنة

أن الأنهار تجري من تحتها زيادة في تحسير مفتقدها ثم وصفها بالغني والامتلاء بالنعم فقال **(له فيها من كل الثمرات)** للغرض نفسه.

وهكذا نجد القرآن الكريم يوجز حيث يحسن الإيجاز ويطيل حيث يحسن الأطناب كل ذلك تمشيا مع الغرض الذي يهدف إليه المقصد الذي يتوخاه.

مراعاة الفاصلة أو المشاكلة

قال أهل اللغة: السجع موالاة الكلام على وزن واحد وقال دريد: سجعت حمامة إذا رددت صوتها.

وقد وصفه العلوي بأنه: (في كتاب الله تعالى أكثر من أن يعد ويحصى) وقسمه الى: طويل وقصير ومتوسط وضرب الطويل مثلا قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (2)، وضرب مثلا

(1) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(2) سورة تبارك: الايتان ٢-٣.

للقصير قوله تعالى: **(مرج البحرين يلتقيان)** والمتوسط قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾[1].

والواقع أننا لا نجد في القران سجعة بالمعنى المتعارف عليه للسجع فاللفظة القرآنية التي تقع على وزن واحد مع سابقها وتتفق معه في أخر حرف من حروفها لم يقصد في جلبها مجرد التحسين والتنسيق الموسيقي على كل حال بل أنها لترد في غالب القرآن تكميلا للمعنى وتعزيزا له.

أن سورة الرحمن ازدانت بما يشبه السجع فالسورة بدأت بلفظة **(الرحمن)** ثم فصلت بعدها الاء الله ونعمه المصورة لذلك كله مرتبة ترتيبا بديعا فبدا بنزول القرآن أعظم النعم ويستمر وبعد مروره على السماء والشمس والقمر ثم إلى الأرض وما فيها من شجر قائم وآخر لا ساق له مما يشير الى الدلالة على هذه العظمة الإلهية والقدرة الربانية لذلك نعتهما بأنهما **(يسجدان)** فهو متناسق جدا ليتناسق مع قوله في جريان الشمس والقمر **((بحسبان))** في كليهما دلالة على القهر والتذليل الذي تفرده الدلالة في مخلوقاته.

قال تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾[2].

التصوير وسيلة من وسائل القران الفعالة في تحقيق مقاصده وأغراضه وفي أظهار المعاني وتقريبها فقد ظهر في المعاني الذهنية أو المجردة في صور حسية رائعة وتجري مجرى الأمثال[3].

وفي الطبيعة القرآن يعرض صورة من الطبيعة متحركة أو صامتة بعضها في السماء وبعضها في الأرض وبعضها في الجو فمن مثل ذلك في أثبات البعث والنشور

---

(١) العلوي: الطراز ٣/٣٥٤.

(٢) سورة الرحمن: الايات ١-٦.

(٣) ورد ذكر الامثال والنبات في فصل مستقل.

قال تعالى:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... ﴾[1]. والتصوير في القرآن قام على ثلاث قواعد هامة متميزة هي:

أ-**التشخيص:** أشار إليه الأمام عبد القاهر الجرجاني واصفا إياه بأنه (ضرب من المجاز كثير في القران) وقد جعل منه قوله تعالى في صفة الشجرة الطيبة ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾وقوله:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [2]. ثم قال (أثبت الفعل في جميع ذلك كما لا يثبت له فعل أذا رجعنا إلى المعقول على معنى السبب وإلا فمعلوم أن النخلة ليست تحدث الأكل.. ولا الأرض تخرج الكائن في بطنها من الأثقال ولكن أذا حدثت فيها الحركة بقدرة الله ظهر ما كنز فيها واودع جوفها) [3].

وهكذا تبين لنا أن التشخيص من وسائل القران في التصوير والتعبير.

ت-**التجسيم:** والتجسيم وسيلة أخرى من وسائل القران في التصوير فالليل يغشى النهار بظلمته وملكته فيكون أشبه بالمحسوس حين يغطي محسوسة مثله ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [4].

---

(١) سورة الرعد: الايتان ٢-٣.

(٢) الجرجاني: اسرار البلاغة،ص٣١٦

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الاعراف: الآية ٥٤.

ج- التخيل: والتخيل أهمية في تحقيق الأغراض القرآنية فالقرآن مثلا يخيل لقدرة الله وتمكنه وعظمته النافذة في الكون بتعبير أخاذ يقول تعالى فيه:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [١]. ووصفه الجرجاني بأنه (الذي لا يمكن أن يقال انه صدق وأن ما ثبته وما نفاه منفي) وقال بأنه (مفتق المذاهب كثير المسالك لا يكاد يحصر إلا تقريبا ولا يحاط إلا تقسيما) [٢].

التناسق

والتناسق ظاهرة أسلوبية عند وصف الطبيعة في القرآن الكريم وله مظاهر كثيرة فمن مثله:

أ- التناسق الموسيقي: بين اللفظة والمعنى المراد تصويره وذلك بأن تكون اللفظة دالة على المعنى. فالقرآن يقول:﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[٣].

فتحقيقا للتناسق الموسيقي في العبادة كلها فهو يعدل عن لفظة ((**سيناء**)) الى ((**سينين**)) لان هذه الأخيرة تتلائم موسيقية مع ((**التين**)) ومع ((**الزيتون**)) اللتين فيها.

ب- التقابل: والتقابل بين الصور المعروضة على الأنظار مظهر آخر من مظاهر التناسق فقد تكون الصورتان المتقابلتان أحداهما في السماء والأخرى في الأرض كالذي نجده في قوله تعالى:﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٢) الجرجاني: اسرار اللاغة،ص٢١٦.

(٣) سورة التين: الآيات ١-٤.

﴿يَسۡجُدَانِ﴾[1]. والنجم هنا النبات الذي لا ساق له. قال الزمخشري: (فان قلت أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر) [2].

ومنه هذا التقابل بين القرى والمؤتفكة والرسوم الدارسة وبين الأرض الممرعة والمروج الناضرة وذلك في قوله:﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾[3]. وقد يكون التقابل بين صورتين أحداهما عالم الشهادة والأخرى عالم الغيب قال تعالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ..﴾[4]. وفي القران الكثير من التقابل.

ج- **التناظر:** والتناظر مظهر آخر متناسق عند وصف الطبيعة في القران وهذا مشهد على قدرة الله ورحمته بعرض صورتين أحدها في البر والأخر في البحر ويتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴾[5].

---

(١) سورة الرحمن: الآيتين ٥-٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف ١٨٧/٣.

(٣) سورة السجدة: الآيتان ٢٦-٢٧.

(٤) سورة يونس: الآيتين ٢٤-٢٥.

(٥) سورة الاسراء: الآية ٦٧-٦٨.

قال الزمخشري: (... بل أن كان الفرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغيب تحت التراب كما أنه الغرق تغيب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان بقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر)(١).

وكذلك منه التناظر بين الشمس والقمر من ناحية والنجم والشجر من ناحية أخرى في الآيتين اللتين ذكرناهما في الحديث عن التقابل. د- التناسق المعنوي: ويلحظ في القران تناسق معنوي بين (الفواصل) وما قبلها من صور الطبيعة وبين بداية الآيات وما بعدها من تلك الصور. فالفاصلة القرآنية تحل في - موضعها المناسب بحيث لا تغني فاصلة أخرى عنها ولا تليق به غيرها.

وليست الفواصل في القران تأتي للضرورة كما هو حال السجع بل أنها لتأتي أتماما للمعنى وتقوية له قال الرماني: (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع... والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها)(٢). انظر كيف ختم القرآن الكريم الآية الآتية بثلاث فواصل تتباين كل منها تباين الصورة المعروضة فقد ختم الصورة الأولى بالفاصلة (**يتفكرون**) والثانية بالفاصلة (**يعقلون**) والثالثة بالفاصلة (**يرون**) وذلك في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ.... ﴾ (٣). فهذه الآيات الأرضية من ماء وزرع وأشجار وفاكهة في الصورة الأولى دلالات على الخالق القادر الحكيم أن تؤمل فيها وتفكر فهي لذلك آيات لقوم يتفكرون.

(١) الزمخشري: الكاشف ٢٣٩/٢.

(٢) الرماني:في اعجاز القران،ص٨٩.

(٣) سورة النحل: الآيات ١٠-١٣.

وتلك الآيات السماوية الباهرة وما هي عليه من نظام دقيق وتناسق بديع في الصورة الثانية داعية لتنشيط العقل بحساب الأوقات وفتح الذهن للتأمل فيها ومعرفة أسرارها وما هي عليه من دلالة على الخالق القادر وأن ذلك لا يتأتى لكل إنسان بل لأولئك الذين قدحوا زناد الفكر وفتحوا أبواب العقل، عقب عليه بقوله **(يعقلون)**.

وهذا التباين والاختلاف في ما هو في الأرض من ثبات بذكر تلك القدرة الإلهية التي أثبتت هذه الأصناف وأوجدت بينها هذا التباين والاختلاف مع أنها تنبت في مكان واحد وتسقى من ماء واحد فهي أذا حمل اعتبار واتعاظ تناسب أن تكون **(آية لقوم يتفكرون)**. أرجع إلى سورة الرحمن لتجد التناسق المعنوي ذلك التناسق بين ص ورة الطبيعة وما قبلها من كلام وأبدع ما فيها أنها بدأت بلفظة **(الرحمن)**.

قال البيضاوي: (ولما كانت السورة مقصودة على تعداد النعم الأخروية صدرها بالرحمن) [١].

هـ - **التناسق بين أجزاء الصورة:** وصور الطبيعة في القرآن متناسقة الأجزاء والأبعاد ففي احد المشاهد يعرض القرآن من الأشجار والظلال ومن الجبال والأكناف ومن الأنعام واللباس وهي أجسام تقسم جميعها بالاستشهاد بها والاحتماء فيها وذلك في قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾[٢].

وقد يكون التناسق بين أشياء ترتبط فيما بينها ارتباط سببية كالذي نجده بين الجبال والأشجار والأنهار التي تذكر في عدد من المواضع. و التناسق الزمني: وهو أن تكون مدة عرض الصورة متناسقة والغرض الذي سبقت من أجله والمعنى الذي تصوره. أنظر بالزرع الذي يمثل محمدا (ﷺ) وأصحابه يدل على رقي الإسلام وتدرجه

---

(١) تفسير البيضاوي٢/٤٨٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٨١.

صعدا ذلك في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾[1].

وقد يعرض عدد من المشاهد سريعة خاطفة تناسقة مع المعنى الذي يصوره فالحياة الدنيا في زوالها وسرعة تقضيها كالنبات الذي نبت ثم أصفر ويبس فجاه فإذا به حطاما تذروه الرياح فالقران يقول:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [2]. فالصورة قد طويت فيها مراحل ليعبر عن حقيقة الحياة الدنيا في تقضيها وزوالها بسرعة. استعمال الأفعال وأسماء الأفعال وللقرآن سبل فريدة في استعمال الأفعال وعند وصف الطبيعة والنبات وذلك:

أ- أن القرآن يستعمل الأفعال المضارعة في المواقف التي تفيد الاستمرار ولتجدد في الأعمال أو تفيد استحضار الصورة والمشاهد البعيدة وتقريبا حتى لكانها ماثلة أمام العين تتملاها وتراها.

فمثلا يصف القران الأرض الزاهية بالنبات في مقام يدل على الأنعام فيستعمل لذلك الفعل المضارع (تصبح) بدل الفعل الماضي (أصبح) ليفيد بذلك استمرار هذه النعمة وتجدوها حالا بعد حال وهي خضرة النبات وزينته ويتجلى ذلك في قوله:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

خَبِيرٌ﴾ [١]. وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[٢].

فتشير على المضارعة دون قبله وما بعده يعنـي **(أرسل)** و **(سقناه)** قلت ليحكـي الحال التـي تقع فيها أثارة السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالـة علـى القدرة الربانية [٣].

ب – أنه قد يستعمل على الافعال الماضية المبنية للمجهول لغرض الدلالة على قدرة الله و عظمتــه النافذتــين فــي الطبــيعة و عناصــرها﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٤].

التقديم والتأخير

وهـو مـن الأسـاليب المهمـة فـي التعبيـر وقـد أشـار الجرجانـي الـى أهميـة الفل (للتقديم فائدة شريفة و معنـى جلية لا سبيل إليـه مـع التأخيـر) [٥]. فقد يكـون التقديم والتأخيـر الغرض منطقـي لتقديم الليل علـى النهـار والظلمـات علـى نـور والسماء علـى الأرض. وقد يكون التقديم والتأخير لغرض يقتضيه التناسق الموسيقي الذي أمر نكرد) بين لقطتين وموقف من المواقف وإذا صح ما تكره أبو عبيدة من أن في قوله تعالى في وصف الأرض **(فإذا أنـزلنا عليها المـاء اهتـزت)** تقديما وتأخيرا وانـه (أراد ربت واهتـزت) فلا يستبعد أن يكون تلك التناسق الموسيقي بين اللفظتين فأن قولـه تعالى **(اهتزت وربت)** أخف وقع على اللسان و أكثر موسيقية سما لو قبل (ربت واهتـزت) و

(١) سورة الحج: الآية ٦٣.

(٢) سورة فاطر: الآية ٩.

(٣) الزمخشري: الكشاف ٥٧١/٢.

(٤) سورة هود: الآية ٤٤.

(٥) الجرجاني: \الائل الاعجاز،ص١٨٩.

الفرق واضح تدركه الأذن ويحس به اللسان إذ في اللفظين بترتيبهما القرآني تفعيلتان من تفعيلات البحر المتقارب في الشعر[١].

الأفراد والإجماع

والملاحظ في القرآن أن من العناصر الطبيعية و النبات ما يرد مجموعاً في القران كما أن فيها ما يرد مفردة فيه، وقد يكون العدول عن صفة الجمع السي صفة الفرد ارتباطا بالفرض الديني الذي سبق الكلام من أجله كالذي نجده في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢].

فقد جيء بلفظة (الشجرة) مفردة ولم تجيء مجموعة الضهارة لهذه المحكمة الإلهية المتنامية والعلم الإله الذي لا حنون له والذي عمل له بالآية الكريمة السابقة الذكر و في هذا يقول الزمخشري: (فان قلت: لم قيل من شجرة على التوحيد (يعني الأفراد) دون اسم الجنس الذي هو مشجر ؟ قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد برت أقلاما) [٣].﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾و إيثار جمع القلة للأشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير [٤].

---

(١) ابو عبيدة:مجاز القران.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٣) الزمخشري: الكشاف ٥١٩/٢.

(٤) تفسير البيضاوي.

التخصيص بعد التعميم

وتحقيقا لغرض معين يسلك القرآن سبيل التخصيص بعد التعميم في مواضع منه كالذي نجده مثلا في تنكير (الشجرة) في آية النور وإبهاما أولا ثم تخصيصها وتوضيحها بعد ذلك بوصفها بالبركة وأنها زيتونة. كل ذلك من أجل تعظيم شأنها وتبيان قيمتها الرفيعة. نقرأ ذلك في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[1].

قال البيضاوي: (وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة، ثم أبدال الزيتونة فيها تفخيم الشأنها) [2].

وقد يعكس الأمر فيخصص القرآن أولا ثم يعمم كالذي نجده في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

فقد خصصت نعم الجنة أولا بالنخيل والأعناب لفائدتها وفضلها ثم عم بعد ذلك بذكر جميع الثمرات، وقال أبن منير: (هذا من باب ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله **(فيهما فاكهة ونخل ورمان)** وهنا بدأ بالتخصيص) [4].

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢٣٣/٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٤) ابن منير: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاختزال بهامش الكشاف ٢٩٩/١.

الالتفات في اصطلاح البلاغين أن تعدل من الغيب إلى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة إلى التكلم وهي ظاهرة أسلوبين واضحة جد الوضوح في القرآن ونراها مع النبات والطبيعة. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾[١].

فقد التفت بقوله (أخرجنا) منتقلا من الغيبة إلى التكلم مسندة الفعل الى الضمير (نا) بعد أن كانت الأفعال قبله مسندة إلى ضمير الغائب، وقد ربط السيد رشيد رضا بين (الالتفات) في القرآن وبين الدلالة على القصد والتدبير فقال في تفسير الآية نفسها: (فحكمة الالتفات أن تلتفت الأذهان إلى ما يعقب ذلك من البيان فنتنبه إلى أن هذا الإخراج البديع الصنع من فعل الحكيم الخلاق لامن فلتات المصادفة والاتفاق ولما كان الماء واحدا والنبات جمعا كثيرا ناسب أفراد الفعل الأول وجمع الفعل الأخر ومعلوم أن الواحد أذا قال فعلنا أراد إفادة تعظيم نفسه وأن كان مقامه أهلا لذلك) [٢].

وقال البيضاوي في تفسير قوله:﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ [٣].

عدل من الغيبة إلى التأكيد لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أنه أثبات الحدائق البهيجة المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ ﴾[٤].

---

(١) سورة طه: الآية ٥٣.

(٢) تفسير المنار ٦٤٤/٧.

(٣) سورة النمل: الآية ٦٠.

(٤) تفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، انوار التنزيل واسرار التاويل، طبعة القسطنطينية، سنة ١٢٨٥هـ.، مطبعة مصطفى محمد علي.

وفي القرآن يقسم الله سبحانه بعناصر الطبيعة حية وصامتة وكذلك يقسم بالنبات والقسم بعناصر الطبيعة ومنها النبات وظواهر الطبيعة أنما سبق في رأي قدامى المفسرين من أجل تبيان النعمة التي فيها وأنها من آيات الله الدلالة على وجوده ووحدانيته. قال ابن القيم: وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته)[١].

قال الشعبي وغيره: (الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق)[٢]، والملاحظ أن القرآن لا يرد فيه القسم بالطبيعة والنبات حسب بل أنه ليرد فيه القسم بها وبأشياء أخرى في كثير من الأحيان وذلك انه:

١- يقسم بالخالق والمخلوق.

٢- يقسم بالطبيعة والنفس الإنسانية.

٣- يقسم بالمحس والغيبي.

٤- يقسم بالمحس على ما هو غيبي.

والقسم في القران كثير وواضح ومتعدد الجوانب والأمثلة عليه كثيرة ونأخذ هنا مشاهد القسم بالنبات في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[٣]. فيظهر القسم وجواب القسم في الآيات وجواب القسم هو الحقيقة المراد تأكيدها والأشعار بصدقها.

---

(١) ابن القيم الجوزية: محمد بن ابي بكر بن ايوب الدمشقي (٦٩١-٧٥١)هـ، التبيان في اقسام القران.

(٢) تفسير بن كثير: تفسير القران الكريم، ابن كثير اب الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ٧٧٤هـ، دار احياء الكتب العربية، عيسى الياس الحلبي، د.ت.، مج٤.

(٣) سورة التين: الآيات ١-٤.

الفصل الثالث

دلالة النبات في القرآن الكريم

- الاستدلال على وجود الخالق.
- الدلالة على التوحيد.
- الدلالة على حكمة الله وعظمته وقدرته.
- الاستدلال بأحوال النبات.
- الاستدلال بالنبات على طبيعة الجنة.

الاستدلال على وجود الخالق

الخالق، الصانع، المبدع، المبدأ، المحدث، كلمات تدل في خفاياها على الخلق والنشؤ ويكثر الفخر الرازي في تفسيره الكبير من ذكر لفظة (الصانع).

وهو يرى أن القران أنما أنزل لأغراض سامية ومقاصد عالية في جملتها أثبات الخالق سبحانه وانه كان ينص على أولئك المفسرين الذين يعنون بمسائل النحو والصرف حسب غفلتهم عن هذه الأغراض القرآنية الخطيرة وقال الأستاذ محمد عبده: (للإسلام في الحقيقة دعوتان دعوة الى الاعتقاد بوجود الخالق وتوحيده ودعوة الى تصديق برسالة محمد(ﷺ)

وتحقيق الإيمان بخالق السموات والأرض وبديعها، وفاطرها، وقيومها، خالق النبات وخالق كل شيء ومليكه، وربه ومبدعه، فالق الأصباح هو الواحد الأحد الفرد الصمد ألها واحدا لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، له يرجع الخلق كله، محصي أعمال الناس محدد الأجال والأرزاق عالم الغيب لا يعزب عن أمره شيء وهو سميع العليم القاهر فوق عباده يطعم ولا يطعم، العليم الخبير الغني القادر له الأسماء الحسنى منزل الكتاب ومجري السحاب ومرسل الأنبياء والمرسلين إلى خلقه الكافة يبدأ الخلق ثم يعيده فالق الحب والنوى وجاعل من الماء كل شيء حي، ينزل الماء على الأرض الميتة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج تبصرة للعباد لا اله إلا هو كل شيء له فهو الواجد الموجود الأول والأخر والظاهر والباطن مخرج من الشجر الأخضر نارا فأذا أنتم منه توقدون سبحانه وتعالى عما يصفون نوع الخلائق وأكثر منها فأحصاها عددا وعرف بها فهي تسبح له بالغدو والآصال وعنت الوجوه للحي الذي لا يموت فكل شيء زائل وجاعله كهشيم المحتضر ولا يبقى إلا وجهه الكريم.

أن عناصر الطبيعة وظواهرها فيها استدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى كما أنها دلائل أثبات الحقائق الإلهية وغيرها من الحقائق القرآنية فهي أيضا دلائل على النعم الربانية والرزق الإلهي.

وقد قسم الرازي الاستدلال على الخالق في كتاب الله الى أقسام ثلاث:

١- الاستدلال بأماكن الصفات (كخلق السموات والأرض).

٢- الاستدلال بحدوث الأجسام كقول إبراهيم عليه السلام (لا أحب الأفلين).

٣- الاستدلال بحدوث الأعراض، وجعلها في أمرين:

أ- دلائل الأنفس.

ب-دلائل الاتفاق[١].

ولكن القران الكريم الذي يبينه ليس بآية لكل الناظرين ولكنه آية للمؤمنين أولئك الذين يتجاوزون الحواس الى الوجدانات ويتخطون العيون الى العقول فيتأملون بالفكر قبل أن يتأملوا بالبصر وما أوهن البصر وما اخرقه في سوق الحياة أذا جف عنه معين الفكر وانقطع عنه رجاء العقل[٢].

قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣].

قال الطبرسي: ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أي انظروا إلى خروج الثمار نظر الاعتبار ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه أذا أثمر الى انتهائه أذا أينع وأدرك كيف تنقل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر

---

(١)الرازي: فخر الدين محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. الطبعة الأولى. المطبعة الخيرية. مصر ١٣٠٨هـ.

(٢)الطبيعة في القرآن. كاصد ياسر الزيدي دار الرشيد للنشر الجمهورية العراقية سلسلة ٢٣٩، ط١، ١٩٨٠م. ص٢٥٥.

(٣) سورة الأنعام: ٩٩.

والكبر ليبدوا على أن له صانعة مدبرة ((إن في ذلكم لآيات)). أي أن قلت هذه بالثمار والزروع مع إتقان جواهر اقتباسات مختلفة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على أنها لها خالقا قصد على التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وأنها تكونت بخلقه وتدبيره ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لأنهم يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون[١].

وقال الرازي: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أمر بالنظر في حال الثمر في أول جودتها، وقوله ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ أمر بالنظر في حالها عند تمامها وكمالها وهذا هو موضع الاستدلال والحجة التي هي تمام المقصود من هذه الآية.

إن اهتمام القران الكريم بالتدليل على الخالق سبحانه بالنعم الإلهية في الطبيعة هو الذي حدا بجعل هذه الآية مقدمة تجلي. الآية التي استدل بها على الأذن في الانتفاع بكل النعم. تلك الآية التي تشابهة النعم فيها هذه الآية من حيث أنواعها وأصنافها فقدمت آية الاستدلال على الخالق على آية الأذن بالانتفاع بالنعم الطبيعية إظهارا لأهمية ذلك الاستدلال وتبينا لخطورته فنفع هذه النعم الروحي الديني مقدم على نفعها الحسي الدنيوي[٢].

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[٣].

---

(١) الطبرسي: أبو علي الفضل أبن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران. طبع دار الياة ودار الفكر بيروت. الطبعة الثانية.

(٢) الرازي مفاتيح الغيب ١٠٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية١٤١.

ثم ذكر في الآية المتقدمة ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ فأمر تعالي هناك بالنظر في أحوالها والاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم وذكر في هذه الآية ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾.

فأذن في الانتفاع بها وأمر جزء منها الى الفقراء فالذي حصل به الامتياز بين الأثنين أن هنالك تنبيه على أية الأمر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم وههنا أذن في الانتفاع بها والاستدلال مقدم على الأذن في الانتفاع بها[1].

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [3].

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [4].

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٢-٣٣.

(٢) سورة السجدة: الآية ٤.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٤) سورة هود: الآية ٧.

قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ (١).

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾(٢).

قال تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣).

كما أتضح لنا فالنبات في عالمنا الفسيح لسان من السنة التقديس والتسبيح للخالق ﷻ وهو جملة بدائع القدرة الإلهية في المخلوقات من حيث إيجاد الأشجار والثمار والحبوب والبقول، والأزهار والتأمل في كيفية تكوينها، وجميل صنعها. مما يقوي في الإنسان عقيدة الأيمان برب السموات والأرض وجميع الكائنات. وأذا كان عالم النبات صفحة في كتاب الله المنظور. فأننا نشهد فيه صورة الحياة في حركتها وانتقالها وفي مراحلها وأطوارها وفي جمالها البديع والألوان والأشكال.

قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٤).

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ١٩.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ١٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٤) سورة الزمر: الآية ٢١.

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

ومن أول ما يلفت القران التوجه إليه ويقفنا على أمس الأشياء إلى الإنسان، وهو الطعام، وطعام الأنعام، وما وراء ذلك من تدبير الله وتقديره له: قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٢).

فالآيات السابقة بيان لقدرة الله وعظمته في الإبانة عن منشأ النبات وتعدده والارتباط الوثيق بين الحيوان والنبات أن الله صب الماء من السماء صبا ثم شق الأرض بجذر النبات شقا فأنبت فيها حبا وعنبا وقضبا أو شق الأرض ليجعل فيها أنهارا تسقي الزرع فتنبت فيها حبة وعنبة وقضبة. والله أعلم.

أذن على الإنسان أن ينظر الى طعامه الذي به قوامه، كيف تفضل الله به عليه فصار في أشد الحاجة إليه، وكيف حول الله بعض عناصر الأرض طعاما هنيا في شكل جميل ولون جذاب وطعم مستساغ حلو المذاق. وجعل الله هذا الأصل الواحد أزواجا وأشكالا من حيث هو مأكول كالقمح والذرة والفول، وغيرها من البقول أو هو فاكهة لذيذة كالعنب والنخيل، وغير هذا كثير مما يؤكل قضبا كالقثاء والتفاح وهذه حدائق غلبا الفيح الملتفة الأغصان وهذه السهول الخضر... كلها متاع للإنسان والأنعام.

لو تتبعنا خلق الله سبحانه وتعالى للنبات نجده أنما ينشا من تراب وماء، والله هو الذي أوجد الماء وانزله من السماء بقدر موزون.

---

(١) سورة النمل: الآية ٦١.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٤-٣٢.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾(4).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(5).

---

(1) سورة الاعراف: الآيتان ٥٧-٥٨.

(2) سورة الفرقان: الآيتان ٤٨-٤٩.

(3) سورة فاطر: الآية ٩.

(4) سورة طه: الآيتان ٥٣-٥٤.

(5) سورة النحل: الآيتان ١٠-١١.

وقـال تعـالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1].

وقـال تعـالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

فالآيات الكريمات السابقات من سورة الأعراف وطه والأنعام والزمر والنحل والمؤمنون والحج وغيرها....(٥٨) سورة في أكثر من ٢٦٦ آية وفي ٧٨ مصطلح للنبات، تشير الى كثير من خصائص النبات فالآية الكريمة من سورة الأنعام توضح معنى علمية. (وهو أن الماء ينبت البذور فتخرج أجنة النبات من دور الركود وتخصص أجزاء منه للأوراق في إنتاج المادة الخضراء وهي اللازمة لتكوين المادة الغذائية داخل عروق النبات فتتكون البذور والثمار)[3] والنبات كما هو معروف يبدأ حياته في الغالب بذرة أو نواة توضع في الأرض وتسقى بالماء ثم تنفلق ويخرج منها جذير يمتد إلى أسفل، وسويق يمتد الى أعلى وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾[4] فإذا انزل الله سبحانه وتعالى الماء على بلد ميت أحياها بأمره ﷻ وأخرج الله به من كل الثمرات رزقا لكم ومتاعا الى حين... (ودور الماء الظاهر في أنبات كل شيء دور وأضح يعلمه البدائي والمتحضر، ويعرفه الجاهل

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١٨-١٩.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٣) القنيي: د.حامد صادق، الشاهد في القران، المنتخب في تفسير القران الكريم، ص١٨٩.

(٤) سورة عبس: الآية ٢٦.

والعالم... ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب القرآن الناس عامة.

فقد شارك الماء ابتداء بتقدير الله في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات. أذا صحت النظريات التي تفترض أن سطح الأرض كان في فترة ملتهبا ثم صلبا لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع ثم يتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها الى تربة لينة[١].

(ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة وذلك بإسقاط "النتروجين الازوت" من الجو كلما ابرق فاستخلصت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو النتروجين الصالح للذوبان في الماء ويسقط مع المطر ليعيد الخصوبة الى الأرض) [٢] وإذا تابعنا عملية فلق النبات حسب تسلسلها في آية الأنعام (٩٩) وجدناها موضحة بعوامل فلق ثلاثة، وهي كما يأتي:

١- عامل الخلق الأول: لكل النبات هو الماء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٣].

٢- عامل الخلق الثاني: هو المادة الخضراء التي تشير إليها الآية الكريمة (خَضِرًا): ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾[٤].

٣- عامل الخلق الثالث: وهو أخراج الحب والثمر المتباين والمختلف حجما وشكلا بين قمح وعنب ورمان وزيتون.... الخ، قال تعالى:﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ

(١) العلم يدعو الى الايمان، ص٧٦.

(٢) سيد قطب: في ظلا القران، دار احياء التراث العربي، ط٣،ج٥، بيروت،ص٧٢.

(٣) سورة الانعام: الآية ٩٩.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩٩.

ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾[1].

الآية الكريمة من سورة الزمر: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ.... ﴾.

عند التدبر بالآية الكريمة تنقلنا إلى مراحل متتابعة تبدأ بإنزال الماء من السماء. ما هو وكيف ينزل. وقد مر ذكر هذا في الكلام عن الماء.

أن خلق الماء في ذاته آية خارقة. وعملية الاتحاد بين الجزيئات الهيدروجين والأوكسجين لتكوين جزيئة الماء لهي ظاهرة توقظ قلوبنا الى رؤية يد الله التي صاغت هذا الكون ومن ثم وجود الحياة على هذه الأرض ولو لا الماء لما وجدت الحياة. فسبحان الله أحسن الخالقين. ثم تجيء الخطوة التالية لانزال الماء: ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، سواء ذلك في الأنهار الجارية على سطح الأرض والأنهار الجارية تحت طبقاتها مما يتسرب من المياه السطحية ثم يتفجر ينابيع وعيونا أو يتكشف أبارة. ويد الله تمسكه فلا يذهب في الأغوار البعيدة التي لا يظهر منها أبدا. ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾والحياة النباتية التي تعقب نزول المطر وتنشأ عنه. خارقة يقف أمامها جهد الإنسان حيرا ورؤية النبتة الصغيرة وهي تشق حجاب الأرض عنها وتزيح أثقال الركام من فوقها وتتطلع إلى الفضاء والنور والحرية وهي تصعد في الفضاء رويدا رويدا... والزرع المختلف الألوان في البقعة الواحدة أو النبتة الواحدة أو الزهرة الواحدة. أن هو إلا معرض الإبداع القدرة يشعر الإنسان بالعجز المطلق عن الإتيان بشيء منه وفي ضوء هذا يتبين لنا بعض أسرار تكرار القران الكريم الحديث عن الماء ونزوله وما يترتب عليه من أثر عميق في الحياة بما ينبت من الزرع والحدائق المختلفة الأنواع والأشكال.

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٩.

أن مشاهد الأرض ساكنة لا حركة فيها ولا حياة فإذا انزل عليها الماء اهتزت وانتفخت وانبتت من كل زوج بهيج قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴾[١]،وقال أيضا:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ ﴾[٢].

أن اهتزاز الأرض ليس المقصود به الزلازل والبراكين ولكن التصور الدقيق لو لوحظ بدقة تحت التصوير الدقيق والبطيء المكبر لأصبح أمامنا منظرة جليبا عن أن الأرض تهتز جزيئتها عندما يخترق النبات سطح التربة الى الفضاء الخارجي يشق الأرض شقا ومعنى اربت أي ارتفعت لما سكن فيها من الثرى. ثم أخرجت من جميع الألوان والزرع والثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح والأشكال اليانعة والمنافع الكثيرة. (والخشوع: للتذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض أذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ ﴾ وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو، وهو الانتفاخ إذ اقضب وتزحزحت كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة. وربت أي ارتفعت لأن النبت أذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض[٣]. وهكذا نجدان القران الكريم قد عبر عن الأرض قبل نزول الماء، وقبل تفتحها بالثبات، مرة بأنها (هامدة) ومرة بأنها (خاشعة) والتعبيران يوحيان بالسكون الذي يلبث أن يهتز ويتحرك أذا ابتلت الأرض بالماء ومن هنا يكمل التصور فتعلم أن كل المراعي الخضر الزاهرة الوادعة في مظهرها أنما تخفي تحتها حياة وحركة ونموا بما يمتد في باطن الأرض من جذور ربما ينبت فوقها من

(١) سورة الحج: الآية ٥.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٩.

(٣) الزمخشري: تفسير الكشاف ٣/٤٥٤.

نبات يتغذى منها ويعلو ويثمر قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1].

وقولـــه تعـــالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2].

وكما ذكرنا عن أنواع الماء في التربة وكيف تحتفظ التربة بالماء ومكونات التربة الأساسية، فإن اختلاط الماء بالتربة وخاصة غرويات الطين يعطي النشاط الحيوي للكائنات مظهرا حيويا يختلف باختلاف نوع الكائنات وصور الحياة.

وعلى هذا يعتبر نزول الماء على التربة سببا لحدوث آثار في الحركة والنمو وإظهار الحياة وقد ثبت ذلك عند العلماء ومن خلال أبحاثهم وأجهزتهم العلمية. إن هذه الآثار التي ذكرها القرآن الكريم كما جاء في (سورة الحج ٥) (وسورة فصلت: ٣٩) ما بين إهتزت وربت وأنبتت.

إن اهتزاز الأرض أو التربة ليس المعني فيها وقوع الزلازل والتشققات وحركة الأرض بعنف مما يجعل حدوث الكوارث البيئة على أكثر الاحتمال وارد ولكن الاهتزاز الوارد هنا يعني حركة اهتزازية منفصلة للحبيبات المكونة للتربة.

الهز: في الأصل: اهتزت الأرض، تحركت عند وقوع النبات بها[3].

إن حبيبات التربة مكونة من طبقات متراصة (من صفائح السيلكا والألمنيوم) كل طبقة فوق الأخرى [4]، فدخول طبقة الماء بين هذه الطبقات يسبب انتفاخ حبيبة الطين تتكون على غلافها الخارجي أما شحنات موجبة أو شحنات سالبة.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٩.

(٣) لسان العرب (٤٢٤/٥)، الجامع لاحكام القران للقرطبي(١٣٠/١٢).

(٤) انظر عالم النبات للدكتور، قطب عامر خزعلي و د. السيد محمد زيدان.

فإذا كان أيون الهيدروجين يغطيها فهو من النوع الحامضي وإذا كان من الأيونات القلوية مثل (K^+, Ca^{+1}) فإنها من النوع القلوي.

إن ظهور مثل هذه الشحنات على سطوح الحبيبات لا يدعها تستقر فهي أمابين تجاذب أو تنافر وهذا لا يتم بثباته إلا بعد تعادل هذه الشحنات بأخرى مخالفة في الشحنة (ناتجة من تأين التربة). وهذا يحصل من خلال تأين جزيئة الماء (H2O إلى $^-$ H^+،OH) فتستقر الحبيبة وتسكن، وهذا يدخلنا في موضوع الأزدواج في القرآن الكريم.

وإن دفع دقائق الطين بجزيئات الوسط المائي يحدث حركة اهتزازية لجزيئات التربة مما يجعل سببا آخر للاهتزاز.

وقد أكد ذلك العالم روبرت براون عام (١٢٤٣هـ - ١٨٢٨م) وسميت هذه الحركة بالحركة البراونية (BRAWNION MOV).

إن وجود الوسط السائل الذي يجعل الحالة الصلبة حالة غروية نتيجة توفره بكميات كافية يؤدي إلى تباعد حبيبات التربة الصلبة عن بعضها وسهوله حركتها ما لم يحدث لها تجمع فكلما زاد الوسط المائي زادت الحركة وكلما قل قلت الحركة.

إن خروج الهواء من التربة مما يجعل الحبيبات تتحرك هو تأثير غير مباشر للماء النازل الذي يحتل محل الهواء الخارج من بين جزيئات التربة إن هذا التفسير العلمي لا يمنع من وجود تفسيرات أخرى ومنها ما أشار إلى أن حبيبات التربة تهتز وتنتفخ وتظهر أعضاء الجنين فوق سطح التربة (الرويشة + الفلق). والذي يدفع حبيبات التربة إلى أعلى مسببة اهتزازا لحظية لجزيئات التربة المتماسكة بعد حدوث عملية الانبات [١].

أما ما جاء عن كلمة ربت والتي يراد بها الانتفاخ والنمو وزيادة السمك. ربت: انتفخت ونمت وزادت في السمك [٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجامع لاحكام القران للقرطبي (١٣٠/١٢) و (٣٠٥/١٤) و لسان العرب (٤٢٤/٥).

أي أن الزيادة تحصل نتيجة زيادة أحجام الحبيبات، وهذا ما يحدث كما ذكرنا بتشرب الماء خلال الطبقات المكونة لحبيبة الطين مما يجعلها تنتفخ ويزداد حجمها. والماء الممسوك على سطح الحبيبات الماء الشعري الهايكروسكوبي) له دور كبير في زيادة سمك التربة كلها بزيادة المسافة بين الحبيبات. وهكذا تربو الأرض بتأثير الماء أيضا.

أما ربو وانتفاخ الحبيبة فهذا دليل على احتفاظها بكمية من الماء تكفي لمعيشة النبات عدة أيام. وعلى العكس فإن نقصان كمية الماء في التربة لدرجة لا يستطيع النبات الحصول عليها يبدأ الأخير في الذبول، وقد يؤدي هذا الذبول إلى الموت إذا لم ترود الأرض قبل وصول الدرجة الحرجة للذبول. وقد تكلمنا عن ذلك في عملية الفتح وامتصاص الماء وأنواع الماء في التربة[١].

أنبتت: أي حدثت عملية إنبات البذور وغيرها مما تحويه الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٢].

النبت هو أول خروج النبات، أنبتت: أي أخرجت[٣].

فعند توفر الماء تسقى جميع أعضاء النبات القابلة للإنبات فتنشط جنين البذرة وتنتقل المواد الغذائية البسيطة التركيب إليه بعد تحلل المواد المعقدة مائية بواسطة الأنزيمات الخاصة بذلك. فتنبت أعضاءه وتبدأ ببزوغ الجذير الذي يعطي المجموع الجذري) والرويشة (التي تعطي المجموع الخضري)، كل هذا يحدث والبذور ما زالت

(١) عالم النبات، د.قطب عامر، د. السيد محمد.

(٢) سورة فاطر: الآية ٩.

(٣) الجامع لاحكام القران للقرطبي (١٤٠/١٢)، لسان العرب (٩٧/٢).

تحت سطح التربة، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

إن تسلسل حدوث الآثار الثلاثة السابقة: الاهتزاز والانتفاخ للأرض ثم الانبات لما تحتويه الإشارة إلى البحث عن التركيب الزمني لحدوث كل أثر أو آية.

فإذا أنزل الماء على الأرض تسبب ذلك في اهتزاز حبيباتها بعد دقائق وحدوث الانتفاخ، وزيادة النماء والحجم للحبيبة يظهر أثره بعد عدة ساعات الإكتمال هذه العملية، بينما إنبات البذور يستغرق زمنا أطول.

خلاصة القول: فإن حبيبات التربة عند اختلاطها بالماء تهتز وتتحرك جزيئاتها غير محددة لاتجاه معين، ويعني ذلك إن الأرض (اهتزت) و عملية تسريب الماء بين طبقاتها يزيد من سمك وحجم الحبيبة، وبالتالي كل الحبيبات.

وهذا يعطي معنى (ربت) وانتفخت لتخزين الماء اللازم لإحياء الأرض فتشرب البذور وغيرها، وينبت الجنين تحت سطح التربة ببزوغ الجذير والرويشة، وبذا تكون الأرض قد (انبتت).

ثم يظهر النبت فوق سطح التربة ويكبر ويثمر معطية رزقا للعباد وتتم كل هذه الآيات وفق ترتيب محكم وزمن متقن لأنه من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه.

قال تعالى:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

قال تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا۟ مِن

(١) سورة يس: الآية ٣٦.

(٢) سورة الروم: الآية ٥٠.

ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[3].

ولعل في تنويع نسق التعبير بين (يخرج) و (مخرج) أيقاضا اللحس حتى يلتفت للقدرة الباهرة وهو يعرض آيات الله في الكون.

أن من الآيات الكريمات في القران الكريم تنقل قارئها والمتمعن بها الى افاق متعددة بعرض شيق جميل تدل على دقة الإخراج والتصوير فمن مشهد الأرض المحدودة وما فيها من رواسي ثابتة وأنهار جارية وينتقل إلى الجنات والزرع والنخيل في مختلف الأشكال والطعوم والألوان ينبت ف ي قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد. هذه المشاهد الطبيعية الأرض تعطي للمتخيل والمتصدر لها أفاق بعيدة ومتعددة الأطراف فهذا الذي يتصورها عن قريب وكأنه في داخلها وهذا الذي يرقبها من بعيد ومن على ارتفاع شاهق لتنسجم هذه الصورة البديعة الخلاقة وتتهر العيون بما ترى ولا ينحسر ذلك حتى مديات الأفق وامتداد البصير.

واقف هنا لادع المتأمل يتأمل ويتصور كل ما شاهد في حياته ليستمتع بخلق الله وقدرته جاعلا القلب خشوعا وولاء وحمدا للخلاق العظيم... رب العالمين.

يقول الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي

---

(١) سورة يس: الآيتان ٣٣–٣٥.

(٢) سورة الروم: الآية ١٩.

(٣) سورة الانعام: الآية ٩٥.

ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وتنقلنا الآية الكريمة الى مشهد أخر (خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة) [2].

أن المقصود بالزوج يتضح لنا من خلال آيات أخرى:

يقول الله تعالى:﴿ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[3]. وقوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [4].. فالزوج هو النوع أي انبتت كل نوع بهيج أو كريم وعندما يكون الغرض من الزوج الذكر والأنثى يقول تعالى: ((زَوۡجَيۡنِ)) لان الزوجين هما النوعان نوع الذكر ونوع الأنثى، ومثله قوله تعالى:﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5]، وقال تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6].

ومن هنا تتجلى عظم الخلق ومنها خلق الأزواج وقال ((كلها)) جميعها وخلقها من كل شيء.. من أنفسنا كبشر ومن الحيوان والطير والنبات على اختلاف نوعه وصنفه.. وحتى من الأشياء التي تحيط بنا من ماء وهواء وسحاب. ومن الذرات التي

(١) سورة الرعد: الآيتان ٣-٤.

(٢) الزمخشري: تفسير الكشاف، ٢/٢٤٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٧.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٦) سورة يس: الآية ٣٦.

لا تراها بالعين المجردة. كل هذه الأنواع والأشكال والأحجام والأجناس، والخصائص والسمات تكون ض من قاعدة التكوين وهو الازدواج.

(وقد اصبح معلوما أن الهواء مكون من التزاوج بين الأوكسجين وأكسيد الكاربون الشهيق والزفير، وأن الماء مكون من التزاوج بين الهيدروجين والأوكسجين، وأن الدم في الإنسان مكون من التزاوج بين الكريات الحمر والكريات البيض.. وأن الذرة أصغر ما عرف من أجزاء المادة مؤلفة من زوجين مختلفين من الأشقاء الكهربائي، السالب والموجب يتزوجان ويتحدان. كذلك شوهدت الوف من الثنائيات النجمية تتألف من نجمين مرتبطين يشد أحدهما الآخر ويدوران في مدار واحد كأنما يرقصان على نغمة رتيبة) [1].

فالتزاوج بين كل شيء أمر نوه القران عنه قبل أن تبرهن عنه القرائن العلمية الحديثة بقرون بعيدة. وقوله تعالى:﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ ﴾[2].

أن طبيعة الأرض تنبت من النبات على اختلاف أنواعه فهنا صور لنا الله سبحانه وتعالى ثلاثة أنواع من النبات: الكرم المتسلق من العنب ضعيف الساق متساقط الأوراق يتكاثر بالحب والأقلام الساقية (العقل الساقية) يتسلق النبات معتمدة على المحاليق التي تحورت من الأوراق تلتف على أي شيء تلامسه ولا يتدخل الإنسان في عملية التلقيح الإنتاج الثمار وأوراقه كفيه مفصصة ويكون الثمر فيه من السكريات الأحادية (الكلوكور والفركتوز)، وهذا النخل ذو الساق القوية معتمد على نفسه وكمية الخشب فيها والألياف تعطيها القوة والإسناد لكي ترتفع برأس النحلة إلى الأعالي، الأوراق رأسية في منطقة القمة وهي مركبة فالسعفة على كبرها وضخامتها هي ورقة واحدة والكرب هو قاعدة الورقة المنتفخة، وهذه الشجرة المباركة تحمل عناقيد الرطب

---

(١) القنيي:د. حامد صادق، الشاهد في القران:ص١٢٥، انظر الله في السماء، ١٧٤.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤.

الذي يحتاج لتلقيح الإنسان وتدخله وبدون هذا التدخل يكون التلقيح ضعيفا والتمر الحاصل النهائي من الرطب الجني يحتوي على مادة الكلوكوز) والسكر الثنائي (السكروز ومواد دهنية وبروتينية مهمة جدا لغذاء الإنسان. فسبحان الله المبدع الذي يعطي الأشياء أبداع وتنوع في الخلق وكلها في خدمة الإنسان.

وهذه الزروع هي الأخرى عجيبة متنوعة كثيرة معظمها يعيش حولا أو حولين ومثالها الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب أو حتى من الخضراوات التي يحتاج إليها الإنسان في غذائه اليومي. كل هذا وذاك يسقى من ماء واحد ويفضل الله سبحانه وتعالى بعضها على البعض الأخر في الأكل عند الإنسان لاختلاف طعمها ولونها وشكلها مثلا حبة الحنظل تزرع فيخرج الثمر المر الطعم ما يضفي مرارتها، وجعل حبة البطيخ (الشمام) تأخذ من بين عناصر التربة ما ينمي حلاوتها وكلتاهما من رتبة واحدة وهما يسقيان بماء واحد.

أن كل ما عرضناه يوقظ القلب وينبه العقل ويذكر بروعة التدبير قدرة الخالق س بحانه. الذي اخرج كل نبت في هذه الأرض وفي خلقه دقة وأحكام لا تزيد ولا تنقص وقد وصفه القران بأنه ((موزون)). وفيه دليل على التناسق في الخلق الدال على الحكمة الإلهية البالغة والقدرة العجيبة التي تعين كل شيء بمقدار.

وتزن كل موجود بميزان، بحيث تتحقق فيه المنفعة التي أرادها الله لعباده. قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾[١].

قال الراغب الأصفهاني: (وقيل بل ذلك أشارة الى كل ما أوجده الله تعالى. وأنه خلقه باعتدال كما قال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢].

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ١٩-٢٠.

(٢) معجم الفاظ موزون القران، ماءه وزن.

ولعلنا بعد هذه الجولة في دنيا النبات ومملكته نقف عاجزين عن الإحاطة بمشاهده المتعددة ومروجه الخضراء التي تأخذ بالقلوب والأبصار لجمالها.. أنه عالم مترامي الأطراف غني بشتى أنواع النبات والأشجار وفصائل النبات والأزهار ووافر الثمار. التي يتغذى عليها الملايين من ذرية آدم وما لا يحصى من المخلوقات المنوعة التي تعيش وتدب على سطح الأرض وتحت سطحها أو تسبح في الفضاء أو تغوص في أعماق الماء.

قال تعالى:﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

فالتحدي واضح بهذه الآية الكريمة وعتاب من الله للكافرين على الاشراك به بعد أن بين الله سبحانه وتعالى قدرته على الخلق والإبداع العجيبية المثيرة للدهشة لعظمتها واتزانها وضبط مقاديرها. فقدرته على أنزال الماء التي ينفرد بها ﷻ والخلق والإنبات من الشجر البهيج ((ذات بهجة)). فتناسقه وتلاحمه واصطفافه وتنوعه بكون الحدائق الغناء ((ذات بهجة)) ثم الفات النظر إلى الوحدانية أنها الله سبحانه وتعالى عما يصفون.

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٠.

الدلالة على التوحيد

أن مسالة توحيد الخالق سبحانه من أخطر المسائل التي جاء بها القران الكريم بل هي أخطرها جميعا ذلك أنه تنزل في وقت تفرقت فيه أمم الأرض شعبة متباينة كل منها تعيد آلهة شتى ولم تنجوا من لوثة الإشراك واحدة منها ولعل أكثرها اقتصادا في الشرك المجوس.

فالقران نزل في وقت أولع فيه أهل الأرض بعبادة إلهية متعددة معظمها من عناصر الطبيعة كما تجليه الأساطير القديمة خاصة.

والقران انزل الى الناس كافة إلا أنه انزل بين ظهراني العرب وفي ديارهم، فكانوا حملة شعلة نقلوها إلى الأرض كافة بقوة وصلابة وعزم، تميزوا بها تميزا واضحا وعرفوا بها معرفة جيدة. فكان لابد للقرآن وقد نزل بينهم أن ينقذهم من هوة الوثنية الى رفعة الوحدانية.

ولم يكن شيء أكثر أثارة الاهتمام الناس كافة والعربي خاصة من الطبيعة وعناصرها المختلفة والنبات من أبرز هذه العناصر.

وعرب الجاهلية لم يكونوا لينكروا الإله كما بينا ذلك من قبل بل كانوا يعتقدون بوجوده مدفوعين في ذلك بالفطرة البشرية التي لا تتخلى إلا في حالات شاذة نادرة عن الاعتقاد بوجود الله لهذا الكون المعمور بكل ما يدعو الى الدهشة والانفعال.

والقران الكريم كان يخاطب المنطق الفطري الكامن الكائن في نفوسهم، والحق الذي كانوا شديدي الكلف به وبذلك كان يثير الوجدانات ويحرك الأحاسيس ويحقق الأهداف. ولقد استدل القران الكريم على وحدانية الله سبحانه وتعالى بخلق السموات والأرض وملكية الله الهما وإضافة الى ذلك أدلة أخرى متباينة تتجلى بإنزال الماء من السماء وإخراج النبات به وجعل الأرض مستقر للناس ومتاعا لهم، بما هي عليه من بسط ومد عارض عليهم آياته. سبحانه وتعالى ومن هذه الآيات الأنهار الجارية بالمياه العذبة تسقي الحرث والأنعام وتسقي الناس أيضا وثانيهما الجبال الراسية الشامخة في

الفضاء والآخر البحر الهادر وما فيه من دلاله على الخالق الواحد القادر الذي جعل بينه وبين ما جاوره من بحار حاجزا لا يبغي به على جاره.

وتتجلى أدلة التوحيد أيضا في الهداية في ظلمات البر والبحر وفي إرسال الرياح مبشرات بالغيث دلالات على الخير منبئات بالرحمة فضلا عن الدلائل الأخرى التي هي من غير الطبيعة كإجابة المضطر عند الدعاء وبدء خلق الإنسان وأعادته.

قال تعالى:﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾(1).

والآية تثير الانتباه بتكرار **(إله مع الله)** تكررت عقب كل آية من هذه الآيات الكريمة التي تعرض نعم الله أمام الأعين. وفي بعض الآيات أضيف إلى خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء وإخراج النبات به وتسخير الرياح والسحب أضيف إليه اختلاف الليل والنهار وتسيير الفلك في البحر مع الإشارة إلى ما يترتب على أنبات الزرع من بث الدواب ونشرها في الأرض راعية متنعمة وذلك للتدليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(2).

(1) سورة النمل: الآيتان ٥٩-٦٠.

(2) سورة البقرة: الآيتان ١٦٣-١٦٤.

فتبدأ الآية الكريمة بالتوحيد والتأكيد على أن الله سبحانه هو الخالق البارئ وهو الرحمن الرحيم. ثم تبين الآيات في الطبيعة التي تدل على قدرة الله سبحانه والدالة على وحدانيته وبديع خلقه وصنعه وبنقلة عجيبة بديعة ينقلنا إلى ربط السماء بالأرض فيذكر ما ينزل من السماء في الإشارة إلى أن الأرض مرتبطة بالسماء بوحدة تفاعل منسجم دقيق بدورة خلقها الله كاملة متممة لبعضها وهكذا يجعلنا تارة ننظر إلى السماء وأخرى إلى الأرض وتارة يجعلنا نسبح بينهما مع الرياح والسحب المسخر بين السماء والأرض وكل هذا لأجل الفات نظر الى العقول والألباب إلى ملكوت السموات والأرض وما يجري بها من نواميس الطبيعة التي صاغها الله سبحانه وتعالى ومنها الى الهدف الأسمى وهو توحيد الله سبحانه وتنزيهه من كل شريك وصفة لا تليق به عز وجل.

الدلالة على حكمة الله وعظمته وقدرته

عبر القران عن علم الله بالجزئيات بإحاطته بأعمال الناس ولو كانت متناهية في الصغر بعد أن اطلعتنا الآيات الكريمات على قدرة الله في السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وكذلك الشجر والبحر كل مسخر بعلم الله سبحانه ومن هذه الأشياء العظيمة الكبيرة التي تدل على الضخامة والقوة والعظمة تنقلنا الآيات الكريمة الى الدقة المتناهية وهذا دليل عظيم على قدرة الخالق العظيم فأن الأشياء كلها عظيمها وصغيرها لهي مسخرة بأمره وماثلة لطاعته.

وهنا الآية تعطي لحبة الخردل مثالا دقيقا للأعمال الدقيقة لو وضعت في جوف صخرة في السموات أو في الأرض يأت بها الله. قال تعالى على لسان لقمان الحكيم إذ قال لابنه وهو يعظه:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[١].

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٦.

قال الزمخشري: "أي أن كانت مثلا في الصغر والقماء كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفي موضع واحرزه كجوف صخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي ﴿ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يوم القيامة فيحاسب عاملها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ يتوصل علمه الى كل خفي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها"[١].

وقال البيضاوي:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ أي أن الخصلة أو الإساءة أن تلك في الصغر كحبة الخردل ﴿ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

في أخفي مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمعقر الأرض ﴿ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه الى كل خفي ﴿ خَبِيرٌ﴾عالم بكنهه[٢].

وقال تعالى:﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[٣].

ولا نريد أن نسهب في بيان الآيات الكريمة التي أستدل بها على عظمة الله وقدرته وتدبيره ورحمته وحكمته وسعة علمه عن طريق الطبيعة إذ هي كثيرة في كتاب الله المبين وأنما أخذنا منها مثلا يلائم بحثنا لنبين أن القرآن أتخذ من عناصر الطبيعة وسائل مجدية التحقيق تلك المقاصد والأغراض الهامة في الفكر القرآني والإسلامي. الاستدلال بأحوال النبات والقران يتخذ من صور الطبيعة وسيلة لإثبات البعث والنشور

---

(١) الزمخشري: الكشاف ٥١٧/٢.

(٢) البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، انوار التنزيل واسرار التاؤيل، طبعة القسطنطينية، ١٢٨٥هـ، ج٣١/٤.

(٣) سورة الزلزلة: الآيتان ٧-٨.

ولما كانت أحوال النبات حية ماثلة للعيان يشاهدها الناس مرارا وتكرارا فان القران أهتم بها كثيرا.

وبعض أحوال النبات والشجر لها صورة مقاربة لعملية البعث والنشور نفسها كما يدلنا عليها التعبير القرآني.

فالبعث في المصطلح القرآني أحياء الناس بعد موتهم وإخراجهم من قبورهم وقد عبر القران عن هذا المعنى في مواضع كثيرة.

والمفهوم من عملية البعث هو أن الأجسام التي فقدت الحياة لا تلبث أن تنبض بالحياة من جديد وتخرج من باطن الأرض. وخروج النبات من الأرض الهامدة الساكنة التي لا تبدو فيها حياة شبه بهذا الإخراج وأن الماء هو السبب في خروج النبات كما تدلنا عليه سياق الآيات ولو أنه ليس النهائي لان الأسباب تنتهي إلى المسبب الأول وهو الله سبحانه. فصورة إخراج النبات من الأرض الهامدة الساكنة التي لا حياة فيها شبيهة بصورة أخراج يوم القيامة من قبورهم التي لا حياة فيها من قبل البعث.

ولقد أختلفت الألفاظ التي وصفت الأرض قبل أحيائها بإنزال الماء من السماء عليها فوصفت مرات بأنها (ميتة). وما يجليه قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

(١) سورة النحل: الآية ٦٥.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٥٧.

مدخل

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

بنشأة الحاجة إلى الصورة الفنية باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بالفاظها ليتفاعل المتلقي للنص الأدبي وهو مرتبط بجزئية في وقت واحد ف لا فصل بينها ولا تميز احد عن الآخر فيكتسب حينذاك العمل الأدبي مناخا يشعرك بالتئام اللغة والفكر بأطار موحد ينهض بسير النص وتحديده.

وهنا يندفع المتلقي نحو السير وراء الصورة في استبيان العلاقات القائمة بين اللغة والفكر أو اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون ويكون طريق كشف هذه العلاقات هو التنقل في استنباط المعاني في سبل صياغتها في التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز لتقيم الدليل على الذهني بالحسي وتخلص الى القيمة من خلال الظاهر إلى الواقع ومن المجاز الى الحقيقة ومن التعبير الاستعاري الى الأصل الاستعمالي ومن النظر في المشبه به لادراك شأن المشبه ومن التمثيل الى كنه الشيء[٢].

أن للمثل القرآني مكانة خاصة إذ كل مثل تمثيل ولا عكس وذلك لارتباطه بالصورة الفنية ارتباطا مباشرة باعتباره نموذجا (يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها) [٣]. في محاولة لتجسيد المعنى العقلي حسا وقالبا.

اعتبر المثل القرآني (من اركان البلاغة لاخراجه الخفي إلى الجلي وأدنائه البعيد من القريب... ومن فوائده أنه ينقلك من شيء تعرفه الى شي انت به أعرف) [٤].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

(٢) الصور الفنية في المثل القراني: محمد حسين علي الصغير، (بتصرف).

(٣) الزمخشري: الكشاف ٣/١.

(٤) ابن الزولكان: التبيان في علم البيان: ١٠١-١٠٩.

ويقول الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) عند تعقيبه على بعض آيات الأمثال: (وكل مثل من هذه الأمثال درج جواهر، وبرج زواهر، وكنز شرف، وعالم علم، وحق حقائق، وبحار درر دراية، ومصابيح سالكي مسالك السنة. ولهذا يقال: الأمثال سرج القرآن)[١].

ذكر اللغويون للفظ (المثل) بفتحتين عدة معان على اختلاف في عددها، وأهم ما ذكروا من معانيها ما يأتي:

ووصفت مرة بأنها خاشعة وهو ما يجليه قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

ووصفها مرة بأنها **(هامدة)** ويجليه قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[٣].

أن عملية أخراج النبات من الأرض بالماء وصفها القران الكريم بأنها (أية) كما هو مبين في الآيات السابقة الذكر وهو يشير بذلك إلى مالها من دلالة وبينة على أمكان البعث والنشور والى هذه القدرة الحكيمة المتصرفة في الكون جميعه لا يعجزها

---

(١) الفيروز آبادب: مجد الدين محمد بن يعقوب،بصائر ذوي التمييز ٦٩/١.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٩.

(٣) سورة الحج: الآيتان ٥-٧.

شيء في الأرض ولا في السماء تزرع الوجود بعد العدم وتنفث الحياة في الأموات والرحم.

كما أستدل القران الكريم على أمكان البعث والنشور من أحوال الشجر ذلك النبات اللين الطري الذي تشعر بطراوته ونداوته بأنه لا يمكن أن تضطرم فيه النيران ولكنها القدرة الإلهية التي تحكم هذا الكون وتتحكم في نواميسه وقوانينه فتجعل من ذلك النبات الرطب الطري نار، فتوقد لهيبا يتجدد فالذي أخرج من الشجر نارا قادر على أن يخرج الإنسان من مرقده الذي فيه بعد أن غيبه البلى بين ظهرانيه..

فالقرآن في هذا الاستدلال كما هو في غيره يبين الحقيقة وهي أن الناس س يبعثون وأنهم سيحاسبون على ما يقترفونه قال تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (١).

قال الزمخشري: (ثم ذكر من بدائع خلقه إيقاد النار من الشجر الأخضر مع مضاد النار الماء وانطفائها به، وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار (شجرتان يستعملها الأعراب في إشعال النار) وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، يقطع الرجل منهم غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ ((وهو ذكر)) على العفار ((وهي أنثى)) فتقدح النار بأذن الله) (٢).

وقد كرر القران هذا المعنى وهذا الاستدلال في سورة الواقعة فقال:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة يس: الآيتان ٧٨–٨٠.

(٢) الزمخشري: الكشاف ٢/٩٥

(٣) سورة الواقعة: الآيتان ٧١–٧٣.

قال البيضاوي: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ تقدمون ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ يعني الشجرة التي منها الزناد ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا ﴾ جعلنا زناد النار ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ تبصره في أمر البعث، كما ورد في سورة يس) [1].

ولقد جمع القران بين بيئات متعددة في بعض نصوصه للدلالة على بعث وبعد نقله متعددة ومشاهد كثيرة يأتي إلى أصناف النبات المختلفان تسر الناظرين وبهيج الرائين ثم الى تلك البساتين والزروع والأشجار المختلفة الأصناف والأثمار فيها الحب المحصور والنخل الشاهقات وقد ازدانت وتزينت بالطلع المنضود الذي هو رزق للعباد.

ثم لفتهم بعد هذا إلى الآية المتكررة التي يرونها كل حين متجلية بأحياء الأرض بعد موتها وتزيينها بعد عطلها ثم ربط ذلك كله بقدرة الله سبحانه على البعث والنشور مبينا أن الذي قدر على إيجاد هذا الخلق الضخم الكثير المتعدد الأشكال والأصناف وقدر على أحياء الأرض بعد موتها وهمودها لقادر على أن يحييهم بعد موتهم يخرجهم للثواب والعقاب.

قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[2].

---

(١) البيضاوي: ٢/٤٩٣.

(٢) سورة ق: ٢-١١.

الاستدلال بالنبات على طبيعة الجنة

أن القرآن بين لنا أن الصلة بين النعم الطبيعية في الدنيا ليست مقطوعة عن النعم الأخروية في الجنة ويدل عليه قوله تعالى في أهل الجنة﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾[1].

والجنة في الفقه (كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض) قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾وقيل وقد تسمى الأشجار السائدة جنة وقال المفضل: والجنة كل بستان فيه نخل[2].

أما الجنة التي وعد بها المتقون في الآخرة فلتسميتها بهذا الاسم وجهان ذكرهما الراغب الأصفهاني وهما: أنها سميت أما تشبيها بالجنة في الأرض وأن كان بينهما بون، وأما الستر الله تعالى عنا نعمها المشار إليها بقوله تعالى:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وقال الطبرسي: (واصلها من الجن وهو الشر ومنه الجن لتسترها عن عيون الناس وأذا ذكرت الجنة فالمراد ما فيها من أشجارها وثمارها دون أرضها فلذلك قال تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ

---

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) الطبرسي جمع البيان.

(٣) الاصفهاني: الراغب، مفردات القران (الجنة).

﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وأن جمعها على جنات فقد روي عن ابن عباس أن ذلك رافع إلى كونها سبعة (جنة الفردوس، عدن، جنة، النعيم، دار الخلود، جنة المأوى، دار السلام، وعليين)[2].

قال تعالى:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [3].

أن الله سبحانه وتعالى جعل من صورة الجنة الممثل لسعتها بالسماء والأرض مقابلة الصورة الحياة الزائلة الفانية لزيادة التأثير في النفوس والحث على نيل تلك الجنة العظيمة بالأيمان والتقوى ويتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [4].

قال تعالى:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[5].

قال الزمخشري: (ومعنى المسارعة إلى مغفرة والرحمة الإقبال على ما يستحقان بـه.. (عرضـها كعـرض السـماوات والأرض) أي عرضـها عـرض السـموات والأرض كقولـه: عرضـها كعـرض السـموات والأرض والمـراد وصـفها بالسـعة والبسـطة فتشـبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول

(١) الطبرسي، المصدر السابق.

(٢) الاصفهاني، المصدر السابق.

(٣) سورة الزخرف: الايتان ٧٢-٧٤.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرض لو وصل بعضها ببعض) [١].

والملاحظ أن القرآن حيثما يذكر الجنات فالغالب أن يذكر ((الماء)) معها سواءا اعبر عن ذلك (بالأنهار) أم (بالعيون) وهو ما يتجلى في الآية السابقة وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٣].

اقرأ في سورة الواقعة والرحمن وتجد أن من النعم في الجنة ما قد تعدد نوعه واتسق افقه وما اشتهت النفس له وتمنت عدم زوالها وارتسم الخيال بها بأحلي صورة بهية مرغبة بالجنة ومن خلالها بالتقوى والعمل الصالح بعد الإيمان. قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[٤].

وتنقلنا الآيات بصور مختلفة من بيئة العربي إلى بيئة النعم التي عددها القرآن في الجنة فالقرآن شوق البدوي الى ما يفتقر إليه من الماء البارد العذب والظل الذي يتفيا به وبين الاستقرار والنعيم والحياة الناعمة الحلوة بعد أن يفترش الصحراء والرمل الى السرر الموضونة متكئين عليها متقابلين وهذا أسلوب مجد من أساليب القران في الاستهواء والحث على الإيمان والعمل الصالح.

وفي سورة الرحمن تقرا قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ

(١) الزمخشري: الكشاف ٣٤٩/١.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٥.

(٣) سورة الدخان: الآيتان ٥١-٥٢.

(٤) سورة الواقعة: الآيتان ١٠-١١.

ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدۡهَآمَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١).

ولتكرر عبارة (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) بعد كل نوع من أنواع النعم التي عددتها السورة المباركة أثره في تحفيز الخيال على أن يتملي هذه النعم الغائبة ويستحضرها أمامه فأنها ماثلة محسوسة لتكون دافعا على الإيمان بالله وطاعته وعدم كفران نعمه وتكذيبها.

أن ما تطرقنا إليه من الحقائق الإلهية كإثبات الخلق وتوحيده وعظمة الخالق وسعة كرسيه وقدرته على الأحياء بعد الممات و علمه الذي لا حدود له فهو السابق بعلمه هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو السميع العليم الواحد الأحد المستفرد بالكمال والإجلال.

إن هذه الأمور التوحيدية والمكامن الإلهية هي ليست بمعزل عن الحقائق الأخرى الهامة في الفكر الإسلامي وهي:

١- تعظيم القرآن الكريم والاعتقاد بأنه كلام الله.

٢- إثبات بنبوه محمد (ﷺ) وأنه خاتم الأنبياء.

٣- وإثبات المعاد (البعث والنشور).

أن هذه الحقائق هي تفرعات من تلك الحقيقة الإلهية المهمة فإذا علمنا أن النبوة والمعاد من أصول الدين الإسلامي الحنيف فالتمعن في هذه الحقائق شيء مهم من منظور النبات في القرآن الكريم وما يتعلق بها من أمور الطبيعة.

---

(١) سورة الرحمن: الآيات ٤٦-٦٩.

والكلام عن كتاب الله عز وجل يجعلنا نبحث الموضوع من مداخل عدة:

أولا: تعظيم القرآن الكريم الاعتقاد بأنه كلام الله:

١- تعظيم القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وهو الكلام الذي أنزله رب العزة بواسطة جبريل عليه السلام على رسول الله محمد (ﷺ).

إن الحقائق القرآنية التي جاء بها القرآن الكريم يعظم القرآن الكريم ويعلي شأنه لأنه كلام الله، إلا أن كثير من الناس كان غافلا عن هذه الحقيقة بل كابروا عنه وقالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ والكثير من الطعون التي جاءت في القرآن العظيم على لسان المشركين والكفار واليهود والجاحدين لنور الله القديم.

إن القرآن الكريم في تصويره الفني الرائع رسم صورة عظيمة للقرآن الكريم في أذهان الناس بإيداع بلاغي وتجسيد حقيقي للأمور وبشكل دقيق دون تضارب وتعاكس وتقاطع.

فصوره الطبيعة الكونية والأجرام السماوية ورسم الأرض بالمنظور الرباني معطية لخلق الله عز وجل في كونه المساحة الكبيرة ومنها ما عرج فيه الى هيئات فوصف عن طريق الحياة والموت، وعظم القرآن الكريم وبين ما فيه من الحق والخير، والمثل السامية والمفهومات القيمة العالية من عناصر هذا المخلوق.

فالله سبحانه وتعالى جعل من شواهد خلقه وطبيعة أكوانه وأجرامها ومن الزروع والشجر والثمرات ما فيه من الإشارة الكبيرة لعظمة القرآن الكريم فجعل ذلك دليلا أبهر العقول فيبين القرآن الكريم أن هذا القرآن لو نزل على جبل لتصدع وأنهار وغدا أثرا بعد عين خوف وخشوعا من الله عز وجل.

قـال تعـالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

وهذا من الإيحاء الرباني للفعل الإنساني الذي منحه الإدراك والتعقل، أن يكون أكثر تعظيمة للقرآن الكريم وأكثر توقيرة وتقيمة واحتراما ووج". والقرآن الكريم يعظم القرآن من موقع آخر فيقسم الله سبحانه وتعالى بحقائق كونية ومخلوقات تتصل كلها بصدق القرآن الكريم وأنه كتاب كريم، فهو يقسم حينا بالسماء ذات الرجع، ويقسم تارة (والأرض ذات الصدع) ويقسم بالنجوم كما يقسم بالتين والزيتون ولا يكتفي بذلك بل يقول وأنه لقول كريم لأنه من عند الله عز وجل ولأنه محفوظ من التغير والتبديل، ولأنه معجز وفيه الأحكام والمواعظ وفيه خير ماقبلكم وخير ما بعدكم وفيه الغيبيات وفيه أخبار الحشر والمعاد.

٢- الدلالة القاطعة أن القرآن من عند الله:

إن قسم القرآن بمجموعة من عناصر الطبيعة والنبات لهو الدليل على أن القرآن كلام الله، ويزيد القسم أن هذا ليس مخلوقا من عند محمد (ﷺ) بل أوحي إليه بواسطة جبريل عليه السلام. فالقسم بالنجوم الجارية في أفلاكها ومداراتها والقسم بالصبح إذا أسفر وبالحياة والكون، فأقسم الله سبحانه وتعالى بأمور مختلفة كثيرة ذات عناصر متنوعة تدل على الخالق العظيم الذي خلق الإصباح فهو ليس من محمد (ﷺ) وإنما من رب محمد ورب السموات والأرض وما بينها. وهكذا قد أكد القرآن الكريم على العناصر في الطبيعة في تبيان الحقيقة القرآنية وإثباتها.

ويستمر القرآن في مواقفه العظيمة ليعطي فصلا جديدا وصورة راسخة عظيمة لتبقى في أذهان الناس وتعجزهم.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

٣- أن القرآن معجز فاق الأعجاز الحسي:

وهذا ما أراده المشركون فهم قد تعدوا على الأعجاز الحسي يلمسونه بأيديهم ويرونه باعينهم ويشبع بطونهم أو يهويهم الى هلاك كبير.

إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل الأعجاز القرآني متعدد الجوانب فأبهر الجن قبل الأنس بأعجاز وتحدي كبير فأن ما تصور أولئك الرابضين وراء العناد والكبر والحسد مما يدل على تخلفهم وبدائيتهم وعجزهم، فالقرآن الكريم يتحدى ويوحي إلى الرسول الكريم أن لو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله فإنهم لا يستطيعون و آيات التحدي سلف أن تطرقنا إليها، لكن من قصر بصره وعميت بصيرته أراد أن يبدل الخير هذا والأعجاز هذا بآيات محسوسة وأكثر من الطلب فيها ونوعها، وجعلوا لها صفات متباينة فهي ما بين أن يفجر لهم ينبوعا من الأرض، أو أن يجعل له بستانا من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار أو أن يسقط عليهم كسفا من السماء، أو أن يكون له بيت من ذهب أو أن يصعد في السماء، ومع هذا كله فأنهم لم يؤمنوا أحسدا من عند أنفسهم" وتوغلوا في طغيانهم وكفرهم وحسدهم حتى طلبوا إليه أن يأتيهم بالله والملائكة، س بحان الله عما يصفون أولم يكن رسول الله بشرا رسولا يأكل مما يأكلون ويمشي بالأسواق إلا أن القرآن العظيم بلغ أولئك المشركين أن القرآن العظيم أنما هو الحق وهو الآية المطلوبة وهو الأعجاز الإلهي وأنه أفضل من كل ما طلبوه، وهو الفكر القرآني الذي أراد أن يجعل كلام الله ووحية هو الأعجاز والدليل على الوهيته وصدق نبيه وعظمة قرآنه.

قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ..... وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1].

---

(١) سورة الاسراء: الآيات ٨٨-٩٤.

قال الطبرسي: (لما بين سبحانه فيما تقدم أعجاز القرآن، عقب على ذلك البيان بأنهم أبو إلا الكفر والطغيان، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك) فقال:﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي لن نصدقك فيما تدعي من النبوة﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ... ﴾[1].

قال الزمخشري: (وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن، وسائر الآيات، ولست بدون ما اقترحوه، بل هي أعظم. لم يكن الى تبصرتهم سبيل) [2].

وهكذا تجد أن القرآن قد اهتم بأمر القرآن، فعظمه في مواضع، دل على أنه يوحي على نبيه، وبين أنه هو المعجزة الباقية، التي لا يرقى الى ثباتها ومكانتها السامية، أية معجزة من هذه المعجزات الحسية التي يطلبها الناس في بعض المواضع أيضا[3].

ثانيا: إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم):

اختار الله سبحانه وتعالى العرب من بين الأقوام والجزيرة العربية من بين البقاع ومكة المكرمة مبين المدن واختار قريش بين القبائل واختار محمد (ﷺ) من قريش لينزل عليه القرآن الكريم، فالعرب أصبحوا حمله الرسالة الإسلامية إلى كل من وطئت قدمه أرضهم، وبلغهم نور دعوتهم.

فقال الله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[4]. فرفع الله ذكر النبي (ﷺ) ورفع شأنه وشأن قومه بين الأمم وجعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ البشرية.

(١) الطبرسي: جمع البيان ٩٩/١٥.

(٢)الزمخشري: االكشاف ٢٤٦/٢.

(٣) الطبيعة في القران، كاصد ياسر الزيدي، ص٣٢٤.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

أن الدعوة الإسلامية ونشرها التي انطلقت من مكة المكرمة وشهدتها أرض العرب وحملها أبناؤها إلى العاملين شرقا وغربا، قد استدل الله سبحانه في كتابه الكريم على ذلك من خلال الآيات التي ورد فيها النبات فقال تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

فقد جعل الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم أمورة تدمغ حججهم الواهية في الابتعاد عن الدعوة الإسلامية والتخلي عنها فجعل لهم الأمن والأمان والاطمئنان في ظل بيت الله الحرام وهو أمر نفسي لهم وجعل لهم التنعم بخيرات الدنيا من الفواكه والأثمار التي ساقها الله لهم تلبية لدعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام والتي كانت طبيعة أرضهم تفتقر تماما لإنتاج مثل هذه الأمور.

قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا... رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2].

وهكذا فإن الرسول (ﷺ) جاء بالهداية لأهل الأرض والأرض جزء من هذا العالم الذي هو ملك الله فلله ملكوت السموات والأرض، ولهذا اختص الله سبحانه العالم السفلي (الأرض) برسل أرسلهم إليهم يبلغهم جميعا رسالات ربهم ويهديهم إلى صراط مستقيم، وقد ختم هذه الرسالات برسالة نبيه محمد (ﷺ) وجعلها نعمة عليهم الى يوم الدين.

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢٦-١٢٩.

قال تعالى:﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ....إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

ويبين لنا من كل ذلك أن أثبات التوحيد بخلق السموات والأرض، كان مسوقة هنا لإثبات النبوة المحمدية، كما سبق أثبات البعث والنشور لهذا أيضا:

قال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ.....تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ....﴾[2].

قال صاحب التفسير العظيم محمد رشيد رضا في هذا الموضوع:﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ ﴾أي تدخل طائفة من النهار في الليل فيقصر الليل من حيث يطول النهار، وتدخل طائفة من النهار في الليل فيطول هذا حيث يقصر ذلك أي أنك بحكمتك في تدبير الأرض وتكويرها، وجعل الشمس بحسبان تزيد في أحد الجديدين، ما يكون سببا لنقص الآخر، فلا ينكر على قدرتك وحكمتك أن تؤتي النبوة والملك من تشاء كمحمد وأمته وتنزعها فمن تشاء كبني إسرائيل، فانك تتصرف في شؤون الناس، كما تتصرف في الليل والنهار[3].

والقرآن الكريم يشد النفوس ويلفت انتباها دائما إلى خلق الله سبحانه والطبيعة على عمومها ومنها إلى النبات والزرع، فهو يجعل من هذا الكون الجميل البديع مجالا يجد الإنسان فيه غبطته وراحته النفسية ويجعله يشعر أن كل هذا سخر من أجله وهو جزء منه، فتسر النفوس وتتيقض المشاعر وتنفتح الأسارير لتنطلق بالإبداع والتوكل والعبادة والاستسلام الله عز وجل، فهو ينقل أنظاره من السحاب المحمل بالماء الى

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١–٣.

(٢) سورة آل عمرن: الآيتان ٢٦–٢٧.

(٣) تفسير المنار: ٢٦٩/٣.

المطر النازل من السماء الى الأرض الميتة التي يحبها الله بعد هذا النزول لتحصد الزروع وتتشرح النفوس ويبعث الأمل في الحياة من جديد، وينقل ذلك إلى الأنعام والدواب، يرعون في خيراته، ويسبحون بحمده، تجلت قدرته وعظم شأنه فالكل خاضع له في كل شيء سبحانه﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا.... أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (١).

وما خبر القرى التي كذبت رسلها عن النبي محمد (ﷺ) ببعيد فالقرآن بين له ذلك فإن كذبوك قومك فقد كذبت أقوام قبلك رسلها فكأن عاقبة أمرها وجالا عليهم وهلاكا كبيرا. فكان هذا نوع من التسلية النفس البشرية عند رسول الله (ﷺ) بأن الله لا يتركه أبدا فكان تسليه له، وتخفيف عما يعانيه من مجرد إنكار﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ.... أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا.... ﴾(٢).

وهكذا يتوجه القرآن بالأنظار إلى الآيات الخارقة، الباقية التي تقع عليها الأبصار، وتتحلاها الأعين تثبيت لفؤاد الرسول (ﷺ) وبيان لقومه، ملفتا أنظارهم بأن هذا الكون الفسيح مثير للتأمل والتفكر والى السماء وأبوابها والى الأرض و أفجاجها وهي مبسوطة ممتدة والى الجبال الشامخات الراسيات والى الأنهار والبحار والى الخضرة في النبات والأشجار وزينتها وزخرفها مختلفة الأصناف والأشكال صنوان وغير صنوان، كل ذلك من عمل الله س بحانه وصنع قدرته العلية وحكمته العظيمة.

فكل هذا وغيره مما جاء فيه القرآن الكريم كان ينبغي أن تكون هي الآية الدالة على قدرته الله على أن يبعث رسولا إليهم من أنفسهم عزيز عليه ما عنتم بالمؤمنين

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٤٣-٤٥.

(٢) سورة الحج: الآيتان ٤٢-٤٦.

رؤوف رحيم. وهي بعد كل هذا حقيقة يشهد لها الحس كما يشهد لها الواقع﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ .... وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾[١][٢].

وهكذا أتضح لنا بأن القرآن الكريم أعطى اهتماما كبيرة للنبوة وإثباتها وتصديقها ومساندتها بقوة من أجل قيامها وثباتها وديمومتها، وقد كان ولا يزال هذا الأمر قائما وقد أشرقت الشمس بنور ربها ووضع الميزان فكل خاضع لأمر الله تواردە الأفراد والجماعات، دائنة بالإسلام ومصدقة بدعوته علي الصلاة والسلام﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣].

ثالثا: إثبات المعاد (البعث والنشور):

البعث: (المعاد) في المصطلح القرآني يعني الأحياء بعد الموت للثواب والعقاب وهو مادل عليه القرآن في المواضع الكثيرة التي تحدث فيها عن البعث. كان الناس من عرب الجاهلية ينكرون البعث والنشور والقيامه والحساب من ثواب وعقاب وكانوا يقولون ما وصفهم به القرآن الكريم:﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾[٤].

فهداية الناس وتصويب مسارهم أكد الله سبحانه وتعالى على البعث والنشور وأهتم به كثيرا لأن ذلك يحقق الله به الأهداف من توحيد الأمة وهاديتها وأتباعها وتصديق نبيها وبذلك النجاة كله. ونجد ذلك من أهداف سامية كثيرة، فربط الله سبحانه بين عمل الدنيا وحساب الآخرة، فالحياة الدنيا مرتبطة بالآخرة واليوم الآخر.

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ١٦-٢٠.

(٢) الطبيعة في القران بتصرف، كاصد ياسر ،ص٣٢٧.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٦-٢٧.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

وأن هذه الحياة أولية وليس نهايته وأن مآل الجميع إلى الله تعالى. فأتبعت ثمار هذا التوجه وأخذ الإنسان يتحكم في سلوكه خوفا من حساب الآخرة وعقابها الأليم، فالتزمت النفس الإنسانية بزمام الأمور التي تجعلها ترسوا على بر الأمان وجعلها سيدة الموقف فاطمة النفس الراضية التي تعرف مآلها و أحضرت الأنفس الشح التي لا تعرف الجام نفسها بلجام الطاعة والانقياد فابتعدت عن رحمه الله سبحانه وتعالى وطاعته والعياذ بالله.

وجاء الاستدلال على البعث والنشور من طرق وسبل متفاوتة، وأساليب متباينة، ويمكننا أن نحملها في أمور، وقد وردت منها في بحثنا في مواضع أخرى إلا أننا نلفت انتباه القارئ العزيز لها وهي(١):

١- الاستدلال بأحوال السموات والأرض وما بينهما.

٢- الاستدلال بأحوال النبات، والشجر.

٣- الاستدلال بأحوال الحيوان.

٤- الاستدلال بأحوال الليل والنهار.

النبات في الترغيب والترهيب

وكما كان القران ترغيب بالجنة والأنهار والثمار والفاكهة والزرع وما تحتويه الجنات في الأرض وفي السماء كان للقران وقفة مع الترهيب من هذا الجانب وقسم العلماء الترهيب هنا الى قسمين:

---

(١) الطبيعة في القران، كاصد ياسر، ص٣٤١.

١- الترهيب بما أصاب الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾(٢).

فالقرآن يتناول ألوانا من الوعيد والترهيب ومنها التهديد بعقوبة (طبيعية كالتي عوقب بها السابقون فالقرآن هدد المشركون أذا كذبوا الرسول (ﷺ) وما جاءه من القران بعذاب مثل ذلك العذاب الذي أصيب به قوم عاد وثمود وفرعون ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾(٣)، ثم بين أن أولئك الذين أمنوا لم يصبهم ما أصاب الكافرين الجاحدين بقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (٤).

وهكذا نجد أن القرآن قد أولى الترهيب بإذهاب النعم عن أصحابها من جنات وزرع وفواكه ونعمة كانوا بها فاكهين من أجل حمل الناس على الأيمان. ورغم أن

---

(١) سورة الاعراف: الآيتان ١٣٠-١٣٣.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٨.

(٣) سورة فصلت: الآية ١٣.

(٤) سورة فصلت: الآية ١٨.

الترغيب كان أكثر من الترهيب إلا أن الترهيب وسيلة لابد منها لأناس لا يجديهم الترغيب نفعا في حملهم على الأيمان.

٢- الترهيب بالعذاب الأخروي

هدد القران الكافرين الجاحدين بعذاب شديد في الآخرة قال تعالى:﴿ **وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ** ﴾ (١).

وإذا كان طعام أهل الجنة فاكهة ناضرة شهية متنوعة فأن طعام الضالين والمكذبين والاثمين (**شجرة الزقوم**) تلك التي طلعها رؤوس الشياطين.

فالقرآن يقول:﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ** ﴾ (٢).

ويقول تعالى:﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ** ﴾ (٣).

ويقول مخيلا تخيلا رائعا بتشبيهه ثمر تلك الشجرة بشيء غير محسوس وهو رؤوس الشياطين:

﴿ **أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ** ﴾(٤).

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٤١-٤٥.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٥١-٥٤.

(٣) سورة الدخان: الآيتان ٤٣-٤٦.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ٦٢-٦٣.

ولاشك في أن لهذا التخيل أثره في تحقيق الغرض الديني وهو تنفير الناس من العمل السيء الذي يجرهم إلى مثل هذه الشجرة الفظيعة التعذيب والإيلام وتحبيب العمل الصالح لهم ذلك الذي يدخلهم الجنة بسلام.

وهكذا نجد القرآن قد رسم صورة مخيفة من الماء والظل والشجر ليحمل الناس على الإيمان والعمل الصالح وليبعدهم عن الكفر والضلال.

وهكذا نجده قد سلك من أجل تحقيق هذا الغرض الخطير مسلكي الترغيب والترهيب اللذين تحدثنا عنهما بإيجاز لا أخل فيه ولو شئنا التفصيل لاقتضى ذلك منا كلاما أطول من هذا بكثير.

النبات وصفة الجنة في القرآن الكريم

الروضة: في اللغة تطلق على الأرض ذات خضرة، وكذلك على البستان الحسن، وأيضا على الموضع من الأرض إذا أجتمع فيه الماء وكثر نباته، وقيل الروضة عشب وماء ولا تكون روضة إلا بماء معها أو إلى جانبها [١].

وقيل الروضة: أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة[٢]، وسميت الروضة بذلك الاستراضه الماء فيه. وتجمع روض ورياض وروضات [٣]، وقد وردت كلمة روضة في القرآن الكريم دالة على روضات الجنة بصيغة الأفراد والجمع، كقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ [٤] والمراد بالروضة في الآية الكريمة رياض الجنة وهي المكان المخضر وقد خصته بالذكر لأنهما كانت أعجب الأشياء إلى العرب، وليس هناك شيء عندهم أحسن

(١) لسان العرب: ١٦٥/٧.

(٢) تاج العروس:٣٩/٥.

(٣) القاموس المحيط.

(٤) سورة الروم: الآية ١٥.

من الرياض المعشبة[١]، وقال بعض أهل العلم: المراد بالروضة الحبشة [٢]، ولا خلاف بين القولين، فالقول الأول على تجزئه البقاع في الجنة والقول الثاني عام.

وجاء اللفظ نكره لابهام أمرها وتفخيمه وتعظيمه ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ أي يسرون[٣]، وقال أبن عباس: أي يكرمون[٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما – أنه قال: (في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب المجر في ظلها مائة عام فيخرج أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويذكر له الدنيا فيرسل الله ريحة من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا)[٥].

ومعنى الآية الكريمة: أن الذين صدقوا بالله ورسوله وأقروا وعملوا بشرع الله فهم في الرياحين والنباتات المختلفة ومن أنواع الزهور المختلفة والمنظر الجميل، مسرورين، يتلذذون بالسماع وطيب العيش الهنيء، فهم فيما يحيون ويسرون به مكرمين منعمين[٦].

أما الآية الكريمة﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [٧].

والخطاب في الآية الكريمة موجه لرسول الله (ﷺ) وقال بعض أهل العلم: بل الخطاب عام لكل من يتمكن من الرؤية، ولا منافاة بين القولين فالمقصود استحضار

---

(١) زاد المسير: ٢٩٢/٦.
(٢) الكشاف: ٢١٧/٣.
(٣) جامع البيان، البحر المحيط.
(٤) جامع البيان.
(٥) الدر المنثور ١٥٣/٥.
(٦) جامع البيان.
(٧) سورة الشورى: الآية ٢٢.

الصـورة السـيئة الحـال للظـالمين فـي ذهـن المخاطـب[١]، والظـالمون فـي الآيـة هـم الكافرون[٢]، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن ما بين بيت رسول الله (ﷺ) ومنبره روضة من رياض الجنة فأخرج الإمام مالك بن أنس وهو أمام دار الهجرة (رحمة الله) بسنده عن أبي هريرة أو عن س عيد الخدري رضي الله عنهما قال: **((ما بـين بيتـي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضى))**[٣].

وفي رواية عن عبد الله بن زيد المازني أن رسول الله (ﷺ) قال: **((ما بـين بيتـي ومنبري روضة من رياض الجنة))**[٤].

ومعنى الحديث أن البقعة بين بيت رسول الله (ﷺ) ومنبره تكون في الدار الآخرة روضة من رياض الجنة. ومنطوق الحديث يدل على أن هذا المكان روضة من رياض الجنة والله أعلم. كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾[٥].

والعدن معناه الإقامة والاستقرار والمراد بجنات عدن: بساتين إقامة، فهم مقيمون فيها ومخلدون [٦].

---

(١) روح المعاني، والتحرير والتنوير.

(٢) جامع البيان.

(٣) الموطأ للامام مالك.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٣.

(٦) تفسير القرطبي، روح المعاني.

معني الجنة وما أضيف إليه

معنى الجنة:

الجيم والنون أصل واحد وهو الستر والتستر والتخفي[١]، ويطلق لفظ الجنة لغة على البستان[٢]، وهو الحديقة ذات الأشجار والنخل[٣] وفي الشرع يطلق على دار النعيم في الآخرة وما تشتمل عليه من اللذة والبهجة والسرور مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر وقد تأتي أحيانا بمعناها اللغوي.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية. ولذلك سمي البستان جنة لأن الشجر بورقه يستر ويغطي ما بداخله ودار النعيم سميت جنة لما فيها من الجنات[٤]، مماهو مستور عنا في الحياة الدنيا.

معنى جنات الفردوس

الفردوس: ويطلق في لغة العرب على البستان وهو بجمع ما يكون في البساتين، ويقولون الفردوس ويعنون به الوادي الخصيب. وأن الفردوس يطلق على جمع الجنة ويطلق أيضا على أفضلها وأعلاها وأوسطها كما قال ابن القيم رحمه الله [٥].

روي عن إبن ماجة بسنده عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **(الجنة مائة درجة كل درجة منها ما بين السماء والأرض وإن أعلاها**

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

(٢) الصماح للجوهري.

(٣) لسان العرب لابن منظور.

(٤) تفسير النسفي.

(٥) حادي الارواح.

الفردوس وأن أوسطها الفردوس وأن العرش على الفردوس منها تفجر أنهار الجنة فإذا ما سألتم الله فسلوه الفردوس) [١].

أما عدد الجنات فقد ورد في كتاب الله تعالى لفظ الجنة بصيغة الأفراد وبصيغة الجمع وقد ذكرت هذه المواضع في مبحث أسماء الجنة ولم يرد عدد الجنات محددة إلا في سورة الرحمن قال تعالى:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [٢] ثم ذكر أوصاف الجنتين قال تعالى:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٣].

ويعد هذا الوصف قال الله تعالى:﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٤] وأيضا وصف هاتين الجنتين بقوله:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .... تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٥].

فأخبر المولى عز وجل أن لمن خاف مقام ربه جنتان، وقد قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حينما ذكر ذات يوم القيامة، والموازين، الجنة حين أزلفت، والنار حين برزت، وصفوف الملائكة، وفي السماوات ونسف الجبال، وتكوير الشمس وانتشار الكواكب، فقال (رضي الله عنه): وددت أني كنت خضرة من هذه الخضر تأتي على بهجة فتأكلني وإني لم أخلق فنزلت هذه الآية﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٦]، وهناك قول آخر: وهو إنما نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حينما شرب ذات يوم لبنا على ظما وأعجبه، ولما سأل عنه أخبر بأنه من غير حلال فستقاءه ورسول الله (ﷺ) ينظر ثم قال له: رحمك الله لقد أنزلت فيك آية

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(٣) سورة الرحمن: الآيات ٤٧–٦١.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٦٢.

(٥)سورة الرحمن: الآيتان ٦٣–٧٨.

(٦)سورة الرحمن: الآية ٤٦، انظر: الجامع لاحكام القران، وتفسير القران العظيم.

وتلا عليه قول الله تعالى:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [1] وهذه الآية لو صح أنها نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلا أنها عامة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والشاهد من هذا أن الله عز وجل جعل لمن خاف مقام به بجنتين وبعدما ذكر أوصافها ذكر دونهما جنتين فهذه أربع جنات وإذا ذكرت بالجميع (جنات) فإن ذلك باعتبار سعتها، وكثرة وتنوع أشجارها ومساكنها وقصورها وأنهارها، فأنها جنات [2].

أما ما ورد في أي الجنتين أفضل فعلى الأرجح من الأقوال أنها الجنتين المذكورتين في قوله تعالى (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**) أفضل من الجنتين المذكورتين في قوله تعالى (**ومن دونهما جنتان**) فالجنتان المذكورتان ثانية دون اللتين قبلها في المرتبة والفضيلة والمنزلة.

أستدل أهل القول الأول على شرف الجنتين الأوليين على الأخريين من عدة وجوه:

١- التقديم يدل على الاعتناء، وقد قدم الله تبارك وتعالى وصف الجنتين الأوليين على الأخريين، وهذا ظاهر في شرف التقديم وعلوه على الثاني.

٢- قال تعالى في وصف الأوليين (**ذواتا أفنان**) وهي الأغصان أو الأصناف والأنواع المختلفة، وقال الله تعالى في وصف الأخريين ((**مدهامتان**)) أي سوداوان من شدة الري ولا شك في نضاره الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في البعض.

(١) الجامع لاحكام القران.

(٢) التفسير الكبير ١٢٨/٢٩.

٣- قال الله تعالى في وصف عيني الأوليين(**تجريان**) وفي وصف عيني الأخريين ((**نضاختان**)) والجارية هي السارحة، والنضاخة الفوارة والجارية السارحة لا شك أنها أحسن من الفوارة، لأنهما تتضمن الفوران وتزيد عليه بالجريان.

٤- قال تعالى في فاكهة الأوليين (**فيهما من كل فاكهة زوجان**) وقال تعالى في الأخريين (**فيهما فاكهة ونخل ورمان**) فالأوليات أعم وأكثر في الأفراد والتنويع.

٥ - قال الله تعالى في الأوليين (**متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**) فوصف الله تعالى باطن الفرش وسكت عن ظاهرها فإذا كان الباطن هكذا فكيف يكون الظاهر، فهذا تنبيه على فضل الظاهر بطريق الأولى.

٦- قال الله تعالى في الأوليين (**وجنى الجتين دان**) بمعنى أنه قريب سهل التناول، ولم ينكر هذا في الأخريين.

٧- قال تعالى في الأوليين (**فيهن قاصرات الطرق**) وقال تعالى في الأخريين (**حور مقصورات في الخيام**) ولا شك أن من قصرت طرفها باختيارها أكمل وأفضل ممن قصرت بغيرها.

٨- وصف الله عز وجل قاصرات الطرف في الأوليين بقوله تعالى (**كأنهن الياقوت والمرجان**) في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في حور الأخريين.

٩- تمام الخاتمة أن الله تعالى قال بعد ما ذكر صفات الأوليين (**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**) ومقتضى هذا أن أصحاب الجنتين الأولين من أصل الإحسان، والإحسان أعلى المراتب و النهايات فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

هذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على الاخريين(١).

وقد جاء في صحيح البخاري: أن رسول الله (ﷺ) قال: ((**جنتان من فضة آنيتهما وما فيها وجنتان من دهب آنيتهما وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا**

(١) صفة الجنة في القران الكريم عبد الحليم بن محمد نصان السلفي.

إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)) [١]. وبهذا يصبح لدينا أن الجنتين الأوليين أفضل من الأخريين والله أعلم بالصواب.

أراك أهل الجنة الأرائك: واحدها أريكة[٢]، والأريكة كنيه، وقيل هي سرير منجد مزين في فلة أو بيت، فإن لم يكن فيه سرير فهو حجلة[٣].

وقال ابن القيم: الأريكة تجمع ثلاثة أشياء: السرور والفراش والحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه [٤].

وقد سميت الأرائك لأنها متخذة في الأصل من شجر الأراك أو لكونها محلا للإقامة من أراك بالمكان أروكا [٥].

والعربي الذي يعيش في البادية ذو الحياة الصلبة الخشنة لا يعرف هذا المظهر المترف المنعم، وأما الصفة الحقيقية لأرائك الجنة فلا يعلمها إلا رب العالمين وهي على أية حال أعلى وأعظم من كل ما يعرفه البشر سواء كان في الماضي أو الحاضر أو مما سيحدث مستقبلا ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلا يستطيع إنسان أن يتصور حقيقة الأرائك لأن ذلك مما أخفاه الله عن عباده [٦]. والذي يهمنا من البحث هو ما أتخذ من شجر الأراك. ثمار الجنة جاء في القرآن الكريم ما يدل على وجود الثمار في الجنة بكلمات متنوعة اللفظ. اللفظ الأولى: ثمره وثمرات والثمرة: واحد الثمر والثمرات). والثمرة: هو حمل الشجرة، فيقال أثمر الشجر إذا خرج ثمره ويطلق الثمر على كل أنواع الثمر، ويغلب على ثمر النخل[٧].

---

(١) صحيح البخاري كتاب (٦٥) تفسير سورة الرحمن.

(٢)تحفة الأريب بما في القرآن من غريب لأبي حيان الأندلسي (٤٧).

(٣) الصماح: ١٠٧٢.

(٤) حادي الأرواح (٢٠٣).

(٥)أنظر المفردات في غريب القرآن (١٦).

(٦) في ظلال القرآن.

(٧)الصماح ٦٠٥/٢.

وقد ورد هذا اللفظ بصيغة الأفراد **(ثمره)** كما في قوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(١)] [(٢)]، وأيضا ورد بصيغة الجمع **(الثمرات)** كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾[(٣)]، وجاء هذا اللفظ ثمر الجنة في عدة أحاديث وآثار منها: حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) عندما كسفت الشمس في عهد رسول الله(ﷺ) ومن ضمنه قول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: **(ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها التنظروا إليه ثم برالي أن لا أفعل)**[(٤)].

وعن جرير قال سلمان: يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله تبارك وتعالى يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما الظلمات ؟ قال: قلت لا أدري. قال ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين أصبعيه، فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده، قال: قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر والتمر ؟ فقال أصلها اللؤلؤ والذهب وأعلاها التمر[(٥)].

وورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوه لأهل الجنة، أنها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢)لسان العرب وتاج العروس.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤)صحيح مسلم كتاب (١٠) الكسوف.

(٥) الزهد لابن مبارك (٥٢٣).

القلال أو الدلاء، أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وليس لها عجم[١].

اللفظ الثاني: الجني.

الجيم والنون والياء أصل يدل على أخذ الثمرة من شجرها، فيقال: ثمر جني أي أخذ الوقته[٢].

والجني يطلق على ما يبنى سواء كان من شجر أو غيره [٣]. وقد ورد هذا اللفظ دالا على ثمار الجنة في آية واحدة في سورة الرحمن قول الله تعالى:﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[٤]. أي أن ثمر الجنتين قريب من أهل الجنة فلا يتطلبون في أخذه لا بصعود ولا نزول[٥]، فمن شاء تدلى إليهم من الأغصان على أي صفة كانوا عليها قياما أو قعودا أو غير ذلك [٦].

وقد ورد الجني دالا على لفظ ثمار الجنة فيما رواه الإمام أحمد: رحمه الله عن ثوبان(رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: **(من عاد مريضا لم يزل في خرفه الجنة)** فقيل يا رسول الله وما خرفه الجنة ؟ قال (جناها) [٧].

---

(١)كتاب الزهد لهناد ٩١/١.

(٢)معجم مقاييس اللغة.

(٣)الصماح.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٥٤.

(٥) جامع البيان.

(٦) تفسير القرآن العظيم.

(٧) مسند الامام احمد(٢٨١/٥).

اللفظ الثالث: القطوف

القاف والطاء والفاء أصل صحيح يدل على أخذ ثمره من شجرها [١]، والقطف بالكسر: هو العنقود، ويطلق على ثمار المقطوفة ويجمع على قطوف [٢]، وقد ورد لفظ القطوف دالا على ثمار الجنة في أيتين هما: قوله تعالى: **(قطوفها دانية)** وقوله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[٣].

ومعنى آية الحاقة أن ثمار الجنة قريبة [٤] من قاطفها، فالذي يريد تناول الثمرة يأخذ كيف شاء قائمة أو قاعدة أو متكئا لا يمنعه مانع ولا يجول بينه وبين الثمرة حائل[٥].

وآية سورة الإنسان تدل على تذليل ثمر الجنة القاطفة. وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد[٦].

وقال البراء بن عازب (رضي الله عنه) في الآية الكريمة: **(ذللت لهم)**: يقطفون منها كيف شاءوا[٧]. والحاصل أن ثمر الجنة قريب من متلقية فمتى أراده دنا إليه وتدلى كأنه سامع طائع[٨]، وقد ورد لفظ دالا على ثمر الجنة في عدة أحاديث، منها حديث عائشة (رضي الله عنها) في الصحيحين لما وصفت صلاة الكسوف قالت: أن رسول

---

(١) معجم مقاييس اللغة.

(٢) انظر لسان العرب (٢٨٥/٩).

(٣) سورة الانسان: الآية ١٤.

(٤) انظر تغليق التغليق على صحيح البخاري.

(٥) انظر جامع البيان، وتفسير القران العظيم.

(٦) المرجعين السابقين.

(٧) تفسير مجاهد.

(٨) صفة الجنة في القران الكريم.

الله (ﷺ) قال: **((لقد رأيت مقاصي هذا كل شيء وعدته حتى لقد رأيت أريد أن أخذ قطفة من الجنة حيث رأيتموني جعلت أتقدم....))** [١].

اللفظ الرابع: الفاكهة.

الفاء والكاف والهاء أصل صحيح يدل على طيب وأستطابة، ومن هذا الباب الفاكهة لأنها تستطاب وتستطرف [٢]، وأجناسه فواكه [٣]، وهي تطلق على كل الثمار بما في ذلك التمر والرمان والعنب [٤].

وقد ورد لفظ فاكهة في القرآن تسع مرات، ولفظ فواكه مرتين، وفي تلك المواضع كلها يدل معناها على ثمار الجنة، وبيان المواضع المشار إليها: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[٥] آيات الفاكهة [٦].

دنيا النبات

في أكثر من زاوية يتعامل القرآن الكريم مع علم النبات ذي الخلق المعجز والمعاني المتوقفة والقيم التي لا تكف عن التمحض والعطاء، وهكذا يحدثنا حينا ومن خلال هذا العالم عن الموت والحياة، والفناء والخلود، والانكماش والانتشار، والتلاشي والانبعاث، وينقلنا حينا آخر إلى ملامح الأعجاز والإبداع فيه، تفجير الحياة من قلب التربية الميتة، وتنويع العطاء الذي يسقى بماء واحد، وحينا ثالث يمكن لنا عن منافع هذا العالم وتغطيته للضرورات دون أن ينسى الجانب الآخر: الجمال والتناغم والألفة

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٤٦).

(٣) انظر الصماح.

(٤) انظر لسان العرب.

(٥) سورة يس: الآية ٥٧.

(٦) المتأمل في هذه يراجع صفة اهل الجنة في القران الكريم،ص٣٣.

بين خلائق الله. وينتقل في مجموعات أخرى من الآيات البينات لكلي يضرب به الأمثال، ولكي يحكي لنا كذلك عن مصائر أقوام وجماعات لم يكن تعاملهم مع هذا العالم سواء. وعن أشياء كثيرة أخرى(١).

دراما الحياة والموت:

الأكثر من مكان ولغير موضع تعرض القرآن الكريم عن طريق الكلام عن النبات الى موضوع الحياة والموت تبلغت نظر الإنسان ويقلب ناظره في حدائق الله المنضرة في العالم، وأن من أبرز ما فيها تقلبها السريع بين الحياة والموت. انبثاقها من قلب التربة خفيفة ورشيقة اخضرارها وزهرها، ثم تيبسها وذبولها، كي ما تلبث أن تقدر حطاما.

ليس ثمة رحلة بين الانبعاث والفناء أسرع من هذه ص حيح أنها تؤدي مهمتها المرسومة في العالم منفعة وجمالا، وكأنها تظل تحمل ما هو أكبر من المنفعة والجمال. أنها العبرة) التي تنطلق بها هذه الرحلة ذات التحول الدرامي السريع بين الحياة والموت.

والحياة البشرية، في نهاية التحليل، لا تعدو أن تكون المعادل الإنساني العالم النبات، إن الإنسان يخرج من رحم أمه لكي ما يلبث بعد رحلة تطول أو تقتصر أن يذبل ويعاد ثانية في قلب التراب، وإذا كان كثير من الناس، سيما في عهود تألقهم فرادى أو مجتمعين، على المستوى الخاص أو دائرة الإبداع الحضاري الشامل، إذا كان كثير من الناس ينسون البدء والمنتهي، المنبع والمصب، الرحم والقبر، فإن الحقيقة تبقى أكبر من النسيان بكثير، إنهم يرحلون بين الطرفين، وأن عليهم أن يتذكروا دائما المسافة الحقيقية التي تتيح لهم أن يقطعوها بين الحياة والممات. هذه الذكرى الضرورية التي تحميهم من ورم الغرور والاستعلاء اللذين يقودان الى الكفر والفسوق والطغيان

---

(١) وحدانية الله تتجلى في وحده مخلوقاته الاستاذ عمر احمد الهواري.

فالنسيان قائم، والإنسان يحتاج الى من يهزه بعنف لكي يفتح بصيرته المغلقة على الحقائق، وقلبه المطمور على المصير. وما أحرى بعالم النبات، في عرضه الدرامي ذلك. أن يحدث ألهزه المرجوة، ويعيد الذاكرة إلى الأنسان.

إقـــرأ قولـــــه تعـــالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ (١)، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ....﴾(٢)، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ....﴾(٣)، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ...﴾(٤)، ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾(٥).

أن التصوير الفني للقرآن الكريم لهذه الحياة القصيرة التي صورتها سورة الأعلى قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾. ليس ثمة فاصل على الإطلاق بين المنبع والممات، بين المنشأ والهلاك، بين الخروج والذبول، فهذه حقيقة الفناء والتحطيم التي تلف الحياة والخلائق، فتقصر المسافات بين الوجود والمصير، التأكيد والفرق على وتر النهاية المحتومة والفناء الذي يقطع الحياة، ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال الإكرام. ولو تعلمنا من النبات هذه الحقيقة فوقف كل منا عند حده، وعرفت كل جماعة حجمها الحقيقي، لعرفنا كيف نجعل تجربتنا في هذا العالم الغاني مخضرة حقا. وهكذا تتوضح لدينا:

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢١.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٥) سورة الاعلى: الآيتان ٤-٥.

معجزة الخلق والانبعاث:

فالقرآن الكريم لا يقف عند وجه واحد للصور، فهناك أوجه عديدة، وهو يدور حولها جميعا لكي يخرجها لنا بفانوسه السحري صورة متحركة على شاشة العالم وبالطبيعة الملونة الذاهبة.

رغم بروز ظاهرة الفناء والتحطم إلا أن هناك الانبعاث و التماسك والحياة وهذا ما يصوره لنا القرآن الكريم في سورة الفتح:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا.....﴾[1]. إنها رحلة التجدد والاخضرار، والقوة والمآزره، أن خلق الله سبحانه وتعالى وربطه في نواميس إلهية منضبطة يجعل الكون وما فيه بحركة مسخرة دقيقة تسبح بحمد ربها وهي تنشر في أرجاء ورحاب الله فلكل موضعه وللنبات موضعه فمن قلب التربة تنمو وتنشأ وتكبر لتخضر وتزهر وهي تسبح بحمد الله عز وجل، فمعجزه الخلق المفاجئ تعلمنا كثيرا وتبصرنا كثيرة. إقرأ الأنعام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[2]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ.....﴾[3]، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾[4]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ...﴾[5]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[6]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩٥.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٥٧.

(٤) سورة النمل: الآية ٦٥.

(٥) سورة الحج: الآية ٥.

(٦) سورة الحج: الآية ٦٣.

ٱلۡأَرۡضَ....﴾[1]، ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا ..لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[2]، ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[3].

إن حقيقة بعث الحياة من أعماق التربة أبهرت عقول العارفين والباحثين، والسؤال يدور في خلدهم. إذا كانت مقدرة الله ومشيئته المطلقة قادرة على تحقيق هذا الأمر المرصود في كل لحظة وفي كل مكان من العالم، اتعجز مشيئته عن تحقيق الامر نفسه على مستوى البشرية نفسها بل والخلق كله ؟!

إن ما يعلمنا إياه القرآن الكريم، وهو يشير الى عالم النبات الأخضر النامي الزاهي الممتلئ حيوية، يشير لكي يضع الوجدان البشري بمواجهة الحقائق العارية المؤثرة المنظورة، بلا جدل ولا تعقيد ولا غموض.

درس آخر يقدمه لنا القرآن الكريم من خلال مشاهدة حياة النبات، فالتجدد الدائم والانبعاث المستمر المتواصل الذي لا يعرف توقفا أو انقطاعة، هو من سمات هذه الكائنات، إذن ما معنى اليأس الذي يصيب بعض الناس ويشل حركتهم ويعطل وجدانهم وفكرهم وكأن دورة الحياة توقفت ؟ إن الله سبحانه وتعالى قد منح الخلائق كلها قدرة فذة على التجدد والتواصل والديمومة والاستمرار، فلا يأس على الإطلاق، والموت والهلاك نفسه يبدو ضرورة لمسيرة الحياة والإبداع.

ولقد تحدث كثير من الفلاسفة والعارفين، يقف (شبنغلر) على رأسهم ولا ريب، عن تواجد هذا القدر المشترك بين الحضارات البشرية وعوالم النبات في معجزة الخلق، في صعود المنحنى الصعب، في الأغوار صوب الأقوال، والتحطيم والفناء ثم في الانبعاث مرة أخرى. إن تاريخ بني آدم يقول هؤلاء يمرون بنفس المراحل الدورية التي

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٣.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٩.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٧.

يجتازها عالم النبات. وسواء صحت مقالهم تلك أم لم تصح، فإن ثمه قدرا من التشابه يفرز عن التطابق الهندسي إذا أردنا الدقة، يربط بين خلائق الله جميعا.. الإنسان والحيوان والنبات[1].

ما يلبث القرآن الكريم إن يقف بنا عند عدد من الوقائع التاريخية لكي يحدثنا عن مصائر أفراد وجماعات لم تحسن التعامل مع دنيا النبات، هذه المنحة الإلهية والقدرة التي لا يصنعها إلا الله ولا يستردها إلا الله أفراد وجماعات شتى.. تحدث إحداهما إرادة الله (أنظر سورة الكهف)

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ....هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[2]. وأعرضت ثاينتها عن هدية (أنظر سورة سبأ) ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾[3] ورفضت ثالثها بحقه عليها بطرا وغرورة (أنظر سورة القلم)﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ.... كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

المنفعة والجمال:

ومن منظر وسطي شامل، ينظر الى الصورة من كافة أطرافها، يحدثنا القرآن عن جانبي هذا العالم: المنفعة والجمال. الضرورة والحرية، إن عالم النبات يغطي بعطائه الزاخر السخي حاجات بني آدم ومطامحهم الروحية على السواء. والقرآن يشير

---

(١) وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته انظر كتاب..ص٣٣٢.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٣٢-٤٤.

(٣) سورة سبأ: الآيات ١٥-١٧.

(٤) سورة القلم: الآيات ١٧-٣٣.

الى هذا وذلك، فهو يعرض في أكثر من موضع لأهمية النبات القصوى كماده للحياة البشرية: طعاما وتدفئه ولباسا، ويدعو بني آدم إلى الإفادة من المنحة الإلهية لإشباع ضـــروراتهم. أنظـــر ســـورة البقـــرة: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ..﴾[1]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ... ﴾[2]، ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ... الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[3]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾[4]، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ....﴾[5]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾[6].

ويتجاوز هذا الأمر لاى الوجه الجمالي العالم النبات، وهل أقدر من هذا العالم على منح الحياة وجهها الجميل ؟ هل أقدر منه على وضع الزخرفة الباهرة على واجهة العالم وتكوينه وتزينيه؟ إن الخضرة هي لذاتها جمالا خالصا أرادت بها يد الله المبدعة أن تزين هذا الوجود. وحتى صنوف النبات الأخرى التي تحمل الثمر للناس تتزين هي الأخرى وتسهم في أغناء هذا المهرجان المفتون. ولكن لا بد من الجمال مع الضرورة، فهذا هو أحد الملامح الأساسية التي تميز بني آدم عمن دونهم من الخلائق الإحساس بالجمال والتشوق إليه: أنظر قوله تعالى:﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم

(١) سورة البقرة: الآية ٥٧.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٤١.

(٣) سورة يس: الآيات ٣٥-٨٠.

(٤) سورة الواقعة: الآيتان ٧١-٧٢.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٩.

(٦) سورة النمل: الآية ٦٧.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً.... ﴾[1]، ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ....﴾[2]، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا... وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[3]، ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ...﴾[4]، ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾[5]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ...﴾[6]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[7]،﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ....﴾ [8].

لمحات إيمانية حياتية واقعية ملموسة لمحات عن معجزة الخلق والإبداع، لمحات عن وحدانية الله سبحان وتعالى، لمحات جمالية، وغيرها وكذلك لمحات عن التركيب الزوجي في دنيا النبات: أن القرآن الكريم يحكي لنا عن سر التكاثر في هذا العالم الأخضر الجميل: أنظر الايات الاتية في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾[9]، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾[10]،

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٠.

(٢) سورة ق: الآية ٧.

(٣) سورة ق: الآيتان ٩-١٠.

(٤) سورة الرحمن: الآيات ١٠-١٢.

(٥) سورة النبأ: الآيتان ١٥-١٦.

(٦) سورة الانعام: الآية ١٤١.

(٧) سورة النمل: الآية ١٣.

(٨) سورة الانعام: الآية ٩٩.

(٩) سورة الرعد: الآية ٣.

(١٠) سورة طه: الآية ٥٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾(1)، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾(2)

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ﴾(3)، ﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴾(4).

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾(5)، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(6).

ولا يترك القرآن مجالا من المجالات إلا والفت النظر إليه فهذه لمحه عن التمثيل الغذائي (التركيب الضوئي) أن القرآن يحدثنا عن التكاثر، يحدثنا كذلك عن سر الزهور والثمر في دنيا النبات، وأنها لإشارة معجزة حقا إلى مادة الكلورفيل الخضراء التي تصنع الغذاء وتخرج الحب قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾(7).

ولمحه أخرى عن التقرير الحكيم في توزيع النبات في الأرض ونسب عطائها. لقد تحدث علماء النبات كثيرة عن هذا التدبير الدقيق (الموزون) بالمقادير الربانية

---

(1) سورة طه: الآية ٥٣.

(2) سورة الحج: الآية ٥.

(3) سورة لقمان: الآية ١٠.

(4) سورة الزخرف: الآية ١٢.

(5) سورة يس: الآية ٣٦.

(6) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(7) سورة الانعام: الآية ٩٩.

الذي يتيح إذا صح التعبير تعايشة سلمية بين النباتات ويحقق، بكلمة أدق، نوعا من الوفاق التكاملي الذي يخدم الحاجات البشرية ويعين الطبيعة على مواصلة مهماتها: أنظر قوله تعالى:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾[1]،﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ...﴾[2]، ﴿ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾[3].

وبعد كل اللمحات والأعجازات في الخلق من البدأ الى النهاية والجمال والمنفعة والحس والقدير، الى التروي أنظر قوله تعالى:﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[4].

(١) سورة الحجر: الآيتان ١٩-٢٠.

(٢) سورة فاطر: الآيتان ٢-٣.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٧.

(٤) سورة لقمان: الآية ١١.

بذور تهاجر بأجنحة وبارشوتات وتستعمل تقنية متطورة:

أفكار عظيمة أستخدمها النبات منذ الأزل واستفاد منها الحيوان (العنكبوت يستخدم الباراشوت للافتراس). كل هذا جاء به النبات ليقظي على المسافات البعيدة والأراضي الشاسعة والوعرة ليتصل وينتشر بطرق علمية متقنه: وتقدم هنا بعض التصميمات من صنع الله، لا الإنسان، علنا نرى فيها جدة في الابتكار وسبق للأفكار.

فمنذ عهد قريب جدا ظن الإنسان أنه كان أول من أبتكر فكره المظلة الهوائية أو الباراشوت، ليركب به متن الهواء، لكن فكرته محددة بزمان ومكان، ثم أنها لا تخلو من إخطار، كما أن الهدف منها غير مأمون العواقب دائمة، لأن الإنسان يهبط بباراشوته تاركا نفسه تحت رحمه الأقدار، ثم أنه لا يستطيع أن يوجه به نفسه، فيرتفع كما يريد، أو يهبط كما يشاء، أو يتنقل من مكان إلى مكان إلا في حدود ضيقة وإمكانيات معلومة محصورة.. إلى آخر هذه الأمور التي تشير الى قصور الفكرة ذاتها.

فإذا ما قارن ذلك بفكره مثلا (الباراشوت) الذي تنتجه بعض النباتات مثل الهندباء البرية أو الجعضيض أو حشيشة اللبن أو الخرخشقون (Dandelion)... الخ.

فلقد ظهرت هذه النباتات قبل أن يظهر الإنسان ذاته على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنيين كما يقول الباحثون، ثم أن الفكرة المتقنة تؤدي دائما إلى التطبيق المتقن والصمود غير المحدود بزمان ومكان وليس أدعي على ذلك من انتشار هذه النباتات انتشارا واسعا عبر الزمان والمكان فبهذا الباراشوت النباتي البسيط التكوين العظيم الأداء والفائدة، تعبر الذرية النباتية الصحاري وتغزو قمم الجبال وتتخطى الأنهار والبحار وتعبر القفار، وفوق كل هذا تهاجر بعيدا عن أرض الآباء والأجداد، حتى لا تتكدس الأجيال المتعاقبة في نفس المكان، وكأنما لسان حالها يقول: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾وقد كان لكن استخدام فكرة المظلة (الباراشوت) في عالم النبات كان يقصد الانتشار والتعمير. وهو في حالة الإنسان جاء للغزو والقتل والتدمير إلا ما رحم ربك وشتان ما بين أفكار وأفكار!

ورغم أن الفكرة في تصميم الباراشوت واحدة، وهي قد جاءت أساسا لتركب بها البذور على متن الهواء. إلا أن التصميم قد يختلف بين نوع النبات ونوع آخر، وعلينا أن نختار تصميما واحدا وفيه تنتج الزهرة الواحدة مئات البذور الصغيرة الحجم والخفيفة الوزن، ويعني هذا أن النبات الواحد قد يعطي آلاف البذور المتكونة على عدة زهور، وكل بذرة متصلة بمحور، وفي نهاية المحور تنبثق مجموعة من الشعيرات الرقيقة التي تغشيه الزغب، وعلى محاور الشعيرات زغب أدق وأدق، وبحيث يبدو شكل التكوين النهائي كمظلة هوائية، أو باراشوت أو بالون دقيق جدا مناسبة تماما للهدف والغاية المرجوة.

وبعد أن تنضج البذور وتنفرد مظلاتها الهوائية، تبدأ مرحلة الانطلاق، لكن الأمور لا تسري هكذا إعتباطا، بل هي محكومة بظروف جوية مناسبة أي كأنما النبات هنا بمثابة محطة أرصاد تسجل درجات الحرارة واتجاه التيارات كأنما النبات هنا بمثابة محطة أرصاد تسجل درجات الحرارة واتجاه التيارات الهوائية ونسبة الرطوبة وما شابه ذلك. وهو يختار لذلك وقت الظهيرة أو بعدها بساعة أو ساعتين، وعندما يضمن النبات أن التيارات الهوائية الصاعدة تكون في أوجها، ولهذا فإن القواعد التي ترتكز عليها البذور تصبح مهيأه لعملية الإطلاق فمن تأثير نسمة أو لفحة هواء.

والذي يساعد على التخلي عن بذورها هو اجتماع الحرارة والجفاف عند الظهيرة أو بعدها وفي هذا الوقت تنطلق المظلات حاملة بذورها حيث ترتفع في تيارات الهواء الصاعدة ثم تتوزع وتهاجر مع الرياح السائدة. فمنها ما يحط على الأرض على مسافات من موطن الآباء تتراوح بين عشرات أو مئات أو آلاف الأمتار، وأحيانا تقطع عشرات ومئات وربما آلاف الكيلومترات، الى أن تجد الأرض الرطبة الصالحة اللإنبات، وهذا الأذن بالهبوط الرباني ليتم التوزيع الإلهي بقدر موزون.

وبهذا تتوزع وتنتشر في مواطن جديدة لتكرر الدورة مرة ومرات، كما حدث قبل ذلك في ملايين الدورات النباتية.

وبذور تهاجر بأجنحة:

نتنحى جانبا عن الطيور والطائرات وبعض أنواع الحشرات وعن الأفكار الإنسانية في محاولته للطيران وعلى مر العصور انتقالا من استعمال الجناحين الى الطائرات الى المركبات الفضائية.

وطبيعي أننا لم نشاهد طيران نباتات طائرة، بل رأيناها بذور مهاجرة، لكنها في هذه المرحلة بأجنحة رافعة هابطة وبفكره جد ناجحة لأنها استمرت ملايين السنيين وما زالت.

ولننقل هنا فقرة كتبها عالم نبات ألماني في القرن الماضي هو البروفسور (هابرلاندت) أنه أتي هذه الفكرة وهي تشتغل في نباتات متسلق أسمه (ليانا) على قمم الأشجار الاستوائية، فجاء وصفه لها كأنما هو يتغنى بأفكار الطبيعة الساحرة يقول هابرلاندت: (ومن هذا النبات تتدلى ثمار كأنها الأجراس في أبراجها العالية، والمطلوب منك أن تتحلى بشيء من الصبر حتى تهب بعض الرياح لتهزها من محاورها المتدلية، وفجأة يبدو أمامك وكأنما هناك سرب من فراشات زاهية وقد انطلقت في الهواء من داخل ثمار تتراوح أطوالها بين ٢٠-٢٤ سنتمترا. وعندما تنضج الثمرة وتنفتح، فإنها تنشق طوليا من أسفل الى أعلى، فتبدو كهيئة الجرس. وفي داخلها تتراص البذور المجنحة في طبقات يعلو بعضها البعض، فتتراءى للعين كأجمل وأدق نظام موجود في عالمنا... إن التصميم الذي جاءت به البذور قد جعل منها آلات طائرة ذات كفاءة عالية... إنها تلف وتدور وتطير هذه الناحية أو تلك، ولا تحتاج في ذلك إلا لسخان هواء خفيفة، لتصبح منافسة كفؤا للفراشات المحلقة) [١].

---

(١) انظر كتاب وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته.

البذور تستخدم تكنولوجيا متطورة:

لقد اجتمعت في هذه البذور المجنحة كل المبادئ الهندسية والتكنولوجية لتلائم المهمة التي تقع على عاتقها. فمن أجنحت مفرده ذات مسافات واسعة، الى دقة في التكوين، الى خفة في الوزن الى توازن ومناوره في الهواء، إلى اختيار في نوعية المواد التي تدخل في بناء الأجنحة... إلى آخر هذه الأمور التي تحتاج من العلماء الى بحوث ومعادلات ونظريات واختبارات وما شابه ذلك.. لكن النبات فعلها بقدرة الله تعالى من قديم الزمان وبغير فكر ولا ورق ولا قلم ولكنه الأعجاز الرباني الإلهي.

إن البذور الطائرة تكمن بالضبط بين جناحين رقيقين متجهين بزاويا محددة.. عرض الجناح حوالي ٥ سنتمتر وطوله حوالي ٨ سنتمتر، أي أن محصلة الطول حوالي ١٦ سنتمتر. ومحصلة المساحة حوالي ٨٥ سنتمترا مربعا ومع ذلك توزن هذا التصميم الطبيعي لا يتجاوز ١.٣ غرام (ثلاث غرام). أي أنها قد جمعت في تكوينها كل المميزات مساحات كبيرة وأوزان خفيفة ومواد بنائية متينة يسيل لها لعاب العلماء.

ويجي بعد البروفسور الألماني هابرلاندت أستاذ ألماني آخر يدعى (فريدريك آلبورن) من جامعة هامبورج لينشر بحثا عن كفاءة هذه البذور الطائرة في الانتشار. وكان عنوان بحثه المنشور في أحدى المجلات العالمية عام ١٨٩٧م هو (ثبات أو أتزان الآلات الطائرة) ولقد أشار فيه أن كل من أراد أن يبتكر تصميما كفؤا فعليه أن يقلد فكره بذور نبات اليانا) المعلق والمتسلق على أشجار الغابات الاستوائية، ففيها من الميزات ما لا يمكن أنكارها.

ووقع هذا البحث بين يدي (أيتريش) الألماني ونجله إيجو وكانا مهندسين متخصصين في تصميم وصناعة المنسوجات في بوهيميا. وأرادا أن يطورا تصميم (أوتوليلبنتاك) الذي فقد حياته عندما كان يجرب فكره الأجنحة الطائرة. وأستقل (أيجو) وزميله (فرانز فيلز) القطار الى هامبورج حيث قابلا البروفسور (آلبورن) صاحب

البحث المنشور، وحصلا منه على مزيد من المعلومات عن فكرة البذور الطائرة، وبها طور فكرة الجناح الطائر[١].

حقا.. إن الطبيعة التي خلق الله تعالى بمثابة مجلد ضخم مغلق على أسرار رائعة ومبتكره، لكن المجلد لا يفتح صفحاته ولا يبوغ بمحتوياته، إلا لكل من سطر إليه وأقبل عليه ليقرأ بعقلية متفتحة داعية هاضمه ما سطر فيه من روائع التصميم والخلق المفكر ليصبح زادا علمية في عقول البشر ﴿ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٢].

الحياة الغير المنظورة للنبات

عالم النبات عالم غامض ومثير للإعجاب ومثير للباحثين، حوله خرجت معلومات على جانب كبير من الأهمية. فاستنتج العلماء الشيء الكثير. إن النبات، مثل الإنسان والحيوان، يتألم يبتهج، يهمس، يصرخ، يشنف أذانه بسماع الموسيقى ويقوم حتى بعمليات حسابية دقيقة لقد ساهمت التكنولوجيا الحديثة بالقاء المزيد من الأضواء على عالم النبات، أو على الجزء الروحي منه، إذا صح التعبير وهو جزء غير منظور. ولقد أجريت تجارب أعطت نتائج هي أقرب إلى الخيال ولكنها ثمرة تلك والتجارب.

النبات ذو حس مرهف

يروي لنا العالم (تومبيتاينز) أن (باكستر)، كان في عوم من العام ١٩٦٦، يلهو بالآله التي يستعملها لاكتشاف الكذب، وهي عبارة عن جهاز كهربائي فرو بأذرع تحسس وإبره التسجيل الاهتزازات. وضع (باكستر) أذرع التحسس على جزء من النبتة التي كانت سكرتيرته قد اشترتها تزين العزمه، ثم قام بري النبتة، وكان يتوقع أن يعرض الماء النبتة إلى رده فعل أقل تجاه التيار الكهربائي. لكن دهشته كانت كبيرة عندما لاحظ عكس، فقد تحرك المؤشر بصورة (انفعالية) وهنا تساءل باكستر عما إذا

---

(١) انظر كتاب وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٨٥.

كانت النبتة تشعر بالفرح أو الألم، ثم قرر أن يحرق جزءا منها بعود كبريت، وما كاد يخرج العود من جيبه حتى أحدثت النبته اهتزازا في إبره (آله اكتشاف الكذب) تماما كما يحدث للمتهمين أثناء استجوابهم أو تهديدهم. وعندما أحرق باكستر قسما من النبته كانت ردة فعل الناتجت عنها أضعف.

وكانت هذه الصدفة المثيرة سبيلا الى دفع باكستر نحو تطوير أبحاثه والأجهزة المستخدمة فيها، حتى بات على اقتناع تام، مع مرور الوقت، بأن النبات يتمتع بإحساس شبيه بإحساس المخلوقات الأخرى[١].

الذاكرة النباتية

لم يكتف باكستر بالبرهان على إحساس النبات، بل أنكب كذلك مع عدد من خبراء شرطة نيويورك على البرهان على أن النبات يتمتع بذاكره هو الآخر مثل ذاكره الإنسان.

ولبلوغ هذا الغرض وضع باكستر ٦ أشخاص معصوبي الأعين داخل غرفة تضم نبتتين. وكان على كل من الأشخاص الستة أن يختار ورقة وضعت داخل كيس، وإحدى هذه الورقات تحمل أمرا بإتلاف إحدى النبتتين من دون أن يعرف أحد بذلك. وقام بإتلاف النبته، ثبت جهاز الكذب الى النبته الثانية وطلب الى الرجال الستة أن يمروا من أمامها الواحد تلو الأخر، فماذا كانت النتيجة ؟ لقد أحدثت النبته اهتزازة ظاهرة كلما مر بها الجاني، أي أن البنته كانت تثور كلما رأت المذنب الحقيقي الذي (أغتال) شقيقتها.

وثمة اختبار آخر قام به باكستر إذ ثبت الجهاز بالنبته وأقام رجلا أمامها كان قد طلب إليه أن يجيب بكلمه (كلا) على كل الأسئلة التي ستطرح عليه، ثم بدأ يحاول معرفة تاريخ ولادة الرجل. طرح عليه عدة تواريخ وكان الرجل يجيب بما طلبه منه

---

(١) كتاب وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته عمر احمد الهواري،ص٣٤٨.

باكستر، إلى أن سأله عن التأريخ الحقيقي. وقد تمكن باكستر من معرفة هذا التأريخ بالتحديد من خلال رده فعل النبته التي سجلها الجهاز.

واستبعاد لما وصفه البعض لعملية إيحاء من العقل البشري للنبته، أبعد باكستر العنصر البشري عن بحث جديد مستعيضة عنه ببعض حبات القريدس الحية وضعها في ميزان متأرجح فوق وعاء من الماء المغلي وأغلق الغرفة. وفي غرفة مجاورة مغلقة أيضا وضع بعض النباتات. وكلما تأرجح الميزان كانت حبات القريدس تتساقط في الماء المغلي. وكلما وصل ذلك باكستر عما إذا كانت الخلايا الحية تشعر بما يحصل لخلايا حية من نوع آخر رغم أنها لا تراها.

هذه النتائج دعمها الكثيرون غير باكستر، ومنهم المهندس الكهربائي الأمريكي بياربول سوفان) الذي تمكن من تعليم إحدى النبتات من إيقاف حركة قطار كهربائي صغير. وقد لاحظ سوفان هذا أن نبتاته تنشرح كلما عاد من سفر[1].

النبات يتحسس للموسيقى:

لم يكتف والأمريكيون بهذا الحد من الغوص في أعماق حياة النبات، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك بكثير، فأكد المهندس الزراعي (من ولاية الينوي) (جورج سميت) أن الموسيقى تؤثر عضوية في النبات. وقد برهن على ذلك بوضع نباتات في حاضنتين مماثلتين من حيث التربة والمناخ، ووضع في إحداهما مسجلا يعزف مقطوعة (إبسودي أن بلو) للموسيقا (غير شغفا) على مدى ٢٤ ساعة، فكانت النتيجة أن ارتفعت نسبة ما جناه من الذرة الصفراء ٣٠٪ ومن الصويا ٢٠ % وهذا ما أكده المهندس الزراعي الكندي (بوجين كانبي) الذي وضع مسجلا ومكبرة للصوت في حقل قمح وبث بواسطتها مقطوعات موسيقية الباخ) فكانت النتيجة ارتفاع نسبة المحصول ٦٦% وتأكيدا لما يتمتع به النبات من (أذن) موسيقية وحس مرهف وتذوق لهذا الفن، قامت العازفة الأمريكية (دوروتي ريتالاك)، بالتعاون مع العالم البيولوجي (فرانسيس برومان) بإجراء تجارب بهذا الحقل. فوضعت نباتات متشابهة في ثلاث غرف متشابهة

(١) المصدر السابق.

الأوصاف أيضا من حيث درجة الحرارة والرطوبة والنور، الغرفة الأولى أبقيت صامتة، في الغرفة الثانية ركز مسجل يبث الموسيقى الكلاسيكية وفي الثالثة ركزت مسجلا ليبث الموسيقى العصرية، وقد تبين نتيجة الاختبارات هذه، أن نباتات الغرفة الثانية مالت نحو المسجل وكأنها تعانق الألحان الموسيقية. أما نباتات الغرفة الثالثة فقد نفرت م ن الموسيقى العصرية، ومالت نحو الغرفة التي فيها الموسيقى الكلاسيكية.

والأطرف من كل ذلك أن النباتات يمثل إلى أنواع معينة من المقاطع مثل أعمال (باخ) التي ترتكز على الأرغن، وأعمال الموسيقى الهندي (رافن شانكار) والواقع أن اهتمام السوفيت بعالم النبات لم يقل عن اهتمام الأمريكيين في هذا الصدد نشير إلى أن عالمي النفس البروفسور (يوشكين) والبروفسور (فينيسوف) قاما بسلسلة تجارب مماثلة لتجارب باكستر، فجاءت النتائج مطابقة للنتائج التي توصل إليها هذا الأخير.

كما أثبت العلماء أيضا أن هناك علاقات غير مرتبة بين النباتات ومن يمكنها كما توصل العلماء أيضا إلى تدريب النباتات على الاحتراس من نوع معين من الصخور، وذلك بأن عرضوها إلى سلسلة من أصناف التعذيب كما اقتربت الصخرة المعينة منها.

ويعتقد العلماء أنهم ربما استقلوا تفاعل الخلايا بعضها مع بعض وحتى عن بعد الاكتشاف ما إذا كانت الكواكب تضم مخلوقات حية، ويمكن بواسطتها أيضا الاتصال بعوالم أخرى مجهولة.

سألوا (بونارد شو) مرة: لماذا لم ير أحد قط في غرفته يوما باقة من الأزهار، هل لأنه لا يحب الأزهار ؟ أجاب شو: أحب الأزهار حبا جما، لكن لا أحب قتل الأطفال![١].

---

(١)انظر كتاب وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته.

نباتات تتغذى على اللحوم:

كما أن الحيوانات تتغذى على النباتات لتستمد طاقتها المعيشية منها ولتقديم حياتها وتنشط حيويتها من خلال أفعالها الحيوية البايولوجية. وهذا أمر معروف عند الجميع. إلا أن الأساطير تناقلته وحكى عنها المسافرون... ثم جاء العلم الحديث ليقل لنا الكثير عن حقائقها أنها موجودة، فهي لم تعد أذن أسطورة نباتات تتغذى على الحشرات والديدان.. ونباتات تتغذى على الطيور.. بعضها يجد الغذاء على سطح الأرض.. وبعضها يغوص بفخاخه تحت الماء.. ولكنها كلها تعيش في الأرض الفقيرة حيث ينعدم الغذاء الطبيعي والتربة العضوية. هناك عدد من أنواع النباتات قد يصل ٤٥٠ نوعا تتبع ست عائلات نباتية مختلفة، تقوم على اصطياد الفراشات الحية، أن هذه النباتات ليست متطورة جدا في طريقة ص يد الفراشات، ومنها ليست تماما لأحمه، وإنما مسؤولة عن إصدار الموت لعدد كبير من الحشرات كما في نبات (شوك الدراج) وتقوم هذه النباتات بنصب فخاخ مختلفة لصيد الحشرات منها: الفخ الكاذب: وهو عبارة عن تجويف يتجمع فيه ماء المطر فتغرق الحشرات كما في فخ شوك الدراج.

والفخ ذو شكل الوعاء الجرابي: ويأخذ هذا الفخ شكل الأنبوب أو الجراب، أو البوق، كما في حالة نبات السلوى، ونبات البوقية.

أما الفخاخ المتحركة، فهذه تغلق تماما عند صيد الفريسة محكمة القبض عليها كما في فخ الذئب أو الفخ القلاب وعند النبات المسمى آكل الهوام.

وهناك أنواع كثير من الفخاخ كاستعمال الشبكة وطريقة تصنيع الذباب أو فخاخ الدبق كما في نبات الندية، والنبتة الأوربية المسماة الكراسيت أو الذهنية، وهناك نباتات البوقية الأمريكية ونبات السلوى الأسيوي تأخذ شكل الجرابية المحكمة السد ولكل نبات تركيباته الشعيرية والإفرازات والتقلصات والانبساط في القبض على الفريسة وتحليلها والتغذية عليها. من خلال وقوع الفريسة في سوائل مركزه من العصارات الهضمية، عالية الإذابة، وحجوم هذه الفخاخ مختلفة، أكبرها يمكن أن يحتوي على أربعة لترات من هذا المزيج الخطر، ولذلك لهذه النباتات المقدرة أن تتغذى على العصافير بل

وحتى على الحيوانات اللبونة كالفئران والجرذان، ولكن الغريب في الأمر أن هناك نوعا من الزنابير البرية تقوم بعمل ثقوب في هذه الفخاخ وعندما يفرغ الفخ من العصارة تقوم هذه الزنابير بعمل أعشاش لها في داخلها، كما أن نوع من البعوض لا يخشى هذه العصارات والأفخاخ فأنثى البعوض تنزل بصورة عمودية حتى سطح السائل لتضع بيوضها، ومن ثم تعود لتجد طريقها بدون أي متاعب تذكر، وهذه الحشرات تملك مضادات أنزيمية، تقوم بحمايتها من العصارات الهضمية أما بيوضها فتعطي يرقات تنمو وتتطور بسرعة، بفضل تغذيتها على الحشرات المصطادة والمتحللة بواسطة النبات. فسبحان الله.

والقصص كثيرة والأمثلة أكثر عن هذه النباتات ومنها نبته القريبة وهي تصغير لكلمة قربت، تتواجد على سطوح المستنقعات. أزهارها متجمعة ومتجهة نحو الأعلى، جميلة المظهر، صفراء اللون وتحت هذا المظهر الرائع تختفي آله جديدة ومختلفة للصيد، وعملية الصيد هذه تمدت نحو سطح الماء، حيث تنتشر الأوراق الليفية للنبات والمجهزة بعشرات الآلاف من القرب الصغيرة والحويصلات الصغيرة جدا التي تقوم عند اقتراب أحد الحيوانات القشرية منها بامتصاص سريع جدا للماء فيدخل الحيوان مع هذا الماء الممتص، ويصبح سجين الفخ، وبعد عشرين دقيقة تكون عملية الهضم، قد انتهت، وهكذا يؤمن النبات احتياجاته من الغذاء.

وكذا الحال مع النبتة الذوية فهي ذات حجم صغير غير ملفت للنظر، فتتواجد على التربة العضوية الغير متحللة، تصطاد الحشرات بواسطة مادة لزجة تعلق بها، أما لقبها ندى الشمس، فلا يفيد في معرفته حقيقتها المدهشة، وهناك ما يسمى بماء النار، ما هو إلا طعم

جذب الحشرات واصطيادها، وتنقض الشعيرات القريبة من هذا الموضع على الحشرة للإحاطة بها من كل موضع مفرزه عصارة هاضمة لهذه الحشرات هذه الفعالية الكبيرة لهذا النبات تجعله بغطاء ما يتناسب ألفي حشرة قلاب الضعيف.

أما نبات آكل الهوام ومصيدة الذباب فذاك حجم متوسط تنمو في مستنقعات كارولينا في أمريكا الشمالية، هذه النباتات لها فكين جوانبها محاطة بإبر صلبة ومثناه نحو الداخل وعلى السطحين الداخلين من التركيب، إضافة لكل هذا فإن كل فك يحتوي على غدد تفرز مادة سكرية لجذب الحشرات إليها ومع أن تلمس الحشرات المتعطشة لهذا الرحيق الشعيرات حتى تكون قد انقضت عليها بعنف شديد وسريع بحيث لا تترك للفريسة أي مجال للهرب فإذا كانت الفريسة كبيرة فإن الفخ يبقى مغلقا لمدة أثنا عشر يوما وفي وسط هذا السجن النباتي تتم عملية الهضم الطويلة.

تتواجد هذه النباتات عادة على الأراضي الفقيرة بأنواع الغذاء كالمستنقعات، والتربة العضوية الغير متحللة، وتغطي عجزها، من المواد الأزوتية باستثمار آزوت البروتينات الحيوانية ورغم كل ما لهذه النباتات من مظاهر حيوانية من أحساس وحركة، والتغذية على اللحوم، فإن لها القدرة أيضا في بعض الحالات على التزهير أو أعطاء الأزهار بالتالي تكوين البذور واستمرار وجودها على وجه البسيطة.

الإزهار في عيون الحشرات:

الأزهار في عيون الحشرات تختلف عما يراه الإنسان، ليس صحيحا أن ألوان الأزهار تمتع أعين الناس وحدهم، لأن لها وظيفة لا تقل أهمية، فهي تخاطب عيون الحشرات بالدرجة الأولى، لكن هل ترى الحشرات ألوان الأزهار كما نراها نحن ؟؟.

أن التركيب الحيوي، وخاصة الشكلي للأزهار مرتبط إلى حد بعيد بسلوكية الحشرات فحبوب اللقاح، حبات الطلع والغدد الرحيقية، والروائح تعمل على جذب الحشرات، وانتقالها

الا من زهرة الأخرى، وكذلك تلعب الألوان الزاهية للأزهار، خاصة بتلاتها، دورا هاما في هذا المجال، رغم أنه لا يشترط أن ترى الحشرات ألوان الأزهار بالألوان التي نراها نحن فالأزهار التي تقول بأنها ذات لون أزرق مخضر ؟! ربما عيونه لا تخدعه كما يخدعنا السراب مثلا ! ونظرا لتجنب الحشرات والأماكن المظلمة فإن الأزهار تسعى لإيصال الضوء الى أعضاء التكاثر الموجودة في مركزها بطرق متعددة منها:

١- أن ألوان بتلات الأزهار (مفردها بتلة) وهي التي تعطي لون الزهرة الساحر، غالبا ما تساعد على نفوذ الضوء، فلا تتلون بألوان قاتمة، ممتصة بذلك جميع الإشعاعات الضوئية.

٢- تتخذ الأزهار أشكالا تسهل دخول الضوء إليها كما في نبات (الجريسة) فأزهارها مفتوحة لأقصى درجة حتى يستطيع استقبال أكبر كمية من الضوء.

٣- كما نجد أن هناك بعض الأزهار التي تتبع حركة الشمس في السماء، فصباحا تكون في جهة مشرقها ومساء في جهة مغربها، (الانتحاء الضوئي للنبات). كما في حاله النبات زهرة الشمس، أن وصول الضوء للزهرة يعطيها لمعانا وبريقا، مما يجعل الحشرات تتهافت عليها. وظاهرة تميز الألوان عند الحيوانات يجعل بعضها يميل إلى ألوان معينة، فنجد أن العصافير والطيور تقوم بتلقيح أزهار، نبات العايق الأحمر في أمريكا، بينما يقوم النمل بتلقيح السلالات الزرقاء من نفس النبات في بريطانيا، بالرغم من أن كلا السلالتين نفس الشكل والتركيب للأزهار، والفرق الوحيد بينهما اختلاف اللون، وكما كانت حشرات النحل تقوم بالعبء الأكبر من عمليات تلقيح النبات، بمقارنتها ببقية الحشرات، بسبب جسمها الممتلئ والمغطى بالأوبار فإننا نجد أنه من المهم دراسة ظاهرة تمييز الألوان عند النحل، لأن هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بعمليات اللقاح.

النحل والألوان:

كتب الكثير من العلماء بهذا الصدد وأكدوا أن اختلاف الألوان في الأزهار هو من أجل الحشرات وانجذابها فتلقيح الأزهار وقال فون هسير أن النحل لا يميز الألوان. أن درجة الرؤيا للألوان عند الإنسان تقع عند طيف الشمس المحصور بين ٣٨٠- ٧٨٠، ويتضح لنا أن الإنسان لا يرى الأشعة تحت الحمراء ولا الأشعة فوق البنفسجية فمن المعروف أن الألوان التي نراها ما هي إلا الألوان المنعكسة من على السطوح المرتبة والتي تكسبها ذلك اللون أما باقي الألوان فيمتصها الجسم ولا تظهر. أما كيف يراها النحل فهذا ما عمل عليه العالم (فون فريش) أستاذ علم الحيوان بجامعة ميونخ

وحصل عن أبحاثه التي تدور حول الكيفية التي تؤدي أعضاء الحس عند النحل عملها جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٣.

وتبين أن النحل يستطيع أن يتحسس أشعة الضوء مابين ٣٠٠–٣٨٠ والتي لا يشعر بها الإنسان أن ألوان الأزهار البيضاء تظهر لعيون النحل وكأنها ذات لون أزرق مخضر، وأن اللون الأخضر لون الحقول ولون أوراقه وسوق النباتات يبدو في عيونها بلون رمادي، وهنا بعض الألوان يراها النحل كما نراها نحن، فمثلا زهرة الدوروني، تظهر يعيون النحل بلونها الطبيعي، وهو اللون الأصفر فإذا ما وجدت زهيرات داخل الحقول الخضراء، فإنها تبدو للنحل بشكل بقع متميزة اللون على لوحة ذات لون رمادي، وهناك حالة أخرى حيث أن النحل يستطيع تمييز الألوان الزرقاء، ولكننا لا نعرف بالضبط درجة ظهور هذا اللون في عيونه، فأزهار نبات (الجريسة) الزرقاء والبنفسجية اللون تظهر لعيون النحل بلونها الأزرق، ولكن في أيه درجة ؟ هل هي ذات لون أزرق باهت ؟ أم ذات لو أزرق قاتم ؟ أم بين بين؟.

مما تقدم يظهر لنا بشكل واضح وجود القدرة والفعالية لدى النحل على تمييز الألوان، كما نرى أن النباتات تظهر أزهارها بلون يخالف لونها المعتاد وهو اللون الأخضر، مما يسهل على الحشرة تمييزها عن بقية أعضاء النبات بسرعة، دون إضاعة الوقت، وبذلك تستطيع الحشرة زيادة أكبر عدد ممكن من الأزهار خلال وقت قصير مما يؤدي إلى رفع نسبة تلقيح هذه الأزهار، والنتيجة من التلقيح، هو تكوين البذور اللازمة لاستمرار وجود النبات على الأرض والتي تشكل أيضا الغذاء لكثير من الكائنات الحية. أن البراهين أكدت أيضا بأن ألوان الأزهار الزاهية لم توجد من أجل عيون الإنسان فقط، وإنما قبل كل شيء من أجل عيون الحشرات التي تقوم بنقل حبوب اللقاح، أما نصيب الحشرات من هذه العملية فهو تأمين غذائها المكون من حبات الطلع، ومن ألوان الرحيق السكرية الطعم، إضافة إلى الروائح التي تقوم من الأزهار والتي تشارك الإنسان الحشرات في الاستقطاع بها[١].

---

(١)كتاب وحدانية الله تتجلى في مخلوقاته الأستاذ عمر أحمد الهوائي ص٣٥٠.

معجزة الشجر في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

أن أحد أنواع معجزات الرسول (ﷺ) هو امتثال الأشجار لأوامره كامتثال البشر، وانخلاعها من أماكنها ومجيئها إليه، فهذه المعجزة المتعلقة بالأشجار هي متواترة من حيث المعنى كفوران الماء من أصابعه المباركة ولها صور متعددة وقد روية بطرق كثيرة.

نعم يصح أو يقال أن خبر انخلاع الشجرة ومجيئها متمثلة لأمر رسول الله (ﷺ) متواترة صريحة، حيث رويت هذه الرواية من قبل صحابة كرام صادقين معروفين، أمثال علي، وأبن عباس، وأبن مسعود، وأبن عمر، ويعلى بن حرة، وجابر، وأنس بن مالك، وابو هريرة، وأسامة بن زيد، وغيلان بن مسلمة، وغيرهم فأخبر كل منهم عن هذه المعجزة المتعلقة بالأشجار أخبارا ثابتا قاطعا. ونقلها عنهم مئات من أئمة التابعين بطرق مختلفة، في بداية كل طريق صحابي جليل، أي كأنها نقلت إلينا نقلا متواترا مضاعفا لذا فلا يداخل هذه المعجزة ريب ولا شبهة قط، فهي في حكم المتواتر المعنوي المقطوع به، فهذه المعجزات وان تكررت مرات عدة، إلا أننا سنبين عددا من صورها الصحيحة الكثيرة، ونقررها في بضعة أمثلة[1].

المثال الأول:

روى أبن ماجه والدارحي والبيهقي عن أنس بن مالك وعلي، وروى البزار والبيهقي عن عمر، أن ثلاثة من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم أجمعين) قالوا: كان رسول الله (ﷺ) قد حزن حزنا شديدة من تكذيب الكفار له (قال: اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها. وفي رواية أنس (أن جبريل عليه السلام قال للنبي (ﷺ) ورآه حزينة: أتحب أن أريك آية: قال: نعم ! فنظر رسول الله (ﷺ) الى شجرة من وراء الوادي فقال: أدع تلك الشجرة، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال: مرها فلترجع، فعادت الى مكانها).

---

(١)الكلام للشيخ سعيد النورسي.

المثال الثاني:

روى القاضي عياض، علامة المغرب، فيما كتابه (الشفاء) بسند عال صحيح من عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: (كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفر، فدنا منه أعرابي فقال: للأعرابي: أين تريد ؟ قال: الى أهلي. قال: هل أدلك الى خير ؟ قال: وما هو ؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال: من يشهد لك على ما تقول ؟ قال: هذه الشجرة السعره (وهي شجرة عظيمة ذات شوك من الطلع). وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه، ما ستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال: ثم رجعت الى مكانها).

ورويت عن طريق أبن صاحب إلا سلمي بنقل صحيح: (سأل أعرابي النبي (ﷺ) آية، فقال له: قل لتلك الشجرة، رسول الله (ﷺ) يدعوك، قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت تخذ الأرض تجر عروقها مغبره حتى وقفت بين يدي رسول الله (ﷺ) فقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع الى منبتها، فرجعت فدلت عروقها فاستوت. فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك قال: لو أمرت أحدة ليسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها، قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك، فأذن له).

المثال الثالث:

روى مسلم وأصحاب الكتب الصحاح الأخرى عن جابر (نه) أنه قال: كنا في سفر مع رسول الله (ﷺ) (ذهب رسول الله يقضي حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله (ﷺ) إلى أحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: أنقادي علي بأذن الله، فانقادت معه كالبصير المفشوش الذي يصانع قائده، وذكر انه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنتصف بينهما. قال: التئما علي بأذن الله. فالتأمتا) فجلس خلفها، وبعد أن قضي حاجته، أمر أن تعود كل منهما إلى مكانها. وأمثلة كثيرة وعديدة غزيرة كالتي ذكرناها رويت كلها بطرق عديدة، ومن المعلوم أنه أتمرت بضعة خيوط رفيعة صارت حبة قوية.. فمثل هذه المعجزة المتعلقة بالشجرة وقد رويت بطرق متعددة وعن مشاهير الصحابة الكرام لابد أنها في قوة التواتر

المعنوي، بل إنها متواترة حقيقة[١]. كما أن الذي يؤيد معجزة الشجرة هو: معجزة جنين الجذع المنقولة نقلا متواترة.

كان المسجد النبوي مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي (ﷺ) إذا خطب يقوم الى جذع منها، فلما صنع له المنبر، وكان عليه، سمع لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو يئن ويبكي، حتى جاءه النبي (ﷺ) ووضع يده عليه وتكلم معه وعزاه وسه، فسكت الجذع.

نقلت هذه المعجزة بطرق كثيرة جدا نقلا متواترة أن حنين الجذع اليابس في المسجد النبوي الى رسول الله (ﷺ) لفراقه عنه، فراق مؤقتا وأنينه أمام المتعلقة بالأشجار يقويها. لأن الجذع من جنس الأشجار، فالجنس واحد، إلا أن هذه المعجزة متواترة بالذات، بينما الأقسام الأخرى تواترها نوعا.

- وعن أنس: (حتى أرتج المسجد لخواره)
- وعن سهل بن سعد: (وكثر بكاء الناس لما رأوا به من بكاء وحنين)
- وعن أبي بن كعب: (حتى تصدع وانشق) لشدة بكائه.

وقد رواه كثير وزادوا عليه.

وحينما كان الحسن البصري يحدث بهذا الى طلابه يبكي ويقول: (يا عبد الله ! الخشبة حنت الى رسول الله (ﷺ) شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه).

ونحن نقول: نعم: أن الاشتياق إلى لقائه أنما هو أتباع سنته السنية وشريعته الغراء [٢].

(١)سعيد النورسي المعجزات الأحمدية ص٧٨.

(٢)سعيد النورسي المعجزات الأحمدية ص٨٤.

الفصل الرابع

مصطلحات النبات في القران الكريم والسنة النبوية وفوائدها

١-أبا ٢- الأثل ٣-اعجاز نخل ٤-أكل – أكلها ٥-أكمام ٦-الأيكة ٧-البصل ٨-بقل ٩-التين ١٠- ثمر- ثمرات ١١- الجذع ١٢-جني ١٣- الحب ١٤- الحدائق ١٥- الحصيد – الحصاد ١٦- الحطب ١٧- الخبء ١٨- الخبز، الخمره ١٩- الخردل ٢٠- خضراً ٢١- الخشب ٢٢- الخمط ٢٣- الرَطب – الرُطب(التمر، البلح، البسر) ٢٤- الجمار ٢٥- رفرف ٢٦- الرمان ٢٧- الروضة – روضات ٢٨- الريحان ٢٩- زرع – زرعا ٣٠- الزنجبيل ٣١-الزيتون (الزيت) ٣٢- السدر – السدرة ٣٣- سنبلة (سنابل) ٣٤- شجر – شجرة ٣٥- شطأه ٣٦- الضريع ٣٧- الضغث ٣٩- الطلح ٤٠- الطلع ٤١- طوبى ٤٢- العدس ٤٣- العرجون ٤٤- العصف ٤٥- عنب - أعناب ٤٦- غثاء ٤٧- الفاكهة ٤٨- فتيلا ٤٩- فروعها ٥٠- أفنان ٥١- فوم ٥٢- قثائها ٥٣- القصر ٥٤- قضبا ٥٥- قطمير ٥٦- قطوفها ٥٧- قنوان ٥٨- كافور ٥٩- لينة ٦٠- الأترج ٦١- المرعى ٦٢- مسد ٦٣- المن ٦٤- الكماة ٦٥- النبت والنبات ٦٦- النجم ٦٧- النخيل ٦٨- النقير ٦٩- النوى ٧٠-الهشيم ٧١- الوردة ٧٢- الورق ٧٣- يقطين ٧٤- الدباء ٧٥- الينع.

مصطلحات النبات في القران الكريم والسنة النبوية وفوائدها

أبــا:

الأب لغة هو المرعى المتهيئ للجز والرعي، وسمي أبا لأنه يؤب أي: ينتج وقيل: هو أجود أنواع الكلا، فهو للبهائم كما الفاكهة للناس[١]، وقال بعضهم: هو الحشيش بلفظ أهل المغرب[٢]، وفي مسائل نافع بن الأزرق أنه سأل ابن عباس قائلا له: (أخبرني عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) قال ابن عباس: الأب ما يعتلف به الدواب) لقد اختلف رجال التفسير في تحديد معنى الأب، فقال ابن قتيبة في (تفسير غريب القران): هو المرعى. وقال الفراء في معاني القران): هو ما تأكله الأنعام، وقال الزجاج: هو جميع الكلأ الذي تعلفه الماشية، وقال الضحاك: هو التين خاصه، وقال الكلبي: هو كل نبات سوى الفاكهة [٣]، وجاء في شواهد القران لأبي تراب الظاهري: الفاكهة ما أكله الناس والأب ما أكله الأنعام. فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان، قلت: وهذا عندي أرجح الأقوال.

سئل أبو بكر (رضي الله عليه وسلم) عن الأب فقال: (أبي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذ قلت في كتاب الله مالا أعلم به). وعن عمر رضي الله عنه قال [٤]، عندما قرأ (وفاكهة وأبا): كل هذا قد عرفناه فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف"﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٥]

---

(١) تاج العروس.

(٢)الإتقان في علوم القران.

(٣)المعجم الجامع الغريب قراءت القران.

(٤)موسوعة الألفاظ القرآنية، مختار فوزي النعال.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٢٩.

الأتـرج

عن أبـي موسـى عن النبـي (ﷺ) قـال: **(مثـل المـؤمن الـذي يقـرأ القـرآن كمثـل الأترجة: طعمها طيب (وريحها طيب)** رواه الشيخان.

(١) الأتـرج: ثمـر كـاليمون ويسـمى تفـاح العجـم وليمـون اليهـود قشـرة يحتـوي علـى زيـت طيار، فهو طارد للأرياح.

(٢) ذكر أبن القيم في الطب النبوي فوائده فقال: وفـي الأتـرج منـافع كثيـرة، وهـو مركـب من أربعة أشياء: قشر، ولحم، وحمض، وبذر، ولكل واحد منها مزاج يخصـه: فقشـرة حار يبس، ولحمه حار رطب، وحمضه بارد يابس، وبذره حـار يـابس. ومـن منـافع قشـرة: أنـه إذا جعـل فـي الثيـاب منـع السـوس، ورائحتـه تصـلح فسـاد الـهـواء والوبـاء ويطيب النكهة إذا أمسكها في الفم، ويحلل الرياح، وإذا جعل في الطعام كلا بازير: إعان على الهضم.

قال صاحب القانون: (وعصاره قشره تنفع من نهش الأفاعي شربة وقشر؛ ضمادة وحراقة قشرة طلاء جيد للبرص). وأمـا لحمـه: فملطـف لحـرارة المعـدة، نـافع لأصـحاب المرة الصفراء، قامع للبخارات الحارة، وقال الغافقي: (أكل لحمه ينفع البواسير).

وأمـا حمضـه: فقـابض كاسـر الصـفراء ومسـكن للخفقـان الحـار، نـافع مـن اليـرقان شربا وأكتمـالا قـاطع للقـئ الصـفراوي، مشـه للطعـام، عاقـل الطبـيعة، نـافع مـن الإسـهال الصـفراوي، و عصـاره حـامضـه يسـكن غلمـة النسـاء، وينفـع طـلاء مـن الكلـف، ويـذهب بالقوباء وستأتي، ويستدل على ذلك من فعله في الحبر: إذا وقع على الثياب قلعه. ولـه قوة تلطف وتقطع البـرد وتطفـئ حرارة الكبد، وتقوي المعدة، وتمنـع حدة المرة الصـفراوي وتزيل الفم العارض منها، وتسكن العطش.

وأمـا بـذره: فلـه قـوة محللـه مجففـة، وقـال أبـن مأسـويه "خاصـية حبـه" النفـع مـن السـموم القاتلـة إذا شـرب منـه وزن مثقـالين مقشـرا بمـاء فاتـر وطـلاء مطبـوخ، وإن دق وضـع علـى موضـع اللسعة نفـع: وهـو ملـين للطبـيعة، مطيـب للنكهـة، وأكثـر هـذا الفعـل موجود في قشرة، ثم قال: (وحقيق بشيء هذه منافعه: أن يشبه بـه خلاصـه الوجـود وهـو

المؤمن الذي يقرأ القرآن، وكان بعض السلف يحب النظر اليه لما في منظره: من التفريح).

الأثـل:

الاثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية يشبه الطرفاء جنس من النبات إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودا، به تسوى الأقداح الصفر الجياد وتصنع منه القصاع والجفان أصوله غليظة يسوي منها الأبواب وغيرها وورقة وعبل كورق الطرفاء، وفي الحديث: أن منبر رسول الله (ﷺ) كان من أثل الغابة، والغابة غيضة ذات شجر كثير على تسعة أميال من المدينة، وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: (الأثل: شجر ثابت الأصل)، وشجر أثل، ثابت ثبوته وقال أبو حنيفة: الأثل من العضاد، وهو طوال في السماء خشبه جيد، محمل من القرى تبنى عليه البيوت في المدن، وورقة هدب طوال رقاق ليس له شوك، وله ثمر أحمر كل ثمره كأنها ابنه – أي عضده الحبل – واحدته أله وجمعه اثول، ويسمى النضار. كل خشبة تصنع منه الأواني فهو النضاد قيل في سبب نزول هذه الآية: فروة بن سبك القطفاني قدم على رسول الله (*) فقال: يا نبي الله إن سباء قوم لهم في الجاهلية عز وأنا أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفاقاتلهم ؟ قال النبي (ﷺ) ما أمرت فيهم بشي بعد فنزلت الآية:(لقد كان لسبأ)[1]، وقد اختلفت الناس في منبر رسول الله (ﷺ) من أي شيء هو، فأتوا سهل بن سعد فسألوه فقال: ما بقي أحد من الناس أعلم به مني، هو من أثل الغابة[2]، عمله فلان...نجار ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ [3]

---

(١)جامع النقول في اسباب النزول (بن خليفة عليوي ج٣ من كتاب موسوعة الالفاظ القران.

(٢)معجم الفاظ النبات في القران.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٦.

الأصل - أصلها وأصولها

الأصول لغة: جمع الأصل، واصل الشجرة هو جذورها الضاربة في الأرض وقاعدتها، بالإضافة إلى ساقها التي تقوم عليها والأصل يقابل الفرع أي الأغصان

اعجاز نخل

الأعجاز: جمع عجز – مؤخر الشيء أو الجسم أعجاز النخل: أصولها، وسوقها المتصلة بالأرض، وهو أغلظ النخل وأشده، ووجه التشبيه بها أن الذين يقطعون النخل أذا قطعوه للانتفاع بأعواده في إقامة البيوت للسقوف والعضادات، انتقوا منه أصوله لأنها أغلظ وأملا، وتركوها على الأرض حتى تيبس وتزول رطوبتها ثم يجعلوها عمدا واساطين، والخاوية الجوفاء الفارغة تضعف العجز وتوهنه فجاء الوصف تنفيرا الحاله، وفيه موعظة وتحذير من الوقوع في مثل أسبابه، فهل من مدكر[١]،﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾[٢]

أفنان

أفنان: جمع فنن، وهو الغصن الورق، والمستقيم طو، والجمع أفنان وافانين، والفن واحد الفنون وهي الأنواع والأفانين: الأساليب، وشجرة فناء وفنواء: ذات أفنان. في التفسير: جنتين لمن خاف ربه وكان مواضبة على عبادته وطاعته فاعلا ما قضي وأمر، متجنبة ما نهى عنه وزجر، مؤمنة بقضاء الله صبرة أذا أما ابتلاه ربه بالشر، شاكرة أذا فتنه بالخير والنعمة، وصداق قوله تعالى:﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا

---

(١)موسوعة لألفاظ القرآنية مختار فوزي النعال.

(٢) سورة القمر: الآية ٢٠.

تُرۡجَعُونَ ﴾ [١] فهذا المؤمن الصابر الشاكر، بنقاوة ضميره وصفاء وجدانه وحلاوة إيمانه في جنة ظلالها الصبر والشكر، وتغمره راحة نفسية، فما يمسه لفح يأس ولارمضاء س خط وقنوط، ناعما في وريف التقوى وظلال الأيمان، هذا في دنياه، وأما في الآخرة فسيجزي أجر عمله في دنياه وما قدم فيها من أعمال كان ناظمه بها الإيمان بالله، ورائده مخافة مقام ربه عز وجل، فما له إلا الجنة جزاء وحسن مآب. لهذا كان قوله: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ جنة الصبر والشكر وراحة القلب والنفس بالأيمان وما يلقي بها من روح وريحان، وجنات في الآخرة تجري من تحتها الأنهار، فنعم أجر المتقين.

وفي التفسير الأفنان قولان: الأول: الأفنان، جمع فنن وهو الغض من الشجر والثاني: والأفنان واحدها الفن: وهو الضعف والنوع، فالجنتان ذواتا أفنان: أي ذواتا أنواع كثيرة من ألوان الفاكهة وضعف قال السمين الحلبي: (قيل: أفنان جمع فنن، والمعنى ذوات ألوان من الثمار). وفي الحديث: (أهل الجنة مرد مكحولون أولو أفانين) [٢]، وأفنان جمع فنن وهو الخصلة من الشعر تشبيها بالغصن) [٣]، [٤] وردت في (سورة الرحمن: الآية ٤٨).

أكل - أكله - أكلها

إن جميع ما ورد من اللفظ (أكل – أكله – أكلها) قد ذكر صيغه في سياق الحديث عن الجنة والنخيل والأشجار ولم يرد في سياق غير الأكل لغة: هو ثمار

---

(١) سورة الانبياء: الآية ٣٥.

(٢)النهاية في غريب الحديث، لابن كثير.

(٣)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ السمين الحلبي.

(٤) الالفاظ القران الكريم.

الأشجار التي تؤكل وتستطاب كالفاكهة وسواها قال الراغب الأصفهاني: (الأكل لما يؤكل بضم الكاف وسكونه) [١].

وقال ابن قنبة: (الأكل: الثمر) [٢]. وقال أبو محمد بن طالب القيسي (الأكل كل ما اجتنى) [٣]. وقال الراغب: (الأكل: كل ما يؤكل) ويبدو من هذه الأقوال أنها للأكل عند أهل اللغة ورجال التفسير رأيين:الأول: هو ثمار الأشجار التي تؤكل كالفاكهة وسواها الثاني: كل ما يؤكل والأرجح والأكثر صوابا هو الرأي الأول لأنه لم يرد في القران هذا اللفظ إلا مسبوقا بحديث الجنة والشجر[٤]، وقد وردت في السورة الآتية: (الرعد: ٤، سبأ: ١٦، الأنعام: ٦، البقرة: ٢٩٥، الرعد: ٣٠، إبراهيم: ٢٥، الكهف:٣٣)

أكمام - أكمامها

في اللغة: الكم: بفتح الكاف، هو الغلاف الذي يحيط بالزهرة أو الثمرة أو الطلع فيستره، ثم ينشق عنه، والجمع أكمه وأكمام، وقال أبو الفرج الجوزي في زاد المسير: الكم: غ لاف كل شيء كمه وكل شجره تخرج ما هو مكمم، أي مخبوء، فهي ذات أكمام وأكمام النخلة ماغظى قلبها من السعف والليف والجذع وكل ما أخرجه النخل فهو ذو أكمام مصداق قوله تعالى (والنخل ذات الأكمام) وكم الطلع: وعاءه. والكم بكسر الكاف: وعاء الطلع " وغطاء الزهرة وجمعها كمام وأكاميم وأكمام. قال السمين الحلبي الأكمام: جمع كم وهو وعاء الثمرة وكل ما غطى شيئا فهو كم له، ومنه كم القميص لتغطية اليد ويجمع على كمام أيضا والكمة: بضم الكاف: ما يغطي الرأس كالقلنسوة. وقيل أكمام النخلة ماغطى قبلها من الليف والسعف. وكم الطلعة: قشرها،

---

(١)الغريب في مفردات القران.

(٢)تفسير غريب القران.

(٣)العمدة في غريب القران.

(٤)موسوعة الألفاظ القرآنية.

وتكمم وتكمكم واحد.. في الحديث: (رأي جارية متكمكمة) أي مغطاة الرأس[1]، ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾[2].

الأيكة

الأيكة لغة: واحدة الأيك وهي الشجر الكثيف الملتف وقيل: الأيك، الغيضة تنبت السدر والأراك، وقيل الجماعة من كل الشجر حتى النخل، وخص بعضهم الأيكة بمنبت الأثل ومجتمعه وقرئ اللفظ: أيكة وليكة. قال الفيروز أبادي في محيطه: (من قرأ الأيكة، فهي الغيضة والشجر) الكثير، ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية التي كان فيها القوم وهم قوم شعيب عليه السلام[3]، فقد كانت مساكنهم في مكان كثيف الأشجار، ويقال: أنها كانت في مدينة "تبوك" قريبة من "مدين" بلد النبي شعيب عليه السلام). وقد وردت في السور الآتية: الحجر: ٧٨، الشعراء: ١٧٩، ص: ١٣، ق:١٤)

أصحاب الأيكة

قال ابن كثير (أصحاب الأيكة) هم أهل مدين،والأيكة صفة لها، دلالة على رخائها وكثرة حدائقها، ومهما يكن فأصحاب الأيكة هم قوم النبي شعيب عليه السلام، كانوا كفارا يقطعون السبل ويخيفون المارة، وكانوا أسوأ خلق الله معاملة يبخسون الناس أشياءهم، ويخسرون الكيل والميزان، ويعبدون شجرة "الأيك" ولهذا قيل عنهم "أصحاب الأيكة" لم يستجيبوا لنبيهم شعيب ومحذرهم وتوعدهم بعذاب شديد من الله، فكذبوه وما أبهوا لترهيب منه ولا للترهيب، فسلط الله عليهم السموم "ريح شديدة الحرارة" سبعة أيام

---

(١)موسوعة الألفاظ القرآنية مختار فوزي النعال.

(٢) سورة الرحمن: الآية ١١.

(٣)المصدر السابق

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٨٩.

متواليات لايظلهم فيها ظل، ثم بعث. عليهم سحابة، فجلسوا في ظلها يلتمسون والروح بها، فعلها الله عليهم عذابا وبيلا، فكان هذا

اليوم عذاب يوم الظلة مصداق قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١] وقد ذكرت قصة أصحاب الأيكة في القران الكريم في السور التالية (الأعراف:٥٨) و (هود: ٨٤) وقد ذكروا بقوم شعيب وذكرت صفاتهم السيئة ولم ينسبوا في هاتين السورتين الى "الأيكة" [٢].

البصل

البصل لغة: البصل معروف منذ القدم يزرع في جميع أنحاء العالم الواحدة منه بصلة وهو بقل زراعي من فصيلة الزئبقيات، أصله من آسية الوسطى، ينمو تحت الثرى في الأرض، له جذور عرضية ليفية دقيقة تضرب تحته واغضان لترتفع قليلا فوق سطح الأرض، أوراقه أنبوبية وهو أنواع فمنه الحلو ومنه الحريف وفي الحديث: انه النبي (ﷺ) نهى انه يرتاد آكل البصل مجلس الناس، فقال (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا، ويقصد في بيته)، رواه أبو داود وقال ابن القيم: في البصل رطوبة فضيلة، ينفع من تغير المياه، ويدفع ريح السموم، ويفيق الشهوة ويقوي المعدة، ويهيج الباه ويحسن اللون ويقطع البلغم ويحلو المعدة [٣]، وقال الغساني في حديقة الأزهار: (البصل ملطف جرء، جاذب للدم إلى خارج، محمر للجلد وخصوصا وجهه الإنسان أذا دلك به، وأذا تمشط بمائه نفع الرأس ونقاه)[٤].

---

(٢)موسوعة ألفاظ القران.

(٣)حديقة الأزهار، اللغساني، ص٥٥.

(٤)كتاب الشفاء في النبات لوديع جبر.

جاء في كتاب الشفاء: (البصل مضاد للجراثيم، خافض للسكري، خافض للضغط، مضاد للالتهاب، خافض للحرارة، طارد للديدان، ملين للشرايين، مضاد للسعال العصبية، منفث للربو) (١). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (٢).

عن عائشة أنها سئلت عن البصل فقالت: أنه أخر طعام أكله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان فيه بصل. رواه أبو داود.

الجوهر الفعال:

عديد من المواد فيها زيت يحتوي في تركيبه الكثير من مركبات الكبريت، فيتامين (ج) ومادة تعادل الأنسولين في مفعولها في تحديد نسبة السكر في الدم. وسلفيد الاليل الذي تعطيه نكهته المعروفة.

الاستعمالات الطبية من الخارج:

يقطع البصل شرائح مستديرة أو يفرم ويسخن تسخينة خفيفة ويستعمل كمادات في الحالات التالية:

١- فوق الصدر لمعالجة السعال الديكي.

٢- فوق الصدر والظهر لمعالجة التهاب الرئة.

٣- فوق موضع الكلى والمثانة لمعالجة انحباس البول.

---

(١) موسوعة الالفاظ القرانية.

(٢)سورة البقرة: الآية ٦١.

٤- حول الرقبة وفوق الحنجرة لمعالجة التهاب اللوزتين وحشرجة الصوت (البحة).

٥- وراء الأذن لاستدرار القيح من داخلها.

٦- فوق أصابع القدمين وأسفلها لمعالجة الاحتقان.

من الداخل:

١- تحسين الهضم وطرد الغازات المعوية.

٢- معالجة الإسهال مع صفار البيض وحبوب الكراوية.

٣- طرد الديدان المعوية عند الأطفال.

٤- معالجة السعال عند الأطفال.

٥- إدرار البول.

٦- معالجة نوبات السعال الديكي.

٧- تخفيف كمية السكر في الدم.

٨- طرد الديدان المعوية الشعرية ومعالجة البواسير باستعمال حقنة البصل الشرجية.

٩- ويستعمل خارجية علاج شعبية منزلية لحب الشباب [١].

بقل:

البقل لغة:- البقل والبقول، معروف وهو: العشب عامة والخضراوات خاصة وما يأكله الناس والبهائم، وكل نبات اخضرت به الأرض وكل ما ينبت أصله وفرعه في الشفاء فهو بقل[٢]. والبقل في هذه الآية: اسم جنس لأنواع البقول مما ينبته الربيع

---

(١) لجنة الجامعات العربية: النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي. سكاري: (د. فرانتيشتك سكاري د. فاكلاف جيراسيك) الأعشاب الطبية: ترجمة: شروق محمد كاظم.

(٢) الكليات، للكفوي.

من الأعشاب التي يأكلها الناس والبهائم، وقيل: وان المراد به أطيب البقول التي يأكلها الناس [١]. قال الإمام اللغوي المطرزي في المغرب: (البقل ما ينبت الربيع من العشب، وهو من النبات ما ليس بشجر دق، وفرق مابين البقل ودق الشجر، فالبقل أذا رعي لم يبق لـه س اق، والشجر تبقى لـه ساق وان دقت[٢]. وعن الدينوري: البقلة هي كل عشبه من برز، وقيل: كل نبات أخضرت له الأرض فهو بقل وفي الحديث: (أحضروا موائدكم البقل فأنه بطرد الشياطين) التسمية، رواه ابن حيان عن أبي أمامة مرفوعة. وقد جاء في معجم أسماء والنبات الواردة في تاج العروس، كثيرا من أسماء البقول وأنواعها، نذكر منها للاطلاع ما يلي: بقلة أترجية، الكرنب، اللبلاب، حشيشة وهي: بقلة حمقاء يطلق عليها سيدة البقول وتسميها العامة: (الرجلة) قيل في مسميتها بالحمقاء: أنها تنبت على طرق الناس فنداس وعلى مجرى السبل فتقتلع، ولهذا جاء في المثل: (أحمق من رجلة). وبقلة الخطاطيف، وهي بقلة مباركة يقال لها: (الهندباء) [٣]، (انظر سورة البقرة:٩١) اما عن المنزل زير را و ١٠٦ – ١٩١١

الأثر الطبي والغذائي

يستعمل مغلي البذور ضد مرض البرص والجدري أما الثمار فتستخدم كمقوية للجنس وكغذاء جيد. والحمص من أحسن البقول للاستهلاك الآدمي. إذ أن بذوره قوية جدا وكذلك الباقلاء. والبزاليا. وتؤكل مغذية منها الخضراء. كما تستعمل بذوره كبديل بذور البن وتدخل العديد من الصناعات الغذائية والحلوى.

يعود منشأ البقول إلى عهد النيولثيك (Neolithic) وهو العهد الذي يوازي عهد نشوء محاصيل الحبوب ولذلك تعتبر البقول من المحاصيل القديمة المعروفة لدى الإنسان والذي يحتمل أن تكون زراعتها في آن واحد من قبل الإنسان مع زراعة

---

(١) الكشاف، الزمخشري.

(٢)المغرب ج المطرزي من كتاب موسوعة الألفاظ القرآنية.

(٣)موسوعة الألفاظ القرآنية.

الحبوب، وقد دلت بقايا الكهوف في المكسيك بأن زراعة الفاصولياء الكلوية قد سبقت زراعة الذرة الصفراء بحوالي ألف سنة هناك مما يؤكد بأن هذه المحاصيل عريقة في القدم.

تلعب البقول دورا هاما في تغذية الإنسان حيث أنها تأتي بعد الحبوب من حيث الأهمية الغذائية وتعتبر مصدرا مهما للبروتين والكالسيوم وغذاء أساسية لسكان المناطق الجافة غير المتطورة فمثلا في الهند والمكسيك بقدر استهلاك الفرد من البقول بمعدل ٧١غم و ٥١غم يوميا على التوالي بالمقارنة مع معدل استهلاك الفرد اليومي ٣-٧ غم في الدول المتطورة. وفي معظم الأقطار التي تعاني نقصا في الغذاء وفي النوعية الفقيرة من البروتين بسبب اعتمادها على البقول بالدرجة الرئيسية للتغذية، فان الاتجاه في الوقت الحاضر هو محاولة الموازنة بين البروتين النباتي وبين البروتين الحيواني لغرض التغلب على النقص في بعض المركبات البروتينية الناتجة من استعمال البقول في التغذية لاسيما وأن العلاقة في الوقت الحاضر بين كمية البقول المستهلك والغذاء الحيواني هي علاقة معكوسة.

تنجح زراعة البقول في المنطقتين المعتدلة أو الاستوائية والتي تتوفر فيها الرطوبة بدرجة كبيرة وتحتاج بعض المحاصيل البقولية إلى جو بارد مثل الباقلاء والعدس والحمص والهرطمان. بينما يحتاج البعض الأخر منها إلى جو دافئ مثل اللوبياء والماش والفاصولياء. وبالرغم من احتياج البقول إلى درجة الرطوبة بدرجة أكبر مما تحتاجه الحبوب إلا أن زراعتها مركزه في المنطقة الجافة من العالم مما أدى إلى الحصول على الحد الأدنى من محاصيل في وحدة المساحة.

تستعمل البقول كأسمدة خضراء أو تتبادل مع المحاصيل الحبوبية والمحاصيل المجهدة مثل الذرة الصفراء والقطن والرز والقطب السكري في الدورة الزراعية، يساعد في انجاح زراعة البقوليات توفر البكتريا العقدية (الرايزوبيوم) الملائمة للمحصول التي لها القدرة على تثبيت النايتروجين من الجو في العقد الجذرية للبقوليات بشكل مركبات نتروجينية يستفيد منها النبات، وتوجد بضعة مجاميع بكترية كل مجموعة تختص

بمجوعة معينة من المحاصيل البقولية، وتعتبر زراعة البقوليات وسيلة اقتصادية لاستعاده خصوبة التربة.

تتميز بذور البقوليات باحتوائها بصورة عامة على غلاف بذري سميك نسبية وبطئ النفاذية للماء ولذلك فان توفر الرطوبة في التربة بدرجة كافية يعتبر أساسية للحصول على أعلى نسبة من بزوغ البادرات.

تعتبر المحاصيل البقولية من المحاصيل الحساسة جدا للادغال لذلك يجب الاهتمام بالقيام بالتعشيب أو العزق أو استعمال مبيدات الادغال الملائمة وبالنسبة للحاجة للماء فتعتبر البقوليات حساسة للجفاف وبصورة خاصة خلال فترتي بزوغ البادرات والنمو الخضري كما أن قلة الماء خلال فترتي التزهير والنضج يؤثران بدرجة كبيرة على مكونات الحاصل ويؤدي إلى خفض الحاصل بدرجة كبيرة ولذلك تعتبر الرطوبة بدرجة كافية عاملا أساسيا ومحددا الزراعة البقوليات في المنطقة.

تختلف البقوليات عن معظم المحاصيل الأخرى بانشطار (بانفلاق) ثمارها عند نضجها ولذلك يؤدي التأخير في الحصاد إلى تشقق أغلفة الثمار وفقدان البذور وضياع نسبة كبيرة من المحاصيل وتزداد تدريجيا كلما تأخر موعد الحصاد وقد استعملت بعض المواد رشا لغرض المساعدة في تجفيف الأوراق وانتظام نضج الثمار بشكل يسمح بالحصاد في الموعد الملائم مما يؤدي إلى تقليل الفقدان في البذور نتيجة انفلاق الثمار.

وتمتاز البقوليات بان قسما كبيرا من البروتين والفيتامينات لا تزول عند تقشير البذور يعكس الحبوبيات التي يخزن فيها البروتين في الطبقة الخارجية للبذور بدرجة أكثف مما فى الطبقة الداخلية. وتعتبر البقوليات أعلى في البروتين من الحبوبيات.

إن القيمة الغذائية للبقوليات تعتمد على نسبة البروتين في بذورها وعلى نوع الأحماض الأمينية (سستين، وتربتوفين، وبتروسين، وهيستدين) وكذلك على قابلية بذورها اللهضم وصافي البروتين المهضوم المستفيد منه الجسم بالإضافة إلى المحتوى

المعدنـي والفيتامينـات. وتختلـف نسـبة البروتـين فـي البـذور حسـب النـوع والصـنف وخصوبة التربة والتسمية.

يعتبر الحمص من أعلى البقوليات في القيمة الغذائية. أما العدس والماش فهما متوسط القيمة الغذائية، بينما الباقلاء، والهرطمان يعتبران منخفضين في القيمة الغذائية وسبحان من قال:﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيۡرٌۚ﴾[1].

تتميز البقوليات بعدم اكتمال نضجها في آن واحد لذلك فان حصادها يتم عندما يكتمل نضج أعلى نسبة ممكنة من البذور وقبل صروح انفلاق القرنات ويؤدي الحصاد بالمكائن إلى فقدان نسبة عالية من البذور لذلك يجب أن تنظم سرعة ماكنة الحصاد بشكل ملائم حتى يمكن تقليل الفقد.

وفي العراق تعتبر البقوليات من المحاصيل الحقلية الثانوية في الوقت الحاضر من حيث المساحة والإنتاج.

التين:

التـين لغـة: شـجر متسـاقط الأوراق مـن الفصـيلة التوتـيه، لـه ثمـر حلـو، يؤكـل رطبـة وناضجة ومجففا ويابسة والواحدة منه ومن شجرة: تينة. وهو من النباتات الطبية الهامة، موطنه الأصلي شبه الجزيرة العربية، منها انتقل إلى بلدان البحر المتوسط، أوراقه كبيرة الحجم، كامله أو مقصصه تقصيصا خفيفا، وهو أحد الفاكهة وأكثرها غذاء واقلها نفخة. جاء في الحديث عن أبي ذر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لو أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه هي، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطـع البواسيـر وتنفـع مـن النقـرس" ذكـره القرطبـي فـي تفسيـره، وابـن القـيم

---

(١) سورة البقرة: ٦١.

الجوزي في كتابة زاد المعاد. أجناسه كثيرة، بريه، وريفية، وسهليه، وجبلية، وهو من النباتات المخلصة من شوائب التنغيص، وهو (فاكهة وقوت وغذاء وأدم) [١].

ويدخل في الأدوية مزاجه من أعدل الأمزجه وطبعة طبع الحرارة والرطوبة، له لذة يمتاز بها عن سائر الفواكه، يزيد في القوة، وينفع من البواسير والنقرس، يجفف ويدخر للشتاء، وفي تفسير المراد بقوله تعالى: "والتين والزيتون" أقوال منها:

١- إنه التين المعروف والزيتون المعروف، قال الطبري: (والصواب عندنا قول من قال؛ التين هو التين الذي يؤكل، والزيتون هو الزيتون الذي يعصر) [٢]، لان ذلك معروف عند العرب.
٢- وقيل: التين، رمز الى عهد آدم مذ طفق هو وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة والزيتون: رمز الى عهد نوح وذريته حينما أرسل الطير ليستطلع له صلاحية المكوث والإقامة على الأرض، فعاد إليه حاملا بمنقاره من شجرة، آية انحسار الماء وحلول السلام [٣].
٣- وقيل: التين: إشارة الى المسجد الحرام والزيتون اشارة الى المسجد الاقصى [٤].
٤- وقيل: التين والزيتون: جبلان منبتهما أرض المقدس فأنها أكثر البقاع تينا وزيتونة[٥].

وبهذا المنبت المبارك كان القسم القرآني، فالقسم جاء بثلاثة أماكن أقسم الله سبحانه وتعالى بها، وهي: منبت التين والزيتون وطور سنين، ومكة هذا البلد الأمين، وعندنا هذا اصح الأقوال [٦]، (والتين والزيتون) [٧]

---

(١) التبيان في اقسام القران،لابن قيم الجوزية.

(٢) تفسير الطبري، سورة التين.

(٣)تفسير المراغي.

(٤)أحكام القرآن للقرطبي.

(٥)التبيان في أقسام القرآن. لابن القيم الجوزية.

(٦) موسوعة الالفاظ القرانية،مختار فوزي النعال.

(٧) سورة التين: الآية ١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[1].

عن أبـي الـدرداء قـال: هـدي إلـى النبـي (ﷺ) طبـق تـين، فقـال **(كلـوا وأكـل منـه وقـال: لـو قلـت: أن فاكهـة نـزلت مـن الجنـة، قلـت هـذه، لان فاكهـة الجنـة بـلا عجـو، فكلوا منـها، فأنـها تقطـع البواسير وتنفـع مـن النقرس).**

ذكـر أبـن القيم حديثا حـول التـين عـن أبـي الـدرداء وذيلـه بقولـه (وفـي هـذا ثبـوت نظـر. وهـو الحـديث الآتـي. والتـين اسـتعمله الفراعنـة قديمـة علاجـا لآلام المعـدة ومـن مكوناتـه: البروتـين والكوليسـترول وفيتـامين (ب)، (ج) وأمـلاح الصـوديوم والبوتاسـيوم والكالسيوم، والمغنسيوم، الحديد، والنحاس، والفسفور، واليود. وهو قلوي يـزيل حموضـة الجسم التـي هـي منشأ الأمراض، وهو كغيره من الفواكه القلويـة يغسل الكلـى، ومطبوخـة فـي المـاء أو اللبن شراب ملطف لمرض الحصبة والجدري والحمـى القرمزيـة وهو مفيد للنـزلات الصـدرية ويسـتعمل مضمضـة فـي تقرحـات الفـم واللثـة ويعـالج الإمسـاك بأكـل منقوعة على الريق، ومن الخـارج يستعمل فـي معالجـة الجروح والقروح فيضمدها بثماره المجففة).

كمـا قـال ابـن القـيم وهـو حـار وفـي رطوبتـه ويبوسـته قـولان، واجـوده: الأبـيض الناضـج القشـر، يجلـو رمـل الكلـى والمثانـة، ويـؤمن مـن السـموم وهـو أغـذى مـن جميـع الفواكه، وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة، ويغسل الكبد والطحال وينفي الخلط البلغمي من المعدة، ويغذو البدن غذاء جيدا، إلا انه يولد القمل أذا أكثر منه جدا...

ويابسه يغذو وينفع العصب، وهو مع الجوز والسذاب، إذا أخذه من تناول السم القاتل نفع وحفظه من الضرر.

السذاب: نبات من فصيلة السذابيات، قوي الرائحة أزهاره ص غيره قلما ترى، يـزرع فـي أوربا وأسيا، له بعض الفوائد الطبيعة لكن استعماله خطير للغاية. (انتهى قول أبن القيم).

---

(١) سورة التين: الآيتان ١-٢

ولدى تأملنا بالآية الكريمة والقسم الرباني بمخلوقات النباتية وهو التين والزيتون وما أطلعنا عليه من فوائد وخصال عجيبة فيها لعلمنا ما لهذا القسم من أمر كبير وملفت للنظر والتمحص بمخلوقات الله سبحانه وتعالى. هذا من ناحية ومن الناحية البايولوجية أن نظرة فاحصة في كلا النباتين ليعطينا القدرة الفائقة لطبيعة خلق الله سبحانه وتعالى وقدرته على تنويع مخلوقاته من هبتها الخارجية وثم تركيبها الداخلي وطبيعة معيشتها في المناخ الملائم ودرجة الحرارة وكذلك في مخزون إنتاجها من الثمار.

فالتين شجرة نفظية الأوراق تحتاج الى تربة كلسية ذات أملاح متنوعة وغنية وهي شجرة تحتاج الى تربة رطبة وافرة الماء. وأن ثمارها مركبة وبذورها صغيرة عديدة جدا وهي لحمية التركيب و أوراقها كفية العروق وكبيرة الحجم خشنة الملمس.

أما الزيتون فهو من الأشجار الدائمة الخضرة ذات أوراق بيضوية الشكل ص غيرة الحجم نسبية كثيرة وكثيفة مثخنة لماعة وأن الزيتون لا يحتاج الى التربة الرطبة كثيرة لان

أوراقه لها القدرة على الاحتفاظ بالماء مدة أطول من أوراق التين. أما ثماره فهي ثمار حقيقة ذات نواة واحدة ممتلئة تحتوي على كمية كبيرة من الزيت (زيت الزيتون).

أن الاختلاف واضح بين الشجرتين بكل شيء ولهذا جاء القسم الرباني بهما معا وهو الإشارة على عظمة الخلق والقدرة الكبيرة العظيمة.... والله أعلم

ثمر- ثمرة - ثمرات

الثمر لغة: الثمر هو حمل الشجر الذي يؤكل، وفي اللغة حمل الشجر على إطلاقه، سواء أكل أم لم يؤكل، والواحدة منه ثمرة، والجمع ثمرات. قال ابن فارس: (الثاء والميم والراء أصل واحد وهو شيء يتولد من شيء مجتمعا ثم يحمل عليه غيره

استعاب) [١]. فالثمر معروف، يقال: ثمره، وثمر وثمار وثمر بضم الثاء. وثمره كل شيء أو عمل: نتيجته قال الغساني: (الثمر يقع على كل شجر يثمر، ولا يقال للبذر: ثمر وبذر لكل ما يبرر إنما يقال: بذر مكل ما يبرز كالبقل، والشجر يثمر، والبقل يبذر[٢]. وردت في السور الآتية: (الأنعام: ٩٩، الأنعام: ١٤١، الكهف: ٤٣ الكهف: ٢، يس: ٣٠، البقرة، ٢٢، ٢٠، ١٢٤ ١٠٠، ٢٩٩، الأعراف: ٥٧، ١٣٠، الرعد: ٣، إبراهيم: ٣٢، ٣٧، النحل: ١١، ٦٧، ٦٩، القصص: ٥٧، فاطر: ٢٧، فصلت: ٤٧، محمد: ١٥)

إن الثمرة هي وليده وناتج من نتائج الزهرة فالزهرة والثمرة محطتان متساويتان من حيث الأهمية في حياة النبته.

ومصدر ثمره النبته هي الزهرة، وهي نتيجة أمتزاج عنصرين أحدهما ذكري والأخر أنثوي وهية الاسدية والمدقة على التوالي، وهناك سلسلة من التحورات التي تحدث بعد الاندماج والامتزاج (التلقيح) لتكوين البيضة الملقحة الناضجة التي تعطي في نهاية التفاعلات والتحورات الثمرة. والثمرة هي الأخرى تمر بعدت مراحل حتى تصل دور النضوج وهي الفاكهة.

أنواع الثمار:

تعطي النباتات بمجملها اعداد هائلة من الثمار يتناسب مع اتساع المملكة النباتية وانتشارها وظروف يتناسب مع اتساع المملكة النباتية وظروف معيشتها. ومن أبرز أنواع الثمار هي: الثمار الجافة المطبقة: ويسبب هذا النوع من الثمار جفاف المبيض قبل التفتح ومنها الثمار الفقيرة ومن أنواع هذه النباتات النجيلات (البرات) ومنها النجيليات الغذائية الحنطة والشعير.

ومن أنواعها أيضا الجناحيات فيها ضلوع تشبه الجناح الغشائي وهي تساعد في انتشار البذور وكذلك من أنواعها القرنيات والفراشيات مثل البازلاء واللوبياء وتسمى

---

(١) مقاييس اللغة، لاحمد بن فارس.

(٢) حديقة الازهار، للغساني.

أيضا السنفيات وكذلك يدخل من ضمن هذه الأنواع الجروات (ثمار جافة لها أشكال مختلفة ذات عليبة أو جرو) وهو نوع من الغطاء.

الثمار الجافة المتفتحة:

عند نضوج هذه الثمار تتفتح فتخرج البذور التي بداخلها تنتشر وتتكاثر بعيدا عن الموطن الأم ومن أبرز هذه الثمار الخردليات التي تشبه القرن، ومن أنواعها الثمار العنبية والثمار البطيخية. وكذلك الحمضيات.

أما الثمار من النوع ذات النواة المنفردة كالجوز والبندق مثلا ذات قشور خشبية مضلعة. الثمرة المزيفة والثمرة المركبة: و منها ثمره الفريز فهي تحتوي على بذور قاتمة اللون في جهة معينة هذه البذور هي بمثابة ثمار صغيرة جافة.

فالفريز إذا ثمره مزيفة مركبة. لأن اللب الذي يؤكل مصدره تضخم قرص الزهرة.

الثمار المزيفة:

وهي الثمرة التي تتكون من جزء من أجزاء الزهرة باستثناء المبيض. ومنها التفاح والإجاص مثلا مصدرها قرص الزهرة الذي كبر واصبح كثيف اللب بينما المبيض هو القسم الذي نسميه قلب الثمرة.

الثمار المجزاة:

وهي ثمار مؤلفة من عدة أزهار ومنها التين فان ما نظنه بذورا في ثمرة التين هو في الحقيقة مجموعة ثمار صغيرة جافة، والتين ثمره مركبة مثل العليق والتوت فمنها مجزأه مثل التين ومنها مجمعة مثل التوت.

الثمار الضارة:

هناك العديد من الثمار التي لا تؤكل إما لأنها قاسية جدا وأما لأنها غير لذيذة الطعم وأما لانه لا فائدة منها. ويمكن أن تجمع للثمرة هذه الأسباب ومن الثمار ما تحوي على السم القائل ويجب الحذر منها والابتعاد عنها فهي تشكل خطرا على الإنسان والحيوان مثل ثمره.

اللوف وهي ثمره مزيفة مركبة تنتمي الى القلقاسيان، وهناك نبته خطيرة تدعي عنب الذئب وهي من فصيلة الباذنجانيات ولها لون زاه وجذاب إلا أنها سامة خطرة.

ومن الآيات الأرضية قطع فيها يجاور بعضها بعضا ويقترب بعضها من بعض، تربتها واحدة، وماؤها واحد، وهي مع تجاورها مختلفة متغايرة الخواص، فيها بساتين الأعناب، والزروع المختلفة ذات الحبوب المتنوعة للإنسان والحيوان، وفيها أنواع النخيل المتماثلات وغير المتماثلات صنوان وغير صنوان يسقي كله بماء واحد ويتغذى بغذاء واحد، ويتفاضل بعضها على بعض في الأشكال والطعوم ومذاق الأكل إن هذا التفاوت مع وجود مصادر المتشابهه الأدله باهرة أوجدها ورتبها والتفضيل في الأكل يشمل الأذواق والألوان والملمس وغير ذلك[١]،[٢].

الجذع

الجدع في اللغة: الجدع ساق النخلة وسواها، وقيل لا يبين لها جذع حتى يبين ساقها، وفي المثل: (خذ من جذع ما أعطاك) ويضرب في اغتنام ما يجود به البخيل والجذع: جسم الإنسان ما عدا الرأس والأطراف، ولم يرد اللفظ في القرآن بهذا المعنى. والذي أوردناه هو ما يهمنا في بحثنا. وردت في السور الآتية: مريم: ٢٣، ٢٠، طه: ٧١)

الجمار (القمة النامية في النخلة)

وهو قلب النخلة. ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر، قال بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) جلوس إذ أتي بجمار نخلة، فقال النبي (ﷺ) **(أن من الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها).**

---

(١) تفسير الوسيط، د.وهبة الزحيلي،مج٢،ص١١٤٦.

(٢)أنظر الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في القار والأزهار والألوان: ص ٣٧٠.

والجمار بارد يابس في الأولى يختم القروح وينفع من نفث الدم واستطلاق البطن، وغلبة المرة الصفراء، وثائرة الدم، وليس ردئ الكيوس ويغذو غذاء يسيرا، وهو بطئ الهضم وشجرته كلها نفع ولهذا مثلها النبي (ﷺ) بالرجل المسلم. لكثرة خيره ومنافعة.

جني

الجني في اللغة: هو القطوف أي ما يجني من الثمر وغيره، واحدة جناة، والجمع: جنى واجناء، وقيل جنى ما يجني من الثمر لساعته.

جاء في لسان العرب: الجنى الكلأ و الجني الكماة، والجني: الرطب والجني: العنب، والجني: كل ما جني حتى القطن والكماة.

قال ابن فارس (الجيم والنون والياء أصل واحد، وهو اخذ الثمرة من شجرها، ثم يحمل على ذلك، فقول: جنيت الثمرة أجنيها، واجنيتها، وثمر جني آخذ لوقته[١].

قال السمين الحلبي: (وجنى الجنتين، أي والمجتنى من ثمرها قريب. فالجني مصدر واقع موقع المفعول، والجني بفتح الجيم وكسرها: المجتنى هو الثمر أو العسل، وأكثر ما يقال ذلك في الثمر إذا كان غضا، كقوله تعالى (رطبا جنيا) [٢] وقال: جنيت الثمرة واجتنيتها، واجنى الشجر: أدرك ثمرة.

صارت ذات جنى واستعير من ذلك جنى فلان على فلان إذا أصابت [٣]، [٤]
وردت في (سورة الرحمن: ٥٤) [٥]

---

(١) مقاييس اللغة، احمد بن فارس.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٠.

(٣) عمدة الحائط في تفسير الالفاظ، للسمين الحلبي.

(٤) موسوعة الالفاظ القرانية مختار ،فوزي النعال.

(٥) سورة الرحمن: الآية ٥٤.

الحب – حبه- حبا

في اللغة: الحب معروف والواحد منه حبه، والجمع حبات وحبوب وحب. وهو كل بذر يؤكل لاسيما النجيليات: كالحنطة والشعير والذرة والدخن، والرز وبذر القرنيات كالبقول والفاصولياء والعدس والجلبان والحمص وسواها.....

أما الحب، بكسر الحاء فهو بذور الرياحين والبقول، الواحدة من حبه بكسر ال وردت في السور الآتية: (الأنعام: ٠٩، ٩٠، ٩٩، البقرة: ٦١، ق: ٩، الرحمن: ١٢، يس: ٣٣، النبأ: ١٠، عبس: ٢٧، الأنبياء: ٤٧، لقمان: ١٩)

الحبة السوداء:

عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: **(أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)** والحبة السوداء: الشونيز: رواه البخاري ومسلم، وأخرجه أيضا الترمذي وأحمد وأبن حيان، وأخرجه أيضا البخاري وابن ماجة وأحمد عن عائشة رضي الله عنها.

والشونيز حار يابس في الثالثة: مذهب للنفخ مخرج لحب القرع، نافع من البرص وحمى الربع والبلغمية، مفتح للسداد، ومحلل للرياح، محقق لبلة المعدة ورطوبتها، وإن دق وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار، أذاب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة، ويدر البول والمحيض واللبن، إذا أديم شربه أياما، وإن سخن بالخل، وطلي على البطن، قتل حب القرع، فان عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ: كان فعله في إخراج الدود أقوى ويجلو ويقطع ويحلل ويشفي من الزكام البارد: إذا دق وصر في خرقه وأشتم دائما: أذهبه ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثأليل والخيلان، وإذا شرب منه مثقال بمال: تقع من البهر وضيق التنفس، والضماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن أمرآه وسقط به صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا.

وهو يذهب وجع الأسنان: إذا طبخ بخل، وينفع من اللقوه، ويزيل القروح إذا خلط بشمع مذاب بدهن السوس: أو دهن الحناء، ويبرأ البرص إذا سحق بخل. وعن

أنس أن النبي (ﷺ): (كان إذا أشتكى تقمع كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا) رواه الطبراني.

الحلبة:

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (ﷺ): **(لو تعلم أمتي ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبا)** رواه الطبراني.

عن سعد أبن أبي وقاص أنه مرض علة فعاده النبي (ﷺ) فقال: **(أدعوا له طبيبا فدعي له الحارث بن كلده، فنظر إليه فقال: ليس عليه بأس، ما تخذوا له فريقة، وهي الحلبة مع تمر عجوة رطبه يطبخان فيحساهما، ففعل ذلك خبرأ)** رواه أبن السني.

والحلبة تنمو في الهند ومراكش وأوروبا وتزرع في مصر، بذورها غنية بالمواد البروتينية وفيتامين B المركب والأملاح المعدنية مثل الحديد والكالسيوم والفسفور وزيت ثابت ومادة من اللبن المرضعات، وتحتوي بعد أنباتها على كميات كبيرة من فيتامين C، والحلبة الثابتة (أي المزروعة) هي أعظمها غذاء وأسهلها هضمة، وقد أثبت التحليل الكيميائي أخيرا أن الحلبة تقوي غدد الثديين.

ويخلط دقيق الحلبة مع دقيق الذرة ويصنع منه أيضا ضمادات مرضية، وقد قامت بعض المعامل الفرنسية باستخراج خلاصات الحلبة وجعلها شرابا سائغا يسمى (بيو تريكون) ويوصف هذا الشراب ذوي النحافه، كما يعطي زيت الحلبة للمرضعات اللواتي يشكون قلة اللبن.

الحنطة (القمح) Wheat

الأهمية الاقتصادية:

تستعمل الحنطة كغذاء للإنسان منذ عصور ما قبل تاريخ حيث كان يستعملها الإنسان القديم كحبوب مشوية ثم تمكن من طحنها وعجنها بالماء وإنتاج الخبز منها. وتستعمل المجموعة الصلبة من أصناف الحنطة الناعمة (Triticum aestivum) في

إنتاج الخبز في العالم ويمتاز الكلوتين الذي تحتويه حبوبها على القابلية المطاطية العالية التي ينتيح عنها الرغيف أو الصمون.

أما المجموعة الرخوة من أصناف الحنطة الناعمة فليس لكلوتين حبوبها القابلية على المطاطية ولذلك تستعمل هذه المجموعة في عمل المعجنات المختلفة كالبسكويت والكعك والكيك والكثير من المعجنات الشائعة الاستعمال يوميا.

أن الحنطة الخشنة المسماة علمية (Triticum durum) والتي يكون كلوكتين حبوبها صلبة جدا وغير قابل للمطاطية فتستعمل في إنتاج المعكرونة والسباكتي والبرغل وغيرها.

إن حوالي ٧٥% من الحنطة المزروعة تزرع مطرية (ديمة) وبتركيز ٩٠ % من الإنتاج في النصف الشمالي من الكرة الأرضية وان حوالي ٧٥% من الحنطة يزرع كمحصول شتوي ٪٢٠ يزرع كمحصول ربيعي استنادا إلى أحصاءات مؤسسة الغذاء والزراعة لسنة ١٩٧٤.

تزرع الحنطة في الشرق الأوسط منذ ما لا يقل عن ١٠٠٠٠ سنة وقد وجدت نماذج الحنطة المكرفيه في قرية جارمو في التلال الشرقية من شمال العراق يعود تاريخها إلى تلك المدة، وان نوعها أما يعود إلى الحنطة البرية أو الحنطة الثنائية أو الحنطة الرباعية.

وكذلك الحنطة الخشنة كانت تزرع في ذلك الوقت وأنها حلت محل الحنطة السابقة الذكر ثم حلت محلها الحنطة الناعمة.

وتزرع الحنطة بالدرجة الرئيسية في المناطق المعتدلة حيث تمتد من ٣٠-٦٠ شمالا و ٢٥-٤٠ جنوبا من خط الاستواء حيث تتركز مناطق إنتاج الحنطة العالمية ضمن هذا النطاق، كما أنها تزرع في مناطق متفرقة في بعض أجزاء المنطقة شبه الأستوائية وفي المرتفعات الجبلية.

تحتاج الحنطة إلى تربة خصبة ذات قوام متوسط إلى ثقيل مع جوده الصرف، وتعطي التربة المزيجية عاده الحد الأعلى من الحاصل.

أن العناصر الرئيسية التي يحصل عليها نبات الحنطة من التربة هي: النتروجين، والفسفور، والبوتاسيوم، وتحتاج زراعة الحنطة إلى تحضير الأرض الزراعية بدأ بالحراثة والتميد ثم تتبعها عمليات خدمة المحصول.

أزهار الحنطة تلقح ذاتيا حيث يبدأ تكوين الأزهار عندما تتحول القمة النامية إلى جزء زهري ينتج أزهارا وأغلفة بدلا من الأوراق والتفرعات الجانبية يحدث نضج الخلايا الجنسية قبل ظهور السنابل بفترة ويحدث التلقيح عادة في الزهور المغلقة ويبدأ التلقيح عندما تكون السنبلة مغطاة بغمد الورقة العلمية المغلقة وذلك تحت ظروف الجفاف ودرجة الحرارة العالية فقط. وبعد الأخصاب قد يحدث بزوغ السنبلة تحت ظروف ودرجات حرارة معتدلة والرطوبة كافة.

إمتلاء ونضج الحبوب:

تنتقل المواد التي ثم تمثيلها في النبات بسرعة متزايدة إلى الحبة بعد التلقيح م ع أن فعالية عملية التمثيل الضوئي قبل بزوغ السنابل تؤثر على حاصل الحبوب بصورة غير مباشرة بتحديد القدرة في الإنتاج وذلك تحديد عدد السنيبلات للسنبلة قبل بزوغ السنبلة.

تعتبر الأوراق هي العامل الرئيس المساهم في تحديد كمية الحبوب من حيث الوزن والعدد.

أن العوامل التي تحدد نوعية الحبوب وتؤثر على نسبة البروتين فيها هي الظروف الجوية وخصوبة التربة والصنف وعمليات خدمة التربة والأدغال.

الشعير Barley

روى أبن ماجه من حديث عائشة قالت: (كان رسول الله (ﷺ) إذا أخذ أحدة من أهله الوعك: أمر بالحساء من الشعير فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه، يقول: أنه ليرثو فؤاد الحزين، ويسدو عن فؤاد السقيم، كما تسرد أماكن الوسخ بالماء عن وجهها).

الأهمية الاقتصادية:

يستعمل الشعير كعلف حبوبي أو أخضر كما ستستعمل حبوبه في إنتاج المولت الذي يدخل في المنتجات الغذائية والمشروبات الكحولية. وإذا استعمل الطحين الناتج من حبوبه في عمل الخبز فيكون الخبز متماسكة وصلبة ذا زرقه داكنة بسبب عدم احتواء بروتينه على الكلوتين. كما تستعمل حبوبه غذاء للإنسان أو في عمل بعض المنتجات الغذائية وتستعمل النباتات الخضراء قبيل النضج في عمل الدريس.

يزرع الشعير في المناطق المعتدلة من العالم وكذلك في العديد من أجزاء المنطقة شبه الاستوائية وفي السهول الجبلية في المنطقة الاستوائية كما يزرع في الصحاري والأراضي القلوية المنخفضة. والشعير كما للحنطة من قدم تاريخي وحيث كان يزرع قبل ١٠٠٠٠ سنة مضت، وفي روايات أن زراعته سبقت الحنطة بعدت مراحل وكان يستعمل غذاء أساسيا للإنسان القديم إلى أن حلت الحنطة محلة. وهناك نوعان من الشعير حسب تأثير درجة الحرارة وهما:

١- الشعير الشتوي.

٢- الشعير الربيعي.

إن زراعة الشعير تحتاج إلى تربة مزيجيه جيدة الخصبة ذات تفاعل ٦-٧ وهو أكثر مقاومة للملوحة والقلوية التربة من الحنطة إلا أن الشعير يمكن زراعته في الترب الرملية والقلوية. تحتاج عملية زراعة الشعير إلى تحضير التربة وحراثتها بعمق ١٢-١٥س م بصورة مبكرة قدر المستطاع في أوائل الصيف لأن ذلك يساعد على استعادة بعض خصوبة التربة.

الرز (الشلب) paddy Rice

الأهمية الاقتصادية:

يعتبر الغذاء الرئيس لحوالي نصف سكان العالم وذلك في منطقة الشرق الأقصى والصين والهند والباكستان، وهو المحصول الحبوبي الثاني الذي يزرع على نطاق

عالمي واسع بعد الحنطة وان المساحة التي تزرع منه هي أقل من الحنطة. إن وفرة الإنتاج في زراعة الرز يأتي من أن زراعته تكون في ظروف أروائيه مؤكدة.

أن حوالي ٥٠% من سكان العالم يحصلون على ٦٠% من طاقاتهم من الرز ولذلك فان حوالي ٣٠% من جميع الطاقة اللازمة لجسم الإنسان تأتي من استعمال الرز كغذاء. ينتج من الحبوب النشأ الذي يدخل في الكثير من المنتجات الصناعية الغذائية والمشروبات الكحولية وتستعمل السحاله الناتجة من التهبيش كعلف مركز للحيوان كما يستعمل القشر في إنتاج الورق والخشب المضغوط والحصران والقبعات والسلال والمكانس والعلف والسماد وتستعمل قشور الشلب كمادة عازلة وتدخل في عمل الألواح الكارتونية والحرير الصناعي واللبند لبن والسماد.

ومن المعروف في الوقت الحاضر بأن زراعة الرز كانت سائدة في الصين والهند منذ ما لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة مضت حيث كان يستعمل كمحصول مقدس في الطقوس الدينه وقد انتشرت زراعته من الصين إلى اليابان ومن الهند إلى الشرق الأوسط حيث وصل منها إلى أوربا منذ ٢٠٠٠ سنة مضت. يتأثر الحاصل بدرجة الحرارة وكمية الضوء والرطوبة والأمطار. ونوع التربة والموقع الزراعي للرز.

وهناك أنواع من الرز:

١- رز الأراضي المرتفعة أو الرز غير المغمور.
٢- رز الأراضي المنخفضة أو الرز المغمور.
٣- الرز العائم.

التقسيم حسب صفات حبة الرز الظاهرية:

هذا التصنيف مهم من الناحية التجارية في الأسواق العالمية وتقسم أصناف الرز بموجب هذا التقسيم حسب حجم وشكل ووزن الحبة. إن النظام الذي اقترحته منظمة الغذاء والزراعة الدولية (فاو) عام ١٩٧٠ يعتبر أكثر قبولا. وبموجب هذا النظام يصنف الرز حسب طول الحبة إلى:

١. كثيرة الطول: عندما يكون ٨٠% أو أكثر من الحبوب المهبشة الكاملة ذات طول ملم أو أكثر.

٢. طويلة: عندما تكون ٨٠% أو أكثر من الحبوب المهبشة الكاملة ذات طول يتراوح بين ٦-٦,٩٩ ملم.

٣. متوسطة: ٨٠٪ أو أكثر من الحبوب المهبشة ذات معدل طول من ٥- ٥، ٩٩ ملم.

٤. قصيرة: تكون ٨٠% أو أكثر من الحبوب المهبشة ذات معدل طول أقل من ٥ ملم.

كذلك اقترحت المنظمة ثلاثة أصناف للرز حسب شكل الحبوب وهي:

١. اسطوانية: وهي الحبوب المهبشة التي تكون ذات نسبة طول إلى العرض ٣.

٢. مضغوطة: الحبوب المهبشة ذات نسبة طول إلى العرض ٢-٣.

٣. مدوره: الحبوب المهبشة ذات نسبة طول إلى العرض أقل من ٢.

كما وضعت المنظمة ثلاث مراتب للرز حسب الوزن وهي:

١. ثقيلة جدا:وهي التي تكون وزن ألف حبة من المهبشة الكاملة أكثر من ٢٨ غم.

٢. ثقيلة: وزن ألف حبة من الحبوب الكاملة المهبشة بين ٢٢-٢٨ غم.

٣. متوسط الثقل: عندما يكون وزن ألف حبة كاملة مهبشة أقل من ٢٣ غم.

أن النسبة للأصناف العراقية فهي: (عنبر، حويزاوي، نعيمة، غريبة، نكازه عنبر طويل الحبة ونعيمة متوسط الحبة أما صنف حويزاوي وغريبة، ونكازه فأنها قصيرة الحبة).

أهم عمليات تحضير الشلب للاستهلاك بعد الحصاد هو التهبيش: ويتضمن تهبيش الشلب عدة عمليات:(أ. التنظيف ب. التقشير ج. التبيض د. التلميع هـ. التدريج).

الذرة الصفراء Indian corn or Maize (Czea mays L)

الذرة الصفراء من محاصيل الحبوب المهمة، حيث تعتبر ثالث محصول بعد الحنطة والرز في العالم من حيث المساحة المزروعة والإنتاج، وتستعمل كعلف حيواني بصورة رئيسية وكغذاء للإنسان كما أنها تدخل في صناعات عديدة ويمكن تلخيص استعمالاتها بما يلي:

١- الذرة الصفراء كعلف حيواني:

حيث تستعمل كعلف حيواني أو علف أخضر أو غمير (سايلج).

إن الاستعمال الرئيس للذرة الصفراء في العلف الحيواني هو حبوبها حيث أن ٩٠٪ من حبوبها المنتجة في الولايات المتحدة الأمريكية تستعمل علف للحيوانات لأن الحبوب غنية بالمواد الغذائية كالنشاء والبروتين والزيت إضافة إلى احتوائها على الفيتامينات وبعض المواد المعدنية، وفتكون المادة الجافة للحبة بصورة رئيسية من % ٦٠ نشأ وحوالي ١٠٪ بروتين و ٤٠% زيت والنشأ في حبة الذرة الصفراء يتكون من ٨٠٪ أميلو بكثين و ٢٠٪ أميلوز.

أما الفيتامينات الموجودة في حبوب الصفراء فأهمها الثيامين (فيتامين B1، الرايبوفلافين (فيتامين B2) وحامض البنتوثينك والنياسين وفيتامين E وتحوي الحبوب الصفراء على بروفيتامينA (Pro – Vitamin A) الذي تكاد تخلو منه الحبوب ذات اللون الأبيض.

أما المعادن فهي البوتاسيوم والفوسفور والمنغنيز والحديد وغيرها، وتعتبر حبوب الذرة الصفراء كمصدر رئيس للطاقة العالمية في العلف حيث تعطي ٤٧٢ سعره لكل ١٠٠غم من الحبوب في المعدل فلذلك تستعمل في عليقة الدواجن والماشية والأغنام وفي العراق تستعمل بصورة رئيسة في الوقت الحاضر في عليقة الدواجن حيث بالإمكان استعمالها بنسبة ٤٠-٦٠% في العليقة.

٢- الذرة الصفراء كغذاء للإنسان:

تؤكل الحبوب مسلوقة خاصة الذرة الصفراء الحلوة وقد تؤكل مشوية أو محمصة أو مطبوخة. ويخلط طحينها مع طحين الحنطة لعمل الخبز ولا يحوي بروتين الذرة الصفراء مادة كلوتينية كالحنطة لهذا يتغدر عمل رغيف الخبز من طحينها لوحده. ويدخل النشأ في عمل المعجنات والأغذية المختلفة والدكسترين ويستخرج من السيقان العصير السكري ومن جنين البذور الزيت الذي يستعمل في الطبخ وزيت الزلاطة والزبدة النباتية وفي المايونييز.

٣- الذرة الصفراء في الصناعة:

تدخل الذرة الصفراء في صناعات عديدة متنوعة حيث يدخل النشأ في صناعة الأصماغ والاسبست والسيراميك والبلاستيك وأصباغ الملابس وحبر الطباعة ويستعمل طحينها في تنشية الملابس ليكسبها شكلا ثابتا ومتانة ويستعمل العصير السكري في تصنيع التبوغ ليكسبها طعم مرغوبة وفي صناعة ورق الكلايسبين والحرير.

أما الزيت فيستعمل في أصباغ الفارنيش وصناعة المطاط ويدخل السكر في ص ناعة بعض المواد الكيميائية.

أما السيقان والأوراق فتستعمل لإنتاج أنواع مختلفة من الورق مثل التغليف و الأكياس والألواح الورقية.

أما الكوالح فتستعمل في عمل الفلين و الفورفورال وغليون التدخين وللوقود ويمكن استعمالها كمادة عازلة في البناء بعد ثرمها وخلطها بالرمل والسمنت، وحبوب الذرة الصفراء تستعمل في عمل الكحول والمشروبات وفي صناعة أخرى مختلفة.

نبذة تاريخية عن الذرة الصفراء:

إن جميع أنواع الذرة الصفراء، والمنغوزة، والصوانية والحلوة والنشوية والشامية والتي تزرع حاليا في العالم كانت لدى الهنود الحمر منذ ما لا يقل من ٥٠٠٠-٦٠٠٠ سنة على الأقل حيث كانت تزرع في المنطقة المحصورة بين المكسيك وغواتيمالا

وبيـرو والأكـوادور وبوليفيـا ولـذلك فـإن وسـط أمريكـا والمكسـيك يعتبـران المنطقتـين الأساسيتـين كمركـز النشـوء الـذرة الصـفراء وذلـك بسـبب وجـود أنـواع وأصـناف عديـدة مختلفة في هاتين المنطقتين. وقد انتقلت الذرة الصفراء من أمريكا بعد اكتشافها إلى أوربا بواسطة الأسبان حيث عرفت في أسبانيا عام ١٤٩٤ م وزرعت هناك في الحدائق أول الأمر، ثم انتقلت من أسبانيا إلى فرنسا وايطاليا ودول البلقان ومن ثم إلى شمال أفريقيا. ومن ناحية أخرى فقد نقلها البرتغال إلى الساحل الغربي من أفريقيا في بداية القرن السادس الميلادي وربما من هناك إلى الهند. وانتقلت الذرة الصفراء إلى الصين والفلبين وشرق أسيا خلال تلك الفترة ويعتقد أنها دخلت مصر والشام وسميت هناك بالذرة الشامية وزرعت على نطاق التجارب في العراق عام ١٩٣٧م وكان أول صنف جرب ورد الهند وهو صنف لالتن مفتوح التلقيح صيوانـي البذور ولون البذور أصفر غامق وهو مبكر النضج.

وهناك عوامل كثيرة بيئية تؤثر على زراعة ونمو الذرة منها:

١- درجة الحرارة: تحتاج الذرة الصفراء إلى جو دافئ خلال النهار والليل طيلة الموسم.

٢- الضوء: تعتبـر الـذرة الصـفراء مـن نباتـات النهـار القصيـر، فالنهـار الطويـل سـوف يـزيد مـن فتـرة النمـو الخضـري للنباتـات حيـث يـزداد عـدد الأوراق وحجـم النبـات ويتأخر النضج.

٣- الأمطار: بصورة عامة فإن إنتاج الذرة الصفراء يتحدد في المناطق التـي لا تقل معدل سقوط المطر الشتوي عن ٣٧٥ ملم وان تكون الأمطار خلال موسم الصيف ٢٠٠ ملم أو أكثر أما في المناطق المعتمدة على الرأي كما في وسط وجنوب العراق فان الذرة الصفراء تعتبر أفضل محاصيل الحبوب إنتاجا إذا توفرت لها المياه اللازمة والظروف البيئية الملائمة.

٤- التربة: أفضل الترب لزراعة الذرة الصفراء هي الترب الجيدة الصرف المزيجية الخصبة التي تكون غنية بالمواد العضوية وتتأثر الذرة الصفراء بمستوى الماء في الأرضي المرتفع نتيجة الري الغزير.

٥- الملوحة: تعتبر الذرة الصفراء مقاومة لحد ما للملوحة في فترة الإنبات فقط، ومع ذلك فان ارتفاعها في التربة يؤخر الإنبات مجاميع الذرة الصفراء: تقسم جميع أصناف الذرة الصفراء إلى سبعة مجاميع أو طرز ويعتمد هذا التقسيم على صفات السويداء والقنابع وتنتمي هذه المجاميع إلى نوع واحد هو Zeamays وهذه المجاميع هي:

١- الذرة الصوانية Flint Corn.

٢- الذرة المغمورة Dent Corn.

٣- ذرة الطحين أو الذرة الرخوة Flour or soft Corr

٤- الذرة الحلوة Sweet Corr

٥- الذرة الفشار أو (ذرة التفرقع)Pop Corn

٦- الذرة الشمعية Woxy Corn

٧- الذرة المغلقة Pop Corn

الذرة البيضاء: Sorghum

تحتل الذرة الصفراء المرتبة الخامسة بالنسبة لمحاصيل الحبوب في العالم حيث أنها تأتي بعد الحنطة والرز والذرة الصفراء والشعير من حيث الإنتاج وهي تستعمل بالدرجة الرئيسية كعلف حيواني أو كعلف أخضر للحيوان والدواجن ويمكن أن تحل محل الذرة الصفراء في عملية الدريس والغمير وعمل المعجنات حيث تستعمل في إنتاج الخبز في بعض الدول الفقيرة ويستخرج الكحول والمشروبات الروحية من الحبوب بعد تخميرها ويستعمل النشأ الذي ينتج منه الدكستروز في بعض المنتجات الغذائية والنشأ الشخصي والعمل الصموغ والأصباغ المختلفة وإنتاج الكلوتين وتمتاز حبوبها بارتفاع قيمة البروتين فيها عن الذرة الصفراء وإمكانية استعمالها كعلف دون جرشها وتعتبر الذرة البيضاء هي الغذاء الأساس في أجزاء من أسيا وأفريقيا بينما تستعمل في أوربا وأمريكا كعلف للحيوانات والدواجن وهي أقل في تصافي الهضم من الذرة الصفراء.

نبذة تاريخية:

أن تاريخ زراعة الذرة البيضاء من قبل الإنسان غير معروف بالضبط إلا أن الاعتقاد السائد بأنها كانت معروفة في مصر منذ مالا يقل عن (٥) آلاف سنة مضت وكانت معروفة كذلك لدي الآشوريين منذ ٧٠٠سنة ق.م.

وتزرع في الهند في أوائل القرن الميلادي وعن طريقها انتقلت إلى ايطاليا. أن السجل الأول المعروف للذرة البيضاء المزروعة هو نقش وجد في أشور حوالي ٢٧٠٠ سنة مضت وقد أدخلت إلى أمريكا مع تجارة الرقيق حيث جلبت كغذاء. هناك عوامل بيئية تؤثر على زراعة الذرة البيضاء وإنتاجها:

١- درجة الحرارة: تحتاج الذرة البيضاء إلى جو دافئ (٢١) م خلال الموسم وبمعدل ٤ - ٣ أشهر.

٢- الأمطار: تحتاج الذرة البيضاء خلال الموسم بصورة عامة إلى معدل ٣٠٠-٣٠٠ ملم مطر سنويا ويمكن أن تعطي حاصلا ملائمة تحت ظروف مطرية بمعدل ٢٠٠ملم سنويا وهي تقاوم الجفاف.

٣- الضوء: تعتبر الذرة البيضاء قصيرة الاحتياج للضوء ولذلك فان فترة الضوء الطويلة تؤدي إلى تأخير موعد التزهير والنضج.

٤- الموقع: لا توجد دراسة كافية عن تأثير الموقع على أقلمة الصنف رغم أن زراعة الأصناف تمتد من ارتفاع ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر وحتى مستوى سطح البحر.

٥- التربة: تنجح زراعة الذرة البيضاء بالدرجة الرئيسة في الترب الطينية أو الطينية المزيجية أو المزيجية حيث تعطي الحد الأعلى من الحاصل الحبوبي إذا زرعت فيها

أنواع الذرة البيضاء:

١- الذرة الحبوبية: Grain sorghum.

٢- الذرة السكرية: Sorgo.

٣- الذرة الولفية: Fodder sorghum.

٤- ذرة المكانس:Broom corn.

الدخن: Millets

الأهمية الاقتصادية:

يستعمل كغذاء في الكثير من الدول الفقيرة في أسيا وأفريقيا وبعض أقسام الاتحاد السوفيتي حيث يدخل في عمل الخبز والمنتجات العجينية الأخرى وبالمقارنة بالحنطة فان نصف كمية البروتين الموجود في الحبوب قابل للهضم ولذلك فإن الخبز أو المعجنات الناتجة منه تكون رديئة القيمة الغذائية أو يستعمل في إنتاج الكحول وبعض المشروبات الكحولية. كما يستعمل كعلف أخضر أو كحبوب للطيور بالدرجة الرئيسة وتحتوي الحبوب على نسبة من المواد المعدنية أعلى من أي محصول في المحاصيل الحبوبية الأخرى، وعموما فإن إنتاج الدخن في العالم في طريقه إلى التدهور بسبب التركيز نحو زراعة الذرة الصفراء أو البيضاء في المناطق التي كانت زراعة هذا المحصول سائدة فيها نتيجة للارتفاع في مستوى معيشة السكان.

نبذة تاريخية:

كان الدخن يزرع في الهند والصين ومصر في عصور ما قبل التاريخ وهو يدخل ضمن أقدم المحاصيل الحبوبية التي عرض واستعملها الإنسان كغذاء لأول مرة في حياته.

الظروف البيئية:

يزرع الدخن في المنطقة الاستوائية وشبه الاستوائية والمعتدلة من العالم حيث لا تصلح الظروف الجوية أو التربة لزراعة أي محصول حبوبي أخر وذلك بسبب قصر موسمه الذي يتراوح بين ٦٥-٧٠ يوما. وتتأثر زراعة الدخن بكثير من العوامل البيئية:

١- درجة الحرارة: يحتاج إلى جو دافئ خلال فترة الإنبات والنمو والنضج وبشرط إن لا تقل درجة الحرارة عن معدل ٢٠ م ولا تتجاوز ٤٠ م.

٢- الضوء: الدخن من المحاصيل القصيرة الاحتياج للضوء ولذلك يتأخر موعد تزهيره وتزداد فترة النضج في المنطقة المعتدلة بالمقارنة بالمنطقتين الاستوائية وشبه الاستوائية.

٣- الرطوبة (الأمطار): المحصول يقاوم الجفاف وينجح في المناطق ذات معدل ٢٠٠-٣٠٠ مطر سنوية إلا أنه يعطي الحد الأعلى من الإنتاج الحبوبي إذا توفرت رطوبة معتدلة.

٤- التربة: يحتاج إلى تربة مزيجية أو مزيجية خصبة لإعطاء الحد الأعلى من الحاصل الحبوبي إلا أنه يعطي حاصلا معتدلا في الترب غير الخصبة والرملية بسبب قصر موسم إنتاجه.

أنواع الدخن:

أنواع الدخن المزروعة في العالم هي:

١- الدخن المحلي (بروسو) Proso Millet.

٢- الدخن الؤلؤي Pearl Millet.

٣- دخن ذيل الثعلب Fextail Millet.

٤- الدخن الياباني (الدنان) Japanese Millet

٥- الدخن الأصبعي Finger Millet.

الشوفان

الأهمية الاقتصادية:

يعتبر الشوفان سابع محصول حبوبي عالمي بعد كل من الحنطة والرز والذرة الصفراء والشعير والذرة البيضاء والدخن وتستعمل حبوبه ونباتاته الخضراء كعلف

حيواني رئيسي وتدخل الحبوب في عمل بعض المعجنات الملائمة لوجبات الإفطار كما تستعمل حبوبه بصورة خاصة للخيول المستعملة في السباق وأبقار الحليب والدواجن. يستعمل الطحين الناتج من الحبوب في عمل الخبز تخلطه بمعدل ٤ أجزاء من الطحين للحنطة مع جزء واحد من طحين الشوفان بسبب عدم احتواء طحينة على الكلوتين كما يحتوي الطحين على مادة مانعة للتأكسد ولذلك يستعمل كمادة حافظة للزيوت والدهون المختلفة. يحصل على سائل (الالدهايد) من الأغلفة المحيطة بالحبوب ويستعمل كذلك في إنتاج مادة (الفيورفوال) وهي مادة مذيبة مهمة في عملية تنقية أملاح زيوت الطعام النباتية والصوف وكمادة خام في عمل البلاستيك والنايلون وكذلك كمذيب لازاله الأصباغ كما ينتج منه بعض المستحضرات الطبية المعقمة والمطهرة البديلة للستربتومايسين أو البنسلين مثل الفيوراسين.

التوزيع الجغرافي:

يزرع الشوفان الاعتيادي Common Oat في المنطقة الباردة الرطبة من العالم مثل شمال الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب كندا وشمال أوروبا. أما الشوفان الأحمر Red oat في المناطق المعتدلة في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية أو منطقة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا وأفريقيا واستراليا والأرجنتين حيث لا تنجح زراعة الشوفان الاعتيادي فيها.

إن الدول الرئيسية المنتجة لهذا المحصول هي:

الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وكندا، وفرنسا والمملكة المتحدة، والمانيا لا يزرع الشوفان الاعتيادي أو الشوفان الأحمر في العراق حيث لم يجربا على أساس علمي تطبيقي لحد الآن. ويعتبر الشوفان البري (Wild at Avena fatua) والذي يعرف بالدوسر في المنطقتين الوسطى والجنوبية والجويدر في المنطقة الشمالية الجبلية من العراق من الأدغال الوبائية الأساسية في حقول الحنطة والشعير بصورة خاصة والمحاصيل الشتوية الأخرى بصورة عامة.

الظروف البيئية الملائمة لزراعة الشوفان: يحتاج الشوفان إلى جو رطب ملبد بالغيوم والى كمية من الماء أكثر مما يحتاجه أي محصول من المحاصيل الحبوبية الأخرى كالحنطة والشعير والشيلم بصورة خاصة.

تنجح زراعة هذا المحصول في أنواع مختلفة من التربة بشرط توفر الصرف والخصوبة ويعتبر الشوفان أقل حساسية من الحنطة والشعير إلى ظروف التربة. وبصورة خاصة الحموضة وهو يعطي أفضل نحو في الترب المزيجية وحاصل مقبول في الترب الثقيلة أو الترب الرملية الخفيفة بشرط توفر الرطوبة والماء الكافيين ويستجيب المحصول عادة بصورة جيدة إلى السماد الفوسفاتي في الجو الرطب البارد في المنطقة الشمالية. وعموما تزداد نسبة الموت بسبب البرد شتاء في الشوفان المزروع في الخريف كلما اتجهت التربة نحو الطينية أو الطينية الثقيلة.

الشيلم (Rye (Secahe Cereale

الأهمية الاقتصادية:

يعتبر الشيلم المحصول الحبوبي الثاني بعد الحنطة لعمل الخبز وهو يستعمل لهذا الغرض في أجزاء من شمال أوروبا حيث أن الترب الفقيرة والشتاء القارص يجعل إنتاجه أكثر ملائمة لعمل الخبز الرخيص بالمقارنة بالحنطة لان القيمة البروتينية أوطأ من خبز الحنطة. وتكون نوعية الطحين الناتج منه حامضي لكنه يعطي خبزا مغذية وقد يخلط طحينة مع طحين الحنطة بمعدل ٢٥-٥٠% حيث يعمل منه خليط ملائم للخبز. كما يستعمل في صناعة الكحول والمشروبات الكحرولية الأخرى كالويسكي. وتدخل الحبوب في إنتاج العلف. ويستعمل في تغذية الأغنام بالدرجة الرئيسة.

التوزيع الجغرافي:

يعتبر الشيلم المحصول الحبوبي الرئيس في الترب الرملية في المنطقة التي تمتد من شمال أوروبا وأسيا وبصورة خاصة في المنطقة المحصورة بين ٥٠-٩٠ إلا أن زراعته تمتد جنوبا حتى تصل إلى أسبانيا وايطاليا واليونان وتركيا. كما يزرع في

الأرجنتين ضمن حزام الحنطة وعلى نطاق أوسع غربا وجنوبا وفي جنوب أستراليا حيث تمتد زراعته في الأراضي الرملية. تبلغ المساحة العالمية المزروعة منه لعام ١٩٧٤، ١٧,٥ مليون هكتار والإنتاج العالمي ٣٢,٦ مليون طن. أن الدول الرئيسة في إنتاجه هي روسيا وبولندا والمانيا والجيك وسلوفانيا وهنغاريا والولايات المتحدة الأمريكية.

نبذة تاريخية:

يزرع الشيلم منذ أكثر من (٢٠٠٠) سنة إلا أنه لا توجد سجلات عن زراعته قبل الميلاد وقد أصبحت منتشرة في القرون الوسطى في أوروبا وفي عصر النهضة الصناعية أصبح الشيلم أكثر انتشارا من الحنطة وأصبح الخبز الناتج منه معروفة عالمية حتى بداية القرن العشرين حيث حلت محله الحنطة بدرجة أكثر تدريجيا.

الظروف البيئية الملائمة لزراعة الشيلم:

يزرع الشيلم على الأغلب في الأجواء الباردة فهو بزرع في المناطق ذات معدل ٥٠٠-٧٠٠ ملم مطر سنويا ويزرع على نطاق أوسع من الشوفان الذي تحدد زراعته في المناطق الرطبة من العالم وهو يقاوم جميع الظروف الجوية المتقلبة باستثناء درجة الحرارة المرتفعة وهو ينمو بصورة أسرع من الحنطة في درجات الحرارة المنخفضة. و يتميز الشليم بانفراط حبوبه حال نضجها وقدرتها على الإنبات وتكوين نباتات تنمو تحت ظروف زراعية متغايرة وقد تنفرط الحبوب قبل حصاد المحصول مما يؤدي إلى صعوبة الحصول على بذور نقية من المحاصيل الحبوبية الأخرى المزروعة مع الشيلم.

الحدائق

جمع حديقة، وهي حدائق كل ارض ذات شجر مثمر أو نخل وقيل: الحديقة هي الحائط البستان، وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب، وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة، وقيل: الحديقة هي: القطعة من الزرع.وقال الزجاج الحدائق: هي

البساتين والشجر الكثير الملتف). غلبة: غلبت الحديقة، تكاثفت أشجارها وغلظن والتف بعضها ببعض فهي غلباء. (معجم ألفاظ النبات).

قال ابن فارس: (الحاء والدال والقاف أصل واحد وهو الشيء يحيط بشيء، يقال: حدق القوم الرجل وأحدقوا به – أي أحاطوه – وحدقة العين من هذا وهي السواد لانها تحيط. بإنسان العين والجمع حداق، والحديقة الأرض ذات الشجر[1]. وردت في السور الآتية: النمل:٦، النبأ: ٣٢، عبس: ٣٠).

الحرث

يأتي معنى الحدث أحيانا: الكسب والربح والجائزة الدنيوية، لكن الكسب الحق الجميل ما بنا له المؤمن في دار الجزاء في اليوم الآخر﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾[2] وكذلك في [آل عمران ١٤].

وكذلك جاء اللفظ في تشبيه بليغ إذ قرر أن النساء هي بمنزله الحرث للرجال أي الأرض الطيبة الصالحة للزراعة، فليزرعها صاحبها كيف يشاء وذلك بقوله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

فالحرث هنا مراد به المحروث) اسم مفعول بقرينة كونه مفعولا لفعل ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ وليس مصدرا. وهو تشبيه لطيف جميل بديع. كما جاء اللفظ بمعنى الجنة والبساتين وذلك بقوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ أماني في اللغة: الحرث أصله (حرث)، إذا شق الأرض بالمحراث ليزرع فيها حبة أو لغرس فيها شجرة، وقد أطلق اللفظ كما بينا على الأرض

---

(١) معجم مقاييس اللغة (احمد بن فارس) وينظر في موسوعة الالفاظ القرانية.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٠.

التـي فيها زرع نحـو قولـه تعالـى:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾[1] فـالحرث هنـا جـاء بمعنـى المزروعـات علـى أطلاقهـا. كمـا أطلـق اللفظ في القرآن الكريم على المحراث وأنواعه إطلاقا متعددة كالأرض المهيأة للزرع أو الغـــرس وعلـــى الجنـــات والبساتـــين والحقـــول وســـواها [2]. وردت فـــي الســـور الآتـــية:(البقـــرة:٧١، ٢٠٠، ٢٢٣، آل عمـــران: ١٤، ١١٧، الأنعـــام: ١٣٦، ١٣٨، الأنبياء:٧٨، الشورى: ٢٠)

الحصيد – الحصاد

في اللغـة: الحصـد: الـزرع والنبـات، والحصـاد: الـزرع المحصـود، جمـع حصـائد، وحـب الحصـيد: حـب البـر المحصـود، وحصـد الـزرع حصـدا: جـزة وقطعـة، قـال ابـن فـارس: (الحـاء والصـاد والـدال): أصـلان أحـدهم: قطـع الشـيء والآخـر: أحكامـه، وهمـا متفاوتـان فـلأول: حصـدت الـزرع وغيـره حصـدا وهـذا زمـن الحصـاد يفـتح الحـاء وكسـرها وفي الحديث: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم) والحصائد مع حصيده، وهو كل شيء قيل في الناس باللسان وقطع من عليهم [3].

وجـاء اللفظ في القرآن الكريم بمعنـيين، الأول: متعلق البـيان كمـا جـاء فـي سـورة (يـونس: ٢٦) و (يوسـف: ٩٧) و (ق:٩) وجـاء الثانـي مجانـا الـى هـلاك أهـل القـرى ودمـارهم تلـك التـي أبـيدت الكفرهـا وضـلالها فاستؤصـلت شـأفتها حتـى غـدت كـالزرع الصيد. وقد جاء في صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء: (حصيد: مستأصل ويقع على الواحد والاثنين والجمع).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٢) موسوعة الافاظ للنبات في القران.

(٣) موسوعة الالفاظ القرانية.

وردت في السور الآتية: (الأنعام: ١٤١، يوسف: ٤٧، هود: ١٠٠، ق: ٩، يونس: ٢٤، الأنبياء: ١٥).

الحطب

سورة المسد

هذه السورة مكية وهي السورة السادسة نزولا وفي سبب نزولها كما جاء في الصحيحين: عن ابن عباس قال: صعد رسول الله (ﷺ) ذات يوم على الصفا فنادى (بأصحابه) فاجتمعت إليه قريش فقال: (أني نذير لكم بين عذاب شديد، أرأيتم لو أني أخبرتكم أن العدو ممسيكم أو مصبحكم أكنتم تصدقوني)، قالوا: ما جربنا عليك كذبة، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا، فنزلت هذه السورة.

في اللغة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾: الخسران والهلاك، والكلام دعاء وتقريع لأبي لهب، دافع الله به عن نبيه بمثل ما خطب أبو لهب أبن أخيه. وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي (ﷺ) وكنيته أبو لهب جاءت لحسنه وأشراف وجهة، وامرأته: أروى بنت حرب بن أمية. أخت أبي سفيان وعمة معاوية، وكانت تحمل الحطب والشوك فتضعه في الليل في طريق النبي(ﷺ) الذي سيسلك منه إلى بيته ليعثر به. في جيدها الجيد العنق والمسد: ليف من ليف اليمن شديد، والحبال التي تفتل منه تكون قوية وصلبة والحطب: معروف، وهو ما يؤخذ به من يابس الشجر.

قال ابن فارس: (الحاء و الطاء و الباء أصل واحد وهو الوقود، ثم يحمل عليه ما يشبه به، فالحطب معروف)، وفي المثل: (حاطب الليل) شبه به الجاني على نفسه بلسانه بحاطب الليل لأنه إذا حطب ليلا لا يأمن من العواقب، فربما وضعت يده على

أفعى فنهشتها أو على عقرب لسعته، وكذلك الذي يطلق لسانه ويهجو الناس ويذمهم ربما كان ذلك سببا لحتفه [١]، وردت في السور الآتية: (مسد:٤، الجن: ١٠).

الخبء

في اللغة: ما خبئ، ويقال في كل مدخر ومستور، وهو خبئان، فأما الخبء الذي في السماء فهو القطر، وأما الذي هو في الأرض فهو النبات. قال الفراء: (الخبء: هو الغيب، غيب السماوات وغيب الأرض) [٢].

وقال ابن فارس: (الخاء والباء والحرف المعتل والهمزة يدل على ستر الشيء، فمن ذلك خبأن الشيء أخبؤه خبأ، والخبأة: الجارية تخبأ) [٣]. وقال ابن قتيبة (الخبء، المستقر في السموات والأرض، وهو من خبأت الشيء، إذا أخفيته، ويقال: خبء السموات: المطر، وخبء الأرض: النبات). وقال الزجاج: (كل ما خبأت فهو خبء فالخبء كل ماغاب، فالمعنى أن الله يعلم الغيب في السموات والأرض) [٤].

وقال ابن جرير: (في) جاءت بمعنى (من) فتقديره: يخرج الخبء من السموات. هذه الآيات الكريمة، فيها من نبأ أهل سبأ، (وسبأ كانت دولة ظهرت في شرقي اليمن، سميت البلاد باسمها بنسبة الى الجد الاكبر (سبأ بن يشجب)، و الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم، فصدهم عن الطريق المستقيم، وهو أخلاص العبودية لله الواحد القهار [٥]. وردت في سورة النمل: ٢٥).

---

(١) فهرس الالفاظ القرانية.

(٢) مقاييس القران للقراء.

(٣) مقاييس اللغة لاحمد بن فارس.

(٤) زاد السير في علم التفسير، لابن الجوزي البغدادي.

(٥) فهرس الالفاظ القرانية.

الخبز، الخمره

في اللغة: (أَعْصِرُ خَمْرًا) أي أعصر عنبة لأضع منه الخمر بتأويله: أي بتفسير هذه الرؤيا. الخبز: وهو ما يتخذ من دقيق الحبوب التي تخبز فالحنطة أو الشعير أو الذرة وسواها، فيعجن الدقيق، ويقرص على شكل أرغفة وتوضع في التنور أو الفرن أو الصاج، حتى تطبخ فيطيب أكلها. ويقال لصانع الخبز: خباز وللمكان الذي يخبز فيه: المخبز أو الفرن أو التنور، والجمع مخابز وأفران وتنانيير.

وقد عرف الإنسان الخبز منذ العصر الحجري، وقد صنعت بطحن (السنابل والحنطة والشعير) بعض بذور الأعشاب البرية ومزجها بالماء حتى تصبح عجينا، ثم مده وشواه بين جمرات النار أو حول أطرافها، ثم راح يأكله بعد نضجة فأعجبه واستطابه كقوت يومي له، ومنذ آلف السنين اكتشف المصريون كيف يجعلون الخبز أطيب مذاقا وأيسر هضم بإضافة الخميرة إليه، فإضافة الخميرة الى العجين هي التي تحدث الثقوب الصغيرة التي تراها في داخل الرغيف، ذلك حين تمزج الخميرة بالماء الساخن والسكر، تنطلق منها فقاقيع من ثنائي اوكسيد الكاربون، حتى إذا مزجت هذه الخميرة بالعجين انتشرت فقاقيع الغاز فيه فيرتفع أو ينتفخ، يصنع الخبز عادة من دقيق القمع المنخول وهذا يعرف: بالخبز الأبيض، أو من دقيق القمح غير المنخول وهذا هو: الخبز الأسمر، وهو خير من الخبز الأبيض بسبب غناه بالنخاله التي تشمل على فيتامين (ب)، وقد يصنع الخبز من الذرة أو الأرز وبخاصة في البلدان الحارة.

واليوم تقدمت صناعة الخبز تقدما كبيرا، وأصبحت أليه في جميع مراحلها من عجن وتقطيع، ومد وخبز وتغليف بحيث لأتمس الأيدي هذا الغذاء الأساسي في أي من مراحل صنعه، كما اختلفت أشكاله من رغيف مستدير الى أشكال متعددة طولانية وسواها، تعرف (بالصمون)[١]، وردت في سورة (يوسف: ٣٦)

---

(١) موسوعة المورد، منير عنبكي، ٢/١١٠.

الخردل

في اللغة: الخردل عشب حولي من الفصيلة الصليبية، تعلو ساقه إلى ٦٠- ٨٠ سم وساقه قائمة كثيرة التفرع، أزهارها صفراء، والثمرة خردل تحتوي من ٣-٥ بذور، س وداء أو بني اللون، صغيرة الحجم هذا يضرب المثل في صغرها ودقة حجمها طعمها حريف حار نفاذ، وهو من المشهيات، تستعمل بذوره في التتبيل، يتكاثر: بذوره وهي نوعان أسود وابيض، يزرع بهدف الاستعمال الطبي، كما يزرع مع الزرع ليكون سمادا أخضر وبذوره تستعمل تابلا ودواء.

جاء في تاج العروس: مادة الخردل إنه فارسي ولم يذكر هذا الجو اليقي في المعرب، ولا السيوطي في المهذب فيما وقع في القرآن من العرب ولم يزد لسان العرب على قوله: (الخردل: ضرب من الحرف معروفة، الواحدة خردلة) [1].

تستعمل بذور الخردل في تحضير لبخات – لصقات جاء في حديقة الأزهار للغساني:

والخردل نافع من الطحال والورم ورطوبات المعدة)، وقال ابن القيم الجوزية في الطب النبوي: (وقد يخلط – الخردل – في أدوية يسقاها أصحاب الربو، وهو يقطع الأخلاط الغليظة تقطيعة قوية).

قال أنس: سمعت النبي (ﷺ) يقول: (إذ كان يوم القيامة شفعت، فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة إيمان فيدخلون) [2]، وردت في السور الآتية: (سورة الأنبياء: الآية ٤٧،سورة لقمان، الآية ١٦).

تزهر هذه العشبة الحولية من شهر أيار الى تشرين الأول ويحتمل أن تكون من النباتات الأصلية في شرق البحر المتوسط، حسب رأي الثقات أنها من جنوب غرب

---

(١) لسان العرب،ج١١،مادة الخردل.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

أوربا الى أواسط آسيا. أخذت زراعتها تنتشر في جميع أنحاء العالم وتوجد الآن برية وثابتة أيضا. تزرع اليوم كمحصول ومنها الخردل الأسود، والأصفر (الأبيض).

توجد المراد الفعالة في البذرة. العقار عديم الرائحة وله طعم زيتي ويسبب أحساسة بالحرقة الحادة في اللسان. عند وجود الرطوبة تطلق البذور زيتا طيارة مهيجة للغاية للعينين ويثير الدموع هذا بالنسبة للخردل الأسود، والزيت الطيار مهيج للغاية للجلد والأغشية المخاطية على أنه في جرعات صغيرة يحرك إفرازات المعدة ويثير الشهية للطعام. والأصغر منه سيستعمل في التوابل.

يستعمل طبيا في تحضير الكمادات المثيرة واللزقات لمعالجة الروماتزم والالتهابات الحادة في الجهاز التنفسي ولتحسين وصول كمية الدم الى الأعضاء العميقة، لكنه أذا استعمل مدة طويلة كمادا فأنه قد يؤدي إلى التهيج والبثور في الجلد.

وتستعمل بذور الخردل الأبيض الأن بصورة أكثر لاستخلاص الزيوت الطيارة وفي الصناعات الغذائية. يستحصل العقار من النباتات المزروعة فقط. ويزرع الخردل الأسود في بلاد الأراضي المنخفضة وايطاليا وأقطار البحر المتوسط الأخرى وشمال أمريكا أيضا(١).

الخشب

خشب: جمع خشب بفتح الخاء والشين وهو ما يبس من الشجر واحدته خشبه، ويقسم الخشب إلى خشب لين وخشب صلد أو صلب، فمن الأشجار ذات الخشب اللين: الصنوبر والأرز ومن الأشجار ذات الخشب الصلد: البلوط والسنديان والساج، يتخذ الخشب الصلد: البلوط و السنديان والساج، ويتخذ الخشب وقودا كما يستخدم في صناعات كثيرة كالبناء والأثاث وسواها تؤلف المادة الخلوية الليفية الصلبة الجزء الأكبر من ساق الشجر وأغصانها، وهي تتركب من السليلوز، ويحيط بخشب الشجرة طبقة

(١)كتاب الأعشاب الطبية د. فرانتسيك ستاري د. فاكلان جيراسيك ترجمة شروق حمد كاظم.

مؤلفة من نسيج جاف يعرف باللحاء ويصنع اليوم من النشارة ونفايات الخشب الواح صلدة تتمتع بخصائص الخشب وتعد عن طريق الضغط المكثف عند درجات حرارة تتفاوت تبعا للطراز المطلوب، وتستخدم هذه الألواح الصلاة على نطاق واسع في صناعة البناء لسهولة نقلها وعدم تأثرها بتقلبات الجو وجودة عزلها للصوت والحرارة(١)، وردت في سورة (سورة المنافقون: الآية ٤).

خضراً

في اللغة: يفتح الخاء وكسر الضاد: الخضر: الشيء الذي لونه أخضر ويطلق لفظ الخضر) أسما للنبت الرطب الذي ليس بشجر، وفي الحديث: (وإن ما ينبت الربيع لما يقبل حبطا أو يلح، إلا أكله الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصيتها....) الحديث وجاء في النهاية غريب الحديث لابن الأثير: الخضر بكسر الضاد: نوع من القبول ليس من أحرارها وجيدها. ضرب في هذا الحديث مثلا الإفراط في جمع الدنيا والمنع من حقها، والمقصد في أخذها والنفع بها. فقوله (لا) (أن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم)، فإنه مثل للفرط الذي يأخذ الدنيا بغير حقها، وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول، فستكثر الماشية منه الاستطابتها إياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك تقارب الهلاك (٢). قال الله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ....﴾. وردت في السور الآتية: (سورة الأنعام:الآية ٩٩، سورة يس: الآية ٨٠، سورة يوسف: الآيات ٤٣ –٤٦، سورة الرحمن: الآية ٧٩، سورة الإنسان: الآية ٢١، سورة الكهف: الآية ٣١، سورة الحج: الآية ٢٣) ووردت الكلمة المخضود في (سورة الواقعة: الآية ٢٨).

---

(١) موسوعة المورد،١٠/٥.

(٢) النهاية في غريب الحديثة لابن الاثير.

الخمط

في اللغة: الخمط: ضرب من الأراك، له حمل كالتوت يؤكل، وقيل: الخمط كل نبات أخذ اطعمة من مرارة أو حموضة تعافه النفس. قال الرازي في تفسيره الكبير: (الخمط: كل شجرة لها شوك، أو كل شجرة ثمرتها مرة أو كل شجرة لا تؤكل) [١]. وأضاف أبو السعود على هذا فقال: (الخمط: الحامض المر من كل شيء) [٢].

وبهذا المعنى يوصي السياق وإليه تشير الدلالة. وقال السمية البغدادي الخمط كل شجرة لها ثمر ذو مرارة، وكل ما أخذ طعما من ذلك فهو خمط) [٣]،[٤] ودرت في سورة (سورة سبأ: الآية ١٦)

الدباء:

هو اليقطين ولكن اليقطين أعم.

وقال أبو طالوت: دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يأكل القرع، ويقول يالك من شجرة ما أحبك إلا لحب رسول الله (ﷺ) إياك.

والقرع خفيف الهضم سهل الامتصاص يحتوي على نسبة عالية من الأملاح المعدنية المفيدة للجسم مفيد للبشرة مقوي للبصر طارد للديدان. وهو من النباتات ذات الحول الواحد ويمكن أن يزرع في السنة مرتين. أزهاره ثنائية المسكن أي الذكرية في زهرة والأنثوية في زهرة فهو يحتاج لواسطة للتلقيح وإنتاج الثمار وينصح زراعه بجلب خلايا النحل إلى الحقل لتساعد في التلقيح ويكون سببا في زيادة الإنتاج.

---

(١) التفسير كله، الفخر الرازي.

(٢) تفسير ابن المسعود.

(٣) عمدة الحائط في تفسير اشر الالفاظ، للسمين الحلبي.

(٤) موسوعة الالفاظ القرانية.

عن عائشة مرفوعا: (أذا أطعمتم فأكثروا منها من الدباء فأنه يشد تقلب الحرس) رواه أبو بكر الباقلاني في فوائده وإسناده.

الرَطب - الرُطب

الرطب: يفتح الراء: الغذي الناعم والرخص من الغصون، جمع رطب، والرطب: الكلا الغض. وقد فسر اللفظ بذكر ضده معه في الآية بقوله تعالى: ((ولا رطب ولا يابس)) والرطب: بضم الراء: ثمر النخل إذا حلا ولان، قبل أن يصير ثمرة جمع أرطاب ورطاب، والواحد رطبه يضم الراء وأرطب النخل: صاد ثمره رطبة. والرطب هو الحالة الرابعة التي يمر بها ثمر النخل إذ يكون نورة فيصير بلحة فبسرا فرطبة فتمرة، والرطب من الثمر المعروف. الرطب في الحديث: عن عبد الله بن جعفر قال: (رأيت رسول الله (ﷺ) يأكل القثاء بالرطب) أخرجه البخاري. (كان رسول الله (ﷺ) يفطر على رطبات قبل أن يصلي فثمرات فأن لم تكن ثمرات حسا حسوا من الماء). رواه أبو داود والترمذي وأحمد ابن حنبل. قال ابن القيم الجوزية: (الرطب يقوي المعدة ويخصب البدن ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة ويغذو غذوا كثيرة، وهو من أعظم الفاكهة وانفعها للبدن)[١]،[٢] وردت في(سورة مريم: الآية ٢٥).

طبع الرطب طبع المياه حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها، ويزيد في المياه ويخصب البدن. ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة، ويغدو غذاء كثيرة، وهو من أعظم الفاكهة موافقة لأهل المدينة وغيرها من البلاد التي هو فاكهتهم فيها وانفعها للبدن، وان كان من لم يعتمده يسرع للتعفف في جسده ويتولد عنه دم ليس بمحمود ويحدث في إكثاره منه صداع وسوداء ويؤدي أسنانه.

---

(١) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية.

(٢) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية.

وفي فطر النبي (ﷺ) من الصوم عليه أو على التمر أو الماء، تدبير لطيف، فان الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا يجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله الى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها ولاسيما أن كان رطبا فيشتد قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فان لم يكن فالتمر لحلاوته وتغذيته، فان لم يكن فحسوات الماء تطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم. فتنبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة(١).

وقال ابن القيم: وتمرها يؤكل رطب ويابسة وبلحة ويانعة وهو غذاء ودواء، وحلوى وشراب وفاكهة وجذوعها للبناء والآلات والأواني، ويتخذ من خوصها. الحصر والمكاتل والأواني والمراوح، وغير ذلك ومن ليفها الحبال والحشايا وغيرها ثم آخر شيء نواها علف للإبل ويدخل في الأدوية والأكحال ثم جمال ثمرتها ونباتها، وحسن هياتها، وبهجة منظرها وحسن نضد ثمرها وصنعته وبهجة، ومسرة النفوس عند رؤيته فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعه، إذ هو خير كله ونفع كله ظاهر و باطن(٢).

وللنخيل عدد كبير من السلالات وهو من أهم النباتات الاقتصادية فثماره تحتوي على مقدار من المواد الغذائية، إذ تحتوي على نسبة عالية من المواد النشوية المولدة للطاقة وللنشاط والحركة كما تحتوي على كمية من الفيتامينات التي تقي من مرض البلاجرا وكمية من مركبات الجير التي تدخل في تكوين العظام، وقد ذكر أطباء العرب أن طلع النخل يقوي الجسم ويزيل العقم ولقد أثبتت البحوث الحديثة صدق ذلك، فقد ثبت أن الطلع يحتوي على سكر القصب بنسبة وجوده في سكر القصب كما يحتوي على نسبة كبيرة من المواد الزلالية تفوق نسبتها في اللحوم وتحتوي على عناصر الكالسيوم والفسفور والحديد، الى جانب احتوائه على فيتامين (ج، ب) كما أمكن فصل مادة البروتين عنه، وهي المادة اللازمة المرونة الشعيرات الدموية وثبت أيضا أن الطلع يحتوي على هرمون الايستيرون الذي ينشط المبيض ويساعد على تكوين البويضة.

---

(١) مختصر الطب النبوي، ص١٠١.

(٢) المصدر نفسه.

التمر

والتمر ورد فيه أحاديث كثيرة، اذ ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(بيت لا تمر فيه جياع أهله)**. وراه مسلم.

وعن أنس مرفوعا: **(خير تمراتكم البري ذهب بالداء ولاداء فيه)** رواه الحاكم وصححه وقال الذهبي منكر، وعن جابر أن النبي (ﷺ) قال: **(نعم السحور التمر)** رواه أبن حيان وصححه.

وقال ابن القيم في التمر، هو مقو للكبد ملين للطبع وتبريد في المياه ولاسيما مع حب الصنوبر، ويبرئ من خشونة الحلق، ومن لم يعتده. كاهل البلاد الباردة. يورث لهم السدد ويؤذي الأسنان، وبهيج الصداع، ودفع ضرره بالوز والخشخاش، وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر والحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدودة فانه مع حرارته فيه قوة ترياقه فيه، فإذا أديم اتعماله على الريق أغذى مادة الدود، وأضعفه وقلله، أو قتله وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى(١).

البلح

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾(٢)، عن عائشة قالت قال رسول الله (ﷺ): **(كلوا البلح بالتمر، فان الشيطان إذا نظر إلى أبن آدم يأكل البلح بالتمر، يقول: بغي أبن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق)** رواه النسائي وأبن ماجة في سننهما من حديث هشام عن عروة عن عائشة.

في الحديث: (التنبيه على صحة صناعة الطب، وبراعة التدبير الذي يصلح دفع كيفيات الأغذية والأدوية بعضها ببعض، مراعاة القانون الطبي الذي يحفظ الصحة وفي البلح برودة ويبوسة وهو ينفع الفم واللثة والمعدة وهو ردئ للصدر والرئة بالخشونة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة يس: الآيتان ٣٤-٣٥.

التي فيه، بطئ في المعدة يسير التغذية وهو للنخلة كالحصرم بشجرة العنب وهما جمعا يولودان رياحا وقراقر ونفخا، لاسيما إذا شرب عليها الماء ودفع مضرتها بالتمر أو العسر والزبد) [1].

البسـر

ثبت في الصحيح أن أبا الهيثم بن النبهان لما ضافه النبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) جاءهم بعذق وهو من النخلة كالعنقود من العنب. فقال له هلا انتقيت لنا رطبه فقال: أحببت أن تتقوا من بسره ورطبه. والبسر: التمر أذا لو ولم ينضج.

البسر حار يابس، ويبسه أكثر من حره، ينشف الرطوبة ويدفع المعدة ويحبس البطن، وينفع اللثة، والفم، وانفعه ما كان هشة وحلوة، وكثرة أكله وأكل البلح يحدث السدد في الأحشاء[2].

وفي الآية الكريمة: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[3]. أعجاز عظيم الان مثل مريم بنت عمران وهي امرأءة ضعيفة لا تستطيع أن تهز بنخلة وأن النخلة من العظمة والقوة ما يفوق طاقة مريم إلا أن محاولة البدا بهز النخلة يسهل عليها أولا حالة التقلص الرحمي للشد العضلي الذي يحصل عندها من قوة هز النخلة وأن النخلة لم تكن بحاملة للرطب في مثل هذا الوقت وهو الشتاء وهذا أعجاز رباني أن تحمل النخلة رطبا جنيا في مثل هذا الوقت. ولماذا النخلة والرطب لامراءة حامل؟! وكان من الإمكان بقدرة الله سبحانه وتعالى أن يجعل شجرة أخرى لا تحتاج الى هذا الجهد والعناء وأن ثمرها يكون في موسم الشتاء. ومن هنا يبرز لدينا ما للرطب من

---

(١) ابن القيم، المصدر نفسه.

(٢) ابن القيم، المصدر نفسه.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٥.

فوائد كبيرة للمراءة التي يأتيها المخاض فهو مساعد في تقليص الرحم ودفع الجنين ومنظف الرحم وممسك للنزيف ومعطيها القوة الجسمانية الكافية لتتحمل مثل هذه الحالة الشاقة وسبحان الله العظيم على أعجازه وقدرته.

رفرف

في اللغة: الرفرف ما تهدل من الشجر والنبات وانتشر من الأوراق، قال الأصمعي: هو شجر مسترسل ناعم ينبت في اليمن [١].

والرفيف والوريف لغتان، ويقال للنبات الذي يهتز خضرة وتكلؤة. وقال الفراء: الرفرف رياض الجنة ومثله قال ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هي الفرش والبسط وجمعها رفارف. وتقول العرب لكل شيء من البسط: رفرف.

وقيل: هي المخاد والوسائد. والرفرف هو الوسائد الوثيرة إذا اتكا عليها كانت لدمائثها ولينتها خصائص الأسفنج المعروف اليوم في وسائدنا.

والرفرف الأعلى عند المتصوفة عبارة عن المكانة الإلهية من الموجودات ومن الأمور الذاتية التي اقتضتها الألوهية بنفسها. وردت في (سورة الرحمن: الآية ٧٦).

(١) لسان العرب، لابن منظور، معجم اسماء النبات الواردة في تاج العروس.

الرمان

في اللغة: الرمان: شجر الرمان ينتمي إلى الفصيلة الرمانية الآسية، ومواطن أواسط آسيا وإيران وأفغانستان، وقيل: إن أصل الرمان هو قرطاجة، ثم نقلة الرومان إلى إيطاليا ثم انتشرت زراعته، وقيل أن موطن الأصلي هو إيران وما حولها، وهو من أقدم الفواكه المعروف، شجرته صغيرة ومعمرة ومتساقطة الأوراق والرمان نوعان، ذكر وأنثى، فالذكر هو الجلنار، والأنثى أنواع كثيرة، فمنه الحلو والحامض والمر، وللرمان ألقاب واسماء تختلف باختلاف أنواعه وأصنافه وأجودها وارفعها السلطاني.

للرمان أنواع تزرع لزينة ولها أزهار في غاية الجمال وأثمارها صغيرة لكنها لا تؤكل. فوائده: في الرمان فوائد كثيرة، فقد جاء كتاب الطب النبوي.

إنه جيد للمعدة ومقو لها بما فيه من قبض لطيف، نافع للحلق والصدر والرئة، جيد للسعال، ماؤه ملين للبطن، يغذي البدن غذاء سريع التحلل لرقته ولطافته، ويقطع الإسهال والدم حيث كان، ويمنع القيء والحلو منه يسخن المعدة والكلي، نافع مع الحمى، معدل للطبائع، نافع للصدر، قاطع للسعال، والحامض منه إذا شرب ماؤه نفع من الالتهاب الصفراوي في المعدة، وخاص حين ينفع من البلغم ووجع القلب.

وقشره إذا يبس ودق على القروح جففها وأبرأها بأذن الله، وان حرق وفعل به ذلك كان أقوى على تجفيفها، وقشرة الجذر طارده للديدان وخاصة الدودة الوحيدة [(١)]، وردت في (سورة الأنعام: الآيات٩٩ –١٤١، سورة الرحمن: الآية ١٨).

عن علي كرم الله وجه قال: (كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة) رواه عبد الله واحمد في زوائد المسند وأبن السني ورجاله ثقات.

يحتوي الرمان على نسبة مرتفعة من الأحماض العضوية حمض الليمونيك الذي يساعد عند احتراقه على تقليل الحموضة في البول والدم مما قد يكون سببا في تجنب مرض النقرس (داء الملوك). وتجنب تكوين بعض أنواع الحصى بالكلية وبالرمان نسبة

(١) الشفاء في النبات، ومع جبر.

كبيرة من السكر١٨ % كما يحتوي على نسبة مرتفعة من الحديد وفيتامينات (ب)، (ج) أما بذور الرمان فترتفع فيه نسبة البروتين الى ٩% والمواد الذهنية الى ٧%.

ويوجد بقشر الرمان مادة قابضة عفصية هي التانين) والرمان يعتبر هاضما وبخاصة بالنسبة للشحم والدهن.

ويفيد منقوع قشره المغلي في علاج الإسهال. كما تستخدم جذور نبات الرمان في أغراض طبية عديدة منها القضاء على الدودة الشريطية بطردها من الجسم(١).

كما تستخدم قشور الرمان بعد تجفيفها في علاج القرحة المعدية وذلك بشرب كوب كل صباح من منقوع القشور المحلى بالعسل جاء في تذكرة داؤد ما يأتي: إذا طبخ قشر الرمان وخصوصا مع العفص حتى ينعقد، يقطع الإسهال المزمن..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله (ﷺ): **((أن يستاك بعود الآس، وعود الرمان فإنهما يحركان عرق الجذام))** رواه أبو يعلى و أبن السكن وفيه ضعف.

الروضة - روضات

في اللغة: روضات جمع روضه، والروضة هي اسم لمجموع ماء وشجر حاف به، وخضره منتشرة حوله، وكل مكان يجتمع فيه الماء فيكثر نبتة ويعجب زهرة فهو روضة، وقيل للروضة: البستان الحسن، والجمع: رياض وروض، ولا تكون روضة إلا بماء، وقال الفيومي: (الروضة: الموضع المعجب بالزهور) ويقال:نزلنا أرضا أريض لاستراضية المياه السائلة إليها، أي لسكونها بها (٢).

في الحديث: عن أبي هريرة قال أخبرني رسول الله (ﷺ): **(أن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا**

---

(١) السيوطي: الحافظ الامام جلال الدين، الطب النبوي.

(٢) المصباح المنير، للفيومي.

فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روض من رياض الجنة). وقال رسول الله (ﷺ): **(إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)** [١].

وقال رسول الله (ﷺ): **(بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة)**. وردت في السور الآتية: (سورة الروم: الآية ١٥، سورة الشورى: الآية ٢٢).

الريحان

في اللغة: واحدة ريحانه، والجمع رياحين، وهو شجيرات صغيرة كالأعشاب، يوجد منه أنواع كثيرة تزرع لأوراقها العطرة، وهو نبت طيب الرائحة من أنواع المشموم، ينتهي إلى الفصيلة الشفوية، تحتوي معظم أنواعه على زيوت طيارة تستخدم في ص ناعة العطور والروائح الطيبة، كما تضاف أوراقه الى بعض الأطعمة لتكسبها نكهة خاصة محببة. وقيل: الريحان أطراف كل بقل طيب الريح إذا خرج عليه أوائل النور – الزهور – وقيل كل نبات طيب الرائحة هو الريحان.

والريحان في لغة العرب: المعيشة والزرق، والرحمة، والراحة، ويقال للحب الأكول: ريحان وقيل: الريحان: النضيج الذي يؤكل [٢].

وقال الغساني: الريحان جنس من الشجر، وهو بستاني وبري معروف مشهور وقد عدوه مع الآس [٣].

في والآية تخاطب ناكري البعث وقت الاحتضار يقول لهم فيها الله سبحانه وتعالى: أن كنتم غير خاضعين لربو بيتنا وانكم غير محاسبين على أعمالكم يوم القيامة ومازلتم منكرين البعث ويوم النشور كما زعمتم، أن كنتم هكذا فردوا أرواحكم إليكم ثانية أن كنتم ص ادقين في زعمكم أنكم قوة لا تقهر! ثم يبين الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواره الترميذي.

(٢) المفردات في غريب القران، للراغب الاصفهاني.

(٣) حديقة الازهار.

في الآية التالية بعدها موقف المحتضر، أن كان من السابقين أومن أصحاب اليمين بعد وفاته فهو من المقربيين، وقد عدت له جميع أسباب الراحة والرحمة والرزق الحسن الطيب وجنة النعيم، فطوبى للمتقين. وردت في السور الآتية: (سورة الرحمن: الآية ١٢، سورة الواقعة: الآية ٨٩).

قال تعالى:﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (من عرض عليه الريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة) رواه مسلم وأخرجه أيضا أبو داود والنسائي في الزينة.

عن أبن عباس قال: أهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء به لا يهبط، سيدة ريحان الدنيا، وبالسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا، وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا "رواه أبو نعيم وأبن السني".

عن أبي عثمان الترمذي قال: قال رسول الله (ﷺ) **(إذ أعطى أحدكم ريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة مرسل)** رواه الترمذي في الشمائل وابن حبان في صحيحة كلهم عن أبي هريرة ولم يخرجه البخاري.

قال ابن القيم في الطب النبوي:(هو قاطع للإسهال الصفراوي، دافع للبخار الحار الرطب أذا شم، مفرح للقلب تفريحا شديدا، وشمه مانع لوباء، وكذلك افتراشه في البيت. ويبرى الأورام الحادثة في الحالبين أذا وضع عليها، وأذا دق ورقه وهو غض، وضرب بالخل، ووضع على الرأس، قطع الرعاف، وإذا سحق ورقه اليابس، وذر على القروح ذوات الرطوبة نفعها، ويقوي الأعضاء الواهية أذا ضمد به، وينفع داء الدامس، وإذا ذر على البثور والقروح التي في اليدين والرجلين نفعها، وإذا ذلك به البدن قطع العرق ونشف الرطوبات الفضلية، وأذب نتن الإبط أذا جلس في طبيخه، نفع خروج المعقده الرحم، ومن استرخاء المفاصل وإذا صب على الكسور والعظام التي لم تلتحم نفعها،

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٩.

ويجلو قشور الرأس وقروحه الرطبة وبثوره، ويمسك الشعر المتساقط ويسوده. وحبه نافع من نفث الدم العارض في الصدر والرئة، دافع للمعدة وليس بضار الصدر ولا الرئة بحلاوته، وخاصيته، النفع من استطلاق البطن مع السعال، وذلك نادر في الأدوية) [١].

والريحان (الحبق) أو (الريحان الكافوري). وهو نبات شجيري صغير يزرع في الحدائق كنبات زينة. وقد عرفه الفراعنة باسم (ست)، والمينيون باسم (الحابي) أو ش جرة الرعاف، وفي الجزيرة العربية باسم (حوك)، وفوائده في الأزهار والأوراق والبذور.

الجوهر الفعال:

فيه أنه يحتوي زيت الريحان الحلو على الأوسيميسن، وزيت الريحان الحلوسائل أبيض اللون له رائحة زكية مميزة، أما زيت الريحان الكافوري فهو سائل أصفر اللون له رائحة الكافور.

وأثره الطبي يستعمل الزيت الطيار الذهبي في العطور، وفي المشروبات المختلفة وفي الأطعمة المطبوخة والصلصات كما يستعمل منقوع الأزهار والأوراق كطارد للغازات فيزيل المغص المعوي، كما انه مدر للبول، أما مغلي البذور في الماء فيستعمل في علاج الدوسنتاريا، وفي الهند يستعمل لعلاج الإسهال المزمن.

أما الريحان الكافوري فتستعمل عجينة أوراقه في علاج بعض الأمراض الجلدية أما الزيت المميز بوجود مادة الكافور، فهو الذي يستعمل طبية، حيث يدخل في التركيبات الخاصة بالروماتزم، ونزلات البرد، وفي العلاج الكدمات، والتهاب المفاصل، حيث يحتوي الزيت بجانب مادة الكافور على اللينالول، واليوجينول، وسنبامات المثيل، وقد أثبتت التجارب أن تجفيف العشب ثم استخلاص الزيت منه يعطي زيتابه مكونات أخرى كثيرة مثل اليورنيول[٢].

---

(١) التراث: ٣٦٢.

(٢)لجنة الجامعة العربية: النباتات الطبية والسامة في الوطن العربي.

(والعنصر الفعال زيت أساسي يستقطر من الفروع الطرية والحاصل حوالي ٠،١٪).

يستعمل العقار باطنية بشكل منقوع للاضطرابات الهضمية الأمراض التي يسببها البرد الشديد، وهو يحسن وظيفة المعدة ويثير الشهية ويخفف التطبل وله أيضا معقول منخم، ويستعمل خارجيا لتأثره الشافي ويستعمل في شكل البخات وحمام، وعلاوة على الاستعمالات الصيدلانية يستعمل في الصناعات الغذائية لإعطاء نكهة للخل والخردل والخضر المخللة، يستعمل زيت الريحان أيضا في صناعة العطور")[١].

زرع – زرعا

في اللغة: زروع: جمع زرع ويقال لموضعه: مزرعة، والزرع: هو طرح البذر في الأرض، ويأتي لفظ الزرع في القرآن بمعنى الإنبات، مصداق قوله تعالى:﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[٢] أي: أنتم تنبتونه أم نحن ؟ زرع الحب: بذره في الأرض، الزراعة حرفة الزراع، وعملها علم فلاحه الأرض (علم الزراعة).

فن الزراعة: هو فن استثمار النبات. والزرع: هو النبات الذي يكون بحرث الناس للأرض وعملهم [٣]،[٤].

---

(١)الأعشاب الطبية، ترجمة شروق محمد كاظم: ص ١٠٨..

(٢) سورة الواقعة: الآية ٦٤.

(٣) الاصمام في اللغة والعلوم للاخوين نديم واسامة مرعشلي.

(٤) معجم الفاظ النبات في القران.

الزنجبيل

الزنجبيل: نبات استوائي معمر، يستعمل في الطهو، وزينته يكسب المشروبات نكهة طيبة، جاء في دائرة معارف القرن العشرين: أصل هذا النبات هندي [١]. وقال بطرس البستاني. (أصل من الهند الشرقية ويزرع فيها وفي الهند الغربية) [٢]. وقال الجواليقي: إنه فارس معرب.

يزرع الزنجبيل حاليا في إفريقيا وجزر الهند الغربية وأستراليا وغيرها. وهو جنس من النباتات العشبية المعمرة، عروقه تدب تحت الأرض، وهو ضرب من الطرفة، طيب الطعم، حريف المذاق، أنواعه عديدة، منه الطيبة الزراعية. وقيل الزنجبيل: العود الحريف الذي تجري اللسان، أي يلسع اللسان منبتة الهند والصين، ولكنه يكثر في أرض عمان واليمن ونباته القصب متثن بلا نظام يعلو طوله من ٧ إلى ١٠ سنتمترات وغلظة كألابهام ليس منه شيء بري، وقوامه قشري أبيض مصفر من الباطن وسنجابي مصفر من الخارج. وتحت القشرة الظاهرة طبقة محمرة سمراء، والجزء المستفاد منه سيقانه الأرضية. أجوده الذي يؤتي به من الزنج وبلاد الصين) [٣]،[٤].

قال ابن قيم الجوزية في كتاب الطب النبوي: الزنجبيل مسخن يضيف على الهضم، ملين للبطن تليينا معتدلا، نافع من سرد الكبد العارضة من البرد والرطوبة، ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة أكلا واكتحالا ص الح للكبد والمعدة، ومقر للذاكرة ومعين على الحفظ [٥]. وردت في سورة (سورة الإنسان: الآية ١٧).

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، الفريد وجدي،مج٤،ص٦٠٤.

(٢) دائرة المعارف، لبطرس البستاني،ج١، ص٢٦٦.

(٣) معجم اسماء النبات الواردة في تاج العروس، حديقة الازهار، للغساني.

(٤) معجم الالفاظ القرانية.

(٥) معجم الفاظ النبات في القران.

الزيتون

في اللغة زيتونة: أي شجرة الزيتون، فقد ذكرت الشجرة باسم جنسها ونوعها مباركة: وصفت بالمباركة لما في الزيتون من النفع في حبة وفي زيتة.لا شرقية ولا غربية: أي أنها زيتونة جهتها بين جهة الشرق وبين جهة الغرب، منفي عنها أن تكون شرقية وان تكون غربية، والمعنى أنها شجرة ثانية في وضع بين شرقي بلاد العرب وغربها، وفي هذا إشارة الى منبتها بلاد الشام، فقد قيل: أن أصل منبت شجرة الزيتون بلاد الشام.

والزيت: هو عصارة حب الزيتون وما يشبه من كل عصارة دهنية مثل زيت السمسم وسواه، هذا غذاء.

والزيتون: شجرة معروف في فصيلة الزيتونات، يكثر في حوض البحر الأبيض المتوسط، وخصوصا في الجزائر وتونس ومصر وفلسطين والشام وهو من الشجر العظام المعمر، يصل عمر الشجرة من (٥٠٠-١٠٠٠) سنة دائم الخضرة، الواحدة منها زيتونة، تؤكل ثماره بعد أن تزال مرارتها بالماء والملح، وهي لذيذة الطعم فاتحة للشهية، يتقن البعض في أعدادها للأكل، منه الأسود والأخضر، يشارك الجبنة في طعام الإفطار والعشاء، ويقدم مع المشهيات والمقبلات أثناء الطعام، يستخرج منه الزيت بالعصر، وزيته أفضل الزيوت النباتية، وله استعمالات شتى خاص في أكل الطعام.

وغصن الزيتون يرمز إلى السلام، لان الحمامة، حمامة نوح علية السلام. حملته بمنقارها الى سفينة نوح أيذانا بانحسار ماء الطوفان وجفافه عن الأرض، وإمكانية ملاعمة التعايش في الأرض وعليها روي عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال (كل الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة) أخرجه الترمذي [١].

---

(١) موسوعة الالفاظ القرانية.

جاء في الطب النبوي: الزيت: هو عصير الزيتون، والمعتصر من النضيج أجوده وأعدله. ومن النضج فيه برودة ويبوسة، ومن الأسود يسخن ويربط باعتدال وبنفع من السمو، ويطلق البطن ويخرج الدود، وجميع أصناف ملينة للبشرة وتبطي الشيب. وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرف النار ويشد اللثة. ورقه: ينفع من النملة والقروح والشري ويمنع العرف، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا [١].

جميع أنواع الزيتون مقو للبدن منشط للحركة ورقه نافع للدامس وسيلان العرق. وردت في السور الآتية: (سورة الأنعام: الآيات ٩٩ -١٤١، سورة النحل: الآية ١١، سورة التين: الآية ١، سورة عبس: الآية ٢٩، سورة النور: الآية ٣٠).

قال تعالى:﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[٢].

عن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): **(كلوا الزيت وادهنوا به، فانه من شجرة مباركة)** رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه بن ماجه عن عائشة ورواه الحارث.

وعن عقبة بن عامر: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **(عليكم بزيت الزيتون فكلوا وادهنوا به، فانه ينفع من الباسور)** رواه أبن السني.

وعن علي قال: قال لي رسول الله (ﷺ): **(كل الزيت، وادهن به فانه من يدهن بالزيت لم يقربه شيطان)** رواه الحارث وفيه السدى بن خالد.

زيت الزيتون أثمن ما تحمله ثمرة الزيتون، فهو نور ينتزع ظلام المرض من الجسد ومنه نور يضئ البيت والطريق وهو يتفوق على ما عداه من الزيوت الأخرى. سواء النباتية أو حيوانية، بمنافعه وخلوه من المضار، فلا يسبب أمراضا للأوردة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون.

وفي المقدمة ميزاتها الطبية فائدته في تنشيط الكبد والجهاز الهضمي ودوره كملطف للجلد، كما تشتد إليه الحاجة في مراحل النمو البناء أنسجة الإنسان، ومن

(١) الطب النبوي لابن قيم الجوزية.

(٢) سورة التين: الآيتان ١-٢

الثابت أن ش رب زيت الزيتون مضاد للسموم ومسهل ومسكن لآلام البطن ويفيد كدهان في تقوية الشعر وإبطاء الشيب.

وهو من الخارج يستخدم في حالة الحروق والقروح والأمراض الجلدية فضلا عن معالجة الأعصاب، وهو ما أشار له الرسول الكريم (ﷺ) قبل خمسة عشر قرنا.

تبين أخيرة أنه يفيد في أمراض العيون الناشئة عن نقص الفيتامينات كما انه ضد

وهو مقو للمناعة لاحتوائه على فيتامين (أ) كما انه مقو للنسل نظرا لوجود فيتامين، كما يفيد في علاج تيبس المفاصل والالتهابات، ويدخل في صناعة كثير من المراهم الطبية الحديثة إلى جوار استخدامه الصناعية المتعددة وقد قيل أن آدم عليه السلام وجد الاما في جسمه فاشتكي إلى الله تعالى فنزل جبريل عليه السلام بشجرة الزيتون، أمره أن يغرسها ويأخذ ثمرها فيعصرها وقال له: أن في دهنها شفاء من كل داء إلا السام.

الزيت:

زيت الزيتون معدود من أفضل الأغذية، وله فوائد طبية أكثرها في زيته، ويستخرج من لحمه الزيتون أما الزيت الذي يستخرج من بذره فيستعمل في المعامل والزيتون الناضج يعطي زيتا أصفر اللون. حلو المذاق قليل الحدة والزيتون غير الناضج يعطي زيتا أخضر اللون. مشوبة بالحموضة[١].

كما أثبت البحوث الحديثة أن زيت الزيتون لا يزيد من كمية الكولسترول في الدم، كما انه يقاوم شيخوخة الأعضاء ومن مميزات هذا الزيت أيضا، أنه يحمي الأمعاء والمعدة وينشط إفرازات المرارة، ويقلل من أخطار تكوين الحصوة فيها. وزيت الزيتون مسهل خفيف وللمحافظة على جمال ونضارة حواء ينصح الخبراء باستخدام

(١) مختصر الطب النبوي.

زيت الزيتون في طهي الأطعمة وأضافته إلى الخضروات الطازجة كما انه يخفض نسبة في الدم، ويستخدم زيت الزيتون التغذية فروة الرأس وذلك عن طريق تدليك الجذور الشعرية.

وجاء في كتاب كنوز الصحة: (أن معجون زيت الزيتون الجيد وعصارة الليمون مع العسل يطرد الديدان عند الأطفال) [١].

السدر - السدرة

سدرة المنتهى: اسم أطلقه القران الكريم على مكان علوي في السماء السابعة وقيل السادسة ولقد شبه ذلك المكان بالسدرة التي هي واحدة شجر السدر مما كان لصفه تفرعه وامتداده وانبساطه، وتعريف السدرة بمكان المنتهى، أي أنه مكان لا يتجاوزه أحد لان ما وراءه لا تطيقه المخلوقات، السدر: أما السدر فقد ذكره اللفظ كما بينا، وهو شجر النبق من الشجر العظام ومن فصيلة النبقيات الشائك العود، يختص بصفات وميزات منها أنه دائم الخضرة، وظله مديد، وطعمه لذيذ، ورائحته زكية، جعلت السورة مثلا لذلك المكان العلوي وأوراق السدد بيضوي[٢]، الشكل لامع يميل لونها الى الاحمرار، وقد بخضد السدر أي ينزع شوكه فهو عندئذ السدر المخضود، والسدر نوعان بستاني وبري، فالبستاني شجر العناب، ولثمره لحم، متوسط الحلاوة، ينبت في ثمر السدر ما حجمه حجم البرتقالة، والبري فيه أنواع: منه يعظم شجرة ومنه مالا يعظم ومنه ما يثمر كثير اللحم، ومنه ما هو قليل. وهو عطر الرائحة يفوح به فم أكله[٣]، سوقه. وردت في السور الآتية: (سورة سبأ: الآية ١٦، سورة الواقعة: الآية ٢٨، سورة النجم: الآيات١٤– ١٦).

---

(١) النباتات الطبية والعطرية.

(٢) المفردات في غريب القران، للراغب الاصفهاني.

(٣) موسوعة الالفاظ القرانية.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ (١).

ذكر النبي (ﷺ) النبق في الحديث المتفق على صحته: (أنه رأى سدرة المنتهى ليلة أسري به، وإذا نبتها مثل قلال هجر) رواه البخاري عن أنس. والنبق: ثمر شجر السدر. يعقل الطبيعة، ينفع من الإسهال ويدبغ المعدة. ويسكن الصفراء ويغذي البدن، ويشهي الطعام، ويولد بلغما، وينفع الذرب الصفراوي، وهو بطئ الهضم، وسويقه يهضم الحشاء، وهو يصلح الأمزجة الصفراوية وتدفع مضرته بالشهد (٢).

والشجرة تحمل أوراقا بسيطة متبادلة بيضية، وللورقة ثلاثة عروق من أسفل والأذينات متحورة الى أشواك، والثمار صفراء أو بنية، وهي مسلية تؤكل لحلاوتها. والأثر الطبي في الثمار (النبق)، والأوراق والخشب تحتوي ثمار السدر (النبق) على نسبة عالية من فيتامين (ج).

الأثر الطبي للنبات:

في الطب الشعبي يستخدم فحم الخشب مخلوط بالخل لعلاج لدغة الثعبان، ومغلي الأوراق قابض وطارد للديدان وضد الإسهال. والعامة في مصر يستخدمون لبخة الأوراق بعلاج الخراريج والتهاب العيون، وتستعمل الثمار ضد الحمى وكملين، وتوصف لعلاج مرض الحصبة (٣).

سنبلة سنابل

وردت في (سورة البقرة: الآية٢٦١، سورة يوسف: الآيات٤٣– ٤٧)

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٣-١٦

(٢) عن الطب،٢٤٤

(٣) لجنة الجامعة العربية: النباتات الطبية والسامة في الوطن العربي.

شجر - شجرة

في اللغة: الشجر: ما قام من النبات على ساق صلبة، وعند علماء النبات هو المعمر القائم على ساق خشبي عارية، واحدته شجرة، والمنبت مشجر، جاء في موسوعة المورد: الشجرة نبتة معمرة ذات جذع خشبي لا يقل ارتفاعه عن ثلاثة وستين سنتمترا، لها أغصان تتفرع الى فوق ونحو الخارج.

والأشجار على نوعين: منها يطرح أوراقه سنوية (نفظي) عند نهاية الموسم مثل شجر البلوط والسنديان، والعرموط، واللوزيات....ألخ، ومنها ما هو دائم الخضرة لا يطرح أوراقه القديمة إلا بعد أن ينبت أوراقا جديدة، نحو الصنوبريات ومعظم النباتات الاستوائية، والموالح وغيرها كثير...(دائم الخضرة).

وتتميز أشجار الغابات بخشبها الذي سيستخدم في مختلف الأغراض، وقد يتخذ منه وقود في كثير من الأحيان، منها ما هو مثمر يزرع لثمرة، ومنه ما يزرع لظلاله الوارفه، وبعض الأشجار يعمر مئات السنين كشجرة الزيتون وبعضه ضخم جدا يبلغ قطر جذعه حوالي تسعة أمتار في بعض الأحيان، وبعضه فارع الطول يصل ارتفاعه أحيانا إلى ما يعادل ١٢٠ مترا تقريبا [١].

ومن الأشجار ما ذكره اللفظ القرآني: [٢].

١- الشجرة الجنة التي أكل منها آدم والتي نهاه ربه عنها.[سورة البقرة: الآية ٣٠] [سورة الأعراف: الآية ٢٢].

٢- الشجرة الطيبة [سورة إبراهيم: الآية ٢٤].

٣- الشجرة الخبيثة [سورة إبراهيم: الآية ٢٩].

٤- شجرة اليقطين [سورة الصافات: الآية ١٤٦].

٥- الشجرة المباركة [سورة المؤمنون: الآية ٢٠] [سورة القصص: الآية ٣٠]

---

(١) موسوعة المورد، لمنير العنبكي،مج١.

(٢) موسوعة الالفاظ القرانية.

٦- الشجرة الملعونة [سورة الإسراء: الآية ٦٠]

وقد اختلف العلماء المفسرون في ماهية شجرة (الزقوم)

فمنهم من قال: هي من شجر الدنيا وتعرفها العرب في تهامه، وهي من أخبث الشجر طعمها امر ورائحتها كريهة.

قيل: هي كل نبات قائل. ولما نزلت الآية:﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ قال كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من أفريقيا، فسألوه عنها فقال: الزقوم عندنا زبد وتمر)، فقال ابن الزبيدي: (أكثر الله بيوتنا الزقوم) [(١)].

وقال أبو جهل لما سمع أن الزقوم هو الزبد والتمر (يا جارية هاتي لنا تمر وزبدا نزدقمه)[(٢)]. وردت في (سورة الرحمن: الآية ٦، سورة الواقعة: الآية ٥٢، سورة النمل: الآية ١٠، سورة البقرة: الآية ٣٥، سورة الأعراف: الآيات ١٩-٢٢، سورة إبراهيم: الآيتان٢٤- ٢٩، سورة الأسراء: الآية ٦٠، سورة طه: الآية ١٢٠، سورة المؤمنون: الآية ٢٠، سورة القصص: الآية ٣٠، سورة لقمان: الآية ٢٧، سورة الحج: الآية ١٨، سورة يس: الآية ٨٠، سورة الصافات:الاية ٩٢، الآية ٦٤، الآية ١٤٦، سورة الدخان: الآية ٤٣، سورة الفتح: الآية ١٨، سورة الواقعة: الآية ٧٢) ووردت كلمة سوقه في (سورة الفتح: الآية ٢٩).

شطأه

شطأ النبات: أول ما يبدو منه ورقة وجاء في اللسان: الشطء فرخ الزرع والنخل، وقيل: هو ورق الزرع، وشطة الزرع والنخل: أخرج شطاه، وشطا الشجر أصوله، وقال

(١) تفسير القرطبي.

(٢) فهرس الالفاظ القرانية.

الراغب الأصفهاني: (شطء الزرع: ما خرج عنه وتفرع في شاطئين أي في جانبيه، جمعه أشطاء) [١].

والشاطئ والشطء لفظان انبعثا عن جذر لغوي واحد متساويان في المعنى[٢] وردت (سورة الفتح: الآية ٢٩)

الضريع

الضريع: اسم أطلقه القرآن الكريم على شجر في جهنم، وان هذا الشجر هو الذي يسيل منه الغسلين الوارد بقوله تعالى ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾[٣] ويطلق الضريع على نبات أخضر منتن خفيف يرمي به في البحر وله جوف، فما دام رطبا فهو ضريع وإذا يبس فهو شبرق، والشبرق مرعى سوء لا تعقد عليه السائمة شحمة ولا لحمة وإن لم تفارقه الى غيره ساعت أحوالها [٤].

قال ابن الأعرابي: الضريع هو: العوسج الرطب، وقيل: هو الشبرق وأهل الحجاز يسمونه الضريع وإذا يبس فهو سم [٥].

قال عكرمة: هو شجر شوك وقيل: هو طعام يضرعون منه ويذلون، ذلك لا أكله يضرع الى الله في أن يعصي عنه لكراهته وخشونته [٦]، [٧].

---

(١) المفردات في غريب القران للراغب الاصفهاني.

(٢) فهرس الالفاظ القرانية.

(٣) سورة الحاقة: الايتان ٣٥-٣٦.

(٤) لسان العرب، لابن منظور.

(٥) معاني القران للقراء.

(٦) معجم الفاظ النبات في القران.

(٧) فهرس الالفاظ القرانية.

ووصف هذا الضريع أنه لا يسمن ولا يغني من جوع، ولعل الجوع يومئذ ضرب من ضروب التعذيب فيسأل الكافرون الطعام فيطعمون من هذا الضريع الذي لا يرد عنهم غائلة الجوع والضريع أيضا: الشاة العظيمة. وردت في (سورة الغاشية: الآية ١٩).

الضغث

ضغثا: الضغث كل ما ملا الكف من النبات[١]، قيل: الضغث: ما جمعت من شي مثل حزمه الرطبة [٢]، قيل: الضغث: ما لم تأكله الدابه ما دام رطب وما قام على ساق واستطال ثم جمعته فهو ضغث، وقيل: الضغث: قبضة ريحان أو حشيش أو قضبان، وجمعت أضغاث)، وقال أبو حيان الأندلسي (الضغث ملء الكلف من حشيش أو عيدان) [٣]، والله اعلم انه أرجح الأقوال. وردت في (سورة ص: الآية ٤٤).

الطلح

الطلح: قيل الطلح هذا شجر الطلح شائك بالحجاز، ينبت في بطون الأدوية وهو أعظم العضاه (والعضاه جمع عضاهه يكسر العين وهي أعظم الأشجار الشائكة وكل شجر شائك يقال له عضاه) شوكة واصلبها عودة وأجودها صمغ، ويقال واسع ممدود فيه تستظل الأبل، قال أبو حنيفة: الطلح أكثر العضاه ورقة وأشدها خضرة، له أشواك ضخام طوال، وليس في العضاه أكثر صمغ منه. لا يثبت إلا في ارض غليظة خصبه، واحدتها طلحه، ويحتوي جنس الطلح على ما يزيد من (٣٠٠) نوعا وهي من أميز نباتات المناطق الجافة القليلة المصادر المائية، والمعروف أن أغصان الطلح غير مستقيمة وان سوقه معوجة.

---

(١) معاني القران، للفراء.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٢٩.

(٣) تحفة الاديب، لابي حيان الاندلسي.

وهناك كثير من المفسرين من قال ان الطلح هو شجر الموز، فقدعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهناك كثير من المفسرين من قال أن الطلح هو شجر الموز، فقد قال وابن عباس هو شجر الموز[١]، وقال مجاهد وعطاء: ليس هو بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب: وان الرأي الأول أوضح. بدليل السياق القرآني بقوله تعالى (وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ) أي مرصوف بعضه جانب بعض كما نراه في العذق. وهو نبات استوائي موطنه جنوب أسيا ومنطقته اندونيسيه، له أوراق كبيرة يلتف بعضها فوق بعض. وقيل في أسباب نزول هذه الآيات: (أن المسلمين نظروا إلى دار في الطائف مخصب يقال له (مرج) فأعجبهم س دره فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآيات)[٢].

قيل في منافعه: أن الموز نافع من الصداع الحار مقوي للمعدة، نافع من التهابها. ونافع من الحرقة الحادثة في الحلق والبطن والرئة والمثانة، يوافق الكلى ويدر البول [٣]. وبعض البلاد الأفريقية تيبس الموز ثم تطحنه كالدقيق وتصنع منه خبزة. وردت في (سورة الواقعة: الآية ١٩).

قال تعالى (وطلح منضود) والمقصود هو الذي نضد بعض الى بعض كالمشط، وقيل (الطلح: الشجر ذو الشوك: نضد مكان كل شوك ثمره، فثمره قد نضد بعض الى بعض، فهو مثل الموز) وهذا القول أصح ويكون من ذكر الموز من السلف أراد التمثيل... لا التخصيص.

بعض فوائد ثمر الموز:

ثمره الموز يرجع أصلها إلى الهند من أغنى الفواكه بالسكر ٢٠% من وزنها والموز هو الطعام الأساسي في الفلبين وأواسط أفريقيا وبعض سواحل أمريكا ويسمى

---

(١) تفسير القرطبي والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

(٢) حديقة الازهار للغساني.

(٣) المصدر نفسه.

طعام الفلاسفة. ويحتوي الموز على مجموعة من فيتامينات A. C .B والأحماض المعدنية الهامة من بينها الكالسيوم والفسفور وهو يفيد في عملية النمو للأطفال، والحوامل وبناء العظام، والأسنان، واضطرابات الأعصاب ويمنع الأسقربوط، ويوصي به العالمين المصابين بداء النقرس. ويوصي بالإقلال من أكله بالنسبة للذين يشكون من القرحة والبول السكري والبدانة [١].

الطلع

في اللغة: الطلع غلاف نباتي يشبه الكوز. فيه مادة إخصاب النخلة. مصداق قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [٢]، وقال ابن منظور (الطلع نور النخلة ما دام في الكافور. أي في غطائه. والواحدة منه طلعة) [٣]. وقال الفيروز آبادي (الطلع شيء يخرج من النخل كأنه فعلان مطبقان والحمل بينها منضود) [٤].

وقشره يسمى الكفري وما في داخله الأغريض لبياضه. وقال الراغب: (الطلع: أول ما يطلع في النخل من الثمر) [٥]، كأنه رؤوس الشياطين: تمثيل متناه في البشاعة والقبح)، ورد في السور الآتية: (سورة ق: الآية ٤٠، سورة الأنعام: الآية ٩٩، سورة الشعراء،الاية ١٤٨، سورة الصافات: الآية ٥٦)

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: ((مررت مع رسول الله (ﷺ) في نخل، فرأى قوما يلقحون، فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ قالوا: يأخذون من الذكر، فيجعلونه فى الأنثى، قال ما أظن ذلك يغني شيئا، فبلغهم فتركوه، فلم يصلح، فقال النبي (صلى

---

(١) مختصر الطب النبوي للسيوطي.

(٢) سورة ق: الآية ١٠.

(٣) لسان العرب، لابن منظور.

(٤) القاموس المحيط، للفيروز ابادي.

(٥) المفردات في غريب القران، للراغب الاصفهاني.

الله عليه وسلم): أنما هو ظن فإن كان يغني شيئا فأصنعوه، فإنما أنا بشر مثلكم، وإن الظن يخطئ ويصيب ولكن: ما قلت لكم عن الله عز وجل فلن أكذب على الله.

طوبى

في اللغة: طوبى: من الطيب وكان أصل اللفظ (طيبي) فقلبوا الباء والواو الضمة قبلها فيقال: طوبى لك. والطوبى: هو الطيب، والأفضل من كل شيء. ومن أقوال المفسرين في الطوبى). قيل: إنها شجرة في الجنة، وقيل اسم الجنة بالحبشة، وقيل بالهندية. وقال ابن عباس عن الأمام علي (رضي الله عنه): إن طوبى معناه: فرح وقرة عين. وقال س عيد بن جبير والضحاك: طوبي معناها غبطة وسعادة، وقال النخمي: بمعني خير لهم وحسنى. وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: (اعلم أن المعاني متقاربه، والتفاوت يقرب منه أن يكون في اللفظ والحاصل إنه مبالغة في نيل الطيبات ويدخل في جميع اللذات، وتفسيره: أن طيب الأشياء في كل الأمور حاصل لهم) (١).

وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ): أن رجلا قال يا رسول الله، ما طوبي. قال: **(شجرة في الجنة مسيره مئة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها)** (٢).

وقد ورد تباين في الآراء عند الكثير من المفسرين ذهبوا بأنها من النبات في معنى (طوبى) وأوردنا لفظها مع النبات لان قسم من المفسرين ذهبوا بأنها من النبات وهذا التباين بين أهل اللغة والتفسير ولكل حرية الاختيار. وردت في (سورة الرعد: الآية ٢٩).

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي.

(٢) رواه الترميذي في باب الزهد.

العدس

العدس: نبات عشبي حولي معروف من الفصيلة القرنية، يزرع لحبه الصغير المغذي، مهده الأصلي آسية، وهو منتشر في مناطق كثيرة من العالم، فيرتفع الى (٥٠) سم، دقيق الساق رفيعة، سيقانه تصلح علفا للحيوان، كثير التفرع، أوراقه مركبة ريشية ذات أذيناة رفيعة، وثمرته قرن مفلطح صغير فيها بذره بذرتان داكنة اللون، تنقشر كل بذره عن حلقتين برتقاليتين اللون، وتعرف البذور بالعدس الأحمر، أذا كانت مقشورة تستعمل بذوره الجافة غذاء، واحدتها عدسه، ويوجد أنواع منه الأصفر والبرتقالي ويختلف في حجم البذور ولونها. والعدس قرين الثوم والبصل في الذكر. وردت في (سورة البقرة: الآية ٦١).

العرجون

في اللغة: العرجون هو عذق النخل، وكل غصن له شعب فهو عذق. وقال الفيروز آبادي:العرجون: هو العذق إذا يبس واعوج، أو أصله، أو عود الكباسة، أو نبت كالفطر، يشبه الفقع جمع عراجين) [١]، والعرجون يقال له (العرجد) وهو أصل العذق في النخل والفافه وأعضانه [٢]، التي تعوج وتقطع منها الشماريخ فتبقى على النخل يابسة معوجة، والعذق من التمر كالعنقود من العنب يقال له: شموخ أو عثكال أو كباسه.

قال الطاهر ابن عاشور:العرجون هو العود الذي تخرجه النخلة فيكون التمر في منبتها، وهو الذي يبقى متصلا بعد قطع الكباسه منه، وهو مجتمع أعواد التمر) [٣]، وقال السمين الحلبي: (العرجون زنه فعلون من الانعراج أي الأنعطاف، وأصله من

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز ابادي.

(٢)المفردات في غريب القران، للأصفهاني.

(٣)تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور.

العروج، والعرجون هو عن الكباسة التي عليها الشماريخ للعذق، فإذا قدم تقوس واصفر ويبس ثم انحنى، وشبه بالهلال في آخر الشهر) [١]،[٢].

هناك آراء في العرجون وقد قيل فيه الكثير إلا أن الآية تشير الى العرجون الذي هو ذلك العذق المثمر بالتمر إذا قطف ثمرة ويبس ثم انحني حتى غدا يشبه الهلال في آخر الشهر،وهو ما كان معروفا ومتوفرة، في الجزيرة لانتشار النخل فيها بكثرة. فهو مألوف عند العرب. وردت في (سورة يس: الآية ٢٩).

العصف

العصف: دقيق التبن وحطامه، والصورة هنا تعني العصف المأكول بعد مضغه، أي أن الله عز وجل جعلهم كورق الزرع الذي جف فأكلته بهيمة الأنعام ثم أرجعته وقيل: العصف ما على الحنطة ونموها من دقيق القشر وقال الراغب في غريب القران: يقال حطام النبات المتكسر: عصفا. وردت في (سورة الرحمن: الآية ١٢، سورة الفيل: الآية ٥) ووردت كلمة عصاي في (سورة طه: الآية ١٨) وعصاي من العصا وأصلها من خشب وهو النبات.

عنب - أعناب

العنب: فاكهة لذيذة طيبة الطعم حلو المذاق، خاصة عندما تخلو من العجم، وتختلف ثمار العنب جمعة ولونة ومذاقا، وشجرة من الأشجار المتسلقة التي تحتاج الى دعامة تعتمد عليها لكي تنمو وتطول وتنتشر وتثمر، وتنتشر زراعته في أكثر بلدان العالم حتى يعتبر من أكثر محاصيل الفاكهة، وأهم الدول المنتجة للعنب هي: الجزائر،

---

(١)عمدة الحفاظ في تفسير الألفاظ.

(٢)موسوعة الألفاظ القرآنية.

وفرنسا، ايطاليا، اسبانيا، أمريكا، تركيا، روسيا، يوغسلافيا، رومانيا، الوطن العربي على العموم[1].

العنب في كتاب الطب النبوي: (يذكر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يحب العنب والبطيخ، والعنب من أفضل الفواكه وأكثرها نفعا، ويوكل رطب ويابسأ واخضرة ويانعة، وهو فاكهة مع فواكه، وقوت مع القوات، وادم مع الادام، ودواء ومع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وجيده الكبار، والأبيض أحمد من الأسود أذا متساويا في الحلاوة، والمتروك بعد قطفه يومين أو ثلاثة أحمض من المقطوف في يومه، والمعلق حتى يضمر قشرة جيد للغذاء مقو للبدن، وغذاؤه كغذاء التين والزبيب، والإكثار منه مصرع للرأس، تدفع مضرته بالرمان المز، يسهل الطبع ويسمن، ويغذي غذاء حسنا.

قال ذو الوزارتين (أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني) في كتاب (الوصول لحفظ الصحة في الفصول): أما العنب والتين فسيدا الفاكهة: وقال الشيخ أبو علي ابن سينا في التحفة:أفضل ما تثمره الغصون فاكهتان: العنب والتين) [2]، يحتوي العنب على مجموعة ممتازة من العناصر ذات القيمة الغذائية اللازمة للجسم، مثل: الفوسفور والكالسيوم والمنغنسيوم والزنك وفوق هذا كله يحتوي العنب على الفيتامينات (أ–ب–ج). وردت في (سورة الأسراء: الآية ٩١، سورة عبس: الآية ٢٨، سورة البقرة: الآية ٢٩٩، سورة الأنعام: الآية ٩٩، سورة الرعد: الآية ٤، سورة النحل: الآية ١١، سورة الكهف: الآية ٣٢، الآية ٩٧، سورة المؤمنون: الآية ١٩،سورة يس: الآية ٣٤، سورة النبأ: الآية ٣٢).

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [3].

---

(١) موسوعة الألفاظ القرآنية.

(٢)الفوائد، للشوكاني، حديقة الأزهار البستاني.

(٣) سورة يس: الايتان ٣٤–٣٥.

عن أبي هند مرفوعة (نعم الطعام الزبيب، يذهب التعب، ويشد العصب ويطفي الغضب، ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون) رواه أبن السني.

عن علي بن أبي طالب قال (من أكل أحدى وعشرين زبيبة حمرا كل يوم لم ير جسده شيئا يكرهه) رواه السني[١].

أن العنب والزبيب يحتوي بشكل رئيسي على سكر العنب وهو الكلوكوز وهو سكر أحادي أو ما يسمى بسكر النبات ومركبه الكيمياوي $C_6H_{12}O_6$.

أن سكر العنب (الكلوكوز) وهو مادة التنفس الرئيسية ويعاني سلسلة من التفاعلات بفعل الأنزيمات والأوكسجين يتحول الى ثاني اوكسيد الكاربون والماء ومحررا طاقة كبيرة تقدر كل جزيئة من الكلوكوز ب٣٧٣كيلو/سعره. ومن هنا تبين أن السكر العنب فائدة كبيرة في أعطاء الطاقة اللازمة للنبات والحيوان على السواء ليقوم بأفعاله الحيوية المتعددة والنمو والتكاثر والبناء وغيرها من العمليات الحيوية، كما أن قسما من الطاقة يستفيد منها الجسم في الحفاظ على ثبات درجة حرارته. كما أنه يدخل في عملية التنفس وتكوين الطاقة مواد شحمية وبروتينية غنية بالطاقة.

كما أن للتحلل السكري لسكر العنب بقلة من الأوكسجين أو بعدمه (التنفس اللاهوائي). يولد ما يسمى بعملية التخمر وتكوين الأحماض العضوية ومنها حامض الخليك وفي الحيوانات مكونة حامض اللبنيك بعد سلسلة من تفاعلات والتغيرات بتأثير الأنزيمات وبعض أنواع البكتريا مثل (بكتريا الأم) أو ما تسمى بكتريا الخل.

روي أن النبي (ﷺ) كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ). رواه أبو نعيم وأبن السني.

وعن عائشة مرفوعة (وعليكم بالمرازمة، قيل وما المرازمة يا رسول الله ؟ قال أكل الخبز مع العنب فان خير الفاكهة العنب، وخير الطعام الخبز) رواه أبن عدي وهو ضعيف.

---

(١) السيوطي: جلال الدين، الطب النبوي.

كما ورد ذكر العنب في أحد عشر موضعا من القرآن الكريم). والعنب له دور فعال في بناء الجسم وتقوية وترسيخ أنسجته وقدرته على الوقاية من ش تى الأمراض والعلل، بالإضافة إلى احتوائه على الفيتامينات (أ)، (ب)، (هـ) فهو غني بالمعادن كالبوتاسيوم والفسفور والكلس والحديد عرفه الإنسان قديما وأكله كفاكهة سريعة الهضم، غنية بالسكريات تعطي الجسم الطاقة اللازمة للحركة والنشاط المهمة. كما انه مفيد في حالات سوء الهضم، والقبض بالزئبق والرصاص ومنشط لوظائف الكبد.

ويستفيد منه مرضى الروماتيزم والنقرس ومرضى الدورة الدموية، وفقر الدم، ويعطي للناقهين فيساعد على سرعة استعادة صحتهم حيويتهم ومن العنب يصنع الزبيب ويحفظ الى أيام الشتاء وأجود الزبيب ما صنع من عنب كثير الشحم، رقيق القشرة، قليل البذرة، والزبيب كالعنب غني بالسكريات والفيتامينات والمعادن).

غثاء

الغثاء: ما أحتمله السيل من النبات يعد يبسه فألقاه على الجوانب ويقال لرغوه القدر وما يطفح عنه ويتفرق من زبد: غثاء، وغثيت نفسه تغثي غثيانا: خبثت الأحوى: الشديدة الخضرة والمراد به في هذه الآية: السواد والحوة.

في اللغة: شده الخضرة والمقصود بالآية هو: العشب اليابس المسود بعد خضرته ونضارته. قال ابن قتيبة: (الغثاء: ما جف واسود من النبات، وقد جعلته غثاء، أي يبسا) [1].

في الحديث: عن ثوبان مولى رسول الله (لا) قال: قال رسول الله (ﷺ): (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الاكله على قصعتها) قال قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال: (بل انتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهاية من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن) قلنا ما الوهن ؟ قال: (حب

(١) تفسير غريب القران لابن قتيبة.

الحيـاة وكراهيـة المـوت؟... رواه أحمـد بـن حنبـل وأبـو داود) [1]، وردت فـي (سـورة المؤمنون: الآية ٤١، سورة الأعلى: الآية ٥).

الفاكهة

الفاكهـة: هـي الثمـار كلهـا ومـنهم مـن خـص اللفظ بالثمـار اللذيـذة التـي يأكلهـا الإنسـان ويسـتطيبها ويتلذذ بهـا. وجمـع الفاكهـة فواكـه، وهـي مـن الأغذيـة اللطيفـة ذات الخصـائص الجليلـة علـى البنـية لمـا تحويلـه مـن العناصـر المغذيـة التـي يحتـاج إليهـا الجسم، والفواكه أنواع حمضية كاليمون والبرتقال وسكرية كالعنب والتين وزيتيه كالجوز واللـوز ومائيـة كـالجبس والبطـيخ، ونشويه كالسفرجل... الـخ والفواكـه مـن أجـود الأغذيـة وأكثـرها نفعـا، وأفضـل الفواكـه: التفـاح، وانفعهـا مـا أكـل نـيئا، إذا أنهـا تطـرد الأمـراض الجسدية [2]، [3].

قال ابن فارس: (الفاء والكاف والهاء: أصل صحيح يدل على طيب واستطابه، من ذلك: الرجل الفكه، والطيب النفس، ومن الباب: الفاكهة: لأنها تستطاب وتستطرف، ومنه أيضا الفاكهة: وهي المزاحة وما يستحلي من الكلام [4]، وفكه الرجل: كان مزاحه ضحوكة طيبة، وتفاكهوا: وتمازحوا، مصداق قوله تعالى: ((إن أصحاب اليمنية اليوم في شغل اكون)) أي: يتجاذبون أحلى الأحاديث وأطراف المزاح وهم ناعمون. وردت فـي (سـورة يـس: الآيـة٥٧، سـورة ص: الآيـة ٥١، سـورة الزخـرف: الآيـة ٧٣، سـورة الدخان: الآية ٥٥، سورة الطور: الآية ٢٢، سورة الرحمن: الآية ١١، الآية ٥٢، الآية

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

(٢) موسوعة الألفاظ القرآنية.

(٣) دائرة مصارف القرن العشرين، لفريد وجدي.

(٤) الألفاظ القرآنية.

٩٨، سورة الواقعة: الآية ٢٠، الآية ٣٢،سورة عبس: الآية ٣١، سورة المؤمنون: الآية ١٩،سورة الصافات: الآية ٢، سورة المرسلات: الآية ٤٢).

فتيلا

فتيلا: الفتيل هو الخيط الرفيع في شق نواة التمر، ضرب الله به المثل القلة والصغر، كقطمير ونقير، وانظر (هذين اللفظين) قال السمين الحلبي: (الفتيل: هو ما في شق النواة بما يشبه الخيط الرفيع، وقيل: ما يخرج من الوسخ عند فتلك أصابعك)[١]، وكذلك يقال الزبالة السراج التي يشعل طرفها الأعلى وبقيتها مغموسة في زيت السراج: فتيل [٢]، وردت في (سورة النساء: الآية ٤٩، ٧٧ الآية، سورة الأسراء: الآية ٧١).

فروعها

الفرع من كل شيء أعلاه، جمع فروع وفرع البصل بنوة، وفروع الشجرة: أغصانها وأفنانها باعتبار الطول والامتداد، والفرع أو الفرعة: أول ما تلده الناقه، وكانوا في الجاهلية يذبحون لآلهتهم، وفي الحديث: قال أبو هريرة: قال رسول الله (ﷺ) **(فرع ولا عتيره** [٣]**، والفرع أول النتاج كان ينتج فيذبحونه)** رواه الترمذي. وردت في (سورةإبراهيم: الآية ٢٤).

---

(١)عمده الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي.

(٢)معجم ألفاظ النبات في القران.

(٣)القيزه: شاة كانوا يذبحونها في رجب لالهتم.

فـوم

فـي اللغـة: الفـوم: للفـوم عنـد اللغـويين أقـوال: قـال الفـراء: (الفـوم فيمـا ذكـر: لغـة قديمـة، وهـي الحنطـة والخبـز جميعـا، قـال بعضـهم: سـمعنا العـرب مـن أهـل هـذه اللغـة يقولون: قوموا لنا بالتشديد لأغير، يريدون أقتروا، وقرئت: (وثومها) فأنه أشبه المعنـيين بالصـواب، لأنـه مـع مـا يشكله مـع العـدس والبصـل والعـرب تبـدل الفـاء بالثـاء فيقولـون: جدث وجدف) [١] وقال الزجاج: الفوم: الحنطة) [٢]، وقال الأزهري: ويقال: الحبوب، ولا اختلاف بـين أهـل اللغـة أن (الفـوم الحنطـة، وسـائر الحبـوب التـي تختبـز يلحقهـا أسـم الفوم) [٣].

وقـال الجـوهري: (الفـوم، وفـي قـراءة ابـن مسـعود (وثومهـا)، ويقـال: هـو الحنطـة، وقال ابن دريد: الفومـة: السنبلة، وقـال بعضـهم: الفوم: الحمص لغة شامية) [٤]. وقال ابن منظور: الفوم: الزرع والحنطة، والواحدة فومة، وقيل: الحمص، وقيل الخبز) [٥].

وقـال الفيـروز آبـادي فـي القـاموس: الفـوم: (الثـوم والحنطـة والحمـص والخبـز وسائر الحبـوب التـي تختبـز [٦]. والفـوم أو الحنطـة أو القمـح أو البـر: نبـات عشـبـي مـن الفصـيلة النجيليـة، ذو سـاق طويلـة رقيقـة جوفـاء تغلفهـا أوراق طويلـة تظهـر فـي أعـلاه سنبله الحب، وحبـه صـغير مستدير الـى الطـول، فـي ولونـه مائـل إلـى الصـفرة، مشقوق من جانبة كشق نواة التمر، يتخذ من دقيقة الخبز، والحبة منه قمحة، والبر من دقيقة هو القمح، واحدته بره وللمفسرين أيضا أقوالهم في الفوم: (قال أبن عباس والسري عن أشياخه والحسن وأبو مالك: الخبز.

---

(١)معانـي القران القراء.

(٢)معانـي القران اعرابه، الزجاج.

(٣)تهذيب اللغة، الازهري.

(٤)صمام العربية، الجواهري.

(٥)لسان العرب، ابن منظور.

(٦)القاموس المحيط، للقيروز أباري.

وقال مجاهد والربيع بن أنس ومقاتل والكسائي والنضر بن شميل وابن قتيبة: هو (الثوم) لأنه يشاكل البصل، وقال الزجاج وابن قتيبة أيضا: هو الحبوب) [1].

عند البعض (الفوم يعني جميع الحبوب التي تختبز لان الطمع والجشع والفهم من خصائص بني إسرائيل فهم لا يصيرون على طعام واحد، وهي خلة في نفوسهم ليس لهم عنها محيد، يسألون نبيهم إلحاقا ويستزيدون) [2]، [3] وردت في (سورة البقرة: الآية ٦١)

الجزء الطبي ويلاحظ أن فاعليته تزداد بعد تخزينه لمدة ستة أشهر.

الجوهر الفعال:

زيت طيار من مركبات كبريتية وفيتامين وهرمونات ومواد مضادة للعفونة ومادة الأليسين وهي المادة الأساسية للصفات العلاجية.

من الخارج:

١- يستعمل الثوم لتسكين الآلام الموضعية مثل الآلام الروماتزمية.

٢- تسكين آلام الأسنان بوضع الثوم المهروس فوق موضع الألم.

٣- تسكين آلام الأذن بتنقيط نقط من زيت الزيتون الذي طبخت به فصوص من الثوم.

٤- معالجة الجروح العفنة والقروح.

٥- معالجة القشور في فروة الرأس.

من الداخل:

١- يقوي مناعة الجسم ويكسبه نشاطأ. ولذلك يوصى بأكله للوقاية من الأوبئة (التيفوئيد).

---

(١)زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي البغدادي.

(٢)معجم ألفاظ النبات في القران. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

(٣)موسوعة الألفاظ القرآنية المختار فوزي النعال. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

٢- يعتقد انه يقي من الإصابة بالسرطان.

٣- يقي الى حد كبير من الإصابة بشلل الأطفال.

٤- يفيد مرضى البول السكري فهو يخفض نسبة السكر في الدم.

٥- يخفض ضغط الدم العال عند مرضى تصلب الشرايين.

٦- يعالج تقيح اللثة المزمن.

٧- علاج الإسهال المزمن.

٨- يقتل الثوم الديدان المعوية ويطهر الأمعاء خصوصا عند الأطفال. وقد استخدم الثوم منذ القدم مقوية ومشهية وجالب للصوت ومطهرة للأمعاء. ينصح بأخذ الثوم نصف مطبوخ.

وهناك الآن في أنحاء العالم وخاصة في الصين مستشفيات خاصة تعالج مرضاها بالثوم. وتسمى مستشفى الثوم.تحتوي البذور على زيت وبروتين وأحماض ونشاء

قثائها

في اللغة: القثاء بكسر الكاف وضمها، والكسر أكثر: هو الخيار، كذا في الصحاح، في المصباح المنير: هو أسم جنس، كما يقول له الناس: (الخيار) و (العجوز) و (الفقوس) وبعض الناس يطلقه على نوعه يشبه الخيار وهو أقف من الخيار، والواحدة قثاءة[١].

والقثاء: نبات عشبي حولي من فصيلة القرعيات دراسات زاحفة: ثمرته طويلة، هلالية الشكل ملتوي كأفعى، مدببة عند طرفيها، خضراء أو صفراء اللون، مخططة خطوطا طويلة من الطرف الى الطرف، يعلو سطحها زغب أغبر ناعم. تؤكل القثاء

---

(١)معجم ألفاظ النبات الواردة في تاج العروس. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

طازجة وتخلل، وتنبت في أواخر فصل الشتاء وأوائل فصل الربيع أجوده وأحسنه للأكل (العناني) [١].

قال الغساني: القثاء مسكن للحرارة الصفراوية في المعدة، نافع من شدة التهابها، بذرة خير من بزر الخيار، ورقة مع العسل نافع من الشري نفعا جيدا، موافق للمثانة، مدرر للبول، وورقه نافع من عضة الكلب، مسكن للعطش [٢]، وردت في (سورة البقرة: الآية ٦١)

عن الربيع بن مفرد قال: كان النبي (ﷺ) يحب القثاء، رواه الترميذي في المائل ورواه الطبراني بلفظ (كان يعجبه القثاء).

الاثر الطبي:

عصير الخيار الطازج ينقي الجلد ويكسبه نضارة ولهذا الغرض يطلى الوجه في المساء بالعصير ليستمر مفعوله طيلة الليل، قشر الخيار مسكن للصداع اذا وضع بوجهه الداخلي فوق الجبهة والصدغيين وثبت فوقهما برباط.

من الداخل:

الخيار المفروم مع الحليب مسكن للعطش في الحميات وتخفيف الاضطرابات العصبية وكذلك يوصي مرضى السكر بالاكثار من اكل الخيار لتنقية الجسم من السموم.

القصر

في اللغة: وردت معاني كثيرة للقصر في اللغة تأخذ ما ينفع بحثنا والذي ورد في الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ والمراد به في هذه الآية هو:

(١)موسوعة الألفاظ القرآنية. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

(٢)حديقة الأزهار، البستاني.سورة الواقعة: الآية ٢٩.

دخان نار جهنم الذي يتصاعد في العلاء ثم يرتفع فيتشعب إلى شعب ثلاث، لا يقيم حر هذا اليوم العصيب ولا يدرأ عنهم لهب جهنم وسعيرها المحرق، وهي ترمي بالشرر كأنه القصر، القصر واحدته قصرة، وهي اسم جنس كقمح وقمحة. والقصرة: أصل العذق واصل الشجرة مثل: جمر وجمرة، يؤيد هذا البحث: (من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن فليجعل له به أصلا ولو قصره) [١].

والقصرة: هي الواحدة من جزل الحطب الغليظ [٢]، وفي القصر هذا أقوال عن المفسرين: قال قتادة: القصر أعناق الإبل، قال أبن سعيد الضحاك: القصر: أصول الشجر العظام وجذوع النخل إذا قطع أو وقع، قال الفراء: (بشرر كالقصر: يريد القصر من قصور مياه العرب، وقيل: كالقصر، أي كأصول النخل، ولست أشتهي ذلك) [٣]. هذا ما قاله الفراء، فهو لا يستسيغ أن يكون المعنى في هذا اللفظ جذوع النخل وفي حديث ابن عباس في قوله ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كنا نرفع الخشب للبناء ثلاثة أذرع أو أقل نسميه القصر، ونريد به قصر النخل، وهو ما غلظ من أسفلها، واحدتها قصره [٤]. وجاء في البخاري عن أبن عباس: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل فنرص سعفة للشتاء فنسميه القصر)، وردت في (سورة المرسلات: الآية ٣٢، سورة الحج: الآية ٤٥)

---

(١) تفسير القرطبي، ١٦٤/٩.

(٢) لسان العرب، لابن منظور وبنظر عمدة الحفاظ للسمين الحلبي.

(٣)معاني القران، للفراء

(٣) مجمع البيان للطبرسي، ولسان العرب لابن منظور.

(٤)المصدر نفسه.

قضبا

في اللغة القضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها[١]، والقضب: شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر، ورقه كورق الكمثري إلا أنه أرق وانعم، ترعى الإبل ورقة وأطرافه، فإذا شبع منه البعير هجره حينا قال النضر: (القضب شجر تتخذ منه القسي)[٢]، وقال الفراء:

القضب: الرطبه، وأهل مكة يسمون القت: القضب) [٣]، ولرجال التفسير في القضب أقوال، منها: قال الطبري في تفسيره: القضب: الخضرة الرطبة، وقال القرطبي في تفسيره: هو القت والعلف سمي بذلك لأنه يقضب، أي يقطع، وقال أبو السعود في تفسيره: قضبا أي رطبه، سميت بمصدر قضبه، أي قطعه، مبالغة كأنها لتكرار قطفها، وقال الطبرسي في مجمع البيان: القضب هو القت الرطب يقضب مرة بعد مرة أخرى ويكون علفا للدواب، وقال الراغب في مفرداته: القضب يستعمل في البقل، والقضب: القطع. وجاء اللفظ هذا بعموم الجنس لا بخصوص النوع. وردت في (سورة عبس: الآية ٢٨)

قطمير

القطمير: في اللغة هي القشرة الدقيقة الملتفه على النواة. (نواة التمر)، والقطمير: الشيء يضرب مثلا للشيء التافه القليل لشأن، يقال: ما أصبت منه قطميرا، أي شيئا ولو يسيرا، ومثله النقير في التفاهة وقلة الشأن.

بيان: قيل: في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة والحقارة وهي: الفتيل، والنقير وهو النقرة في ظهرها التي تساعد في الإنبات وخروج البنين (الرويشد

---

(١)معجم الفاظ النبات في القران.

(٢)لسان العرب، لابن منظور.

(٣)معاني القران للفراء.

والجذير) والقطمير وهو اللفافة التي تغلق ظهر النواة، وهي رقيقة وشفافة، وهذه الثلاثة ذكرت في القرآن الكريم والرابع هو: (التفروق)، وهو العرق الصغير الذي بين القمع والنواة، وفي حديث النجاشي (ملك الحبشة): (لو سألوني تفروقا ما أعطيتهم) [١].

والفائدة نذكرها هنا القمطرير: وهو الشديد العبوس، الطويل النهجم، تتقلص لسهوله الوجوه وتفيض المياه وما بين الأعين من شدته، فهو يوم عصيب طويل البلاء، وذكر ذلك الكون اللفظ جاء مشابها للفظ قطمير لكنه مختلف عنه في المعنى اختلافا كبير، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [٢]وردت في (سورة فاطر: الآية ١٣)

قطوفها

في اللغة: القطوف: جمع القطف بكسر القاف، وهو الثمر المقطوف ويطلق اللفظ على العنقود ساعة يقطف، والقطوف ما أينع ونضج من الثمر وحان قطافه. والقطوف، والأكل، والجني، والثمر ألفاظ ذكرت في القرآن جميعها بمعنى واحد، والأيك مشهد من مشاهد المتقين في الجنة، إذ هم على أرائكهم يتناولون من ثمارها المتدلية عليهم بأفنانها ما يشتهون ويتميزون، فهي نعمة الله إليهم كيف شاؤا ونالوها قيامة وقعودا ومضجعين[٣]، وردت في (سورة الحاقة: الآية ٢٣، سورة الإنسان: الآية ١٤)

قنوان

في اللغة: قنوان: مثنى قنو، وهو عذق النخل، جمعه وتثنيته قنوان، والقنو للثمر كالعنقود العنب، وقال ابن منظور: (القنو والقنا: الكباسة – أي عذق النخل والجمع

(١) السمين الحلبي في عمده الحفاظ مثل، بنظر معجم ألفاظ النبات في القران.

(٢) سورة الانسان: الآية ١٠.

(٣) موسوعة الالفاظ القرانية لمختار فوزي النعال.

أقناء وقنوان وقنيان، قلبت الواو ياء لقرب الكسرة ولم يعتمد الساكن حاجزا، فالكسرة في القنو غير الكسرة في القنوان، لك وضعية للبناء وهذه حادثة للجمع [١]، وقنوان دانيه: قريبة المأخذ التناول قال الفراء: (أهل الحجاز يقولون: قنوان بكسر القاف، وقيس نقول: قنوان بضمها، وتميم وضبة يقولون:قنيان، ويجمعون فيقولون: قنو وقنو بكسر القاف وضمها) [٢]. وفي الحديث: أن رسول الله (ﷺ) خرج فرأى أقناء معلقة، قنو منه حشف)[٣]، وعن البراء قال: (كنا معشر الأنصار أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فنعلقه في المسجد، وكان أهل الصفه ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه، فيسقط من البسر والتمر فيأكل) [٤] رواه الترمذي [٥].
وردت في (سورة الأنعام: الآية ٩٩)

الكماة:

قال رسول الله (ﷺ) **(الكماة من المن، وماؤها شفاء للعين) رواه الشيخان وعن أبي هريرة أن أناس قالوا: (الكمأة جدري الأرض فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (الكماة من المن)** رواه الترمذي.

عن هريرة عن النبي (ﷺ) قال: **(الكمأة دواء العين)** رواه أحمد قال النوري: الصحيح بل الصواب أن ماءها مجردا شفاء للعين مطلقا.

---

(١) لسان العرب لابن منظور.

(٢)معاني القران للفراء.

(٣)الحشف أردأ أنواع التمر.

(٤)البسر: التمر قبل أن طب، وذلك إذا لون ولم ينضج، واحدته، يسره واليسر الفض الطري من كل شيء.

(٤) موسوعة الألفاظ القرآنية.

والكمأة واحدها (كمء) وهي درنه من الفطريات الجذرية التي تنمو تحت الأرض بالتكامل مع جذور بعض النباتات الخاصة التي تتعايش معها إلى أن يصل الى ٣٠ س نتمتر تحت سطح الأرض. وتنمو الكمأة في جماعات مكونة من عشر الى عشرين درنة في الموقع الواحد من التربة، وهذه الدرنات كروية أو شبه كروية، لحمية الملمس، رخوة ويتدرج لونها من الأبيض إلى الأسود مرورا بألوان الرمادي والبني، وتتميز برائحتها النفاذة وقيمتها الغذائية العالية، وقد سميت بهذا الاسم لاستئثارها بالتربة حتى تنفطر عنها، ومعناها المكتومة) لأن العرب تقول: كمأ فلان الشهادة أذا كتمها. وتنمو (الكمأة) في الصحاري الوطنين العربي والإسلامي من موريتانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا في بيئات تتراوح بين الرملية، والحصوية، والحجرية، ويزدهر نموها عادة بعد مواسم العواصف الرعدية، ومن هنا أطلق عليها البدو اسم نبات الرعد.

والكمأة أنواعها المتعددة التي تختلف في أشكال وألوان درناتها، وفي طبيعة الأرض التي تنمو عليها، وأنواع جذور النباتات التي تتعايش معها، والأعماق التي تتواجد فيها وأكثر أنواعها انتشارا ينمو في الطبقة السطحية من التربة، ويدرك عن طريق تشققاتها في اتجاهين عموديين وقت نضج الدرنات، فبادر أهل الصحراء بجمعها، ولكن إذا لم تجمع فإن هذه الدرنات سرعان ما يتكون بداخلها أبواغ – واحدها بوغ أو بوغاء – على هيئة الدقائق الترابية الناعمة جدا والتي تتطاير في الجو إذا مست تناهي مكوناتها في الدقة وبانفجار كيس الأبواغ تنتشر محتوياته في التربة ويكمن فيها إلى موسم المطر (في حدود أواخر شهر أكتوبر تشرين الأول الذي يتميز بالأمطار الرعدية المصاحبة للسحب الركامية) وعند سقوط هذه الأمطار الرعدية الغنية بأكاسيد النيتروجين على التربة فإنها تكون العديد من المخصبات للتربة من النترات التي تتغذى عليها الأبواغ بعد أن تستيقظ من سباتها الطويل، وتتحول الى خيوط فطرية دقيقة تتحرك الى جذور النباتات الممتدة في داخل التربة التي تتواجد الأبواغ فيها أنسجة تلك الجذور النباتية متطفلة عليها في غذائها حتى يكتمل نموها على هيئة الدرنات الكاملة.

والكماة مصدر مهم جدا للبروتينات النباتية بين جميع نباتات الصحراء، وتحتوي درناتها على ٧٧ %من وزنها ماء٢٣ % مواد صلبة منها ١٣,٨% كربوهيدات، ٥، ٧٥% دهون ومواد بروتينية أخرى، والباقي ٣,٤٥% يبقى على هيئة ماء بعد درنة الكماة يحتوي على العديد من العناصر الأرض الفلزية واللافلزية وقد تم التعرف على سبعة عشر حمضا من الأحماض الأمينية المهمة في بروتينات الكمأة، وعلى عدد من الفايتامينات أهمها فيتامين A. وفي وصف رسول الله (ﷺ) للكمأة بأنها من المن تعبير عن أنها تنبت بفضل من الله ومنه،لأنها لا تزرع، ولا تستزرع، ولا تحتاج الى مؤونة بذور وبذرها أو سقي وعزق، ولا تحتاج من الإنسان إلى شيء من الرعايا أو التعب ولانصب سوى ما يبذله في جمعه ثمرها غضه ناضجه ومن هنا كان وصفها بالمن لأنها تنبت بفضل الله ومنه. وبالإضافة إلى قيمتها الغذائية العالية فإن رسول الله (ﷺ) أضاف في وصفها أن ماءها شفاء للعين، وانطلاقا من هذا الحديث الشريف كان المسلمون يغلونها في الماء ثم يبردونه ويكتحلون أو يتقطرون به. وقد قام أحد كبار أطباء العيون المسلمين المعاصرين وهو الأخ الكريم الدكتور المعتز المرزوقي بإثبات أن ماء الكماة يمنع حدوث التليف في حالات أمراض العيون المعروفة باسم التراكوما والرمد الحبيبي، والرمد الربيعي وكلها قد يفضي إلى فقدان البصر بسبب تليف قرنية العين، ويقلل ماء الكماة من حدوث مثل هذا التليف بشكل ملحوظ تصديق لنبوءه المصطفى (ﷺ) فإن لكل ما تقدم في الكلام عن المن أو الكماة أو بعض العصارات النباتية التي تفرزها بعض النبات ذات الطعم الحلو أو غيرها أو تلك التجمعات السكرية الناتجة ع ن إفراز الحشرات التي تتغذى على العصارة النباتية كحشرة (المن) أو (بق النبات) أما يشابهها من أنواع الرزق الذي يسوقه الله سبحانه وتعالى الى من يشاء من عباده على غير جهد منه سوى جمعه لأن (المن) هو اسم للعطاء الرباني بصفة،عامة، فإن الجمع بين المن والسلوى) في النص القرآني الكريم الذي نحن بصدده يرجح المعنى الأول على أن رزق نباتي ساقه الله الخالق سبحانه وتعالى لقوم موسى وهم الجاحدون لنعمته المرتدون عن عبادته إلى عبادة العجل، والمنكرون لأفضاله

وكراماته ومعجزاته، والمتمردون على رسوله إليهم ليجمعوه ويأكلوه وهم في التيه بشبه جزيرة سيناء أقرب للهلاك والضياع من النجاه الى بر الأمان [١].

ونستعرض في هذا الفصل المصطلحات النباتية في القرآن الكريم، والتي يقارب عددها ٧٨ مصطلح وردت في أكثر من ٢٩٦ آية قرآنية جمعت من ٥٨ سورة في القرآن الكريم. وقد أدرجنا ذلك حسب الحروف الأبجدية للمصطلح. فقمنا بتعريفه لغة واصطلاحا وذكرنا الآيات والاحاديث التي ورد فيها المصطلح. وما جاء عنها في الأثر.

كافور

كافورا: قال ابن منظور: (الكافور: نبت طيب الريح، والكافور: كم العنب قبل أن ينور، والكافور: طلع النخل، والكافور: أخلاط تجمع من الطيب تركب مع كافور الطلع، تم قال: ولا أحسب الكافور عربية) [٢].

الكافور شجر من الأشجار المعمرة الضخمة العظام التي يبلغ ارتفاع الواحدة ٩٠ متر، وهو من الفصيلة الغارية، ينمو في الهند والصين وأستراليا، تتخذ منه مادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها الى البياض تستخرج من تقطير أوراقه وتستعمل في الطب كدواء للتشنج والباه والآلام الموصفيه [٣]، وقال السمين الحلبي: سمي كافور لستر الأشياء بطيبه ورائحته، كما سمي الكمام كافورة لستر التمر) [٤].

الكافور أصناف كثيرة، وزيته زيت طيار جامد في درجة الحرارة العادية، صمغ أبيض بلوري شفاف، ذو رائحة نفاذه، يدخل في الأدوية كما يدخل في العطور، يستفاد من

---

(١)انظر كتاب الحيوان في القرآن الكريم للدكتور زغلول راغب محمد النجار ص ٢٣٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور.

(٣)الصمام في اللغة والعلوم. النديم وأسامة مرعشلي.

(٤)عمده الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.

خشبه في مرافق صناعية شتى،وقال الغساني في منافعه وخواصة (الكافور نافع من الصداع الصفراوي إذا خلط باس، نافع من الأورام قاطع للرعاف، نافع من القلاع، مقو للحواس–نافع من الرمد، مسرع الشيب) [١]، [٢]، وردت في (سورة الإنسان: الآية ٥)

لينة

في اللغة: اللينة: قال ابن منظور: (اللينة: كل شيء من النخل سوى العجوة) فهو من اللين، واحدته لينة) [٣]، وقال أبو اسخن (هي الألوان، ولواحدته لونه). فقيل لينة بالياء لانكسار اللام وقال الواسطي: (اللينة هي النخلة) وقال الكلبي: (لا أعلمها إلا بلسان يهود يثرب) [٤]وقال الزهرب ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة وخليل ومجاهد والحسن عن أبن عباس: (هي النخل كله بما فيه العجوة، وقيل: هي النخلة القريبة من الأرض، وقيل: هي الفسيلة، لأنها اللين من النخل [٥].

قال الأخفش (سميت لينة وهو ضرب من النخل ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت الى ياء)[٦]. وقال أبو عبيد القاسم: (ما قطعتم من لينة: يعني النخل بلغة الأوس)[٧][٨]ومنهم من قال أنه صغير النخل وفسيله. في سبب النزول: أن رسول الله (ﷺ) لما غزا بني النضير تحصنوا في حصونهم، فحرق الرسول (ﷺ) أشجارهم وقطع

(١)حديقة الأزهار للبستاني.

(٢)موسوعة الألفاظ القرآنية ومعجم ألفاظ القران الكريم.

(٣) لسان العرب لابن منظور.

(٤) الاتقان في علوم القران للسيوطي.

(٥)العمدة في غريب القران. لابن مكي القيسي.

(٦)معاني القران، ملا خفش الأوسط.

(٧)لغات القبائل الوارد في القران الكريم، لابتي عبيد القاسم بن سلام.

(٨)موسوعة الألفاظ القرآنية.

صغار النخل، فجزع أعداء الله، وقالوا: يا محمد إنك تريد الصلاح وها أنت تقطع النخيل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي الكريم الرحيم (ﷺ)، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم هذا، وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا فيه فقال بعضهم: لا تقطعوا، فأنه مما أفاء الله علينا، وقال آخرون: بل اقطعوا، فنزل قوله تعالى ((ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها بإذن الله وليخزي الفاسقين)) [1]، وردت في (سورة الحشر: الآية ٥)

والمتكأ حمل الاتكاء، وإلا تكاء جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب مع انتصأب قليل في النصف الأعلى من الجسم، وإنما يكون الاتكاء في أطاله المكث والاستراحة والمتكأ هو ضرب من النمارق أو الحشايا تقدم للضيف ليتكئ عليها. وحديث النبي (ﷺ): (أما أنا فلا آكل متكئ) رواه البخاري في الأطعمة.

وفي المتكئ عند المفسرين أقوال:

١- قال ابن عباس: إنه المجلس، أي: هيأت لهن مجلسا وهو تفسير للآية.

٢- قال أبو صالح عن ابن عباس: المتكأ: الوسائد اللاتي يتكئن عليها.

٣- قال الحسن ومجاهد وقتاده وأبن قتيبة: إنه الطعام، يقال: اتكأنا. عند فلان إذا طعمنا، واستشهد بقول جميل:

فظللنا في نعمة واتكأنا   وشربنا الحلال من قلله

٤- وقال ابن عباس ومجاهد ويحيى بن يعمر: المتكأ: كل شيء يجز بالسكين.

٥- قال ابن جريح: إنه الأترج.

والأترج: شجر من الحمضيات من الفصيلة البرتقالة، وثماره كبيرة القد مستطيلة الشكل ذهبية اللون زكية الرائحة، وعصيره حامض والواحد (أترجة) وما ورد في النقاط الثلاثة الأخيرة هو ما يهمنا في بحثنا هذا.

---

(١)جامع التقول في أسباب النزول، لابن خليفة عليوي.

يقال: (إن لسياق القرآني يوصي بأن امرأة العزيز قدمت لنسوة المدينة ما يستوجب حزه بالسكين، لهذا أعطت لكل منهن سكينا والسكين تحتاج الى شيء يجز بها أو يقشر، ولا ترج من الحمضيات كالكباد وسواه، ولعله الفاكهة المعروف في يومنا (بالكريفون) المعروف بليمون القدس، ثم قالت له: اخرج عليهن؛ فلما رأينه هالهن جماله، فاضطرين وارتجفت أيديهن فقطعهن أصابعهن، وهن في حيرة وذهول بجماله[1].

قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

المرعى

في اللغة: قال ابن فارس: (الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ والأخر الرجوع، فلأول رعيت الشيء: رتبته ورغبته إذا لاحظته، والداعي: الوالي. وثاني: ارعوني عن القبح إذا ارجع، وقال بعضهم: فلان حسن الدعو والدعوى)[3].

المدعي: النبات المرعي، وأصله اسم مصدر للرعي، وهو اسم مكانه وزمانه أيضا. واللفظ جاء كناية عن الكلأ. وأصل الدعي حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته، وإما بذب العدو عنه يقال: رعيته أرعاه: أي حفظه، والرعي والرعاء: السياسة والمحافظة كقوله تعالى:﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[4] أي ما حافظوا عليها حق

(١) موسوعة الالفاظ القرانية، مختار فوزي النعال.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣١.

(٣) مقاييس اللغة، احمد بن فارس.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٧.

المحافظة، وسمي كل سائس: راعية، منه الحديث: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، ويجمع الراعي على (رعاء)، كما في قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾[1] وعلى رعاة كقضاة. فالمرعى: النبات المرعي، كالعشب والكلأ. وردت في (سورة الأعلى: الآية ٣).

مسد

المسد في الأصل: جدل الشيء وفتل في أحكام: قال ابن فارس: (الميم والسين والدال: أصل صحيح يدل على جدل الشيء وطيه، فالمسد: ليف يتخذ من جريد النخل، والمسد: حبل يتخذ من أوبار الإبل، وأمراه ممسودة: أي مجدوله الخلق، كالحبل الممسود غير مسترخية، والمسد الليف لان من شأنه أن يفتل[2]، ويقال للحبل المتين والمضفور بإحكام: مسد، سواء كان من ليف أو غيره، وهذا ما تقصده الآية الكريمة وترمي إليه بقوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾أي حبل محكم القتل من ليف. وقال السمين الحلبي: (المسد: ليف يتخذ من اليف النخل فيمسد، أي يفتل ويجدل، والمسد: الحبل من أي شيء أتخذ) [3].

وعن ابن عباس (رضي الله عنه): عني بالمسد هنا في الآية: السلسلة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله:﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴾[4]، وردت في (سورة المسد: الآية ٥).

(١) سورة القصص: الآية ٢٣.

(٢)معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس.

(٣)عمده ألفاظ في تفسير أشرف لألفاظ للسمين الحلبي.

(٤)سورة الحاقة: الآية ٣٠-٣٢.

المن

المن: قال ابن سيده: (المن: كل ما ينزل من السماء وكان يسقط على بني إسرائيل وهم في التيه)، وفي المن أقوال: منها أنه مادة صمغية جوية تنزل على شجر البادية كالدقيق المبلول، فيه حلاوة ولونه ضارب إلى الصفرة، يكثر في تركستان، وقد ينزل في غيرها وفي مدينة السليمانية في شمال العراق ولكن بشكل قليل وقيل إنه شراب حلو وقيل: المن، وقيل هو خبز مرقق، وقيل: هو الزنجبيل، وقيل هو مصدر يشمل ما من الله به على بني إسرائيل وقيل هو الزنجبيل شبيه بدقيق النبات طعمه حلو، سائل أو الندى، يعلق على الأغصان فينعقد عليها.

في المن عند رجال التفسير أقوال منها: قال ابن عباس والشعبي والضحاك: إنه الندي الذي يقع على الشجر. وقال مجاهد: إنه صمغة حلوه، وقال عكرمة: إنه كالعصارة المخثرة للثمار (رب– مربيات) وقال أبو العالية والربيع بن أنس: هو شراب حلو، وقال وهب بن منبه: هو خبز الرقاق مثل الذرة، وقال ابن يزيد هي: العسل، وقال السدي هو: الزنجبيل، وقالوا المن: هو الكمأة، أذلا مؤونه فيها بحرث ولا بذر وزرع.

وقال ابن منظور في اللسان: الكماة من المن. وقالوا: أن أرجح الأقوال هو مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا كد، ثم أطلق على المن الذي يقع من السماء ندى يشبه العسل الجامد، وهو مستحب، وفي هذا أشارة الى عطاءات الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل. وما تفضل به عليهم من نعم وامتن به من طعام وشراب ونحوها مما ليس لهم فيه جهد أو تعب، فذالكم هو المن [١].

وجاء في كتاب الحشرات الاقتصادية للدكتور غازي الحريري: (المن حشرة صغيرة، يتراوح طولها ٥ الى ٠,٧ ملم، جسمها طري تتغذى على العصارة النباتية بواسطة فمها الماص، وهي التي تفرز الندوة العملية التي تستقطب النملة وسائر الحشرات التي تتهافت على المواد السكرية. وردت في السور الآتية: (سورة البقرة: الآية

---

(١)انظر موسوعة القرآنية.

٥٧، سورة الأعراف: الآية ١٩٠، سورة طه: الآية ٨٠) ووردت في(سورة البقرة: الآية ٢٦٤) بمعنى التمنن والمنة.

قال تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [1]، (المن) لغة: كل ما يمن الله تعالى به على خلقه من نعمة التي لا يبذلون جهدا في سبيل الحصول عليها ولا يصيبهم منها نصب أو تعب ولا مشقة. و (المنان) هو الله تعالى وأسم من أسماء الله جل ثناؤه والمنة) هي: النعمة الثقيلة، ولذلك يقال: (من) الله سبحانه وتعالى على عباده بنعمة الإيمان وهذا لا يكون لغير الله تعالى:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [2]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [3] قيل: المن الذي كان يسقط على قوم نبي الله موسى عليه السلام سهلا بلا علاج، على الرغم من كفرهم وعصيانهم وتمردهم على الله تعالى وعلى النبي المرسل إليهم.

وكذا الكمأه التي لا مؤونه فيها ببذر ولا سقي. وقال بعض العلماء في المن تلك المادة الحلوة التي تفرزها حشرة المن والذي يقع على النبات الذي تتواجد عليه. وقال آخرون هذه المادة الحلوة هي من نوع نباتي وأن هذه المادة تسقط بالليل لأنها تشاهد دائما عند الصباح الدافئ الساكن (جلبرت هوايت) الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٩٢ – ١٧٢٠) في كتابه المعنون (التاريخ الطيب لسيلوبورن) أنظر كتاب السيوطي إعجازالقرآن.

و(المن): Manna مادة صمغية حلوة لزجة كالعسل الذي يفرزه النحل، تتجمع على الأشجار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم تجف فتتحول إلى مادة بيضاء الرقيق أو رقائقه الصغيرة التي تكشط من فوق جذوع الشجر وفروعه وأوراقه وتؤكل

---

(١) سورة البقرة: الآية٥٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(٣) سورة طه: الآية ٨٠.

مباشرا أو تذاب في الماء وتشرب على هيئة شراب حلو المذاق، عال في قيمته الغذائية وهو يمثل الكربوهيدات التي من صفتها السكريات وعندنا في العراق يوجد على جبال السليمانية وخاصة في منطقة (أزمر) ولهذا اشتهرت هذه المدينة في شمال العراق بحلويات (من السما) أي من السماء.

وقد يتكون (المن) نتيجة لعملية فرز العصارة الغذائية للنبات الى أسطحه الخارجية وجفافها بتبخر جزء كبير من محتواها المائي، وقد يكون هذا النزيف للعصارة الغذائية ذاتيا أو ناتجا عن جروح في جسم النبات تحدثها مجموعات الحشرات التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائية لتلك النباتات.

كذلك يمكن أن تتكون هذه المادة الصمغية الحلوة المذاق المعروفة (من السماء) نتيجة إخراج بعض هذه الحشرات التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائية لبعض النباتات فتأخذ منها حاجتها وتفرز الباقي على هيئته ما يعرف باسم (البراز العسلي) أو (براز حشرة المن) أو (الذروة العسلية) وجفافة يتحول إلى هذه المادة الصمغية الحلوة المذاق والمعروفة باسم (من السماء) Manna foam heava والتي سميت الحشرة باسمها.

وهناك أعداد كبيرة من الحشرات التي تتغذى على العصارات الغذائية للنباتات، وذلك باختراق أنسجة تلك النباتات وامتصاص أقدار مختلفة من عصارتها الغذائية، وتتبع معظم هذه الحشرات رتبه تعرف باسم (نصفية الأجنحة) وعائلة تعرف باسم عائلة بق النبات (Family Aplididae) التي منها حشرة المن (Aphid) وهي حشرة دقيقة الملمس، تعيش في أسراب تقدر أعدادها بالآلاف [١].

وكما ألمحنا سابقا:

والجمع بين (المن والسلوى) بهذا المعنى هو جمع بين الكربوهيدرات النباتية بما فيها السكريا والنشويات وغيرها ممثلة في المن) والمادة في المن أهي أفضل المواد

---

(١)انظر كتاب الحيوان في القرآن د.زغلول راغب محمد النجار ص ٢٣٩.

الكربوهيدراتية الأخرى الموجودة في النباتات وسهلة الهضم وعظيمة الغذاء وكذلك بين البروتينات الحيوانية ممثلة في السلوى) وكلاهما لازم لإنتاج الطاقة والبناء في عملية التمثيل الغذائي لخلايا جسم الإنسان، هذا بالإضافة إلى أن البروتينات المستمرة من لحوم الطيور مثل السلوي (طير السمان أو السماني) هي أيسر في الهضم وأفضل لجسم الإنسان من تلك المستمدة من لحوم الأنعام أو حتى من بعض الطيور الأخرى التي تتغذى على الأسماك والديدان. وهي أفضل من بروتينات البقول النباتية من حيث سهولة الهضم وتمثيلها واستفادة جسم الإنسان منها. وهذا كله يدل على أعجاز علمي بلاغي في القرآن الكريم وعلى صدق رسالة نبوة محمد(ﷺ) الأمي، فالحمد لله على بعثه خير الأنام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

النبت والنبات

نباتا: النبات والتبت، واحد، ونبت الزرع نبتة ونبات: بدر من الأرض وظهر واخذ ينمو والنبات: ما أخرجته الأرض من زرع وشجر والزرع الحي يعيش بجذور ممتدة في الأرض أو في الماء ولجميع نباتات، والنبات، كائن حي يكون بسيطة كالطحلب أو معقدة كالشجر، تجهز النباتات غذاءها عن طريق التركيب الضوئي، وتعتبر بذلك المصدر الرئيسي لغذاء الإنسان والحيوان، كما أنها تلفظ كمية كبيرة من الأوكسجين وعلم النبات من أجل العلوم نفعا وأعودها باليمن والبركة على الناس، يبحث في حياة النبات وتطوره وتفصيل أنواعه، والنباتي الدارس لغلم النبات.

عني العالم قديما وحديثا بالنبات، وهو فرع من التاريخ الطبيعي، غايته دراسة النبات دراسة علمية، وتتبع أدوار تكوينه وما يصلحه وما يفسده كأي أدوار تكوينه وما يصلحه وما يفسده كأي كائن حي يولد وينمو ويتناسل ويموت[١]،[٢] وردت في (سورة

(١)دائرة معارف القرن العشرين، الفريد وجدي.

(٢)معجم ألفاظ النبات في القران: موسوعة ألفاظ القران الكريم.

المؤمنون: الآية ٢٠، سورة البقرة: الآية ٢٦١، سورة الحج: الآية ٥، سورة نوح: الآية ١٧، سورة الحجر: الآية ١٩، سورة الشعراء: الآية ١٧،سورة لقمان: الآية ١٠،سورة الصافات: الآية ١٤٦) وأكثر من ١٧ آية أخرى في مواضع مختلفة.

النجم

النجم جرم سماوي مضيء بذاته وموضعه النسبي في السماء ثابت كالشمس جمع نجوم وأنجم. والنجم: من النبات، مالا ساق له، وهذا ما هو المراد بقوله تعالى:

﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ كاليقطين والقثاء والبطيخ وسواها.

قال ابن فارس: (النون والجيم والميم): أصل صحيح يدل على ضلوع وظهور، والنجم: من النبات ما لا ساق له، من نجم إذا طلع) [1].

قال الشاعر: أراعي النجم في البيداء ليلا ويرعى النجم في البيداء حصاني

وسميت آيات القرآن نجوما لنزولها منجمة أي متفرقة. وردت في (سورة الحج: الآية ٦).

النخيل

النخل والنخيل بمعنى واحد نخله وهي: نخلة البلح، شجرة من فصيلة النخليات تتواجد في شمال أفريقيا وجنوب أوربا وجنوب غرب آسيا وباكستان والهند والعراق، يبلغ ارتفاعها أحيانا (٣٠) مترا، وهي ذات ساق ممشوقة شبيهه بالعمود يعلوها شبه تاج من السعف الذي هو جريد النخل، يتجمع ثمره (البلح) ذو اللون الأصفر أو الأحمر في إفراط تعرف بالمثاكيل يرطب البلح فيصير تمرا أشقر اللون أو أسود، وهو ذو قيمة غذائية كبيرة، يتخذ منه الخمر والخل والسكر. ونخلة البلح عريقة في القدم، ولقد عرفت

---

(١)معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس.

من فجر التأريخ، ولا تزال حتى اليوم قوام حياة البدو، وهي المصدر الرئيسي لثروتهم في الفلوات والصحاري.

التمر غني بالمواد البروتينية والدهنية والمعدنية، حملها المبشرون والأسبان الى العالم الجديد في أواخر القرن التاسع عشر: يثمر نخل البلح في السنة الرابعة أو الخامسة من عمره، ويبلغ ذروة عطائه بعد مدة تتراوح بين خمس سنوات وعشر سنوات. ويعمر أحيانا نحو من مئة وخمسين سنة يقدر عدد شجر النخل في العالم بثمانين مليون شجرة، ويقدر مجموع أنتاجها من الثمر قرابة المليونين طن، ويعتبر العراق وبخاصة منطقة البصرة، أعظم منتج للتمر في العالم.

النخل ذكر وأنثى، ويخصب النبات بنقل عراجين من النخلة المذكرة ووضعها بين أراجين النخلة المؤنثة وهذا ما يسمى بالتأثير أي التلقيح. بزرع النخل لثماره المشهورة ويسمى شجرة العرب.

كما يزرع منه في شوارع المدن الكبرى للزينة والتجميل وفي شوارع مدن أسبانيا وتونس وتركيا وسواها [١]. وردت في (سورة الأنعام: الآية ١٤، الآية ٩٩، سورة الكهف: الآية ٣٢، سورة طه: الآية ٧١، سورة الشعراء: الآية ١٤٨) وأكثر من ١٥ آية أخرى.

قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[٢].

يعتبر النخيل أساس ثروة الصحراء وله عند العرب منزلة خاصة، وقد جاء ذكر ذلك في الكتب المقدسة كما ورد أيضا في أحاديث رسول الله (ﷺ).

عن أنس قال كان رسول الله (يفطر على رطبات قبل أن يصلي فان لم يكن رطبات فتمرات فان لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء رواه أبو داود وغيره. في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) انه قال:

(١) موسوعة الفاظ القران الكريم.

(٢) سورة مريم: ٢٠.

(من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر). وعن علي قال قال رسول الله (ﷺ): **(أكثروا من عمتكم النخلة فأنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم، وليس من الشجرة شيء يلقح غيرها)**. قال: **(أطعموا نسائكم الولد فان لم يكن فتمر فليس شيء في الشجر أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم أبنة عمران)** رواه أبو يعلي وأبن السيني.

شجرة النخيل

يصنف النبات على أنه مغطات البذور وعاريات البذور وأن المغطات تقسم الى ذوات الفلقة الواحدة وذوات الفلقيين والنخلة تنتمي الى ذوات الفلقة الواحدة وهو ص نف تسوده النباتات العشبيه، يمتاز النخيل بطوله الفارع الممشوق ذو الجذع الاسطواني حيث يبلغ طوله في بعض الأنواع الى ٦٠م ويكون جذعها خالي من الأغصان ذو قمة نامية ممتلئة بالأوراق التي تدعي الواحدة منها بالسعفة، ونذكر هنا أن بعض أنواع النخيل تكون ساقه متسلقة يتواجد في الغابات الاستوائية ويصل طولها أحيانا إلى ٢٠٠م.

تشتمل فصيلة النخيليات على حوالي ٢٠٠ جنس تضم أكثر من ٣٠٠٠ نوع معظمها بري ينمو تلقائيا ومنتشرة في المناطق المدارية والاستوائية أما نخيل البلح فكثير أما يغرس ويعتني به لفوائده الكثيرة.

تتعدد ثمار النخيليات بتعدد أنواعها فمنها ذات ثمره لينة أو مفرده النواة أو جوزية ويمكن أن تكون متعددة البذور وجوز الهند واحدة من هذه الثمار وتعود لشجرة النارجيل يصل وزنها أحيانا إلى عده كيلو غرامات.

والذي يهمنا من بحثنا هو نخيل البلح المشهور في البلاد العربية ينتج غذاء مهمة ومفيدة ويؤكل البلح طرية كما هو أو يدخل في الصناعات ويدخل في الحلويات.

للنخلة خشب جيد إذ يجمع بين القساوه والمرونة مما يجعله ممتازة للصناعة. كما يدخل النخيل إضافة للغذاء في الزينة كما يزرع في الطرقات والساحات العامة والحدائق لأعطاها منظرا جميلا خاصة في المناطق المعتدلة.

أنواع النخيل:

(١) السبلاء: يصل طوله الى ٢٠ م يستخدم في صناعة الأعمدة وسواري السفن.

(٢) النخلة المصفحة يبلغ طولها ٤٠ م تنمو في المكسيك وكالفورنيا. وتسمى أحيانا بالنخيل الأزرق لأن أوراقها تتخذ لونا رمادية.

(٣) الواشنطونيا: يبلغ طولها ١٠ م تستعمل كشجرة زينة على شواطئ المتوسط.

(٤) الدوم الأفريقي: ينشر في السودان وشمال أفريقيا يصل ارتفاعه إلى ١٠م.

(٥) الساغوتية أو نخل النشاء: يصل ارتفاعه الى ١٢م موطنه ماليزيا وغينيا الجديدة و(الساغو) يشكل الدقيق النشوي الغذائي الأساسي للسكان المحليين.

(٦) النخيل الاسترالي: وموطنه استراليا غالبا أنواعه تستعمل للزينة في الأماكن العامة.

(٧) الجوبيا: قد تصل أرتفاع هذا النوع من النخيل الى ٢٠ م يوجد في تشيلي ويتكاثر من دون زراعه ثمره شبيه بالجوز الهند الصغيرة.

(٨) النارجيل أو جوز الهند:يصل ارتفاعها إلى ٤٠ م منتشرة بشكل واسع في كافة المناطق المدراية.

(٩) النخلة القزمة:أنها نخلة قصيرة جدا لا يتجاوز طولها ٢م كما أنها النخلة البرية الوحيدة التي تنبت في المناطق المتوسطية من غير زرع.

(١٠) نخيل الشمع: يصل ارتفاعها إلى ٤٠ م موطنها أمريكا الجنوبية (البلاد الأندية والبرازيل) يعطي المادة الشمعية ومادة الساغو النشوية.

(١١) نخلة البلح: (وهي محل بحثنا)

عرفت هذه الشجرة منذ فجر التاريخ بجودة ثمارها قد يصل ارتفاعها إلى ٣٠م بدأت تنتشر زراعتها في العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما كالفورنيا: ثمرتها مغذية جدا وتعطي سعرات حرارية عالية وأبرز مناطقها الجزيرة العربية والعراق.

هذه أبرز أنواع النخيل وان كانت هناك مئات الأنواع كما ذكرنا سابقا.

النقير

في اللغة النقير: هي النكتة النقطة في ظهر النواة، نواة التمر، تبدو فيها كالثقب اليسير، وكان ذلك الموضع قد نقر فيها. ربها يضرب المثل للقلة، فيقال فلان لا يملك شروى نقير. كما في قوله تعالى:﴿ لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ وضرب الله بها مثلا على القلة، كما ضرب بالفتيل والقطمير، وهذه جميعها تتوضح في نواة التمر. فقال بالفتيل ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ وكذلك قال في القطمير: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾

وقال السمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا﴾ والنقير، والنقبة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وكذلك سائر النباتات، وهذا يضرب مثلا في القلة)[١].

قال ابن فارس: النون والكاف والراء: أصل صحيح يدل على فرع شيء حتى تهزم فيه هرمه ثم يتوسع فيه، ومنه منقار الطائر لأنه ينقر به الشيء حتى يؤثر فيه. والنقير: نكتة في ظهر النواة) [٢]، [٣] وردت في (سورة النساء: الآية ٥٣).

النوى

فالق الحب: شاقه عن النبات النوى: جمع النواة، وهي عجوة التمر، وتجري في كل مالب عجم، كالمشمش واللوز والخوخ والزبيب ونحو ذلك: والجمع نوي بضم النون ونوى ونويات وجمع الجمع أنواء. والأكثر شهرة هي: نواة التمر، قال السمين الحلبي: في قوله تعالى ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾: (النوى للثمرة بحجمها وهو الذي ينبت منه الشجر، الواحدة نواة فهو اسم جنس. والنواة أيضا: الحاجة، يقال: لي عنده نبت ونواة.

---

(١)عمده الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.

(٢)معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

(٣)موسوعة ألفاظ القران.

أي: حاجة، وذلك من توي يتوي إذا تجرد للشيء قاصداً له.في الحديث: (تزوجت على نواة من ذهب) [1] أي قدر نواة من ذهب، وهو خمسة دراهم، ونوت اليسرة وأنوت: اشتدت نواتها[2]، والنوى: البعد [3]، وردت في (سورة الأنعام: الآية ٩٥).

الهشيم

الهشيم: النبت اليابس المتكسر، والمتكسر من كل شيء هشيم والهشيم: الشجرة اليابسة يأخذها الحاطب كيف يشاء وردت في (سورة القمر: الآية ٣١، سورة الكهف: الآية ٤٥).

الوردة

الوردة: من الورد، وهو نبات سائك من الفصيلة الوردية وهو أنواع، وزهرة ذو أشكال، قال الأزهري: الورد – بفتح الواو –: من ألوان الدواب، لون يضرب إلى الصفرة الحسنة، والأنثى وردة[4] بهذا المعنى جاء لفظ (الوردة) في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾[5]، إذ شبه الله عز وجل تكون السماء يومئذ بتكون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة باختلاف ألوانها بالدهن قال الراغب: (قيل في صفة السماء إذا أحمرت احمرار، كالوردة إمارة القيامة) [6]،ويقال من ورد إذا كان لونه لون الورد. وردت في (سورة الرحمن: الآية ٣٧).

---

(١)القرآنية في غريب الحديث، لابن الأثير.

(٢)عمده الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي.

(٣)معجم ألفاظ النبات في القران.

(٤)تهذيب اللغة، للأزهري.

(٥) سورة الرحمن: الآية ٣٧.

(٦)المفردات في غريب القران للأصفهاني.

الورق

الورق: يفتح الراء من الشجر الأخضر الذي يخرج على الأغصان، الواحدة منه ورقة، جمع أوراق. والورق: ما يكتب فيه أو يطبع عليه أو يغلف به وهو صحائف رقيقة وصقولة تصنع من مختلف المواد النباتية وبخاصة الخشب، بعد تحويلها الى عجينة يمكن مدها وصقلها، والورقة: واحدة الورق وجزء من الكتاب. وفي الآية الكريمة ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[1] يخصفان: الخصف أصله تقوية الطبقة من النعل بطبقة أخرى تلتصق بها لتشتد، وتثبت بها إما بالمخصف (المخرز) أو باللزق والمراد بالآية الكريمة أنهما بدأ يخصفا أي يضعان على سواعتهما ورق التين ليسترا ما بيدي لهما من سوء ات، والتين من ثمر الجنة ورقه واسع يعد على الستر والتغطية وردت في (سورة الأعراف: الآية ٢٢، سورة الأنعام: الآية٩٠، سورة طه: الآية ١٢١).

(١) سورة طه: الآية ١٢١.

يقطين

اليقطين: نبات من فصيلة القرعيات وهو لا ساق له من النبات. كالقثاء والبطيخ والحنظل [١]، وعنـي اللفظ القرع وثمرته: يقطينه، واليقطينة: القرعه الرطبة، وقيل اليقطين كل ورقة اتسعت وانتشرت وذهب بسطها في الأرض.

وقيل: كل نبات ينبت ثم يموت من عامة فهو يقطين، وقيل اليقطين أسم أعجمي، ورد على هذا القول: بأنه عربي مشتق من قطن بالمكان إذا أقام فيه[٢].

اليقطين عند رجال التفسير: قال الزمخشري في كشافه: (اليقطين – الدباء– أي: الفرع، وقال: الذباب لا يأتي إليه) وقال أبو السعود في تفسيره: (إرشاد العقل السليم): (قيل اليقطين هو التين والموز فيغطي يونس عليه السلام بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره) قيل الرسول الله (ﷺ): انك تحب القرع فقال: أجل هي شجرة أخي يونس). وذكر القرطبي الحديث في رواية أخرى فقال: (روي عن النبي (ﷺ) أنه كان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول: إنها شجرة أخي يونس). وقال ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد – الطب النبوي: (وبالجملة فهو القرع– من ألطف الأغذية وأسرعها انفعالا ويذكر عن أنس أن رسول الله (ﷺ) كان يكثر من أكله) [٣]. وردت في(سورة الصافات: الآية ١٤٦).

وهو القرع المحلي، من فصيلة الكوسا يحتوي على بروتين ومواد نشوية، وحديد وكلس، وبذوره نافعة لطرد الدودة الوحيدة من الأمعاء، ذلك بسحق البذور ومزجها مع العسل [٤].

---

(١) الصمام في اللغة والعلوم،لنديم واسامة مرعشلي.

(٢)المصدر سابق، بنظر غريب القرآن، لابن قتيبة.

(٣)معجم ألفاظ النبات في القران.

(٤)قلعجي: عبد المعطي، محقق الطب النبوي التراث (٤٦٩).

وقد ثبت في الصحيحين. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن خياطة دعا رسول الله (ﷺ) لطعام صنعه. (قال أنس) فذهب مع رسول الله (ﷺ). فقرب إليه خبزا من شعير، ومرقا فيه دباء وقديد. (قال أنس) فرأيت رسول الله (ﷺ) يتتبع الدباء من موالي الصفحة فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم).

الينع

الينع في الثمار: نضجها، وينعت الثمرة تينع بكسر النون وفتحها ينوعة وينع: أدركت ونضجت وحان قطافها والوصف يانع ويجمع على ينع: كصاحب وصحب وراكب وركب، ومنهم من قال: الينع جمع يانع، قال السمين الحلبي: (الينع: جمع يانع، وهو المدرك البالغمن الثمر كأنه جعله مثل صاحب وصحب) (١).

وقال الفراء: (... فأما قوله: وينعه، فمثل نضجه، ويانعه مثل ناضجة وبالغة، وينعه بلوغة) (٢)، وأورد الفيروز آبادي حديث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (وابعث راعيتها في الدثر بيانع الثمر) (٣).

وجاء في مستند أحمد بن حنبل: (منا من أينعت له ثمرته فهو يهديها يعني يجتنيها) (٤). وردت في (سورة الأنعام: الآية ٩٩).

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

(١)عمده الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي.

(٢)معاني القران للفراء.

(٣)بصائر ذري التمييز في الطائف الكتاب العزيز للفيروز آباري.

(٤)ينظر موسوعة الألفاظ القرآنية.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

البقول البذرية

Pluses or seed Lequmes

الباقلاء

Broadbean or Horsebean

تعتبر الباقلاء من المحاصيل القديمة المعروفة لدى الإنسان حيث أنها كانت تزرع في عهد البابليين ولدى قدماء المصريين وكانت من أهم البقول في فلسطين ومعظم منطقة البحر الأبيض المتوسط ويعتقد أنها نشأت في شمال أفريقيا من النوع البري piiniana. أو في منطقة البحر الأبيض المتوسط من نوع من البقول يعرف باسم الكاكوز V. narbonensis الذي ينمو كمحصول علفي بري في المنطقة الشمالية من العراق خاصة في سهل حرير في محافظة أربيل.

وكانت الباقلاء تزرع في عصور ما قبل التاريخ في أوروبا ودخلت إلى الصين قبل الميلاد بنحو مائة عام ومنها إلى اليابان، ويعتبر دخولها إلى الهند حديثة بالنسبة للدول الأخرى المنتجة لها. وتمتد زراعتها في أعالي التبت حتى ٣٠٠٠م فوق سطح البحر. الأهمية الاقتصادية والتوزيع الجغرافي:

تستعمل حبوب الباقلاء غذاء للإنسان أو علف للحيوان كما تستعمل النباتات كعلف أخضر أو سماد أخضر. والدول الرئيسة في العالم المنتجة لها هي الصين،

---

(١) سورة البقرة: ٦١.

والبرازيل، وايطاليا، واسبانيا، ومصر. تبلغ المساحة العالمية ٤.٧ مليون هكتار والإنتاج العالمي ٥.٢ مليون طن حسب إحصاء مؤسسة الغذاء والزراعة الدولية عام ١٩٧٤م.

إن الصنف المزروع في العراق هو المحلي وقد ناقلم في مناطق متخصصة معروفة بزراعته فيها مثل محافظتي نينوى وبابل إلا أن المحصول يزرع بصورة عامة في كافة محافظات القطر الأخرى بالإضافة لمحافظتي نينوى وبابل، وهناك أصناف أخرى مثل ماموث Mamoth وبعض الأصناف البلغارية (١).

الحمص Chickpea

Cicer arientinum

توجد عدة احتمالات حول الموطن الأصلي للحمص فيحتمل أن تكون آسيا الصغرى والقوقاز أو الحبشة أو منطقة البحر الأبيض المتوسط ومنها انتشر إلى اسبانيا والمكسيك وكان يزرع في مصر منذ القدم قبل الميلاد حيث دخل إليها من ايطاليا واليونان ومن ثم انتشار من القوقاز إلى القسم الجنوبي من أوروبا، وايران والهند، وكذلك انتشرت زراعته إلى الأقسام الوسطى والجنوبية من أمريكا، والى استراليا. الأهمية الاقتصادية والتوزيع الجغرافي:

لا تستعمل بذور الحمص غذاء للإنسان، إضافة إلى كونه يحسن خواص التربة كمحصول بقولي أن الدول الرئيسية المنتجة لهذا المحصول، هي الهند والمكسيك وسوريا واسبانيا وتتركز زراعته في المنطقة الشمالية من العراق حيث تتنج ٩٧٪ من الإنتاج السنوي. يحتاج الحمص إلى جو بارد يميل قليلا إلى الاعتدال بشرط أن يكون جافا. والصنف السائد في الوقت الحاضر هو الصنف المحلي، وقد دخلت أصناف جديدة ما يسمى اليوم المراكشي، الشوكي، البقري.

إن انسب الترب لزراعة الحمص هي الطينية الرملية أو الطينية المزيجية، كما تجود زراعته أيضا في التربة المزيجية وهو حساس جدا للرطوبة الزائدة في التربة

(١) كتاب المحاصيل الحقلية.

ويحتاج إلى تهوية مستمرة في التربة لإمكانية تنشيط البكتريا وتكوين العقد الجذرية من بكتريا الرايزوبيوم)، يباشر بالحصاد فور أصفرار الثمار وجفاف النبات خوفا من انفلاق القرنات.

الهرطمان

Lathrus sativus -L Chickling vetch

يعتقد بأنه نشأ في جنوب القوقاز حتى شمال الهند وأنتقل منها إلى بقية أنحاء العالم.

تستعمل بذور الهرطمان كغذاء للإنسان، ونباتاته الخضراء علف للحيوانات، وتنجح زراعته في المنطقتين شبه الاستوائية والمعتدلة من العالم ولا توجد دراسات عن إمكانية زراعته ومدى نجاحها في مناطق العراق عدا المنطقة الوسطى.

قليل التأثر بالري الزائد ورطوبة التربة العالية ولذلك تنجح زراعته في أراضي الشلب ويزرع بعده في الدورة الزراعية بنجاح. وتحتوي بذرة الهرطمان في المعدل على المركبات التالية وهي:

١٠,١% رطوبة، ٣١,٩% البومينات، ٥٣,٩% نشأ وألياف، ٠,٩% زيت، ٣,٢%مواد معدنية.

الماش

Mung bean or Grean gram

لا تتوفر في الوقت الحاضر معلومات حول منشأ الماشي إلا أن المعتقد كان يزرع منذ القدم في الهند وربما نشأ فيها ويستعمل غذاء للإنسان وعلفا للحيوان.

يعتبر هذا المحصول خاص بالمنطقة الاستوائية وشبه الاستوائية ولذلك يحتاج إلى جو حار من ابتداء الإنبات حتى النضج وهو لا يتحمل الانخفاض في درجة الحرارة في أية فترة من فترات التزهير أو النضج تركيب بذرة الماش:

تتركب بذرة الماش من المواد التالية:

١٠,٤% رطوبة، ٢٤% بروتين، ٥٦,٧% كاربوهيدرات، ١,٣١%زيوت، ٤,١%ألياف ٣,٥% معادن و كالسيوم، ١٢٤ ملغم لكل ١٠٠ غم وفسفور، ٣٢٦ ملغم في ١٠٠ غموالحديد ٧,٣ ملغم في ١٠٠غم، بروفيتامين A١٥٨ وحدة في ١٠٠ غم(١).

العدس

Lentils -Lens esculenta

يعتبر العدس من المحاصيل القديمة جدا ولا يعرف منشؤه بالضبط ولكن على الأرجح بأنه نشأ في المنطقة الغربية المعتدلة من أسيا واليونان وايطاليا ومنها دخل مصر ثم انتشر إلى بقية أنحاء العالم.

العدس غذاء الشعوب منذ أقدم الزمان، ورد ذكره في القران الكريم "البقرة ٦١" غني بالأملاح المعدنية كالحديد والكالسيوم، والفوسفور ويحتوي على ٢٠٪ من وزنه بروتية ٣% من الأملاح المعدنية، وبه كمية من النشا، وفقير الدهن عموما. للعدس قدرة غذائية عالية للمزايا السابقة الذكر ولاحتوائه على الفيتامين (ب) المقوي للأعصاب، وهو أغنى من الأرز، وقشور العدس تكافح الإمساك ويوصف للأطفال ليعالج فقر الدم، الضعف والهذال(٢).

الأهمية الاقتصادية والتوزيع الجغرافي:

تستعمل بذوره غذاء للإنسان والنباتات الخضراء تستعمل علفا للحيوان ويستعمل كسماد أخضر يجهز التربة ٠,٧% نتروجين. إن الدول الرئيسة في إنتاج العدس في

(١)انظر كتاب محاصيل الحبوب والبقولية د. عبد الحميد احمد اليونس د. وفقي شاكر الشماع.

(٢)محقق الطب النبوي لأبن القيم نسخة التراث.

العالم هي الهند، ومصر، وسوريا وبعض دول شمال أفريقيا. والصنف السائد زراعته في العراق في الوقت الحاضر هو الصنف المحلي وتنتج المنطقة الشمالية من العراق حوالي ٨٥% من الحاصل.

يزرع العدس في المنطقتين المعتدلة وشبه الاستوائية وفي الأراضي الجبلية الاستوائية حتى ارتفاع ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وتكون زراعته ديمة بالدرجة الرئيسة في معظم أنحاء العالم.

يحتاج العدس إلى جو بارد معتدل، وهناك احتمال كبير في نجاح زراعته في المنطقة الوسطى من العراق إذا أمكن إيجاد أصناف مقاومة للحرارة خلال فترة النضج بالدرجة الرئيسة أو مبكره النضج. يزداد حاصل العدس تدريجيا بزيادة كمية الأمطار خلال السنة.

وتنجح زراعة العدس في التربة المزيجة بالدرجة الرئيسة والمزيجة الطينية بالدرجة الثانية وهو يحتاج إلى ترب ذات حموضة معتدلة.

يزرع العدس عادة في الفترة من منتصف تشرين الثاني حتى كانون الأول ولا تتوفر في العراق دراسات كافية عن الموعد الملائم لزراعته تحتوي بذره العدس في تركيبها على الآتي:

١٢,٤% ماء، ٢٥,١% بروتين، ٠,٧%دهن، ٥٩,٧% كاربوهيدرات، ٢,١ رماد، ١٣%كالسيوم، ٠,٤٥% فسفور، ٠,٠٠٢%حديد، ٤٥٠وحدة من بروفيتامين A لكل ١٠٠غم

الفصل الخامس

تفسير الايات القرانية التي ورد فيها مصطلحات النبات

يشمل هذا الفصل تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح النبات وقد أعتمدنا على تفسير ابن كثير وتفسير الرازي وتفسير محاسن التأويل القاسمي وتفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا وأوردنا تفاسير الآيات القرآنية حسب التسلسل القرآني المعروف للسور ولم نذهب للاسهاب والتطويل فاخذنا من القديم ابن كثير ومن الحديث القاسمي ومن العلمي المنار كما افردنا فصلا عن تفسير في ظلال القران لسيد قطب وقد وردت في ٥٦ سورة في القران الكريم. وتم احصائها في٢٨٦ اية كريمة

سورة البقرة

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [(١)].

أن أنزال الماء من السماء إلى الأرض والأخراج به من بطنها أشباه النسل المتبع من الحيوان. من ألوان الثمار – رزقا لبني آدم، ليكون لهم ذلك معتبرة ومتسلقا إلى النظر الموصل الى التواجد والاعتراف. ونعمة يعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر، ويتفكرون في خلق أنفسهم، وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات لا يقدر على إيجاد ش يء منها. فتيقنوا عند ذلك – أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها – حتى لا يجعلوا المخلوقات له انداد، وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

فمضمونه أنه الخالق الرزاق، مالك الدار وساكنيها، وأرزاقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا يشرك به غيره.

وإنما أقبح عليهم بما يثبت الوحدانية، ويحققها ويبطل الإشراك، ويهدمه. وعلم الطريق الى أثبات ذلك، وتصحيحه. وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله، وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه – عطف على ذلك ما هو حجة على أثبات نبوة محمد(ﷺ) وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأراهم كيف يتصرفون: أهو من عند الله – كما يدعى أم هو من عند نفسه – كما يدعون ؟ بإرشادهم إلى أن يحرروا أنفسهم، ويذوقوا طباعهم، وهم أبناء جنسه وأهل جلدته[٢].

شرح تبارك وتعالى في بيان وحدانية الوهيتة بأنه تعالى هو المنعم علي عبيدة بإخراجهم من العدم الى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشة أي مهدها للفراش مقرره موطأه مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف كمال قال في الآية الأخرى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٣] وأنزل من السماء ماء والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم إليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزق لهم، ولا نعامهم كما قرر هذا في غير موضع في القرآن [٤] وسأل أبي نؤاس عن ذلك فقال:

(١) سورة غافر: الآية ٦٤.

(٢) تفسير محاسن التاويل للقاسمي، ج١.

(٣) سورة الانبياء: الآية ٣٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢١،ص٥٧.

تأمــل فـــي نبـــات الأرض وأنظـــر | الـــى آثـــار مـــا صـــنع المليـــك
عيـــون مـــن لـــجين شاخصـــات | بإحـــداق عـــن الـــذهب السبـــيك
علـــى قضـــيب الزبـــرجد شـــاهدات | بـــأن الله لـــيس لـــه شـــريك

وقال أبن المعتز:

فيـــا عجبـــا كيـــف يعصـــى الإلـــه | أم كيـــف يجحـــده الجاحـــد
وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة | تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

يقول الإمام محمد عبده رحمه الله تعالى:

ثم بعد أن أمتن بنعمة الإيجاد، ونعمة الفراش والمهاد، ونعمه السماء، التي هي كالبناء، ذكر نعمة الإمداد الذي تحفظ به هذه الأجساد، وهي مادة الغذاء، التي بها النمو والبقاء، فقال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ الثمرات ما يحصل من النبات نجما كان أو شجرة، يصلح الزراع والغارس الأرض، ويبذر البذر، ويغرس الفسيل، ويعاهد ذلك بالسقي والعذق، فيكون له كسب في رزقه، ولكنه ليس له كسب في إنزال المطر الذي يسقي به، ولا في تغذية النبات بماء المطر أو النهر المجتمع من المطر، وبأجزاء الأرض وعناصرها الآخر، ولا في تولد خلاياه التي بها نموه، ولا في إثماره إذا أثمر، وإنما كل ذلك بيد الله القدير، فعلينا أن نتفكر في ذلك لنزداد تعظيما له وإجلالا فلا نعبد معه أحدة [(١)].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[(٢)] قال السدي من تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح وأبن عباس وأناس من الصحابة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، قال أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وهو متشابهة بعضه

---

(١) تفسير المنار،ج١،ص١٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥.

البعض فيأتي أحدهم بالصفحة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتي بأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف [١]. وجاء في تفسير القاسمي:

وقوله تعالى (لهم جنات) جمع جنة وهي البستان من النخيل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه... (كلما رزقوا منها) أي أطعموا من تلك الجنات ﴿ مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾ أي: مثل الذي رزقناه من قبل هذا الذي أحضر ألينا – فالإشارة إلى المرزوق في الجنة التشابه ثمارها، أي أتتهم الملائكة والولدان برزق الجنة، (متشابها) يشبه بعضه بعضا لونا ويختلف طعمة، وذلك أجلب للسرور وأزيد في التعجب، وأظهر للمزيه، وأبين للفضل [٢].

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣] بشرهم (أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ) ورد لفظ الجنة والجنات كثيرة في مقابلة النار (وقد أوردنا ذلك في بحثنا فالجنة دار الأبرار والمتقين، النار دار الفجار والفاسقين، فنؤمن بها بالغيب ولا نبحث في حقيقتها. ولا تزيد في النصوص القطعية فيهما شيا، لأن عالم الغيب لا يجري فيه القياس ومما وصف الله تعالى به الجنات قوله: (تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ) والمناسبة ظاهرة فإن البساتين حياتها الأنهار. ثم قال: ألم تر إلى ربك كيف ذكر من شأن أهل تلك الجنات فيها أنهم (كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا) كلمة (من) الأولى للابتداء والثانية للتبعيض، أي كلما رزقوا من الجنات رزق من بعض ثمارها

(١) تفسير ابن كثير، ج٢١،ص٦٣.
(٢)القاسمي، ج١،ص٨٤.
(٣)سورة البقرة: الآية ٢٥.

(قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) أي هذا الذي وعدنا به في الدنيا جزاء على الإيمان والعمل الصالح فهو كقوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ (١).

وذهب الجلال وغيره الى اختيار أن معناه: تشبيه ثمرات الآخرة بثمرات الدنيا، لأنها مثلها في اللون والشكل والرائحة، وإن كانت تفضلها في الطعم واللذة (٢).

وقال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٣).

لما خلق الله آدم عليه السلام وخلق له زوجة وأقرهما في الجنة، أباحهما الأكل منها بقوله (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا). أي أكلا واسعا و (الحيث) للمكان المبهم أي أي مكان في الجنة شئتما.. حتى لا يبقى لهما عذرا في التناول مما منعا منه بقوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) أي هذه الحاضرة من الشجرة أي لا تأكلا منها. وأنما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الأكل، ووجوب الاجتناب وعلى هذا قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (٤) ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ (٥) وكذا ذكر القرآن في سورة الأعراف ١٩.. ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا...﴾ لم يرد في القران المجيد، ولا في السنة الصحيحة تعيين هذه الشجرة، إذ لا حاجة إليه،

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧٤.

(٢)تفسير المنار،ج١،ص١٧١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٤) سورة الاسراء: الآية ٣٢.

(٥) سورة الانعام: الآية ١٥٢.

لأنه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة. وما لا يكون مقصودة لا يجب بيانه وقوله من الظالمين) أي من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى انتهى [١].

وأن قوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فهو أخبار من الله تعالى وامتحان لآدم وقد أختلف في الشجرة ما هي ! لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة كما ذكرنا..

إن الله تعالى أمر آدم وزوجه أن يسكنا الجنة والتمتع بها، ونهاهما عن الأكل من شجرة مخصوصة، وخيرهما أن قربها ظلم، وأن الشيطان أزلهما عنها فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم الى ضده ثم إن آدم تاب إلى الله من معصيته فقبله، ثم جعل سعادة هذا النوع بإتباع هدى الله وشقاءه بتركه، وقد تقدم أن الآيات كلها قد سبقت للاعتبار ببيان الفطرة الإلهية التي فطر عليها الملائكة والبشر، وتسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) عما يلاقي من الإنكار.

وتقدم وجه ذلك في الآيات السابقة، وأما وجهه في هذه الآيات فظاهر، وهو أن المعصية من شأن البشر، كأنه يقول: فلا تأس يا محمد على القوم الكافرين، ولا تبخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إفقد كان الضعف في طباعهم ينتهي إليهم من أول سلف لهم، تغلب عليهم الوساوس، وتذهب بصبرهم الدسائس، أنظر ما وقع لآدم وما كان منه، وسنة الله مع ذلك لا تتبدل، فقد عوقب آدم على خطيئة بإهباطه مما كان فيه، وإن كان قد قبل توبته، وتحفر هغوته. فالمعصية دائمة مجلبه الشقاء. وقد استقر أمر البشر على أن س عادتهم في أتباع الهداية الإلهية وشقاءهم في الأعراف عن سبها [٢].

قال الإمام أبو منصور الماتديوس في تفسيره المسمى بالتأويلات: نعتقد أن هذه الجنة بستان من البساتين، أو غيضة من الغياض كان آدم وزوجه منعمين فيها، وليس

---

(١)القاسمي، ج١،ص٨٤.

(٢)تفسير المنار،ج١،ص٢٠٢.

علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها، وهذا هو مذهب السلف، ولا دليل عن فاض في تعيين مكانها من أهل السنة وغيرهم.

وبهذا التفسير تحل إشكالات كثيرة وهي:

١- إن الله خلق آدم في الأرض ليكون هو ونسله خليفة فيها، فالخلافة مقصودة منهم بالذات فلا يصح أن تكون عقوبة عارضة.

٢- إنه لم يذكر أنه بعد خلقه في الأرض عرج به إلى السماء، ولو حصل لذكر، لأنه أمر عظيم.

٣- أن الجنة الموعود بها لا يدخلها إلا المؤمنون المتقون، فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون ؟.

٤-أنها ليست محلا للتكليف.

٥-إنه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها.

٦- أنه لا يقع فيها العصيان.

وبالجملة: إن الأوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها، لا تنطبق على ما كان في جنة آدم، ومنه كون عطائها غير مجذوذ ولا مقطوع وغير ذلك. وقوله تعالى: **(وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا)** إباحة للتمتع بتلك الجنة والتنعم بما فيها، أي كلامها أكلا رغدا واسعا هنيئا من أي مكان منها إلا شيئا واحدا نهاهما عنه بقوله: **(وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)** لا نفسكما بالوقوع فيما يترتب على الأكل منها، ولم يبعث الله تعالى تلك الشجرة فلا تقول خروجها من حال إلى حال، وربما كان الأكل منها ضرر، أو كان النهي ابتلاء امتحانا منه تعالى، ليظهر به ما في استعداد الإنسان من الميل إلى الإشراف على كل ش يء واختياره، وإن كان في ذلك معصمة يترتب عليها ضرر[١].

---

(١)تفسير المنار،ج١،ص٢٠٣.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (١).

واذكروا نعمتي عليكم في أنزالي عليكم المن والسلوى طعاما طيبة نافعة هنية سهلا واذكروا ضجركم مما رزقناكم وسوء لكم موسى استبدال ذلك بالا طعمة الدنيئة من البقول ونحوها مما سألتم، قال الحسن البصري فبطروا ذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قوما أهل أعداس وبصل وبقل وثوم. فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة (وقدا أوردنا شيئا عن كل واحدة منها). وأما العزم فقد أختلف السلف في معناه فوقع في قراءه أبن مسعود وثومها بالثاء. فالميم والتاء من الحروف المبدلة (٢)، (٣).

والمراد في الطعام الواحد الذي لا يبدل نوعه أي مالا يختلف ولا يبدل، أن طلبهم أستبدال الى الذي هو أدنى بالذي هو خير أي أرفع وأجل، وهو المن الذي فيه الحلاوة التي تألفها أغلب الطباع البشرية، والسلوى من أطيب لحوم الطير وفي مجموعهما غذاء تقوم به البنية. السكريات (الكابوهيدرات) ومعها البروتينات وليس فيما طلبوه لذة ولا تغذية (٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) المتوفي،ج١.

(٣)أبن كثير تفسير القرآن العظيم.

(٤) القاسمي، ص١٣٨.

ويرشد إلى ما فيه من الإعنات قولهم: لن نصبر على طعام واحد، فإن كانت لك منزله عند ربك كما تزعم، فادعه يخرج لنام ما يمكن معه أن نبقى معك، إلى أن يتم الوعد الذي وعدك ووعدتنا، وهم يعلمون أنهم كانوا في بريه غير منبتة، وربما لم يكن قولهم هذا أسامة ولا أجم من وحدة الطعام، ولكنه نزق وبطر وطلب للخلاص مما يخشون عن أنفسهم ويؤيد ذلك ما هو معروف في أخبارهم، ووصفوا الطعام بالواحد مع أنه نوعان: المن والسلوى. لأنها طعام كل يوم، والعرب تقول من يأكل كل يوم عدة ألوان لا تغيير: أنه يأكل من طعام واحد.

والبقل من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل كما ذكره أبن سيدة، وقال أبو حنيفة: ما ينبت في بذره ولا ينبت في أرومه ثابتة وفرق بين البقل ودق الشجر: إن البقل إذا رعي لم يبق، له ساق، والشجر تبقى له سوق وإن دقت، وأرادوا من البقل ما يطعمه الإنسان من الأطايب الخضر كالكرفس والنعناع ونحوها مما يغري بالقضم، ويبعث على الهضم، والقثاء هي أخت الخيار تسميها العامة (القتة). والعدس والبصل معروفان. والفوم هو الحنطة، وقال الكسائي وجماعه: هو الثوم أبدلت التاء فاء كما في حدث وحدت. وطلبهم للحنطة هو طلبهم للخبز الذي يصنع منها [(١)].

قال تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [(٢)].

أي لم تذلل لإثارة الأرض وسقي الحرث وهما إشارتان عن النبات وتهيئة الأرض الزراعة والسقي هو للنبات فلأرض تسقى للإنبات والزراعة وهو الحرث،(لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ) أي غير مذللة للعمل في الحراثة ولا في السقي (مسلمة) أي مسلمة من الصوب أو من سائر الأعمال [(٣)].

---

(١)تفسير المنار،ج١،ص٢٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧١.

(٣)تفسير المنار،ج١،ص٢٥٣.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴾ [1] وقوله تعالى أخبار عن الخليل أنه قال (رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا) أي من الخوف لا يرعب أهله وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرة، ويأتي دعاء إبراهيم أن يرزق الله الذين آمنوا منهم بالله وباليوم الآخر وجاء الرزق بالثمرات وقد أوردنا ما للثمرات من معان في ثمار النبات أو ثمار كل شيء وناتجة وإنما سأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك من الله، لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له، فصار يجبى إليها ثمرات كل شيء، (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا) هذه الآية معطوفة على ما قبلها، مسوقة لبيان منه أو منن أخرى على أهل الحرم، وهي ما تضمنه دعاء إبراهيم من جعل البلد آمنا في نفسه وهو غير ما سبقت به المئة من جعل البيت آمنا (وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) سخر (الله) الرزق من الثمرات: بنقل جبريل الطائف من حوران في بلاد الشام أو من فلسطين الى مكانه الآن في أرض الحجاز، مع أن الكلام في البيت وبلده مكة لا في الطائف.

ورزق هذا البلد الأمين من الثمرات ظاهر معروف بالشاهدة والاختيار المصدقين لما جاء به الكتاب في سورة القصص بقوله ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[2] فالثمرات تجبي وتجمع من حيث تكون وتساق إلى مكة، ولا فرق في ذلك بين كونها من الطائف أو من الشام أو مصر أو الروم مثلا، وكونها تجمع من أقطار متفرقة أظهر في صدق الآية وأدل على التسخير. وحديث نقل الطائف لا يصح، ولكنهم الصقوه بكتاب الله وجعلوه تفسيرا له هو برئ منه وغير محتاج في صدقة إليه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٧.

وقد خص إبراهيم بدعائه المؤمنين، كما هو اللائق به ولكن الله واسع الرحمة وقد جعل رزق الدنيا عامة للمؤمن والكافر.

قال تعالى:﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1] ولكن تميع الكافر محدود بهذا العمر القصير، ومصيره في الآخرة الى شر مصير، وذلك جواب الله تعالى لإبراهيم قال: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي وأرزق من كفر أيضا فأمتعه بهذا الرزق قليلا، وهو مدة وجوده في الدنيا ثم، أسوقه إلى عذاب النار سوق اضطراريا لا يقصده هو ولا يعلم أن كفره ينتهي به إليه[2].

قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [3].

جاء في تفسير القاسمي (وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ) فالنقص بالأموال الانقطاع عن عماره بساتينهم، أو لاختفاء بعضها بسبب الهجرة، وترك شيء منه في البلد المهاجر منها، ((**والأنفس**)) بقتلها شهيدة في سبيل الله، أو ذهاب أطرافها فيه ((**الثمرات**)) أي بأن لا تغل الحدائق كعادتها، للغيبة عنها في سبيل الله، وفقد من يتعاهدها وقضت بالذكر لأنها أعظم أموال الأنصار الذين هم أخص الناس بهذا الذكر، لاسيما وقت نزول هذه الآية وهو أول زمان الهجرة [4].

وقال ابن كثير في تفسيره (نقص الأموال) أي ذهاب بعضها، (والأنفس) كموت الأصحاب والأقارب والأحباب (والثمرات) أي لا تغل الحدائق والمزارع كعادتها،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) تفسير المنار،ج١،ص٣٣٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٤) القاسمي،ج١،ص١٩٧.

قال بعض السلف: فكانت النخيل لا تتمر غير واحدة، وكل هذا وأمثاله مما غير الله به عباده، فمن صبر أثابه ومن قنط أحل به عقابه [١]...

قولــه تعــالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٢]، أي ولنمتحنكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وغيره من المصائب البشرية المعتادة في المعايش، وأكد هذا بصيغة القسم لتوطين الأنفس عليه، فعلمهم به أن مجرد الانتساب إلى الإيمان، لا يقتضي سعة الرزق وقوه لسلطان، وانتفاء المخاوف أو الأحزان، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق، كما أن من سنن الخلق وقوع المصائب بأسبابها، وإنما المؤمن الموفق من يستفيد من مجاري الأقدار إذ يتربي ويتأدب بمقاومة الشدائد والأخطار، ومن لم تعلمه الحوادث، وتهذبه الكوارث، فهو جاهل بهديهذا البلاء المبين (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ).

وأما الجوع فقد قالوا إنه ما يكون من الجدب والقحط. قال الأستاذ الأمام (محمد عبده) وليس هذا هو المراد في الآية المسوقة البيان ما يلاقى المؤمنين في سبيل الإيمان، ولا وقع للصحابة في ذلك العهد وإنما هو أحدهم يؤمن فيفصل من أهله وعشيرته ويخرج في الغالب صفر اليدين، ولذلك كان الفقر عاقا عند المسلمين من أول عهدهم إلى ما بعد فتح مكه ومن هذا التفسير يفهم المراد من نقص الأموال وهي الأنعام التي كانت معظم ما يتموله العرب، وأما الثمرات فهي على أصلها وكان معظمهما ثمرات النخيل، وقيل هي الولد تمر القلب كما يقولون في المجاز المشهور. وقد بلغ من جوع المسلمين أن كانوا يتبلغون بتمرات بسيرة ولاسيما في غزوتي الأحزاب

---

(١) ابن كثير، ج١،ص١٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

وتبوك. أما نقص الأنفس فهو ما كان من القتل والموتان من احتواء المدينة، فقد كانت عند هجرتهم إليها بلد وباء وحمى ثم حسن منافعها[1].

قال تعالى:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [2].

جاء في تفسير هذه الاية عند أبن كثير: أي أعوج المقال سيء الفعال، فذلك قوله وهذا فعله، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، والسعي ههنا هو القصد[3].

فهذا المنافق ليس له همه إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما.، وقال مجاهد أذا سعي في الأرض أفسادة منع الله القطر فهلك الحرث والنسل (وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ) أي لا يحب من هذه صنعه إلا من يصدر منه ذلك [4]. (سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا) بإدخال الشبه في قلوب المسلمين وباستخراج الحيل في تقوية الكفر، وهذا المعنى يسمى فسادا كقوله تعالى حكاية عن قدم فرعون:﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5] أي يردوا قومك عن دينهم ليفسدوا عليهم شرعتهم وسمي هذا فساد؛ لأنه يوقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم، ويؤدي لأن يتبرأ بعضهم من بعض فتنقطع الأرحام، وتتسفك الدماء، وهذا كثير في القرآن المجيد. (ويهلك الحرث) أي الزرع (والنسل): أي المواشي الناتجة.

---

(١) تفسير المنار،ج١، ص١١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١،ص٢٤٧.

(٤) محاسن التاويل للقاسمي،ج٣،ص٥٠٨.

(٥) سورة الاعراف: الآية ١٢٧.

أن هلاك الحرث والنسل كتابه عن الإيذاء الشديد، وأن التعبير به ع ن ذلك صار من قبيل المثل، فالمعنى: يؤدي مسترسلا في أفساده ولو أدى أهلاك الحرث والنسل (وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ) أي لا يرضى عنه [1].

(وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ) بما يكون من آثر فساده في اعتدائه على الأموال والأعراض، وهو ذهاب بالثمرات، الحرث وهو الزرع، والنسل وهو تناسل من الحيوان وكأنه إشارة الى مكاسب أهل الحضارة وأهل البادية، وفي هذا عبره كبرى للذين يقطعونا الزرع ويقتلون إلبهائم بالسم وغيره انتقاما ممن يكرهونهم.: وذكر الأزهري أن المراد بالحرث هاهنا النساء كما في قوله:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [2] وبالنسل الأولاد، وهل المراد نساء الناس وأولادهم، أم نساء المفسدين وأولادهم خاصة ؟ لعل الأمر أعم فإن المفسدين الذين يطمحون بإبصارهم الى نساء الناس، أو يسعون في إفساد نظام البيوت بما يلقون من الفتن ويعلمون من التفريق، لا تكاد تسلم بيوتهم من الخراب ظاهرة أو باطنة أو ظنا فيه. فالمفسد الشرير يؤذي نفسه وأهله بضروب من الإيذاء قد عماه الغرور عنها أو عن كونها من نسله. وقال الأستاذ الأمام (محمد عبده): إن هلاك الحرث والنسل عبارة عن الإيذاء الشديد، وقد صار التعبير به عن ذلك من قبيل المثل، فالمعنى أنه يؤدي مسترسلا في إفساده ولو أدى الى هلاك الحرث والنسل، وكذلك المفسدون يؤذون إرضاء لشهواتهم [3].

قال تعالى:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4]

---

(١)محاسن التاويل للقاسمي،ج٣،ص٥٠٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٣)محاسن التاويل للقاسمي،ج٣،ص٥٠٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

وهنا ما جاء في الآية نساؤكم حرث لكم ليس مقصدنا في البحث ولكن التشبيه للحرث وماذا ارد في قوله تعالى قال ابن عباس الحرث هنا موضع الولد أي كيف شئتم مقبله ومدبرة في صمام واحد كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ونكتفي بهذا القدر منه.

في الآية الكريمة بين تعالى حكمه الغشيان التي شرع الزواج لأجلها وكان من مقتضى الفطره وهي الاستنساخ والاستيلاد، لأن الحرث هو الأرض التي تستنبت، والاستيلاد كالاستنبات، وهذا التعبير ما الطفة ونزاهته وبلاغته وحسن استعارته، تصريح بما فهم من قوله عز وجل: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ أو بيان له، فهو يقول إنه لم يأمر بإتيان النساء الأمر التكويني بما أودع في فطره كل من الزوجين من الميل إلى الأخر، وأقر والأمر التشريعي بما يجعل الزواج من أمر الدين وأسباب المثوبة والقربة إلا لأجل حفظ النوع البشري بلاستيلاد، كما يحفظ النبات بالحرث والزرع، فلا تجعلوا استلذاذ المباشرة مقصودة لذاته، فتأتوا النساء في المحيض حيث لا استعداد لقبول زراعة الولد وعلى ما في ذلك من الأذى. وهذا يتضمن النهي عن إتيانهن في غير المأتي الذي يتحقق به معنى الحرث وقوله (**أنى شئتم**) معناه كيف شئتم، فكأنه يقول: لا حرج عليكم في إتيان النساء بأي كيفية شئتم ما دمتم تقصدون بها الحرث في موضعه الطبيعي [1].

قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2]

تكلمنا عن هذه الآية في مضرب الأمثال وهذا المثل ضربه الله تعالى ليضاعف الثواب لمن أنفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته وأن الحسنة تضاعف بعشرة أمثالها الى

---

(١)تفسير المنار،ج١، ص١١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

س بعمائة ضعف وهنا في سبيل الله أي في طاعة الله وقال مكحول يعفي به الاتفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك وقال ابن عباس الجهاد هو الحج يضعف الدرهم فيها الى سبعمائة ضعف، لهذا قال الله تعالى:﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فأن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذرة في الأرض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة الى سبعمائة ضعف والأحاديث كثيرة ومنها: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمر والشيباني عن أبن مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله (ﷺ) **(التأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة)** رواه مسلم والنسائي.

قال تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) هي ما يوصل الى مرضاته من المصالح العامة لاسيما ما كان نفعه أعم وآثره أبقى، (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ) أي كمثل إبذار بذر في أخصب أرض نما أحسن نمو جاعت غلته مضاعفة س بع مائة ضعف وذلك منتهى الخصب والنماء. أي أن هذا المنفق يلقي جزاءه في الدنيا مضاعفا أضعاف كثيرة. كما قال في آية سابقة، فالتمثيل للتكثير لا للحصد ولذلك قال (وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ) فيزيده على ذلك زيادة لا تقدر ولا تحصر. فذلك العدد لا مفهوم له وقيل يضاعف تلك المضاعفة التي ضرب لها المثل (وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) لا يحضر فضله ولا بحد عطاءه. وقال الأستاذ الأمام رحمه الله: أن المراد بالانفاق هنا الأنفاق في خدمة الدين، وقال: إن كلمة في سبيل الله تشتمل جميع المصالح العامة وهو ما جرينا عليه أنفا [١].

---

(١)تفسير المنار،ج١، ص٧٤٧.

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [1].

وهي من الآيات التي وروت في المثل القرآني جاء في محاسن التأويل عن الشعبي: تثبيتا تصديقا وتعينة (كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ) أي بستان (بـربوة) أي موضع مرتفع (أَصَابَهَا وَابِلٌ) مطر كثرو (فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا)، أي أخرجت ثمرها (ضعيف) أي بالنسبة الى غيرها من الجنات (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) وهو المطر الضعيف أو أخف المطر أو أضعفه أو الندى. وجاء في أبن كثير: هذا مثل المؤمنين المنفقين أموالكم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك... وقوله (كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ) أي كمثل بستان بربوه وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض (فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ) أي ثمرتها بالنسبة إلى غيرها من الجنات، فأصابها المطر الكثير أو المطر اللين وهو الرذاذ، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدا بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل، عامل بحسبه ولهذا قال (وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي لا يخفى عليه من أعمال المبادرة شيء.

قال (كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ) أي بستان بمكان مرتفع من الأرض. قالوا وما كان كذلك من الجنات كان عمل الشمس والهواء فيه أكمل فيكون أحسن منظرة وأزكى ثمرة أما الأماكن المنخفضة التي لا تصيبها الشمس في الغالب إلا قليلا فلا تكون كذلك.

أقول: (والقول لـمحمد رشيد رضا) وقد عرف بالاختبار أن الأرض الجيدة في المواقع المعتدلة يكفيها القليل من الري ورطوبة تربتها وجوده هوائها فإن الشجر يتغذى من الهواء كما يتغذى من الأرض والمعنى: أن هذه الجنة أكلها دائم وظلها، كثير ما

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

يصيبها من المطر أو طل فإن لم يكن ثمرها مضاعفا لم يكن معدوما فإذن لا يكون طالبه قط محروما.

ووجه الشبه عندي (والكلام لـمحمد رشيد رضا) أن المنفق ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفسه هو في إخلاصه وسخاء نفسه وإخلاص قلبه كالجنة الجيدة التربة الملتفة الشجر العظيمة الخصب في كثره بره وحسنه. فهو يجود بقدر سعته فإن أصابه خير كثير أغدق ووسع في الإنفاق وإن أصابه خير قليل أنفق منه بقدره.

فخيره دائم وبره لا ينقطع، لأن الباعث عليه ذاتي لا عرضي كأهل الرياء وأصحاب المن والإيذاء. هذا ما سبق إلى فهمي عند الكتابة.

فالوابل والطل على هذا عبارة عن سعة الرزق وما دون السعة. وقال الأمام رحمه الله تعالى: النية الصالحة في الأنفاق كالوابل اللجنة فيها تكون النفقة نافعة للناس، لأن أصحابها يتحرون فيضعون نفقتهم موضع الحاجة لا يبذرون بغير رؤية، ثم قال عند ذكر الطل: أي أن أمثال هؤلاء المخلصين لا يخيب قاصدهم لأن رحمة قلوبهم لا يفود معينها فإن لم تصبه بوابل من من من عطائها لم يفته طله فهم كالجنة التي لا يخشى عليها اليبس والزوال، وقد ختم قوله بالآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ليذكرنا بأنه لا يخفى عليه المخلص من المرائي تحذيرا لنا من الرياء الذي يتوهم صاحبه أنه يغش الناس بإظهاره خلاف ما يضمر. فأكده بقول الله لا يخفى عليه ما تنطوي عليه سريرتك أيها المنفق فعليك أن تخلص له [(١)].

قال تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ

(١)تفسير المنار ج٣ ص ٧٠٢.

ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

هنا الآية من الأمثال وألتشبيهات القرآنية العظيمة فيها تصوير فني كبير ورائع. فبين الله تعالى أن الرجل يعمل بأحسن العمل أولا ثم بعد ذلك أنعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذ بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج الى شيء من الأول في أضيق الأموال فلم يحصل منه شيء وفاته أحوج ما كان إليه قال تعالى: (وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ) وهو الريح الشديد وفيه نار فاحترقت أي أحرق الله ثمارها و آباء أشجارها فأي حال يكون حاله ؟(٢).

المفردات: ود الشيء أحبه مع تمنيه، والأعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم الطري واحدته عنبة والنخيل جمع نخل أو اسم جمع وهو شجر الثمر يذكر ويؤنث وواحدته نخلة والقرآن يذكر الكرم بثمره والنخل بشجره لا بثمره وقالوا في تعليل ذلك إن كل ش يء في النخيل نافع للناس في ارتفاقهم: ورقه وجذوعه وأليافه وعثاكيله فمنه يتخذون القفف والزنابيل والحبال والعروش والسقوف وغير ذلك وقد أختلف في تفسير (لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ) مع كون الجنة من نخيل وأعناب فقال بعضهم إن المراد بالثمرات هذا المنافع أي هو متمتع بجميع فوائدها: وقيل المعنى: له فيها وزن من كل الثمرات. والمثل ينطبق أيضا على من أبطل صدقته بالمن والأذى وأنه ليس خاصا بالآخرة (٣).

---

(١)أبن كثير: ج ١: ص٣١٩.

(٢)تفسير المنار ج٣ ص ٧٠٢.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٢٩.

آيات القدرة في سورة البقرة:

تدل سورة البقرة من خلال الآيات التي ورد فيها ذكر النبات على أمور عدة وهي:

١- إن الله قادر على كل شيء فهو منزل الماء من السحاب الى الأرض فأنبت به زرعا مختلفا ألوانه. وهذه دلالة واضحة على قدرة الله في الخلق وانه الواحد المتفرد به وهي الدلالة على وحدانية إلوهيته جل ثناؤه.

٢- إن رزق العباد والخلق أجمعين إنما يأتي بتقدير من الله سبحانه، وأن العاقبة للمتقين في جنات الخلد يرزقهم فيها ما يشاء رزقا غير منقطع ولا ممنوع.

٣- ورد في السورة من القصص ما فيها تحد كبير ومنها قصة آدم عليه السلام وبين الله كيف خلق آدم وحواء وأسكنها الجنة وأحل لهم من كل ما يشتهون رغدا مباركا، ثم أكد على موضوع الابتلاء الذي لا ينفعك الى قيام الساعة وهو ما كان مع آدم عليه السلام في الشجرة **(ولا تقربا هذه الشجرة)** وهو أمر المراد به المبالغة في التحريم

٤- وأنه لا يحسن الصبر بل هو ضجور، ويبطر على نعمة الله تعالى وهذا يمكن أن يكون سببا لشقائه في الدنيا قبل الآخرة.

٥- وبين الله سبحانه وتعالى قصة البقرة التي سميت السورة بها وكيف أبتعد القوم عن الطاعة حتى بعد أن عرفوا، وهذا أمر الكافر والمنافق يعرف ثم يكفر.

٦- وفي هذه السورة المباركة بين الله سبحانه وتعالى قصة نبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكيف كان يجول البقاع للدعوة الى الله تعالى وكيف جعل مكة حرما آمنا يأتيها رزقها من كل مكان بفضل دعاء هذا النبي وقصة إسماعيل وماء زمزم والسيدة هاجر فيها عضات للطاعة والصبر والتوكل على الله فعلموا أن الله لا يضيعهم، ومن توكل على الله فهو حسبه وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

٧- يدعوا الله المؤمن به على الصبر والجلد لأنه مبليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وهذا شأن المجاهد الداعية الى الله سبحانه وتعالى يعرف يقينا أنه نذر نفسه الله وأن النجاه في الصبر وهو يقول (وبشر الصابرين).

٨- وقد أعطى الله سبحانه وتعالى في هذه السورة صورة من صور المنافق الذي إذا تولى في الأرض سعى ليفسدها ويهلك كل شيء فيها فالمنافق سيء الفعال أعوج المقال. أما المؤمن فأمره كله خير فهو نور وقلبه نور وهو خليفة الله في أرضه يعمرها ويستثمر ما فيها ارضاءا لله سبحانه.

٩- درس من دروس هذه السورة والتي هي أطول سور القرآن في كيفية التعامل مع الزوجات بأنهن شقائق الرجال وبطريقة أدمية تسموا بالخلق والأدب الرفيع.

١٠- درس في الصدقة والأنفاق في سبيل الله عز وجل، والتشجيع عليه دون الأشراف وأن يوضع المال في أوجه شرعها الله تعالى للناس وهو مالك الملك، وجعل الأنفاق من الأعمال الصالحة الكريمة التي يجازي الله سبحانه عليها أوفر الجزاء ويبشرها صاحبها.

١١- أمر الله سبحانه وتعالى بصلة الأرحام، وعدم سفك الدماء، ومنها حفضها الدين، والنفس والمال والعرض، وإلا ما يسلك بغير هذا الوجه كان وجه المنافقين والكفار الذين يسعون في الأرض الفساد كما روى لنا القرآن عن فرعون. الذي أضل الناس عن دينهم وبغي فيها الفساد.

١٢- كثيرة هي الآيات القرآنية التي ضربت المثل ولكل واحد منها دروس وعبر وقد بين الله سبحانه في هذه السورة الجنة بربوه وهذا مثل المؤمن الثابت الصادق الأمين الذي ينفق ماله ابتغاء وجه الله ومرضاته وأن الله هو مولاه يتقبله ويكثر ماله وينميه بالبركة.

١٣- وتعدد الأمثال القرآنية في سورة البقرة وكيف الرجل يعمل أحسن العمل ثم ينكثه بالسيئات والعياذ بالله فيحترق كل ما قام به كالجنة أصابها إعصار فاحترقت، وهنا درس بليغ على أن الأعمال تحتاج الدوام والاستمرار بالخير والعمل الصالح دون

انقطاع والحفاظ على ذلك إلى أن يلقي الإنسان ربه فيوفي أحسن الجزاء وإلا ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾.

ومن الأحاديث: عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي (ﷺ) سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا بابا في السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم نزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم وقال أبشر بنورين أوتينها لم يؤتها نبي قبلك. فاتحة الكتاب وفواتيح سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته [١].

من مزايا سورة البقرة:

أن رسول الله (ﷺ) قال فيها:

١- **(لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وأن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان)** رواه الترمذي. **(من قرأ الآيتين من أخر سورة البقرة في ليلة كفاه)** رواه البخاري ومسلم والترمذي.

٢- **(يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة، وآل عمران..تأتيان كأنهما غيابتان وبينهما شرف، أو كأنهما غمامتان سوداوات، أو كأنها ظله من طير صواف تجادلان عن صاحبهما)** رواه مسلم والترمذي

٣- **(أقرا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة)** رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي.

يدور المحور الرئيس السورة البقرة حول قضية النشر الإسلامي في العبادات والأخلاق، والمعاملات، وإن لم تغفل قضية العقيدة الإسلامية لأنها صلب الدين، وحددت السورة الكريمة صفات كل من المؤمنين والمنافقين والكفار، وسجلت قصة خلق الإنسان.

---

(١) رواه مسلم.

كما أشارت إلى عدد من أنبياء الله ورسوله إبراهيم وإسماعيل ومن بعده يعقوب، ومن نسله موسى، وداود وسليمان وعيسى ابن مريم وعلى نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم تسليم. كما فصلت السورة قضية أهل الكتاب وموقفهم من الرسالة الخاتمة، ومن النبي محمد (ﷺ) وكانت خاتمتها بإقرار حقيقة الإيمان بالدعاء بما يقر القلوب ويغذي الروح ويهز الوجدات ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، كما جاءت الدعوة الى الجهاد في سبيل الله، ردعا للمعتدين والغاصبين والمتجبرين في الأرض، للدفاع عن أراضي المسلمين والحفاظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

لم يغب عن السورة للوالدين والإحسان إليهما، والى كل من ذي القربى واليتامى والمساكين وصلة الرحم والناس أجمعين.

سورة البقرة أعطت دعائم العقيدة الإسلامية:

١- الإيمان بالله تعالى ربا واحدا أحدا والإيمان بملائكته وكتبه ورسله.
٢- والاعتقاد بأن القرآن منزل من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام الى نبينا محمد(ﷺ) وهو آخر الرسل وخاتم الأنبياء، وأن بقاؤه محفوظ الى يوم القيامة.
٣- العلم اليقين والتسليم المطلق بالغيب وحكم الكتاب ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) انطلاق من إيمان واضح بالذي له ملك السموات والأرض فالق الحب والنوى وفالق الإصباح.
٤- السورة دعمت الإيمان الواضح واليقين بأن الله هو خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

٥- الإيمان المطلق أن كل خلق الله يخرج من مشكاة واحدة تدل على أن الله هو الخالق.

٦- الإيمان بأن الشيطان عدو مبين للإنسان، وأنه بغروره وكبرياءه وغلوه يأمر بالفحشاء والمنكر حسدا منه لما أعد الله من الجنة ونعيمها للمتقين وعباده المخلصين.

٧- الإيمان باليوم الآخر وأن الساعة حق وأن الموت حق وأن الجنة حق وأن النار حق.

القصص في سورة البقرة:

١- قصة آدم عليه السلام وحواء (عليهما السلام).

٢- قصة موسى عليه السلام وما لاقاه من فرعون مصر وقصة عصا موسى والأعجاز الرباني الذي جعله لنبيه موسى.

٣- قصص بعض أنبياء بني إسرائيل داود وسليمان عليهما السلام.

٤- قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليهما السلام، وقصة بناء الكعبة وحواره مع النمرود.

٥- قصة نبي الله يعقوب عليه السلام مع بنيه إذ حضره الموت.

٦ - قصة الرجل الصالح عزير ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[1]. ٧- قصة نبي الله عيسى ابن مريم.

٨- حادثة تعديل القبلة وإنكار اليهود والمشركين والكافرين ذلك على المسلمين أمر التحويل.

أشارات في سورة البقرة

١- معجزة فلق البحر نبي الله موسى عليه السلام وقصة مطاردة فرعون له ولا تباعه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٢- الإشارة إلى إمكانية خطف البصر بواسطة البرق.

٣- معجزة إحياء الأرض بعد موتها وذلك بإنزال المطر عليها.

٤- الإشارة إلى أمراض النفوس والقلوب وما يعرف اليوم بالأمراض النفسية (القلق، الوسوسة، الشك، الاكتئاب).

٥- أن الله هو المصرف الرياح والسحاب المسخرين بين السماء والأرض.

٦- مضار الخمر والميسر وما لها من آثار اجتماعية وصحية سيئه أثبتتها الدراسات والواقع.

٧- أن النبات المعرض للشمس والهواء الجيد في المرتفعات (الروابي) تزدهر ويكثر عطائها[(١)].

هنا قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [(٢)]

يخبر الله تعالى عما زين للناس في هذه الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح انه(ﷺ) قال:**(ما تركت بعدي فتنة أضر من النساء)** وبعد فتنة **(وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ)** يعد هذا كله بذكر الله تعالى **(الحرث)** يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة وهو ما يتعلق من بحثنا في النبات.

وقال الإمام أحمد: الحديث عن سويرة بن هبيرة عن النبي (ﷺ) قال **(خير مال أمر له مهرة مأمورة أو سكة مأيورة)** المأموره الكثيرة النسل، والسكة النخل المصطف والمأبوره الملقحة. تم قال تعالى: **(ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ)** أي إنما هذه زهرة

---

(١)أنظر كتاب الحيوان في القرآن الكريم د. زغلول راغب، ص١٧٢..

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤.

الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة **(وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)** أي حسن المرجع والثواب [1]. وكذلك ما جاء في القاسمي **(والحرث)** أي الأرض المتخذة للفراس والزراعة **(ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)** يتمتع به فيها ثم يغني **(وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)** أي الجنة.

لقد بين الله سبحانه وتعالى المشتهيات التي يحبها الناس وفقدها حزن لهم ولها مكانه من نفوسهم وهي:

(١- النساء ٢- حب البنين ٣- القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ٤- الخيل المسومة ٥-الأنعام ٦- الحرث (الزروع)).

الحرث: أي الزروع والنبات نجمه وشجرة على اختلاف أنواعه وهو قوام حيات الإنسان والحيوان والبدو والحضر، وإنما جعله آخر الأنواع في الذكر على أنه أولها في شدة الحاجة إليه لأنه لما كان الارتقاء به أعم كانت زينته في القلوب أقل، فهو قلما يكون مانعة للإنسان عن البحث عن الحق ونصره أو صاد عن الاستعداد للآخرة وأنا من النعم ما هو أعظم من نعمة الحرث وأعمم وأشمل، وهو الهواء الذي لا يستغني عنه الأحياء لحظة واحدة، سواء منها النبات والحيوان وهو لذلك لا غنى من التمتع به وقلما يفكر الإنسان بفقده به أو حاجته إليه ثم قال تعالى: **(ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)** أي ذلك الذي ذكر من الأنواع الستة هو ما يستمتع به الناس في حياتهم الدنيا أي الأولى والله عنده حسن المرجع في الحياة الآخرة التي تكون بعد موت الناس وبعثهم فلا ينبغي لهم أن يجعلوا كل همهم في هذا المتاع القريب العاجل، بحيث يشغلهم عن الاستعداد لما هو خير منه في الآجل، كما س يأتي التصريح به في الآية التالية لهذه الآية [2].

---

(١) ابن كثير، ج١،ص٣٥٢.

(٢) تفسير المنار،ج٣،ص٨٧٦.

قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

قال المهايمي: بقبول حسن يجعلها فوق كثير من الأولياء ((وأنبتها نباتا حسنا)) يجعل ذريتها من كبار الأنبياء (٢).

قال الزمخشري: نباتها مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها، أي كالصلاح والسداد والعفة والطاعة.

ومن اللطائف ما نقله الأمام الشعراني في (اليواقيت) عن العارف أبي الحسن الشاذلي انه قال: وان مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقويه الإيمانها وتكمي" ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، فلما قوي إيمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم وفونها معه، فقيل لها: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبة جنية (٣).

قال المجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وعن مجاهد (وجد عندها رزقا) أي علما إو قال: صحفا فيها علم رواه ابن أبي حاتم والأول أصح وفيه دلاله على كرامات الأولياء.. وقد ورد في السنة النبوية الكثير من هذا (٤)..

قال: (**وجد عندها رزقا**) قالوا كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء والفاكهة الشتاء في الصيف. والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله (ﷺ) ولا هو مما يعرف بالرأي ولم يثبته تاريخ يعتد به والروايات عن مفسري السلف معارضه. والبحث عن ذلك

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢)محاسن التأويل ص ٨٣٩ ج٦.

(٣)القاسمي ص ٨٣٧.

(٤)أبن كثير ج ١، ص ٣٩٠.

الرزق ما هو، ومن أين جاء ؟ فضول لا يحتاج إليه الفهم المعني ولا لمزيد العبرة. ولو علم الله أن في بيانه خيرا لنا لبينه [١].

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢]

ضرب الله مثلا لما ينفقة الكفار في هذه الكفار قاله مجاهد والحسن والسدي فقال الله (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) أي برد شديد وقيل برد وجليد وعن ابن عباس وفي هذا فيها صر أي نار وهو يرجع الى الأمل فإن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار.

(أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) أي فأحرقته يعني بذلك الصعقة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فتحرقه وأعدمت ما فيه من ثمر أوزرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحرج ما كان إليه. فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه [٣]،[٤].

(مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) من المكارم ويواسون فيه من المغارم(كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) أي برد شديد (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) بالكفر والعصيان فباؤا بغضب من الله ((**فأهلكته**) فكذا ريح الكفر إذا أصابت حرث إنفاق قومه تهلكه فصار الظلم ريحا الحصوله من هوى النفس ذات بروده شديدة لكونه ظلم الكفر الذي هو الموت المعنوي فأهلكته قال المهايمي (**وما**

---

(١)تفسير المنار ج٣ ص ٩٠٨.

(٢)سورة ال عمران: الأية ١١٧.

(٣)أبن كثير: ج ١: ص٣١٩..

(٤) في محاسن التاويل للقاسمي، ج٤،ص٩٤٥.

ظلمهم الله) باهلاك حرثهم بإرسال الريح من عنده (وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بإرسال ريح الظلم الكفرى على حرثهم الآخرون. وقيل: الغرض تشبيه (ما أنفقوا) في ضياعة بالحرث الذي ضربته الصر، وقد جعل ما ينفقون ممثلا بالريح، فما وجه المطابقة للغرض ؟

أجيب: (القول للقاسمي): بأن هذا من التشبيه المركب وهو ما وصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين، وأن لم تحصل المشابهة بين أجزائها والمقصود تشبيه الحال بالحال ؟ ويجوز أن يراد: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل أهلا ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فتحصل المشابهة [١].

أما وصف القوم الذين أهلكت الريح حرثهم بكونهم ظلموا أنفسهم فقد قال الزمخشري في الكشاف مبينا نكتته ما نصة: (فأهلكهم عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشدو وأبلغ) وفي هامشه كتب بإملائه في ذلك أن النكتة في ذلك هي إفاده أن أولئك المنفقين لا يستفيدون شيئا منه لأن حرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية إذ لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فأما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب الى الكلية لأنه وأن كان يذهب صورة إلا أنه لا يذهب معني لما فيه من حصول أغراض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب. ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا: (إن الوصف يشعر بأن الجوانح قد تنزل بأموال الناس من حرث ونسل عقوبة على ذنوب اقترفوها ولكنه ليس نصا في ذلك لما علمت من تعليل الكشاف آنفا ولا يعارض ذلك ما ثبت من الأسباب الطبيعة لها لأنه لا يستنكر على البارئ الحكيم الذي وضع سنن ارتباط الأسباب المسببات في عالم الحسن أن بينها وبين سننه الخفية في إقامة ميزان القسط في البشر لهاديتهم إلى ما به كما لهم من طريق العلوم الحسية التي

(١)المصدر نفسه،ص٩٤٥..

يستفيدونها من النظر والتجربة ومن طريق الإيمان بالغيب الذي يرشد إليه الوحي الإلهي) [(١)].

دروس وعبر وقصص وأمثلة ودلالات على التوحيد والخلق يعطيها الله سبحانه، وتعالى في سورة آل عمران وفي الآيات التي ورد فيها ذكر النبات نستنبط منها الآتي:

١- أن الدنيا محفوفة بالشهوات والملذات وأن ذلك متاع الحياة الدنيا، وهو قصير الأمد زائل لا محال، وأن الله عنده حسن المآب والعاقبة للتقوى.

٢- وقصة السيدة الصديقة مريم وأبنها المسيح عيسى بن مريم فيها مجاز في التربية والصبر والمطاولة والثقة بالله وفيها إعجاز رباني عظيم من خلق عيسي ثم كيف يكلم الناس وهو في المهد وكهلا وقضية الوحي جبريل وقصة النخلة وكثيرة هي العبر في قصة السيدة مريم فكل واحد منها درس وعبرة، وفيها أن الله سبحانه وتعالى قادر قدير على خلق الأشياء من طرق غير مألوفة ومنوعة وأن قدرته تتعدى ذلك إلى أمور كثيرة سردتها القصة الكريمة.

٣- وأن الأنفاق محبب إلى الله سبحانه وتعالى ولكن شريطة أن يكون في سبيل الله وهوى ما شاهدناه في مواقع كثيرة أما الأنفاق في الشرك والمعصية وإظلال الناس والأنفاق بسفاهة وطيش أنما هذا الأمر عائد للكفار وهم ظالمين لأنفسهم وأن مثل ما ينفقون كريح فيها صر إصابت حرث قوم فأحرقته وأهلكته لأن الله لا يتقبل من المفسدين.

---

(١)تفسير المنار، ج٣،ص ١٠٢٥.

سورة النساء

قال تعالى:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ ﴾ تعجب من تمادحهم بالتزكية التي هي التطهير و التبرئة من القبيح فعلا وقولا، المنافية لما هم عليه من الطغيان والشرك الذي قصه تعالى عنهم قبل فالمراد بهم اليهود.

وروي عن أبن حاتم عن ابن عباس قال: كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب. وكذبوا قال الله تعالى: أني لا اطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له. وأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ ﴾ أي أنظر إليهم فتعجب من أدعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم فيه من الكفر والأثم العظيم.

أو من أدعائهم تكفير ذنوبهم مع استحالة أن يغفر للكافر شيء من كفره أو معاصيه (ولا يظلمون فتيلا) أي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا، أي ادنى ظلم وأصغره، والفتيل الخيط الذي في شق النواة أو ما يفتل بين الأصابع من الوسخ، يضرب به المثل في القلة والحقارة [٢].

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٦.

(٢) محاسبة التاويل، ج٥،ص١٣٢٢.

وجاء في أبن كثير: قال قتادة نزلت هذه الآية في اليهود النصارى حين قالوا: نحن أبناء الله و أحباؤه وفي قولهم (وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ).

﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [١] أي ولا يظلم الله هؤلاء الذين يزكون أنفسهم ولا غيرهم من خلقه شيئا مما يستحقونه بأعمالهم ولو حقيرة كالفتيل والفتيل ما يكون في شق نواة التمر مثل الخيط وما تفتله بين أصابعك من وسخ أو خيط وتضرب العرب به المثل في الشيء الحقير فهو بمعنى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾[٢] فخذلان الملوثين برنيلة الشرك في الدنيا بالعبودية لغيرهم و غير ذلك من آثار انحطاطهم، وعذابهم في الآخرة وحرمانهم من تعليمها، لا يكون بظلم من الله عز وجل لهم، ونقصه أياهم شيئا من ثواب أعمالهم، وإنما يكون بنقصان درجات أعمالهم، وعجزها عن العروج بأرواحهم، بل يتدنيسها لنفوسهم، لتزكيتهم إياها بالقول الباطل دون الفعل ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

(ولا يظلمون فتيلا) أي لا تنقصون من الجزاء الذي تستحقونه بأثر أعمالكم في أنفسكم مقدار فتيل، وهو ما يكون في شق نواة التمر مثل الخيط أو ما يفتل بالأصبع من الوسخ على الجلد أو من الخيوط، يضرب هذا مثلا في القلة والحقارة وقيل لا تنقصون أدنى شيء من آجالكم [٤].

(١) سورة النساء: الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠.

(٣) سورة الانعام: الآية ١٣٢.

(٤)تفسير المنار،ج٥،ص١٤٩.

قال تعالى:﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾[1] وهذا استفهام إنكار أي ليس لهم نصيب من الملك ثم وصفهم بالبخل فقال فإذا لا يؤتون الناس نقيرة أي لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس ولاسيما محمد (ﷺ) شيئا ولا ما يملا النقير وهو النقطة التي في النواة في قول أبن عباس والأكثرين، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ ﴾[2] أي خوف أن يذهب ما بأيديكم مع انه لا يتصور نفاده وإنما هو من بخلكم وشحكم.

وجاء في تفسير القاسمي: لما ذم الله سبحانه اليهود بتزكيتهم لأنفسهم وتفضيلهم المشركين على الموحدين، شرع في تفصيل بعض آخر من مثالبهم.

وهو وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر خصلتين و (أم) منقصة، والهمزة الإنكار ان يكون لهم نصيب من الملك والغاء للسببية الجزائية الشرط محذوف. أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم. و (النقير) النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة والحقارة. كالفتيل والقطمير.

والنقرة في ظهر النواة تساعد الجنين في الإنبات فيخرج منها الجذير والرويشة التسهيل عملية الخروج والولادة لهذا النبات من بذره وهي نقره صغيرة جدا.

وقال ﴿ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾[3]: أي ولو كان لهم نصيب من الملك السلكوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم فلا يعطون الناس نقيرا منه إذ ذاك، والنقير هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر وهي النقبة لتي تنبت منها النخلة شبهت بما نقر بمنقار الطائر أو استعار الحديد الذي تحفر به الأرض الصلبة والنقير كالفتيل في الآية السابقة، ويضرب به المثل في الشيء القليل والحقير

(١) سورة النساء: الآية ٥٣.

(٢) سورة الاسراء: الآية ١٠٠.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٣.

التافه. ويطلق النقير أيضا على ما تقر أي حفر من الحجر أو الخشب فجعل إناء ينبذ فيه، وكذلك يضرب المثل بالقطعير وهو النشرة الدقيقة التي على النواة بينها وبين التمرة.

وحاصل المعنى أن هؤلاء اليهود أصحاب إثره شديدة وشح مطاع يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أنني النفع وأحقره فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبي من العرب ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنسوا إسرائيل(١).

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٢)

وهنا جاءت كلمة الفتيلا، وكذلك ورد المثل للقلة والحقارة والصغير وكما ذكرنا الفتل هو الخيط في شق النواة من الخيط أو من الفتيل الأوساخ بين الأصابع.

وقال ابن معين: كان أبو مصهر ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجالا فأنها متاع قليل والزوال قريب

وقال مجاهد (**وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**) أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلية عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم على الجهاد.

---

(١) تفسير المنار،ج٥،ص١٤١٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٧.

قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[1]

أو من يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن أي شيئا من الصالحات (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) أي: لا ينقص من حسناتهم قدر نقير. وهو النقرة التي على ظهر النواة كما أسلفنا. وهذا في سبيل المبالغة في نفي الظلم، ووعد بتدقيقه اجزاء أعمالهم من غير نقصان.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[2] أي كل من يعمل ما يستطيع عمله من الصالحات – أي الأعمال التي تصلح بها النفوس في أخلاقها وآدابها وأحوالها الشخصية والاجتماعية سواء كان ذلك العامل ذكر أو أنثى – فلئن بعض البشر الذين حقروا شان الإناث، فجعلوهن في عداد الجمادات لا في عداد النواين، من يعمل ما ذكر من الصالحات وهو متلبس بالأيمان مطمئن به فأولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بإزكاء أنفسهم وطهارة أرواحهم، ويكونون مظهر فضل الله تعالى وكرمه، ومحل أحسانه ورضوانه ولا يظلمون من أجور أعمالهم شيئا أي لا ينقصون شيئا وان كان بقدر النقير وهو النكتة التي تكون في ظهر النواة وهي ثقبة صغيرة وتسمي نقرة كأنها حصلت بنقر منقار صغير ويضرب بها المثل في القلة، لا ينقصون شيئا بل يزيدهم الله من فضله [3].

سورة كثرت فيها الأحكام وتنوعت لتعطي للبشرية قوانينها وحياتها وفيها من العبر الربانية في التربية والرضي ما فيه تثبيت للمؤمنين:

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٤.

(٣) تفسير المنار، ج٥،ص١٦١٦.

١. إن الله لا يؤاخذ الناس بأفعال غيرهم (﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾) وأن ما تقدموا الأنفسكم تجدوا عند الله محضرة، فلا قرابة مع الله وأن الناس كلهم عبيد الله وعياله فلا فرق بين هذا وهذا وهو الحكمة الربانية في العدل والمساواة وأن الإنسان محاسب على ما يقوم بين يديه. فلا أزكياء عند الله (فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾.

٢. أن الله سبحانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وإن ما يدعون الكفر لا يملكون من مما يمكن نقير النواة المتناهي في الصغر، وأن خزائن الله بيد الله سبحانه وتعالى وحدة.

٣. أن الله عظيم وكبير وأن من دونه من خلق ضعفاء ليس لديهم القدرة على الإمتلاك ولو كان ذلك ضئيلا حقيرة مثل النقير، والفتيل، والقطمير وهي أمور متعلقة بالنواة، وأن الناس ليس لها نصيب في دار الدنيا فهي متاع قليل والزوال قريب.

٤. وهكذا تأخذ السورة أبعادها ومنها المثل القرآني ما بين المؤمن والكافر وأن الله عدل ولا يظلم الناس ولو مقدار نقير وهو الضحالة في الصغر وأنه إليه المرجع وهو يحكم بين الخلائق. (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ).

سورة الانعام

قال تعالى:﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ (١) أي أطمعهما وأصله: الرجل العطشان يدلي في البئر اليروي من مائها، فلا يجد فيها ماء، فيكون مدلية فيها بغرور، فوضعت التدليه

(١) سورة الانعام: الآية ٢٢.

موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعا، وفيه أشعار بأنه أهبطهما بذلك من درجة عالية، الى رتبة سافلة. والتدلية والإدلاء أرسال الشيء من أعلى إلى أسفل.

وقيل: معنى دلاهما جرأهمها بغرور، والأصل فيه **(دلهما)**، والدل والدالة الجرأه كما قال قيس بن زهير (أستشهد به في اللسان في ماده (ودلل):

أظـــــــن الحلـــــــم دل علـــــــى قـــــــومي

وقـــــــد يســـــــتجهل الرجـــــــل الحكـــــــيم

وقال تعالى **(فلما ذاقا الشجرة)** فإن الذوق وجود الطعم في الفم، وظاهر انه قد يعبر به عن الأكل اليسير، وهو المراد هنا، لأنه دفع في آية أخرى مصرفا بلأكل فيها**(بدت لهما سوءاتهما)** أي فظهرت لهما عوراتهما.

(وطفقا يخصعان) أي: أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ((عليها من ورق الجنة)) أي ليستترا به.

قال الجشمي: وتدل على أن الستر من خلق آدم وحواء، وأنهما كرها العري وأن لم يكن الهما ثالث، في ذلك دليل على قبح التعري إلا عند الحاجة.

ومن اللطائف قال الجشمي:

يقال أن آدم عليه السلام سعد بخمسة أشياء: أعترف بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة.

وشقي أبليس بخمسة أشياء: لم يقر بذنب ولم يندم، ولم يلم نفسه بل أضاف الى ربه فلم يتب، وقنط من الرحمة.

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (١)

وقوله **(وما تسقط من ورقة إلا يعلمها)** أي ويعلم الحركات حتى الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولاسيما المكلفون عنهم من جنهم وانسهم كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ (٢) وعن ابن عباس **(وما تسقط من ورقة إلا لها)** قال ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم، وقوله: **(وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)**، قال أبن أبي حاتم: ما في الأرض من شجرة ولا مفرز إبره إلا وعليها ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا أيبست انتهى(٣).

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال **(مفاتح الغيب خمس: أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت أن الله عليم خبير).**

قال الزجاج: يجوز أن يكون الله جل ثناؤه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال عز وجل ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾(٤).

(١) سورة الانعام: الآية ٥٩.
(٢) سورة غافر: الآية ١٩.
(٣) تفسير ابن كثير ج٢: ص ١٣٧.
(٤) سورة الحديد: الآية ٢٢.

وفائدة هذا الكتاب: أنه تعالى ذكر ما ذكر من الورقة والحبة، تنبيها للمكلفين على أمر الحساب وأعلاما بأنه لا يفوته من كل ما يضعون في الدنيا شيء لأنه إذا كان لا يهمل الأحوال التي ليس فيها ثواب ولا عقاب ولا تكليف، فبأن لا يهمل الأحوال المشتملة على الثواب والعقاب أولى [١].

(وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) أي وما تسقط ورقة من نجم أو شجر ما إلا يعلمها، لإحاطة علمه بالجزيئات كلها.

وقد ذكرنا أن النجم هنا المقصود به النبات الذي ليس له ساق وسقوط الورق من الأشجار أو على العموم الزروع يكون لأسباب منها:

١. أن تكون الأشجار من النفضيات التي تنزع أوراقها في الخريف لتستعد لاستقبال فصل الشتاء البارد حيث أوراقها غير مكيفة لتحمل درجات الحرارة المنخفضة، ومن الأمثلة على هذه الأشجار: الخوخ، الانجاص، اللوزيات بشكل عام، التفاح، التوت، العنب (الكرم)، التين.... الخ وهي النباتات التي تعيش في المناطق المعتدلة والباردة، وبعد ارتفاع درجات الحرارة في موسم الربيع تنفتح براعم هذه النباتات التنمو منها الأوراق والأغصان الخضراء مجددا وكذلك تفتح زهورها لتعطي ثمارها نتيجة لذلك.
٢. تسقط الورقة بسبب تكون مادة الكالس أو نسيج الكالس الذي ينمو ليعزل نصل الورقة في محل اتصالها بالنصل عند قاعدة الورقة (وهو نسيج ميت هش) وسبب ذلك أما لتقدم الورقة في العمر أو لأصابتها بمرض ما.
٣. تستعمل النباتات دائمة الخضرة سقوط الأوراق كعملية تتخلص من المواد الناتجة من عمليات الأيض والتي تتمتع في فجوات خلايا الأوراق أو تكون بشكل أملاح بلورية ولا تستطيع النبتة التخلص من هذه المواد المتجمعة الناتجة إلا بإسقاط الورقة بكاملها.

---

(١) محاسن التاويل،ج٦،ص٢٣٤٦.

٤. الظروف البيئية الخارجية والتي يمكن أن تؤثر على سقوط الورقة النباتية مثل الأمطار الشديدة أو الرياح أو بتأثير بعض الحيوانات أو الديدان.
٥. تعرض النبات للذبول يسبب انقطاع الماء عن النبتة وتسبب العطش مما يسبب في سقوط بعض الأوراق من النبتة نتيجة الذبول الشديد.
٦. وفي حالات نقص المواد الغذائية والأسمدة اللازمة للنبات (نقص بعض عناصر التربة) ونتيجة لحاجة النبات للنمو والحفاظ على البراعم النامية الجديدة يقوم بسحب هذه العناصر من الأوراق القريبة للبرعم النامي لتغذيته مما يؤدي إلى موت الورقة وسقوطها.
٧. الإصابة ببعض أنواع البكتريا أو الفطريات التي تصيب قاعدة الورقة مما يؤدي تلفها أو تحللها وهذا يسبب بعزل الورقة عن منطقة اتصالها بالنصل مما يؤدي الى سقوطها.

سقوط الورقة النباتية:

إن الامتصاص الأملاح من التربة أمر بالغ الأهمية بالنسبة للأشجار، ولأن معظم هذه الأملاح ضعيف الانحلال تقوم الأشجار بأمتصاص كميات كبيرة من الماء من التربة الضمان نقل هذه الأملاح من الجذور الى الأوراق.

ما أن يقوم الماء بنقل هذه الأملاح إلى الأوراق حتى يصبح عديم الفائدة للنبات فتبادر الأوراق الى التخلص منه بواسطة النتح حيث يتم طرح الماء عن طريق التبخر عبر مسام الورقة.

عملية النتح هذه تحافظ على التوازن بين كمية الماء التي يمتصها النبات من التربة وتلك التي تتبخر من الأوراق. عندما تهبط درجة حرارة التربة الى حد معين يتضاءل امتصاص الجذور للماء الى أن يتوقف تماما. إذا استمرت عملية النتح أدى ذلك إلى زموهة النبتة ويباسها وموتها. لهذا لابد من سقوط الأوراق التحول دون موت النبات.

بعد أن يسترد النبات كل ما تحويه الأوراق من مواد مفيدة التـي تغادر الأوراق من خلال العنيقات للتجمع في الطبقات العميقة من اللحاء أو في الدرنات أو البصلات التـي هـ ي أحتياطي الأدخار المدفون فـي الأرض تتساقط الأوراق بعد أن أصبحت عديمة النفع ولا تحتوي إلا على النفايات. يضع النبات ندبه قرب قاعدة عنيق الورقة قبيل س قوطها كي لا تترك جرحا مفتوحة في مكان أنفصالها تكفي هبة ريح خفيفة عند ذلك لاسقاط الأوراق.

تصبح الشجرة عارية بعد سقوط أوراقها ولا تزيد عن كونها خشبة قاسيا غنيا بالأملاح المعدنية، يحميها لحاء جله من الفلين من الأحوال الجوية القاسية. يتألف الفلين من خلايا شديدة التلاصق مليئة بالهواء مما يجعلها عازلة جيدة لان الهواء ناقل سيء للحرارة. غير أن الفلين يحتوي على ثقوب دقيقة تشكل فراغات بين الخلية تدعى العديسات، هذه العديسات أو المسام تسمح بحصول التبادل الغازي بين النبتة والمحيط. وهذا يعني إمكان تسلل البرودة الى داخل النبات. ولكي تحمي بعض النباتات أنفسها تقوم بصنع طبقة جديدة من الفلين العادي تحت تلك العديسات وهكذا يتقي النبات شر البرودة القاسية [1].

وقولـــه تعـــالى: (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ)

أي وما تسقط من حبة بفعل فاعل مختار في ظلمات الأرض كالحب الذي يلقيه الزارع في بطون الأرض يسترونه بالتراب فيحتجب عن نور النهار، والذي تذهب به النمل وغيرها من الحشرات في قراها ومحورها، أو بغير فعل فاعل كالذي يسقط من النبات في سقوفها وأخاديدها النضوجها) وما يسقط من رطب أو يابس من الثمار ونحوها – إلا كائن في كتاب مبين، وهو علم الله تعالى الذي يشبه المكتوب في

---

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان: ص٣٠٥ د.ماهر احمد.

الصحف بثباته وعدم تغيره- أو كتابه الذي كتب فيه مقادير الخلق كما ورد في الحديث الصحيح وسيأتي ذكره، وهو بمعنى قوله فيما قبله إلا يعلمها ولذلك قيل إنه تكرير له بالمعنى.

وقد بين الله تعالى لنا في هذه الآية إن خزائن علم الغيب كلها عنده وعنده مفاتيحا وأسبابها المرحلة إليها، وان عنده من علم الشهادة ماليس عنده، وذكر على سبيل المثل علمه بكل ما في البر والبحر من ظاهر وخفي.

ثم خص بالذكر ثلاثة أشياء ممافي البر إحاطة علمه بكل ورقة تسقط من نبته وكل حبة تسقط في ظلمات الأرض وكل رطب ويابس فأما الورق الذي يسقط فهو ما كانت حبا رطبا من النبات فاشرف على التيبس وفقد الحياة النباتية واللحاق بالمواد الأرضية الميتة وقد يتعدى به حيوان بعد يبسه أو قبله أو يتحلل في بنيتها كما قلنا فيما قبله.: وأما ذكر الرطب واليابس فهو تعميم بعد تخصيص في هذا الباب فهذه الأشياء من عالم الشهادة تدخل في عالم اليقين ثم تبرز في عالم الشهادة وعلم الله تعالى محيط بكل ش يء منها على كثرتها و دقة بعضها وصغرة وتنقله في أطوار الخلق وتكوين ما يتبعها من الصور والمظاهر وحسبك هذا الإيماء من حكمته وتخصيصه بالذكر [(١)]

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾[(٢)].

(**إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ**) شروع في بعض مبدعاته الدالة على كمال قدرته، وعلمه وحكمته إثر تقرير شان توحيده تعالى، وذلك للتنبيه على ان المقصود الأعظم هو معرفة سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله، وانه مبدع الأشياء وفالقها، ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة، لا هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها، ولتعريف خطئهم

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر العربي، ج٦، ص٢٣٥١.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩٥.

في الإشراك الذي كانوا عليه، والمعنى: ان الذي يستحق العبادة دون غيره، هو الله الذي فالق الحب عن النبات، والنواة عن النخلة.

ومعنى فالق قولان:

أحدهما: انه معنى فالق وهو قول (أبن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل. وكمل التأويلات لا تبعد حمل الفالق على الموجود المبدع.

والثاني: وهو قول الأكثرين: ان الفلق هو الشق. ومن معناه وجهان:

١- مروى عن أبن عباس قال: فلق الحبه عن السنبلة، والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وأبن زيد.

قال الزجاج: يشق الحبة اليابسة، والنواة اليابسة، فيخرج منها ورق أخضر.

٢- وهو قول مجاهد: انه الشقان اللذان في الحب والنوى وضعف بانه لا دلالة فيه على كمال القدرة.

و(الحب) ما ليس له نوي، كالحنطة والشعير والأرز و(النوى): جمع نواة وهو الموجود في داخل. الثمره، مثل نوى التمر والخوخ وغيرها. قال الأمام الرازي: إذا عرفت ذلك، فتقول: انه إذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة، ثم مر به قدر من المدة، أظهر الله تعالى في تلك الحبة والنواة من أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أخر، فالأول يخرج منه الشجر الصاعد الى الهواء (وهو ما يسمى اليوم الرويشة). والثاني يخرج منه الشجرة الهابطة الى الأرض (وهو ما يسمى اليوم الجذير) المسماة عروق الشجرة وتصير تلك الحبة والنواة سببا الاتصال الشجرة الصاعده في الهواء بالشجرة الهابطة في الأرض. ثم ان ههنا عجائب هي:

أولاً: ان طبيعة تلك الشجرة ان كانت تقتضي الهوى في عمق الأرض فكيف تولدت الشجرة الصاعدة في الهواء ؟ وان كانت تقتضي الصمود في الهواء فكيف تولدت منها الشجرة الهابطة في الأرض ؟ فلما تولد منها الشجرتان، مع ان الحس والعقل

يشهد بكون طبيعة أحدى الشجرتين مضادة لطبيعة الشجرة الأخرى. علمنا ان ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية، بل بمقتضى الإيجاد والإبداع والتكوين والاختراع.

ثانياً: ان باطن الأرض جرم كثيف صلب، لا تنفذ المسلة القوية فيه، ثم انا نشاهد أطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة، بحيث لو دلكها الانسان بإصبعه بأدني قوة، الصارت كالماء، ثم انها مع غاية اللطافة تقوى على النفوذ في تلك الأرض الصلبة، والغوص في بواطن تلك الأجرام الكثيفة. فحصول هذه القوى الشديدة، لهذه الأجرام الضعيفة التي هي في غاية اللطافة، لابد وان يكون بتقدير العزيز الحكيم.

ثالثاً: انه يقول من تلك النواة شجرة ويحصل في تلك الشجرة طبائع مختلفة، فان قشر الخشبة له طبيعة مخصوصة، وفي داخل ذلك القشرة جرم الخشبة، وفي وسط تلك الخشبة جسم رخو ضعيف، يشبه العهن المنفوش ثم انه يتولد من ساق الشجرة أغصانها، ويتولد على الأغصان والأوراق أولا، ثم الأزهار والانوار ثانيا: ثم الفاكهة ثالثا: (ليس على الدوام ففي اللوزيات يكون الزهر (الانوار) قبل الأوراق).

ثم قد يحصل للفاكهة أربعة من القشر: مثل الجذر، فان قشرة الأعلى هو ذلك الأخضر، وتحته ذلك القشر الذي يشبه الخشب، وتحته ذلك القشر الذي هو كالغشاء الرقيق المحيط باللب، وتحته ذلك اللب. وذلك اللب مشتمل على جرم كثيف، وهو أيضا كالقشر، وعلى جرم لطيف، وهو الدهن، وهو المقصود الأصلى فتولد هذه الأجسام المختلفة في طبائعها وصفاتها وألوانها وأشكالها وطعومها، مع تساوي تأثيرات الطبائع والنجوم والفصول الأربعة، والطبائع الأربع – يدل على انها انما حدثت بتدبير الحكيم الرحيم المختار القادر لا بتدبير الطبائع والعناصر.

رابعاً: انك قد تجد الطبائع الأربع حاصلة في الفاكهة الواحدة، فالأترنج: قشرة حار يابس، ولحمه بارد ورطب، وحماضه بارد يابس، وبذره حار يابس، وكذلك العنب: قشرة وعجم بارد يابس، وماؤه ولحمه حار رطب، فتولد هذه الطبائع المتضاده، والخواص المتنافر من الحبة الواحدة – لابد وان يكون بإيجاد الفاعل المختار.

خامساً: انك تجد أحوال الفاكهة مختلفة، فبعضها يكون اللب في الداخل، والقشرة في الخارج كما في الجوز واللوز – وبعضها يكون الفاكهة المطلوبة في الخارج، وتكون الخشبة في الداخل، كالخوخ والمشمش وبعضها يكون النواة لها لب، كما في نوى المشمش والخوخ، وبعضها لا لب له، كما في نوى التمر.

وبعض الفاكهة لا يكون له من الداخل والخارج قشر، بل يكون كله مطلوبا، كالتين، فهذه أحوال مختلفة في هذه الفواكه، وأيضا هذه الحبوب مختلفة في الأشكال والصور، فشكل الحنطة كانه نصف دائرة، وشكل الشعير كانه مخروطان أتصلا بقاعدتيها، وشكل العدس كانه دائرة وشكل الحمص على وجه آخر. فهذه الأشكال المختلفة لابد ان تكون الأسرار وحكم، علم الخالق ان تركيبها لا يكمل إلا على ذلك الشكل. وأيضا فقد أودع الخالق تعالى في كل نوع من الانواع الحبوب خاصية أخرى، ومنفعه أخرى. وأيضا فقد تكون الثمرة الواحدة غذاء الحيوان، وسما لحيوان آخر، فاختلاف هذه الصفات والأشكال والأحوال م ع اتحاد الطبائع، وتأثيرات الكواكب يدل على ان كلها انما وصلت بتخليق الفاعل المختار الحكيم.

سادساً: انك إذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة، وجدت خطأ واحدة مستقيما في وسطها. كانه بالنسبة الى تلك الورقة النخاع بالنسبة إلى بدن الانسان وكما انه ينفصل من النخاع أعصاب كثيرة، يمنه ويسره، في بدن الانسان، ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبه شعب أخرى، ولا تزال تستدق حتى تخرج عن الحس والأبصار، بسبب الصغر، فكذلك في تلك الورقة قد ينفصل عن ذلك الخط الكبير الوسطاني خطوط منفصله، وعن كل واحد منها خطوط مختلفة أخرى أدق من الأولى، ولايزال يبقى على هذا المنهج، حتى تخرج تلك الخطوط عن الحس والبصر، والخالق تعالى انما فعل ذلك حتى ان القوى الجاذبة المركوزه في جرم تلك الورقة تقوى على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجاري الضيقة، فلما وقفت على عنابه الخالق في إيجاد تلك الورقة الواحدة، علمت ان عنايته في تخليق جمله تلك الشجرة أكمل، وعرفت ان عنايته في تكوين جملة الثبات أكمل. ثم أذا

عرفت انـه تعـالى انمـا خلـق جملـة النبـات لمصـلحة الحيـوان، علمـت ان عنايتـه بتخليق الحيوان أكمل. ولما عرفت ان المقصود من تخليق جملة الحيوانات هو الانسان، علمت ان عنايته في تخليق الانسان أكمل. ثم انه تعالى انما خلق النبات والحيوان في هذا العالم يكون غذاء ودواء للانسان، بحسب جسده والمقصود من تخليق الانسان هو المعرفة والمحبة والخدمة، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١].

فانظر أيها المسكين بعين رأسك في تلك الورقة الواحدة من تلك الشجرة، وأعرف كيفية فلقه تلك العروق والأوتار فيها، ثم انتقل من مرتبة الى ما فوقها، حتى تعرف ان المقصود الأخير منها حصول المعرفة والمحبة في الأرواح البشرية فحينئذ ينفتح لك باب من المكاشفات لا آخر له ويظهر لك ان انواع نعم الله في حقك غير متناهية، كما قال:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

وكل ذلك انما ظهر من كيفية فلقه تلك من الحبة والنواة. فهذا كلام مختصر في تفسير قوله تعالى: ان الله فالق الحب والنوى. ومتى وقف الانسان عليه أمكنه تفريقها وتشعيبها إلى ما لا آخر له، ونسأل الله التوفيق والهداية، انتهى كلام الرازي رحمة الله تعالى[٣].

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ كالحيوان من النطفة والنبات الغصن الطري من الحب اليابس، ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾ كالنطفة والحب **(من الحي)** كالحيوان والنبات **(ذلكم الله)** أي: الفالق للحب والنوى والمخرج الحي من الميت وعكسه هو الله القادر العظيم الشان، المستحق للعبادة وحده.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٨.

(٣) سورة الانعام: الآية ٩٥.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] أي بقدر مباركا ورزقا للعباد وأحياء وغياثة للخلائق رحمه من الله بخلقه، من السماء أي من السحاب ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ كقولـه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ ﴾﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ أي زرع وشـجرة أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر ولهذا قال تعالى ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ أي يـركب بعضـه بعضـا كالسـنابل ونموهـا. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ﴾ أي جمع قنو وهي عذوق الرطب **(دانية)** أي قريبة من المتناول قال ابن عباس **(قنوان دانية)** أي قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه أبن جرير.

قال أمروء القيس:

فانـــــــــت أعاليـــــــــه وآدت أصـــــــــوله

ومـــــال بقـــوان مـــــن البســـــر أحمـــــرا [2]

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ التفت إلى المتكلم إظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لأجله أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي: صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان، كقوله تعالى:﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾[3]. و ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْـهُ ﴾ أي: مـن النبـات،

---

(١) القاسمي،ج٦،ص١٥٩.

(٢) ابن كثير، ج٣،ص١٥٩.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤.

يعني أصوله (خضر) أي: شيئا غض أخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة. (نخرج منه): أي نخرج من ذلك الخضر (حبا متراكبة) أي: متراكما بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والأرز.

ثم بين تعالى ما ينشأ عن النوى من الشجر إثر بيان ما ينشأ عن الحب من النبات بقوله سبحانه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾الطلع: أول ما يبدو من ثمر النخيل كالكيزان يكون فيه العذق، فإذا شق عنه كيزانه سمي عذقة وهو القنو. أي العرجون بما فيه من الشماريخ وجمعه قنوان وهو ومثناة سواء لا يفرق بينهما إلا الأعراب [١].

(وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ)أي نخرج منه جنات من أعناب وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار في الدنيا كما أمتن الله بهما على عباده، وقوله تعالى:

(وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ) قال قتاده و غيره متشابهة في الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف في الثمار شكلا وضعا وطبقة وقوله تعالى (ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ) أي نضحه، أي فكرو في قدره فالقه من العدم الى الوجود بعد ان كان حطبا صار عنبة ورطب وغير ذلك مما خلق الله سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح[٢].

قال الرازي: أعلم انه تعالى ذكر ههنا أربعة انواع من الأشجار: النخل والعنب والزيتون والرمان وانما قدم الزرع على شجر، لان الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه والغذاء مقدم على الفاكهة. وانما قدم النخل على سائر الفواكه، لان التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة للعرب، ولان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوان مشابهة في خواص

---

(١) محاسن التاويل، القاسمي.

(٢) ابن كثير ،ص١٦١.

كثيرة بحيث لا توجد تلك المشابهة في سائر انواع النبات ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام: **((فانها خلقت من بقية طينة آدم))**.

وانما ذكر العنب عقيب النخل لان العنب أشرف انواع الفواكه، وذلك لانه من أول ما يظهر يصير منتفع به الى آخر الحال. فأول ما يظهر على الشجر، يظهر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم، لذيذة المطعم، وقد يمكن أتخاذ الطبائخ منه ثم بعده يظهر الحصرم، وهو طعام شريف للأصماء والمرضى، وقد يتخذ الحصرم أشربه لطيفة المذاق. نافعة لأصحاب الصفراء، وقد يتخذ الطبيخ منه، فكانه ألذ الطبائخ الحامضة. ثم إذا تم العنب فهو ألذ الفواكه وأشهاها، ويمكن ادخار العنب المعلق سنة أو أقل أو أكثر وهو في الحقيقة ألذ الفواكه المدخرة، ثم يبقى منه انواع من المتناولات وهي الزبيب والدبس والخل، ومنافع هذه لا يمكن ذكرها إلا في المجلدات. وأحسن ما في العنب عجمة والأطباء يتخذون منه (جوار شنات) عظيمة النفع للمعدة الضعيفة الرطبة. فثبت ان العنب كانه سلطان الفواكه، وأما الزيتون فهو أيضا كثير النفع، لانه يمكن تناوله كما هو، وينفصل أيضا عنه دهن كثير، عظيم النفع في الأكل، وفي سائر وجوه الاستعمال.

وأما الرمان مخاله عجيب جدا، وذلك لانه جسم مركب من أربعة أقسام: قشرة وشحمه وعجمه وماؤه. أما الأقسام الثلاثة الأول وهي القشرة والشحم والعجم فكلها باردة يابسة قابضة عفصة قوية في هذه الصفات. وأما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات، فانه ألذ إلا شربه وألطفها وأقربها إلى الاعتدال، وأشدها مناسبة للطباع المعتدلة، وفيه تقوية للمزاج الضعيف، وهو غذاء من وجه ودواء من وجه فكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين المتغايرين. فكانت دلاله القدرة والرحمة فيه أكمل وأتم.

وأعلم ان النبات أكثر من ان تفي بشرحها مجلدات، فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الأقسام الأربعة التي هي أشرف انواع النبات وأكتفي بذكرها تنبيها على البواقي [١].

---

(١) محاسن التاويل، ج٦، ص٢٤٤.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[1] الفلق والفرق والفتق جنس واحد للشق ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[2] مع قوله فيه ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3]

ومن أسماء الصبح الفلق – بالتحريك – والفتق – بالفتح – والفتيق، وقول الراغب: الفلق شيء شق الشيء وإبانه بعضه من بعض والفتق الفصل بين متصلين، غير ظاهر، بل التنزيل يدل على علمي عكس قوله ان الفتق يعتبر فيه الانشقاق والخلق يعتبر فيه الانفصال، وفيه ان مواد الفلق والفتق والشق والفطر ومطاوعاتها قد أستعملت في الأشياء المادية في باب الخلق والتكوين وما يقابله من خراب العالم بقيام الساعة، وان الفرق استعمل في الأمور المادية والمعنوية جمعا، ومن الثاني تسمية القران فرقانا وتلقيب عمر الفاروق. فان المراد بهما الفرق بين الحق والباطل.

والحب بالفتح اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنابل والأكمام والجمع حبوب مثل فلس وفلوس والواحدة حبه – والحب بالكسر بذر ما لا يقتات مثل بزور الرياحين الواحدة حبة بالكسر. قاله في المصباح ونحوه في مفردات الراغب.

والنوى جمع نواة وهي لعجمه التمر والزبيب وغيرها كما في اللسان، والعجمه بالتحريك ما يكون في داخل الثمرة والزبيبة ونحوها وجمعها حجم وقيل ان النوى إذا أطلق ينصرف الى حجم التمر فان أريد غيره فقد قيل نوى الخوخ ونوى المشمش، ولعل هذا تابع للقرينة ولم أر من قال انه كذلك في أصل اللغة.

والمعنى ان الله هو خالق ما تزرعون من حب الحصيد ونوى الثمرات وشاقة بقدرته وتقديره الذي ربط به أسباب الانبات بمسبباتها. ومنها جعل الحب والنوى في

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٦٣.

التراب وإرواء التراب بالماء، وعن ابن عباس ان المراد بالخلق هنا الخلق والإيجاد، والأمل أظهر في بيان المراد.

وقد بين ذلك بقوله: (يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ) أي يخرج الزرع من النجم والشجر وهو حي – أي متغذ نام – من الميت وهو لا يتغذى ولا ينمي من الحب والنوى وغيرها من البزور كما يخرج الحيوان من البيضة والنطفة.

وما قلنا (والكلام لمحمد رشيد رضا) ان الحفيضة أظهر من ما قبله وهو جعل إطلاق الميت على الحب والنوى من مجاز التشبيه كانه لما لم تظهر فيه آيات حياته الكامنة من النماء وغيره سمي ميتا، فان فصحاء اللغة في طور البداوه لم يكونوا يعلمون ان في الحب والنوى صفة هي مصدر النماء، قد تزول فلا يبقى قابلا للانبات.

وجعل بعضهم كلا من الحي والميت هنا مجاز ويرده مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (١) ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (٢) كالحب والنوى من النبات والبيضة والنطفة من الحيوان (٣).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ....﴾ (٤)،هذه الآية المنزلة مرشدة الى نوع آخر من آيات التكوين وهو إيجاد الماء، وانزاله من السماء وجعله سببة للنبات، وجعل النبات المسبب عنه انواع كثيرة، مشتبهة وغير متشابهة، وبذلك يلتقي آخر هذه الأسباب بأوله. أي وهو الذي انزل من السحاب ماء فأخرجنا بسبب هذا الماء الواحد نبات كل شيء من أصناف هذا النامي الذي يخرج من الأرض فأخرجنا منه أي من النبات خضرة أي شيئ اخضر بالخلقة لا بالصناعة وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحب كساق النجم وأغصان الشجر، تخرج منه أي من هذا الأخضر

(١) سورة الانبياء: الآية ٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٣١.

(٣) تفسير الحكيم، محمد رشيد رضا، ص٢٤٨.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩٩.

المتشعب من النبات انا بعد ان حبا متراكبا بعضه فوق بعض وهو السنبل (وقد أوردنا في هذا كلاما خاصة) فهذا تفصيل لنماء النجم الذي لا ساق له من النبات ونتاجه، وعطف عليه حال نظيره من الشجر فقال:

(وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ) النخل الشجر الذي ينتح التمر وجمعه نخيل، وطلعها أول ما يطلع أي يظهر من زهرها الذي يكون منه ثمرها وقيل ان ينشق عنه كافورة أي وعاؤه وما ينشق عنه الكافور يسمى الفريض ولا غريض، والقنوان جمع قنو وهو العذق الذي يكون فيه الثمر. والصنو والصنوان وهو ما يخرج من أصل الشجر من الفروع.

والقنوان من النخل كالعناقيد من العنب والسنابل من القمح، والمعنى انه يخرج من طلع النخل قنوان دانية القطوف سهلة التناول أو بعضها دان قريب من بعض لكثره حملها.

وفي قوله (وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ) أي من ذلك الخضر – جنات من أعناب وهو ثمر الكرم. ولكم جنات الأعناب – أو وهناك جنات ومن الكرم جنات.

وقوله تعالى (وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ) أي وأحضر من نبات كل شيء الزيتون والرمان حال كونه مشبها بها في بعض الصفات غير متشابهة في بعض آخر، قيل ان هذه الحال من الرمان وحده فانه انواع متشبه في شكل الورق والثمر وتختلف في لون الثمر وطعمه، فمنه الحلو والحامض والمر. وكذا في الزيتون.

وقوله تعالى ۗ(ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ) أي انظروا نظر تأمل واعتبار الى ثمر ما ذكر إذا هو تلبس وأتصف بالأثمار، وإلى ينعه عندما يينع، أي يبدو صلاحه وينضج وتأملوا صفاته في كل من الحالين وما بينهما، ويظهر لكم من لطف الله وتدبيره، وحكمته في تقديره، ما يدل أوضح الدلالة على وجوب توحيده[١].

---

(١) تفسير الحكيم: محمد رشيد رضا.

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[١] أي مما خلق (مِنَ ٱلۡحَرۡثِ) أي من الزرع (وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا) يصرفونه الى الضيفان والمساكين، أي: ولاصنامهم نصيبا يصرفونه إلى التنسك والسدنة.

فقد روي عن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس انه قال في تفسير هذه الآية:

ان أعداء الله كانوا أذا حرثوا حرثا (أي زرعوا زرعا)، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا الله منه جزاءا، وللوثن جزءا. فما كان من حرث وثمره أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه. وان سقط منه شيء فيما سمي للصمد، ردوه الى ما جعلوه للوثن، وان سقيهم الماء الذي جعلوه للوثن، فسقى شيئا جعلوه لله، جعلوا ذلك للوثن. وان سقط شيء من حرث والثمرة الذي جعلوه الله، فاختلط بالذي جعلوه للوثن قالوا: هذا فقير، ولم يردوه الى ما جعلوه الله، وان سبقهم الماء الذي جعلوه لله، فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن، كانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. فيجعلونه للأوثان، ويزعمون انهم يحرمونه قربه الله تعالى، فقال تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ....) الآية وقال ابن كثير وهكذا قال مجاهد وقتاده والسدي وغير واحد [٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [٣]. تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الانعام. أي: هو الذي انعم

---

(١) سورة الانعام: الآية ١٣٦.

(٢) القاسمي، محاسن التاويل.

(٣) سورة الانعام: الآية ١٤١.

عليكم بانواع النعم، لتعبده وحده، فحلت لكم بساتين من الكروم وغيرها معروشات، أي مسموكات بما عملتم لها من أعمدة.

يقال: أذا عرشت الكرم أذا جعلت لـه دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ) متروكات على وجه الأرض لم تعرش، (و) انشأ (النخل) المستمر كما هو فاكهة وقوت (والزرع) المحصل لانواع القوت (مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ) أي: ثمره وحبة في اللون والطعم والحجم والرائحة (وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا) في اللون والشكل، ورقهما (وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ) في الطعم (كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ) كلوا من ثمر واحد مما ذكر إذا أدرك.

قال الرازي: لما ذكر تعالى كيفية خلقه لهذه الأشياء، ذكر ما هو المقصود الأصلي من خلقها، وهو انتفاع المكفين بها، فقال (كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ) واختلفوا ما الفائدة منه ؟ فقال بعضهم: الأباحه وقال آخرون: بل المقصود منه اباحة الأكل قبل إخراج الحق، لانه تعالى لما أوجب الحق فيه كان يجوز ان يحرم على المالك تناوله، لمكان شركة المساكين فيه، بل هذا هو الظاهر. فأباح تعالى هذا الأكل، وأخرج وجوب الحق فيه من ان يكون مانعا من هذا التصرف. وقال بعضهم: بل أباح تعالى ذلك ليبين ان المقصد بخلق هذه النعم إما الأكل، وأما التصدق، وانما قدم ذكر الأكل على التصدق، لان رعاية النفس مقدمة على رعاية الغير. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [1] (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ) روي عن انس وابن عباس ان الحق هو الزكاة المفروضة.

والأمر بإيتائها يوم الحصاد، للمبالغة في العزم على المبادرة إليه. والمعنى: اعزموا على إيتاء الحق واقصدوه، واهتموا به يوم الحصاد، حتى لا تؤخره عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء.

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل أذا زرع فكان يوم حصاده، لم يخرج مما حصة شيئا فقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وذلك ان يعلم ما كيله وحقه من كل عشره واحد وما يلقط الناس من سنبله.

وقوله تعالى:(﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾) النهي عن الأمران، إما في التصدق، أي لا تعطوا فوق المعروف: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا، ثم تبادروا فيه واسرقوا، فنزلت ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وقال أبن جريح: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد

نخلا له فقال: لا يأتي اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى أمس وليست له ثمره، فنزلت﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ ولذا قال السدي: أي لا تعطوا أموالكم فتعقدوا فقراء.

قال بن كثير: ولا شك انه صحيح ولكن الظاهرة والله أعلم من سياق الآية، حيث قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ ان يكون عائدة للأكل أي لا تسرفوا في الأكل، لما فيه مضره العقل والبدن كقوله تعالى:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟.. ﴾[1].

(١) سورة الاعراف: الآية ٣١.

الأصــول العلميــة والعمليــة مــن دينـــية واجتماعيــة في ســورة الانعام:

١- ان دين الله دين التوحيد وإتقان، لا يجوز تفريق أهله وجعلهم شيعا متعادية فهذا خروج عن هديه (ﷺ). وهذا أصل وقاعدة في سياسة الدين وحياة أهله الاجتماعية وأصل التوحيد هو القاعدة الاعتقادية.

٢- ان سعادة الناس وشقاؤهم متوطنان بأعمالهم النفسية والبدنية وان جزاءهم على أعمالهم يكون بحسب تأثيرها في انفسهم.

٣- جزاء السيئة بمثلها والحسنة بعشرة أمثالها نعمة من الله وفضل منه.

٤- تحمل كل نفس مالها وما عليها ولا تزر وازرة وزرة أخرى.

٥- الجزاء على الأعمال حميمة البدنية والنفسية وترك ظاهر الأثم وباطنه.

٦- الناس على الخيار، ولكنهم خاطئون في أعمالهم للسنن والإصرار.

٧- أوردت السورة وبينت السنن الاجتماعية في حياة الأمم وموتها وسعادتها وشقوتها وإهلاكها بمعانده الرسل وتكذيبهم ونشرهم الظلم والفساد في الأرض.

٨- الاعتقاد على اليقين القاطع لا تزلزله الشكوك ولا ترتاب الانفس.

٩- الأصل في أتباع الرسول (ﷺ) لا على من وثق بهم وقلدهم فلذا أوصفهم صم بكم عمي، وكونهم لا يعقلون.

١٠- التشريع للعباد حق الله على عباده فلا يجوز لأحد ان يصنع حكما لم يستندبه الى الشرع الذي أوفاه الله على رسوله (ﷺ) فهذا شرك في ربوبيته سبحانه.

١١- ان الله أباح للناس الطعام إلا في أربعة مواضع وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله.

١٢- ان أباحه المحرمات تأتي بشروط وهي ان يكون باغية أي مريدا لها ولا عاديا أي متجاوز حد الضرورة إلى التمتع بها.

١٣- السياحة والسير في الأرض، يدل بعمومه على وجوب السياحة وجعله الزمخشري والبيضاوي على الإباحة.

١٤- على الناس ان تنظر في أحوال من سبقهم من الأمم وفي أحوال عقابهم من الذين كذبوا الرسل.

١٥- ان أحد أهم أسباب هلاك الأمم هو الظلم ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

١٦- لمعرفة سنن الله وحكمه في الكائنات وآياته الكثيرة فيها رغب الباري عز وجل البحث في علوم الكون والكائنات جميعها وأرشد القران الى جميع العلوم النباتية والحيوانية والانسانية من جسدية ونفسية والفلكية والحسابية.

١٧- العناية بحفظ انواع الحيوان والنفع بما سخر الله منها للانسان.

١٨- أثبت القران الكريم في هذه السورة المباركة ان الحياة الدنيا ليست إلا لهوا ولعبة وان الحياة الآخرة خير منها للذين يتقون.

١٩- أوردت السورة صورة من الأدب الإسلامي الرفيع بما في ذلك النهي عن سب ما يعبده الآخرون من دون الله لكي لا يقع المحذور ويسب أولئك المشركون الله تعالى عدوا بغير علم، وهذا مما يثير العداوة ويورث الأحقاد.

٢٠- ان الله سبحانه فضل اناس على اناس وأقوام على أقوام وهذا ابتلاء للناس،والاختلاف كثير ومتنوع، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [2].

(١) سورة الانعام: الآية ٤٧.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٦٥.

٢١- ان الله غفور رحيم وعليه يستوجب الاستعجال في التوبة الصحيحة مع ما يلزمها من عمل صالح والأقلاع عن الذنب الصالح السيء ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

اعتبارات وقيم وترسيخ للإيمان وتوجيه الأبصار على مقدره الله عز وجل في خلقه وانه الواحد الأحد عالم الغيب والشهادة البصير المتعال الحكيم العليم:

١- علم الله سبحانه وتعالي سبق جمع العلوم وقدرته على المراقبة والإحصاء لا يعادلها شيء بل لإيجار بها عمل مهما كان دقيقة وواسعة (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) (يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ).

٢- ان سبحانه وتعالى يعلم الغيب لوحده فهو عنده مفاتيح الغيب الخمسة (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ) [٢].

٣- ان الله سبحانه وتعالى منفرد بالخلق، الدالة على مبدعات قدرته وكمال رهبته، وعلمه وحكمته. لذا فان معرفة الله سبحانه وتعالى مقصود إلهي عظيم ترسخ الإيمان وتبعد الاوهان والشكوك والظنون بل الدخول في الشرك والعياذ بالله. فهو الخالق وهو الفالق للحب والنوى.

٤- ان سورة الانعام تثبت المفاهيم الواردة في سورة البقرة وفي جميع السور على ان الله سبحانه هو الرزاق العليم منزل الغيث من السماء إلى الأرض غياثا للخلائق

(١) سورة الانعام: الآية ٥٤.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٤.

والعباد رحمة منه، وان الله هو المبدع الخالق الذي نوع في خلقه وجعله رزقا للعباد يخرج من ماء واحد.

٥- سورة الانعام تثبت حق التوحيد للألوهية وان الله سبحانه لا يقبل ان يشرك به شيئا وان ما كان الله فهو واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، وان الله يتقبل من المتقين.

٦- في هذه السورة دلالة واضحة على قدرة الله وعظمته وكرمه وشمول رحمته، فأين ما تنظر تجد الله تجاهك وان ما جاء من فوائد في خلقه للعباد انما تقديرا منه وتكريما لعباده، لا يدانيه فيه أحد وهو أحسن الخالقين.

قصص في سورة الانعام منها:

١- ذكرت السورة من انبياء الله ورسوله وهم: نوح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، داؤد، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، عيسى، إلياس، المسيح، يونس (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام).

٢- عرضت هذه السورة لعدد من الأمم البائدة التي رفضت رسالات ربها، ومجدت آياته، وقاومت رسل الله وانبياءه إليهم، على الرغم من الوعد والوعيد.

٣- ان حقيقة إعراض اليهود عن منهج الله وكذبهم على الله سبحانه وتعالى تعرضت له سورة كثيرة ومنها هذه السورة الكريمة، ولهذا عاقبهم الله تعالى بان حرم عليهم أطايب الطعام.

٤- لله سبحانه وتعالى يؤكد في أكثر من موقع في القران تكامل جميع رسالات السماء في الدين الإسلامي والرسالة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم) ليعبد رب أهل مكة ومن حولها وأهل الأرض جميعا.

الآيات الكونية في سورة الانعام:

١- أشارت السورة الكريمة ان الحياة في النبات عبادة عن خلق يشبه خلق الانسان في انثاقه عن أصل واحد، وترابطه في أمة واحدة كما جاء ذلك في تصنيف وتقسيم النبات.

٢- ان قضية الخلق وان الله هو الخالق وهو المبدع تعرضت له هذه السورة الكريمة بمواقف عديدة ومتنوعة شملت العديد من خلق الله تعالى وما خلق من بني آدم وخلق النبات وبقية الأحياء والألوان والأجرام والليل والنهار والظلمات والنور.

٣- إشارة السورة الى ان الله سبحانه وتعالى هو فالق الحب والنوى، فالق الإصباح من ظلمة الليل وهذا شانه جل علاه كل يوم.

٤- أشارت السورة الكريمة ان انزال الماء من السماء يؤدي بأذن الله تعالى الى جنات معروشات وغير معروشات فيها من أصناف الفاكهة ما هو صنوان وغير صنوان، وفيه المتشابهة والمختلف ومن الزرع مختلف أكله، متعدد نوعه ولونه وطعمه وطبعه يسقي من ماء واحد. وهناك أمور كثيرة قد دلت عليها السورة الكريمة.

سورة الأعراف

وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] أي وقلنا يا آدم أسكن جنة الخلد أو جنة في الأرض.

قال الجشي: وقد تقدم ذكر هذه القصة، الفائدة في إعادتها ان القران نزل في بضع وعشرين سنة والعوارض تعرض، والوفود تقدم، فكانت القصة تعاد، ليسمح من لم يسمع، استصلاحا ولطفا لان في أعادة قصة واحدة، في مواضع بألفاظ مختلفة، وكل واحد منها في نهاية الحسن، من أعجاز القران (**فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا**) أي من كل مكان (**وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**) أي الشجرة التي قررها الله سبحانه وتعالى وأخفى ما هيتها فلم تعلم لا في القران ولا في السنة الصحيحة. فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٩.

(فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا) [1] أي فكلا من ثمارها حيث شئتما وفي سورة البقرة ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ [2] ومن سنة القران ان يتضمن التكرار للقصص فوائد في كل منها لا توجد في الأخرى من غير تعارض المجموع.

﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [3] النهي عن قرب الشيء أبلغ من النهي عنه كما بيناه في تفسير ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ﴾ [4]فهو يقتضي البعد عن موارد الشبهات التي تغري به وتقضي إليه ورعأ واحتياطا، ((ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه)) كما ورد الحديث، وتعريف الشجرة كتعريف الجنة، وهي مشار إليها في الآية بما يعين شخصها، ولم يبين في القران نوعها ولا وصفها، إلا ما في الآية التالية عن إبليس ومثله في سورة طه.

﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾[5] ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾[6] أي الغاية لا يموتون البتة. فوسوس لهما الشيطان بـ:

١- ان الأكل من هذه الشجرة يعطي الأكل صفة الملائكة وغرائزهم.

٢- ان ينالا من الأكل صفة الخلود وان لا يصيبهم الموت البتة.

٣- يكون لهم ملك لا يبلى أبدا أي لهم الخلود الأبدي في الجنة مع ملك عظيم.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٢٠.

(٦) سورة الاعراف: الآية ١١٧.

وقال (وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)(فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) وهو من التولي – أرسله إلى أسفل شيئا فشيئا أو رويدا رويدا أي ما زال خدعهما بالترغيب في الأكل من الشجرة وأقسم انه ناصح أمين شريك لهما حتى أسقطهما وحطهما عما كان عليه من سلامة الفطرة وطاعة الفاطر بما نحرهما به.

والغرور الخداع الباطل وهو مأخوذ من العزة والغراوة وهي الغفلة وعدم التجربة كما قال الله تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1] ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

أي ألم انهكما عن تلكما الشجرة ان تقرباها وأقل لكما ان الشيطان عدو لكما دون غير كما من الخلق بين العداوة ظاهرها فلا تطيعاه يخرجكما من الجنة حيث العيش الرغد الى حيث الشقاء في المعيشة والتعب في جهاد الحياة. وهذا ما ورد في سورة طـــــــــه﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] أي إلى أرض ميتة مجد به لانبات فيها كقوله تعالى:﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾[5] ولهذا قال (فأخرجنا به من الثمرات) وكذلك نخرج الموتى، أي كما أحيينا الأرض بعد موتها

---

(١) سورة الانعام: الآية ١١٢.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٢٢.

(٣) سورة طه: الآية١١٧، تفسير الحكيم: محمد رشيد رضا ج٨ ص ٢٧٩٠.

(٤) سورة الاعراف: الآية ٥٧.

(٥) سورة يس: الآية ٣٣.

كذلك نحي الأجساد وبعد صيرورتها رميماً يوم القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوما فتنبت منه الأجسام في قبورها كما ينبت الحب في الأرض وهذا المعنى كثير في القران يضرب الله مثلا اليوم القيامة بأحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال **(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** وقوله والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه أي الأرض الطيبة يخرج نباتها سريعا حسنا كقوله **(وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)**.

والذي خبث لا يخرج إلا نكدا أي الأرض السباخ قال مجاهد وغيره وقال ابن عباس هذا مثل ربه الله للمؤمن والكافر[1].

(انزلنا به الماء) أي الضمير والضمير (بن) للبلد **(فأخرجنا به من الثمرات)** أي المختلفة الانواع مع ان ماءها واحد والمراد (بكل الثمرات المعتادة في كل بلد تخرج به على الوجه الذي أجرى الله العادة بها وريدها. والضمير (به) للماء أو للبلد.

ومن أحكام الآية كما قال الجشمي: انها تدل على عظم نعمت الله تعالى علينا بالمطر، وتدل على الحجاج في أحياء الموتى بأحياء الأرض بالنبات وتدل على انه أراد من الجميع التذكر. وتدل على انه أجرى العادة بأخراج النبات بالماء. وإلا فهو قادر على إخراجه بدون الماء، فأجرى العادة على وجوه دبرها عليها على ما نشاهده. لضرب من المصلحة دينا دنيا. ومنها إذا رأى الأرض الطيبة تزرع دون الأرض السبخه وانها قطع متجاورات، علم فساد التقليد، وانه يجب ان يتفحص عن الحق حتى يعتقده. ومنها انه إذا زرع وعلم وجوب حفظه من المبطلات، علم وجوب حفظ الأعمال الصالحة من المحيطات[2].

---

(١) ابن كثير،ج٢.

(٢)انظر محاسن التأويل ج ٧، ص٢٧٥٩.

قال (سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ) أي سيرناه وسقناه الى بلد ميت أي أرض لا نبات فيها فانما حياة الأرض بالنبات الحي فيها، كما قال الله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[١].

قال في المصباح كغيره: يطلق على البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامرا كان أم خ لاء وفي التنزيل الى بلد ميت) أي الى أرض ليس فيها نبات ولا مرعي فنخرج ذلك بالمطر فترعاه انعامهم فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى وأطلق الحياة على وجودهما.

ويقول الله تعالى: (فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ) عطف كلا من انزال الماء على سوق السحاب ومن إخراج النبات على انزال الماء بإلغاء الدالة على التعصيب، وهو يتفاوت بتفاوت الأشياء فانزال الماء يعقب سوق السحاب الثقال وجعله كسفة أو ركاما بدقائق معدودة وسبب السرعة شدة الريح، وأما أخراج النبات بسبب هذا الماء فأمد التعقيب فيه أوسع فانه يكون بعد أيام تختلف قلة وكثرة باختلاف الأقطار في الحرارة والبرودة، ونوع النبات.

والثمرات جمع ثمرة، والمراد بكل الثمرات جميع انواعها على اختلاف طعومها وألوانها ورائحتها. وليس المراد كل بلد ميت ينزل الله فيه الماء يخرج به جميع الثمرات التي خلقها الله في الأرض. فالبلاد تختلف أرضها فيما تخرجه.

﴿ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢] أي مثل هذا الأخراج لانواع النبات من الأرض الميتة بإحيائها بالماء تخرج الموتى من البشر وغيرهم. فالقادر على هذا قادر على ذاك، لعلكم تذكرون[٣].

---

(١) سورة فاطر: الآية ٩.

(٢)سورة الاعراف: الآية ٥٧.

(٣) تفسير الحكيم، محمد رشيد رضا، ص٢٨٨٤

الآيات التي تدل على الخلق والقدرة في سورة الأعراف:

١- بينت السورة ان عملية الخلق تسبق التصوير وهو ما مثبت علميا.
٢- ان جميع الأجرام السماوية مسخرة بأمر الله منها الشمس والقمر والنجوم وكذلك الأرض وارتباطها ببعضها.
٣- ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح ويكون السحب وينزل الماء ويخرج الزرع والشجر والثمر، وهذا طبع الخلق وأحياء الموتى.
٤- أشارة السورة ان البلد الطيب يخرج نباته طيبة وما خبث يخرج خبيثة نكدا.
٥- وصف العديد من المعجزات على يد المرسلين.
٦- تعدد المشارق والمغارب في الأرض وهذا مقر علمية فلكل بلد مشرق محدد ومغرب محدد.
٧- المعجزة في تغير الخلق والمسخ وهو ما كان في اليهود الكفرة الذين مسخهم الله الى القدرة والخنازير.
٨- الإشارة إلى تيه قوم موسي في الصحراء وانزل المن والسلوى عليهم واستبدالهم ذلك بالذي هو أدنى من البقل والنوم والعدس.
٩- ان بني إسرائيل يسامون العذاب الى يوم القيامة جيلا بعد جيل عقابا لهم على كفرهم وشركهم وإفسادهم وقتلهم الانبياء بغير حق.
١٠- أشارة السورة ان الكتب التي قبل القران جرى عليها التحريف ومنها التوراة.
١١- من الحقائق العلمية ان جميع البشر خلق من نفس واحدة وانهم يحملون الصفات الوراثية نفسها ويمكن لهم التزاوج وانجاب النسل بينهم.(سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [١]،[٢].

---

(١) تفسير الحكيم، محمد رشيد رضا، ص٢٨٨٤.
(٢)كتاب الحيوان بتصرف للدكتور زغلول النجار وتفسير المنار.

سورة تثبت ان الله الخالق وهو المبدأ وهو المعيد وضرب الله أمثله وقصص فيها قصص جاءت لتعطي حق الألوهية والربوبية الله سبحانه، وتربي للتقوى على ذلك:

١- وهنا من القصص معاودة قصة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام التي تعطي لكل زمان ووقت نزلت فيه الآيات المنجمات درسة ربانية تذكر به القوم وتسلط الضوء على مشيئة الله وعظمته وقدرته ووجوب طاعته والتزام أوامره.

٢- وتستمر السورة لتسليط الضوء على بعض زوايا قصة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وهي زاوية الشر والشرور والحسد الشيطاني لما وصل عليه سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام لتبين شر الحسد والغرور والتعالي فان ذلك يؤدي إلى خسران كل شيء والعياذ بالله.

٣- ان الموت والحياة بيد الله سبحانه فهو الذي خلق الموت وجعل منه الحياة وخلق الحياة وجعل منها الموت وضرب الأمثلة وقصص القصص ليقرب ذلك إلى الذهن البشري اليقضن ويفهم أمر الدنيا ويعرف ربه **(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**.

٤- ان النفوس البشرية جبلت على الخير والشر فمنهم من كان نباته حسنا وآخر نكدا فلأفعال والأعمال والأقوال وحتى النبات تأتي من هاتين الجبلتين وان الله طيب لا يقبل إلا طيب، وان الجميع مآلهم الى الله سبحانه.

سورة يونس

قولــه تعــالى:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. أي أمتـزج بـه لسـريانه فيـه، فالبـاء للمصاحبه أو هي للسببية، أي اختلط بسببه حتى خالط بعضه بعضا أي التف بعض ببعض، والأول أظهر.

وهنا نذكر ان المخالطة هو دخول الماء إلى النبات بداخله في مكوناته وعليه أصبح مختلطة بعروقه داخلا في تركيباته الحيوية فهو باختلاطه بالنبات أصبح جزءا منه (وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ) فهذا في معناه الخارجي مختلطة بالنبات كله ملتفة حوله وفي معناه الداخلي ممتلئا النبات بالماء بكل عروقه ومكوناته. والماء المنزل من السماء يختلط بالنبات بأمر الله سبحانه وتعالى وكون هذا الماء نقيا يستطيع النبات ان يمتصه ليقدم بأفعاله الحيوية التي يحتاجها البقاء حياته مثل عملية التركيب الضوئي أو التمثيل الغذائية من مكان إلى آخر داخل النبات أو يقوم لتلطيف درجة الحرارة عن طريق عملية النتح.

برامج الماء والنبات

وقوله تعالى (**مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ**) من الزروع والثمار والكلأ والحشيش، (**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا**) أي حسنها وبهجتها (**وَٱزَّيَّنَتۡ**) أي بأصناف النبات (**وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ**) أي متمكنون من تحصيل حبوبها وثمارها وحصدها (**أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا**) أي عذابنا (**لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا**) أي كالمحصود من أصله (**كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ**) أي

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

لم تنبت قبل ذلك الوقت ((بالأمسِ) مثل في الوقت القريب (ذلك نفصل الآيات) أي بالأمثلة تقريبا (لقوم يتفكرون) أي في معانيها[1].

والله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال للناس لعلهم يتفكرون وهنا ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء انزل من السماء مما يأكل الناس والدواب من زروع وثمار على اختلاف انواعها وأصنافها وما تأكل الانعام من أب وقضب وغير ذلك فحين تكتمل الأرض زخرفها من الزرع والثمار في رباها ومن الزهور ونضره خضرة مختلفة الأشكال والألوان (ظَنَّ أَهْلُهَا) أي الذين زرعوها وعدوها وغرسوها وحافظوا عليها انهم قادرون على جذاذها وحصادها فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها فجعلها يابسا فان لم تكن بلامس القريب قبل هذا الموعد بعد النضرة والنضارة والبهاء وحسن الانتشار والتكوين. وهكذا يقول الله سبحانه وتعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي نبين الحجج والأدلة فيقصرون بها وبهذا المثل وبزوال الدنيا من أهلها سريعا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وكيف تركتهم وانتقلت على حين غره منهم فان من طبع الدنيا الهرب ممن يطلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الدنيا كنبات الأرض في مواضع عدة. انظر (سورة الكهف، سورة الزمر، سورة الحديد، وغيرها).

قال تعالى:﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ...﴾[2]. أي لا شبه لها في صورتها ومآلها إلا ماء المطر في جمله خلطه الآتية: (فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ) أي فانبتت الأرض أزواج شتى من النبات تشابكن بسببه وأختلط بعضها ببعض في تجاورها وتقاربها، على كثرتها و اختلاف

(١)محاسن التأويل ج٩، ص٣٣٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٤.

انواعها (مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ) بيان لأزواج النبت وكونها شتى كافية للناس في أقواتهم ومراعي انعامهم، وكل مراعي آمالهم (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) أي حتى كانت الأرض بها في خضرة زروعها السندسية، وألوان أزهارها الربيعية، كالعروس إذا أخذت عليها من الذهب والجواهر وحللها من الحرير الملون بالألوان المختلفة ذات بهجة، فتحلت وأزينت بها استعدادا للقاء الزوج ولا تخفى عن حسن الاستعارة في أخذ الأرض زينتها، حتى كان استكمال جمالها، كانه فعل عاقل حريص على منتهى الإبداع والإتقان فيها ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[1].

(وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ) متمكنون من التمتع بثمراتها، وإخراج غلاتها... (فجعلناها حصيدا) أي كالأرض المحصودة التي قطعت واستؤصل زرعها، فالحصيد يشبه به الهالك من الأحياء كما قال في أهل القرية الظالمة المهلكة﴿جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [2] (كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ) أي هلكت فجأة فلم يبق من زروعها شيء، حتى كانها لم تنبت ولم تمكث قائمة نضره بالأمس (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي كهذا المثل في جلائه وتمثيله لحقيقة حال الحياة الدنيا وغرور الناس فيها وسرعة زوالها، عند تعلق الآمال بنوالها. نفصل الآيات في حقائق التوحيد وأصول التشريع وأمثال الوعظ والتهذيب وكل ما فيه صلاح الناس في عقائدهم وانفسهم وأخلاقهم ومعاشهم، واستعدادهم لمعادهم لقوم يستعملون عقولهم وأفكارهم فيها، ويزنون أعمالهم بموازينها، فتبيتون ربحها وخسرانها [3].

أعطت هذه السورة من العبر في أمثالها وقصصها ما أوضحت به السبل الإيمانية والصادق يوصل بصاحبه الى حافة الأمان.

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٢) سورة الانبياء: الآية ١٥.

(٣) تفسير الحكيم، محمد رشيد رضا، ج١، ص٤١٣١.

١- جاءت السورة بالمثل القراني وفيه طبيعة الخلق والانشاء وان الله هو المبدأ الخالق المنشأ وانه خلق من الماء كل شيء حي.

٢- ان طاعة الله سبحانه وعدم التسرع باتخاذ القرار إلا بعد تريث واعتناء وتبيان للأمور كل هذا يؤدي إلى النجاة والفوز.

٣- ان الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء ويسمع تسبيح كل شيء فما ناجاه أحد إلا وأغاثه ونصره وانقذه. فذكر الله فيه الخلاص والنجاة والاطمئنان.

ما جاء في أفعاله تعالى وآياته في التقدير والتدبير والرزق وفيها:

١- خلق السموات والأرض في ستة أيام أي أزمنه فحدد كلا منها طور من أطوار التكوين.

٢- استواؤه تعالى بعد هذا الخلق على عرشه يدبر أمر ملكه والمراد بهذه الآية في هذا الباب ان العالم في جملته عرش هو مركز التدبير والنظام العام له.

٣- بدء الخلق ثم أعادته (سورة يونس: الآيات: ٤ - ٣٤).

٤ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾[١].

٥-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[٢].

٦- مثل الحياة الدنيا في زينتها وغرور الناس وزوالها (سورة يونس: الآية ٢٤).

٧- انزال الرزق من السماء والأرض (سورة يونس: الآية ٣١-٩٥).

٨- ملك السمع والإبصار (سورة يونس: الآية ٣١).

٩- إخراج الحي من الميت والميت من الحي.

١٠- تدبير أمر الخلق في (سورة يونس: الآيتين ٣-٣١).

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٠.

(٢) سورة يونس: الآية ٧٦.

١١- كون خلقه للشمس والقمر ضياء ونورة وحسبانا بالحق لا عبثا (سورة يونس: الآية٣).

١٢- هداية تعالى الى الحق ويؤيده ان الظن لا يغني من الحق شيئا (سورة يونس:الآيتين ٣٠-٣٦) وانه ليس بعد الحق إلا الضلال (سورة يونس: الآية ٣٢) وانه يحق الحق بكلماته (سورة يونس: الآية ٨٢).

١٣- لله ما في السموات وما في الأرض أي ما غير العقلاء (سورة يونس: الآية٥٦).

١٤- الله ما في السموات ومن في الأرض من العقلاء (سورة يونس:الآية ١٦).

١٥- الأمر بنظر ما في السموات والأرض والاعتبار بهما ((سورة يونس: الآية ١٠١).

١٦- سرعة مكره تعالى من إحباط مكر الماكرين، والإملاء للظالمين (سورة يونس:الآية ٢١).

١٧- تسييره تعالى للناس في البر والبحر، ونجاتم من الغرق بعد اليأس في (سورة يونس:الآيتين ٢٣ - ٢٢).

فهذه الآيات المنزلة المرشدة إلى النظر في الآيات المكونة، تدل على عناية هذا الدين بالعلم بكل ما خلق الله، وما أودع فيه من الحكم والمنافع للناس، ليزدادوا في كل يوم علما بدنياهم، و عرفان وأحياء بربهم، كلما رتلوا كتابه وتدبروا آياته﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1].

سورة أوردت قصة جعل الله فيها من الدروس والعبر ما قائم الى يومنا هذا:

١- أمر الله سبحانه وتعالى الناس بترك الحسد والبغضاء وانه يوقع بين الناس العداوة والفرقة والتمزق.

٢- ان الله مبتلي عباده وحتى الانبياء بأمور دنيوية كثيرة منها النساء والمال والجاه فعلى المؤمن ان يتقي الله عز وجل إذا ما فتن بهذا كله أو ما جداهن.

---

(١) سورة ص: الآية ٢٩.

٣- الفتنة والضياع أمر أورده الله للناس ولكن الله منجي الذين أمنوا وتارك الكافرين تأئهين حيارى في أمرهم، وان الله إذا تولى عبدا نصره.

٤- السورة ينت ان الله سبحانه يعلم ويحاسب بالنوايا السيئة إذا ما جعلت أفعا وان صاحبها لم يعلن توبة الى الله ورجوعه الى طاعته وندمه على ما فعل.

٥- ان التعالي على الناس من خلال ما يتصور الانسان ان يملك أمورا كثيرة أمر مذموم وقبيح ومهما كان هذا المرء على ذكاء وفطنه فانه واقع في المهالك لا محال وان شهوات النفس أمر وقتي وزائل.

٦- الصبر على البلاء ولو طال سنينا وأعوام فان الله لا يغفل ولا ينام ولكن سنة الله يجريها لعباده (وليُمحّصَ اللهُ الذينَ آمنوا ويَمحقَ الكافرين).

٧- ان الرؤيا الصادقة الحقة هي من درجات النبوة.

٨- ان الانسان إذا وجد نفسه قادرة على فعل شيء طيب فيه خيرا أو تولي أمرا يجد فيه الخبرة والكفاءة فليعرض نفسه لخدمة دين الله ولا يظن ان في ذلك رياءا.

٩- في السورة من المعجزات الألهية ما أيده الطب الحديث وهو ما يصاب به الانسان من صدمة فتحوله من حال إلى حال وهذا إعجاز طبي كبير.

سورة هود

قال تعال﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[1].ذكر الله تعالى خبر الانبياء وما جرى لهم مع أممهم وكيف أهلك الكافرين ونجي المؤمنين، فمن الذكر ما هو (قَائـم) أي عامر (وَصَيَة) أي هالك، فما أصابهم ذلك إلا بظلم انفسهم فأهلكوا بذنوبهم.

(١) سورة هود: الآية ١٠٠.

وهنا أشارة الى الأمم التي أهلكت فمنها باق ينظر إليها، وقد باد أهلها وأصبحت أثرا بعد عين وما الآثار الا دليل على ذلك، والأخرى عافي عليها الأثر كالمزرع المحصود الذي لم يبقى له أي أثر يذكر(١).

(مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ) أي من تلك القرى ماله بقايا مائلة وآثار باقية كالزرع القائم في الأرض، كقرى قوم صالح. ومنها ما عفا ودرست آثاره كالزرع المحصود الذي لم يبق منه بقية في الأرض كقرى قوم لوط(٢).

بين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة من خلال ذكر النبات في الآيات القرانية فيها بين ان من يطع الله ورسوله ويؤمن بكتبه وباليوم الآخر فهو الذي يكون على السراط المستقيم المثمرة أعماله والعكس فيه الحيره والضياع والحسرة والندم والهلاك وهذا ما بين الله سبحانه في قصص الأقوام التي كذبت رسلها.

سورة يوسف

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾ (٣).

من هذه الآية الكريمة يفيدنا في بحثنا ما ورد في اعتداد المتكاء وآيتان كل واحدة منهن سكينة فقال الله سبحانه وتعالى (فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ) أي أغتيابهن وسوء الظن عندهن (أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ) أي تدعوهن للضيافة، مكرا بهن وردة فعل على مكرهن (وَأَعۡتَدَتۡ) أي أحضرت وهيئت (لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا) أي ما يتكثف عليه من الوسائد وجاء

(١) سورة ص: الآية ٢٩.

(٢) تفسير الجطيم، محمد رشيد رضا، ص٤٣٥٤.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣١.

في المعنى المتكأ هو نوع من الفاكهة وهو الأترجة (انظر كلمة المتكأ وقصة النبات مع يوسف) ثم (وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ) أي ليعالجن بها ما يأكلن من الفواكه ونموها، وهو ارتباط السكين بالمتكأ من الفواكه(**وقالت**) أي ليوسف (ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ) أي ابرز إليهن ليرينك ويعلمن ما سر ما قد رواتك عن نفسك. وهنا قال الزمخشري: قصدت بتلك الهيأة.

وهي قعودهن متكئات، والسكاكين في أيديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهن، فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكأ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده انتهى[١].

وقوله تعالى: (أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا) أي دعتهن إلى الطعام في دارها، ومكرت بهن كما مكرنا بها، بان أعدت وهيأت لهن ما يتكئن عليه أذا جلسن من الكراسي والأرائك وهو المعتاد في دور الكبراء قال تعالى في صفة أهل الجنة ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ ﴾[٢] وكان ذلك حجرة مائدة الطعام، وأعطت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن به ما يأكلن من لحم أو فاكهة، وروي عن بعض المفسرين السلف تفسير المتكأ بالطعام الذي يتكأ عليه أي يعتمد عليه لأجل قطعة كالمجامد والشديد القوام، دون الرخو كالموز الناضج من الفاكهة والحساء من الطعام، والاتكاء على الشيء هو التمكن بالجلوس عليه واتكأ جلس متمكنا وفي التنزيل﴿ وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾[٣]أي يجلسون وقال (وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا) أي مجلس يجلسن عليه.

---

(١) محاسن التاويل، ج٩،ص٣٥٣٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٣١.

(٣) سورة الزخرف: الآية٣٤.

قال ابن الأثير: والعامة لا تعرف إلا تكاء إلا الميل في القعود معتمدا على أحد الشقين، وهو يستعمل في الجنبين معتمدا، يقال اتكا إذا أسند ظهره أو جنبه الى شيء معتمدة عليه، وكل من أعتمد على شيء فقد اتكأ عليه وروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد وجبير تسير المتكأ هنا بلأترج أو الاترنج: والانترنج بالجيم المشددة ويقال أترنج و ترنج ثمره من جنس الليمون الحامض كبير مستطيل بشكل بطيخ الشمام، يسميه العوام الكباد حامضة في جوفه قليل وسائرة يؤكل بعد إزالة قشرة سطحه اللاصقة بحجمه لانه لا يقطع إلا بالأتكاء عليه، وفي السنة انه (ﷺ) كان يأكل وهو متكئ[1].

قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا﴾[2].

ونستمر مع يوسف عليه السلام وما جاء في القصة من علاقة النبات، قال تعالى: (وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ....) أي وقال الملك أي لملئه (عِجَافٌ) الهالكات من الهزال. جمع عجفاء، بمعنى المهزولة، ضد السمينة (وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ) أي وأرى رؤيا ثانية سبع سنبلات، والسنبل ما يكون فيه الحب متراكبا وهو ما يدل على انواع الحنطة أو الشعير أولا (خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ) أي وسبعة أخر يابسات دقيقة، أي نبتت وراءها فابتلعت السنابل الخضر الممتلئة وانما أستغني عن عددها وإعدامها للخضر للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات لانها نظيرتها.

والرؤيا هنا لملك وهو مما قدر الله سبحانه وتعالى انها كانت سببا لخروج يوسف من السجن معززا مكرمة والقصة معروفة وعندما أسقط بيد الملك من يفسر له ذلك من الكهنة وكبار دولته وأمراءه جاءت البشري ان رجلا في السجن يدعى يوسف يستطيع

---

(١) المصدر السابق: ج١٢،ص٤٤٤٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٣.

ان تقص عليه رؤيته بصر ان نسية صاحبه فبعثوه فقال (يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا) (وهنا التفاته صريحة من الآية الكريمة بانهم كانوا يعرفون ان يوسف صديقا ولا يكذب وهو مؤتمن وعلى خلق عال وان ما أتهم به مع أمرأة العزيز باطل ولا صحة له)...

ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك بل قال: (تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا) أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لانها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين فقال (فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ) أي مهما استقللتم في هذه السنين السبع الخصب فادخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التي قعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان لان سني الجذب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم انهن لاينبتن شيئا وما بذروه فلا يرجعون منه الى شيء ولهذا قال (يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ) ثم بشرهم بعد الجذب العام المتوالي بانه يعقبه بعد ذلك عام يغاث الناس أي يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عاداتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضا. وهنا تتضح لنا علاقة النبات مع قصة يوسف عليه السلام.

هذه قصة ملك مصر وتأويل يوسف لها بالقول والفعل. وما جاء في القصة من ذكر الزروع (وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ) وهي جمع سنبلة وهو ما يخرجه الزرع كالقمح والشعير.

أوردنا ذلك في مكان سابق وتكلمنا عن الحبوب التي تكون في سنبلة أو عرانيص مثل الذرة (وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) واليابس من السنابل ما ان حصاده وللاستزادة [١]

سورة الرعد

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [٢]

أي بقاع متقاربات مختلفة الطبائع فمن طيبة الى سخبة ومن صلبه الى رخوة، مما يدل على قدرة مدير مريد حكيم في صنعه، وهذه تربة حمراء وهذه بيضاء، هذه صفراء وهذه سوداء وهذه مرملة وهذه سمكية وهذه رقيقة فهذا اختلاف الألوان والطباع يدل على الفاعل المختار لا أله إلا هو رب العالمين.

وقوله (وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ) الصنوان جمع صنو وهي نخلة أصلها واحد وفروعها شتى، فما زاد في الأصل الواحد كل واحد منهما صنو أو عام في جميع الشجر وأفراد والزرع لانه مضرر في الأصل يشمل القليل والكثير ويقول أبن كثير: الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل وغير ذلك، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ومنه سمي عم

(١)التفسير الحكيم: محمد رشيد رضا ج١٢ ص ٤٤٦٤ أو قصص الانبياء عبد الوهاب النجار.

(٢) سورة الرعد: الآيتان٣-٤.

الرجل صنو أبيه كما جاء في الصحيح ان رسول (ﷺ) قال عمر (أما شعرت ان عم الرجل صنوا أبيه) انتهى قول أبن كثير. ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ أي بماء المطر أو النهر.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ فتتفاضل قدرة وشكلا ورائحة وطعمة وهو هذا الأمر والحب. وان هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع فهذا في غاية الحلاوة وهذا في غاية الحموضة وذا في غاية الحرارة وذا عفص وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل الى طعم آخر بأذن الله تعالى، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع انها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا بنضبط، في ذلك آيات لمن كان واعيا وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فأوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد، فان الذي جعلها على الاختلاف في تلك البقاع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة – قادر على إعادة ما أبداه، بل هو أهون في القياس وهذا كله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [1]قال ابن عباس فرح وقره عين وقال عكرمة نعم مالهم، وقال الضحاك غبطة لهم وقال إبراهيم النخعي خير لهم، وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال في رواية طوبى لهم حسنى.

لهم وجاء في تاج العروس:

طوبى لمن يستبدل الطود بالقري ورسلا بيقطين العراق وفومه

الطود: الجبل. الرسل: اللبن. الفوم: الخبز والحنطة.

وقال سعيد أبن جبر عن ابن عباس هي الجنة أرض بالحبشية وقيل هي الجنة بالهندية.

---

(١) سورة الرعد: الآية٢٩.

وقال السدي طوبى لهم أي: الجنة، وقيل طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها ما وراء سور الجنة وقيل هي شجر، في الجنة في كل دار غصن منها. وقيل عن أبي سعيد الخدري طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائه سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمالها. وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول (صلى الله عليه وسلم) (ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وأمن بك قال: طوبى لمن راني وأمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن أمن بي ولم يرني، قال له رجل وما طوبي ؟ قال: شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمالها. وجاء في سياق هذا في القران الكريم (**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**) وتسمى شجرة الخلد) [(١)]

قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۚ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[(٢)]أي ص فتهـــــا ونعتها (**تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ**) أي: سارحة في أرجائها وجوانبها وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجيرا أي يصرفونها كيف يشاءوا وأين شاعوا ولقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ [(٣)]. وقوله (**أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ**) أي: فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في منامك هذا ثم رأيناك تكعكعت فقال (**اني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**) والأحاديث في هذا كثيرة وعن ثوبان قال: قال رسول الله (ﷺ) (**ان الرجل إذا نزع ثمره من الجنة عادت مكانها أخرى**) وقد قال تعالى

---

(١) سورة الزخرف: الآية٣٤.

(٢) سورة الرعد: الآية٣٥.

(٣) سورة محمد: الآية١٥.

(لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ) وقال (وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا) وهكذا هي عافية المتقين وعلى عكسهم النار في مثوى الكافرين.

ان الله سبحانه وتعالى في الآيات التي أورد فيها النبات بين وأكد وثبت على ألوهيتة ووحدانيته وعظمته في خلقه وقدرته المتناهية في بسط نفوذه وتدبيره.

١- سورة الرعد المباركة تؤكد على قدرة الله في تنويع الخلق باختلاف الأشكال والإطعام والروائح والطباع علما انها تسقى من ماء واحد منزل من السماء.

٢- وكما الخلق من اختلاف في الطباع والمزايا فان البقاع من الأرض لها اختلافات في الطباع وهذا الطباع وهذا التنوع يدل على قدرة الخلق وكبر الرؤيا.

٣- ان الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا فهو مجاز كل انسان بعمله يوم القيامة ومبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بان لهم العقبي وحسن مآب.

٤ - ان الثواب والعقاب يكتمل فيما إذا وضع أمرنا فكان توضيح الجنة وما بها من مغريات له الأثر الكبير في طاعة الله والرغبة في الرجوع إليه وان شرح النار وما فيها من عذاب له أمر رادع كبير لمن زاغت نفسه وظلمها بالابتعاد عن طاعة الله والرجوع بالكفر والعصيان والنفاق والعياذ بالله فوضحت السورة مآلات الحياة وصفاتها [(١)].

عن أبي بن كعب الانصاري (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: **(يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله ورسوله أعلم قال: يا أبا المنذر أتدري أي أية من كتاب الله أعظم ؟: قلت: الله لا اله إلا هو الحي القيوم، قال فضرب في صدري وقال: وانه ليهنئك العلم أبا المنذر)** رواه مسلم وأبو داؤد

حديث: عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: **(إقرأوا القران فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانها غمامتان أو كانها غيابتان أو كانها فرقان من**

---

(١) سورة الرعد: الآية٢٩.

طير صواف تحاجان عن أصحابها أقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة). رواه مسلم والترمذي

سورة إبراهيم

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفروعها أي أعلاها ورأسها (**في السماء تؤتي أكلها**) أي ثمرها (**كُلَّ حِينٍ**) كل وقت (**بِإِذْنِ رَبِّهَا**) أي بإرادته وتكوينه (**وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) أي لان فيها زيادة إفهام وتذكير وتصدير للمعاني المعقولة (راجع المثل القراني والنبات) [1].

عن ابن عباس:

(**مَثَلًا الكَلِمَةِ الطَيِبَةِ**) شهادة ان لا اله إلا الله (**الشَجرةِ طَيِبَة**) المؤمن (**أَصلُها ثَابت**) يقول لا أله إلا الله في قلب المؤمن (**وَفرعُها فِي السَماء**) يقول يرفع بها المؤمن الي السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد: ان ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وان المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساءا وعن انس ان رسول الله (ﷺ) أتي بقناع بسر فقرأ (**مَثَلُ كَلمة طَيِبَة كَشَجرة طَيِبَة**) قال هي النخلة.

وعن ابن عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة في الجنة وقوله (**تؤتي أُكلَها كُل حيَن**) قيل غدوه وعشية، الظاهر من السياق ان المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذا المؤمن لا يزال يرفع له

---

(١)القاسمي ج١٠، ص٣٧٢٩.

عمل صالح اناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين (بأذن ربها) أي كاملا حسنا كثيرا طيبا مباركة.

وقوله تعالى: (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هذا مثل: الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبه بشجرة الحنظل ويقال لها الشريان رواه شعبه عن معاوية بن أبي قرة عن انس بن مالك. وعن انس بن مالك ان النبي (ﷺ) قال: (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هي الحنظلة. فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: هكذا كنا نسمع (اجتثت) أي أستئصلت (من فوق الأرض ما لها من قرار) أي لا أصل لها ولا ثبات. كذلك الكافر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه[1].

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾[2] يعدد تعالى نعمه على خلقه بان خلق لهم السموات سقفا محفوظ والأرض فراشا (وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) ما بين الثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بان جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرين بها من أقليم الى أقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك الى هنا وسخر الانهار تشق الأرض من قطر إلى قطر ورزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من انواع المنافع.

قال ابن جرير: يقول تعالى مخبرة إبراهيم خليله انه قال: (ربنا انك تعلم ما تخفي وما نعلن)، أي انك تعلم قصدي في دعائي ما أردت بدعائي لأهل هذا البلد وانما هو القصد

---

(١) ابن كثير ،ج٢،ص٥٣٠.

(٢) سورة ابراهيم: الآية٣٢.

الى رضاك والإخلاص لك فانك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء، ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر[1].

قال تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[2]، وهذا يدل على ان هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عند ما ولى عن هاجر ولدها (ذلك قبل بناء البيت وهكذا كان بعد بنائه تأكيدة ورغبه الى الله عز وجل ولهذا قال (عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ) وقوله (ربنا ليقيموا الصلاة قال بن جرير هو متعلق بقوله (المحرم) أي جعلته محرمة ليتمكن الناس ان يقيم الصلاة عنده (فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ) قال ابن عباس وغيره لو قال أفئده الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال (مِّنَ ٱلنَّاسِ) فأختص به المسلمون وقوله (وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ) أي ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما انه واد غير ذي زرع ما جعل لهم ثمرة يأكلونها. وقد استجاب الله ذلك كما قال: (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا) وهذا لطف منه تعالى ورحمته وبركاته انه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها استجابه دعاء الخليل عليه السلام) [3].

---

(١) ابن كثير،ج٢،ص٥٣٠.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٣٧.

(٣) محاسن التاويل،ج١،ص٣٧٦٦.

وقوله تعالى (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) فالبيت الحرام موضعه في واد بين الجبال ببكة وهو واد غير ذي زرع لا ينبت فيه الزرع لكونه صخرية صلدة لا ماء فيه قبل ان يفجر الله ماء زمزم.

سورة الحجر

قال تعالى: (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) قوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾[1]أي أصحاب الأيكة هم قوم شعيب قال الضحاك وقتاده وغيرهم الأيكة الشجر الملتف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان. ولذا قال لما انذر شعيب قوله (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ). وقيل ان أيكة هي أسم المكان الذي كانوا

بعذاب الظلة: وهي سحابه أظلتهم بنار تقاذفت منها، فأحرقتهم (وانهُما) يعني قرى قوم يسكنون فيه وهي كثيفة الأشجار.

أما الانتقام لوط والأيكة (لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) أي طريق واضح[2]،[3].

سورة النحل

قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[4] قال أبن كثير: لما انعم الله تعالى عليهم من الانعام والدواب شرع

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٩.

(٢) أبن كثير ج٢، ص ٥٥٦.

(٣) محاسن التاويل،ج١،ص٣٧٦٦.

(٤) سورة النحل: الآية ١٠.

في ذكر نعمته عليهم في انزال المطر من السماء وهو العلو، مما لهم فيه سلعة ومتـاع ولانعـامهم فقـال: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ) أي جعله عذبة ذلالا يسوغ لكم شرابه ولم يجعله ملحا أجاجا انتهى. والماء النازل من السماء هو المزن يسكن حرارته العطش ومنه يحصل الشجر (وَمِنۡهُ شَجَرٞ) والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له سوق أولا ترعون به انعامكم. وقال قتاده والضحاك وأبن زيد قوله في (تُسِيمُونَ) أي تدعون ومنه الإبل السائمه والسوم الرعي وروي عن أبن ماجه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهى عن السوم قبل طلوع الشمس، (ينبت) أي الله سبحانه وتعالى (لَكُم بِهِ الزَّرْعَ) أي الذي فيه قوت الانسان، ويخربها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها (وقد ذكرنا ذلك في آيات أخر)،(الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ) أي الذي فيه إدام وفيها الغذاء والتلذذ (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أي يخرجها بهذا الماء الواحد من جميع أشكالها وكل بلد بما تعارف عليه وقال (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي انزال الماء (المزن) وانبات ما فصل (لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي دلالة وحجة على وحدانيته تعالى وقدرته الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه.

قال أبو السعود وأصله للرازي في شرح كون ما ذكر حجة: فان من تفكر في ان الحبه والنواة تقع في الأرض وتصل إليها نداوه تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها وان كانت منتكسية في الوقوع.

ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخواص والطبائع، وعلى نواه قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر، لا إلى نهايته، مع اتحاد المواد واستواء نسبة لطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم ان من هذه الأمثال وآثاره، لا يمكن ان يشبهه

ش يء، في شيء من صفات الكمال. فضلا عن ان يشاركه أحسن الأشياء في أخص صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العباده. تعالى ذلك علو كبيرة[1].

قــال تعــالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[2](وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ..) أي المـــزن (مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ) أي بالنبات والزرع بعد جدب ويباس وكما جعل سبحانه القران حياه للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيي الأرض بعد موتها بما انزله عليها من السماء من ماء (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) أي يفقهون الكلام ومعناه ويعقلون ومن دلالته.

بـين الله تعـالى آيتـه فـي الانعـام بمـا ذكـر، ليسـتدل بـه علـى وحدانـيته وانفـراده بالالوهية. وليستدل به أيضا على الحشر. فان العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والتراب. فقلب الطين نباتة وعشبة، ثم تبديله دما في جوف الحيوان، ثم تحويله إلى لبن، أعظم عبره

على قدرته تعالى على قلب هذه الأجسام الميتة من صفة الى صفة، وانما ذكر الضمير في بطونه هنا، وانته في سورة المؤمنين، لكون الانعام أسمه جمع، فيذكر ويفرد ضميره، باعتبار لفظة. ويؤنث ويجمع باعتبار معناه.

قولـه تعـالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] بيان لآيته تعالى في الثمرات المذكورة، ومنـه فـي المشروب منها والمطعوم و(سكر) مصدر سمي بـه الخمر. فهو بمعنـى السكر كالرشد والرشد. قال الفراء: السكر الخمر نفسها والرزق الحسن الزبيبة والتمر وما أشبههما، ولما ذكر الله تعالى اللبن وانه تعالى جعله شرابا للناس سائغا ثنى بذكر ما يتخذه

---

(١) محاسن التاويل،ج١،ص٢٧٨٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٥.

(٣) سورة النحل: الآية ٦٧.

الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب وما كانوا يصفون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، ولهذا أمتن عليهم فقال: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ دل على إباحته قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء وكذا ذكر سائر الأشربة من الحنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك، وليس هذا موضع بسط ذلك كما قال ابن عباس في قوله ﴿سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ قال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما أصل من ثمرتيهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله يعني ما يبس من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس وخل ونبيذ حلال يشرب قبل ان يشتد كما وردت السنة بذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ناسب ذكر العقل هنا فانه أشرف ما في الانسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة عقولها قال تعالى:﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾[(١)] قال تعالى:﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾[(٢)]والمراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل ان تتخذ من الجبال بيوت تأوي إليها. ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تدليها ورصها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى إذنا قدرية تسخيرية ان تأكل من كل الثمرات، وان تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مدللة لها أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأدوية والجبال

---

(١) سورة يس: الآيات ٣٤-٣٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٨.

الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها الى بيتها لا تحيد عنه يمنه ولا يسره بل الى بيتها وما لها من فراخ وعل فتبني الشمع من أجتحها وتفيء العسل من فيها وتبيض ملكتها الفراخ من دبرها ثم تصبح الى مراعيها.

وقد أرشدها الله تعالى الى بنائها بيوتا تأوي إليها في ثلاثة أمكنة: الجبال والشجر وبيوت الناس حيث يعرشون أي بيوت العروش، جمع (عرش) وهو البيت الذي يستظل به كالعريش وليس للنحل بيت في غير هذه الأمكنة واكثر بيوتها ما كان في الجبال وهو المتقدم في الآية ثم في الشجر دون ذلك ثم في الثالث أقل.

ثم قال الله تعالى (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أي من كل ثمره تشتهيها، حلوها ومرها، فالعموم عرض أو النظر (كُلِّ) للتكثير أو هو عام فخصص بالعادة نكتفي بهذا بقدر تعلق الأمر في بحثا من الشجر والثمر بعد ان دعت الى الكثير من قواعد العقيدة الإسلامية الإيمانية وحقيقية الخالق والتصريف بالانبياء والرسل وبالرسالات السماوية واليقين بان بعد الموت حياة آخر وحساب، ثواب أو عقاب، جنة أو نار، رضا أو سخط رباني بعد كل هذا والكثير سلطت سورة النحل الضوء على مواقف تربوية عظيمة تدعوا الانسان الالتزام بها والعمل بموجب قوانينها التي سنها الله سبحانه وتعالى فبينت السورة مجمل أمور منها:

١- الدعوة الى رفض الظلم بكل أشكاله وصوره.

٢- التحذير من وقوع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٣- الابتعاد وتجنب الوقوع في الفحشاء والمنكر والبغي وكلها معاصي تغلغل القلب وتنسيه نعم الله تعالى عليه.

٤- الدعوة الى الوفاء بالعهود والإحسان إلى خلق الله تعالى من منطلق طاعة الله ورجاء عفوه ومخافة عقابه.

٥- الدعوى الى صلة الرحم والانفاق في سبيل الله.

٦- التذلل للخالق العظيم وذلك من خلال تذكيره بانه خلق من أمشاج أخذت تسلسلها للنمو امان إلى ان أصبحت انسانا كاملا فعليه الشكر والابتعاد عن التجبر في الأرض.

مواقف ايمانية في سورة النحل

أشارت السورة الكريمة إلى مواقف إيمانية تجعل الانسان يسرح بنظره الى ما خلق الله سبحانه وتعالى في إشارة إلى بديع كونه، فأشارت وبنت السورة مواقف عدة منها:

١- بيان قضية الخلق وان الله خالق كل شيء.

٢- بيان ان الله سبحانه وتعالى هو المحي ومميت من خلال انزال الماء من السماء الذي جعله شرابا عذبة فرات وانبت منه الشجر والزرع وجعل منها كل انواع الثمرات.

٣- عظمة الله في خلقه من البشر والكون والأجرام السماوية وتكوير الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس وتسخير النجوم وكل ما خلق الله للانسان أفلا يشكر على نعمه وعظيم عطاءه وتدبيره.

٤- أشارة السورة على قدره الله عز وجل في أرساء الجبال وجعلها رواسي في الأرض ان تميد بكم وسخر الشمس والقمر والبحار وكل مخلوقاته بأمره.

٥- ان عظمة الخلق الرباني فيها أعجاز كبير من خلال خلق الانعام والنباتات والحشرات وكيف يعمل الجميع وكيف ينتج الجميع فهذا يخرج اللبن وهذا يخرج العسل وهذا يعطي الزهر والبذور والثمار.

٦- الأشارة على القدرة الإلهية على ان جميع هذه الانفس البشرية قد خرجت من نفس واحدة.

٧- ان اختلال موازين الطبيعة ومرورها بغير نواميسها التي أعتاد الناس عليها انما للتذكير بقدره الله عز وجل ومنها الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها.

٨- حرم الله سبحانه وتعالى على البشر أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وثبت مخاطر ذلك الأبحاث العلمية والصحية.

٩- العلاقة بين النحل والنبات على الخصوص وما خلق لها الله من سبل دلالة على عظيم خلقه الذي سخر هذه النبات لهذه الحشرات فهي آية من آيات الله عز وجل. فصناعة العسل أمر إعجازي في خلقه النحلة التي أوحى الله لها بالإلهام ان تتخذ من الشجر بيوت كما في الجبال أو مما يعرشون ان طعام النحل يأتي بالدرجة الأساس من زهور النباتات التي تحتوي على الأعضاء التناسلية، والرحيق المصاحب لهذه الأعضاء[١]، وذكرنا ذلك في فصل تشريح النبات.

الدعوات والتحذيرات في سورة النحل:

١. الدعوة الى أقامة عدل الله في الأرض والإحسان إلى الخلق، واحترام العهود مع الإيمان بالله ومخافته.
٢. الدعوة إلى الانفاق في سبيل الله وإثبات ذي القربي.
٣. الدعوة إلى رفض الظلم بكل أشكاله وصوره.
٤. التحذير من الوقوع بالفتن ما ظهر منها وما بطن.
٥. النهي القاطع عن الدفوع في الفحشاء والمنكر أو البغي.
٦. التحذير من حدة الغرور في النفس والانسانية.
٧. التحذير من الوقوع بالغفلة عن ذكر الله سبحانه وبذكر نعمة التي لا تحصى والدوام على شكرها لضمان دوامها[٢].

وقد وردت في السورة التفاتات و إرشادات كونية تحقق الإيمان وتثبته وتأكد ان الله هو الخالق المبدع:

---

(١) كتاب الحيوان، الدكتور زغلول النجار بتصرف.

(٢) المصدر السابق.

١- ان الله خالق كل شيء: السموات والأرض – الانسان – الحيوان النبات وماكان تحت النظر وما لم ينظر، فالق الحب والنوى.

٢- قدرة الله على انزال المطر من السماء لإحياء الأرض بعد موتها وانبات الشجر والزروع وجعل الثمار بانواعها.

٣- قدره الله العلية في طبيعة خلق الأرض وجعلها على ماهية من تكوير وانبساط وما سخر بها لتكون مكان معيشة الانسان وتسخير كل شيء من أجل هذا المخلوق المكرم.

٤- التأكيد ان كل شيء يسجد لله وانه قد وضع بحسبان وبقدر ليجعل من الليل والنهار آية متتابعة.

٥- ان الله سبحانه وتعالى كما هيء الأرض كلها وسخرها للانسان فان البحار هي جزء منها وقد سخرت لخدمته وديمومة حياته وزينته.

٦- وكذلك ما جعل الله سبحانه من الجبال الرواسي على الأرض كي لا تميد ولا تضطرب.

٧- ان غضب الله سبحانه على الأمم المكذبة لرسلها العاصية لأمر الله الجاحدة لنعمه وخلقه كانت تعاقب بالخسف والمشبه اليوم بالزلازل وانشقاق الأرض.

٨- ان الأعجاز القراني في استخراج اللبن من الانعام بين دم ورفث سائغ للشاربين وما فطر الانعام على ذلك آية تدل على الخلق ووحدانية الخالق.

٩- ان الانسان خلق على الفطرة في قبول الطيبات من الرزق الحسن، إلا ان يساء أحيانا في اتخاذه سكرا.

١٠- ان نحل العسل أمه من الأمم أوحى الله إليها إلهامة لها ومنحها من القدرات الفطرية على تنظيم الجماعات والعمل المنظم في حياة جماعية تكافلية رائعة.

١١- ان قدرة الله عز وجل على الخلق تظهر لنا في الكثير من الآيات والمواقع القرانية، واستخراج أعداد البشر الهائلة من النسل آدم عليه السلام لهو بلاغة عظيمة وأعجاز رباني على الخلق والتناسل والتوارث وقلة مع النبات والحيوان يخرج من مشكاة ربانية واحدة تدل على الواحد الأحد.

١٢- ان التطابق العلمي والتكويني للبشر من خلال مسيرته على النشوء والتكوين مع الآيات القرانية لهو أعجاز حقيقي ودليل على ان الله هو الصانع الخبير بكل شيء.

١٣- ان ما حرم على البشر هو من باب الفائدة العامة له وإبعاده عن الضرر الكبير في حالة عدم الالتزام والطاعة فتحريم الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به قد أثبت بالدليل القاطع ضرر ذلك على الصحة الانسانية.

سورة الإسراء

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[١]

(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ...) أي علم فلا يخفى عليه شيء من كفرهم وتكذيبهم ومنه ما جرى منهم، أثر الرؤيا والأخبار بالشجرة من الجحود والهزء واللغو وبعد ان بين الله سبحانه وتعالى حقيقة الرؤيا وحال الإسراء والمعراج للرسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِ).

وقوله تعالى (والشَجَرَةَ المَلعونَةَ في القُرانِ) عطف على الرؤيا، والأكثرون على انها شجرة الزقوم المذكورة في سورة الصافات في قوله تعالى:﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٢].

(١) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

(٢) سورة الصافات: الآيات ٦٢-٦٥.

وفتنهم في ما روى الطبري عن ابن عباس وقتادة ان أبا جهل قال: زعم صاحبكم هذا يعني النبي (ﷺ) ان في النار شجرة، والنار تأكل الشجر! فكذبوا بذلك. وفي رواية: ان أبا جهل قال: أيخوفني بشجر الزقوم ؟ ثم دعا بتمر وزبد وجعل يأكل ويقول: تزقموا، فما نعلم الزقوم غير هذا.

والمراد بلعنها في القران، لعن طاعتها فيه، على انه مجاز في الإسناد. أو الملعون بمعنى المؤذي لانها تغلي في البطون كغلي الحميم. فهو إما مجاز مرسل أو أستعاره [١]،[٢].

قال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾[٣]

ولما تبين إعجاز القران وانه الآية الكبرى، ولزمهم الحجة وغلبوا، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات، فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة، فيما حكاه تعالى عنهم بقوله: (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا) أي بستان منها وما قدموا في عنتهم هذا الاقتراح، لانهم كانوا يريدون بلاد الشام والعراق، ويرون ما فيها من البساتين والانهار.

قال ابن جرير فيما رواه انهم قالوا للنبي الله (ﷺ) لقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا. ولا أقل مالا. ولا أشد عيشة منا. فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا البلاد. وليفجر فيها

---

(١) ابن كثير،ج٣،ص٤٩.

(٢) محاسن التاويل،ج١٠،ص٢٩٤٥.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٩١.

انهارا كانهار الشام والعراق ثم زادوا في الاقتراح فقالوا(أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا) أي قطعة من العذاب(١).

إلى آخره من الطلبات التي ذكرها القران الكريم (قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي) أي تنزهة له. والمراد به التعجب من اقتراحاتهم (هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) أي كسائر الرسل. وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، حسبما يلائم حال قومهم. ولم يكن آمر الآيات إليهم، ولا لهم ان يتحكموا على الله بشيء منها.

الإرشادات الواردة في هذه السورة:

١- الإشارة إلى آيتين الليل والنهار، أي نورهما حيث كان الليل ينار، بقي اليوم ما يعرف باسم (ظاهرة الفجر القطبي) وكان النهار ينار، كما ينار اليوم – بالحزمة المرئية من ضوء الشمس، فمنها الله تعالى، نور الليل بنطق الحماية المتعددة التي خلقها للأرض، وأبقي ظاهرة الفجر القطبي دلالة على ذلك(٢)

وهذا الترتيب يعمل على تغير التوزيع الجغرافي للنبات على سطح الأرض حيث تأثير الضوء وطول ساعات الانارة وشدة الضوء على تنوع النبات معروف عند العلماء وقد ذكرنا في بحثنا تأثير الضوء على النبات وعلى عملية التركيب الضوئي وكذلك درجة الحرارة.

٢- قدرة الله سبحانه وتعالى على تسخير البحار والمحيطات على خدمة الانسان من تنقل ومما يستفاد منه من الطعام والحلي... الخ.

٣- ذكر في أكثر من موضع ان جميع خلق الله تذكر وتسبح الله سبحانه بالطريقة التي خلقها الله عليها وهي من الأمور الغير المرئية للانسان إلا بالتجربة والبرهان

(١)ابن كثير ج ٣، ص ٤٩.

(٢)الحيوان في القران الكريم،د.زغلول النجار،ص٤٤٢.

(مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ) [١]. وقد وقفنا في بحثنا على ذلك في حياة النبات الغير المرئية.

في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال: نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قتل الضفدع وقال: (نقيقها تسبيح). وقال بعض السلف صرير الباب تسبيح، وخرير الماء تسبيحه، وصوت الطير تسبيحه وللنبات تسبيحه.

فإذا كان الكون كله حياة وحركة وتسبيح لله سبحانه وتعالى وان ما في الأرض كله يسبح الله الخالق الواحد الكبير المتعال، فانه (المشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل ح صاه وكل حجر، كل حبة وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمره، وكل نبته وكل شجرة كل حشرة وكل زاحفة، كل حيوان وكل انسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء أو الهواء... ومعها سكان السماء... كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه. وان الوجدان اليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه، وكلما همت يده ان تلمس شيئا، وكلما همت رجله ان تطأ شيئا... سمعه يسبح الله وينبض بالحياة) [٢].

سورة الكهف

قال تعالى:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا...﴾[٣]أي للمؤمن والكافر (رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ) وهي ما أعز ما يؤثره أولئك في تأزير كرومهم بالأشجار (وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا) أي بين الجنتين أو بين النخيل والأعناب (زَرۡعٗا) أي فحصل منهما الفواكه والأقوات، فكانتا منشأ الثروه والجاه.

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٤٤.

(٢)في ظلال القران،سيد قطب.

(٣)سورة الكهف: الآيات ٣٢-٣٤.

(كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا) أي ثمرها كاملة (وَلَمْ تَظْلِم) أي لم تنقص منه شيء (مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا) أي فيما بينهما (نَهَرًا) أي يسقي الأشجار والزروع ويزيد في بهجه مرآها تتميما لحسنهما.

(وَكَانَ لَهُ) أي لصاحب الجنتين (ثَمَر) أي انواع من المال غير الجنتين (ثَمَر مَالَهُ) إذا كثره (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وهَوَ يحُاوِرهُ) أي يراجعة الكلام تعييرة له بالفقر، وفخرا عليه بالمال والجاه (انا أكثر منكَ مالاً وأعز نُفَر) أي انصارا وحشمة.

(ودَخَل جَنَتَهُ) أي بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها. كما يدل عليه السياق ومحاورته له وأخرا الجنة هنا مع ان له جنتين كما مر، إما لعدم تعلق الغرض بتعددها وإما الاتصال إحداهما بالأخرى، وإما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة (وَهَوَ ظَالِم لِنفَسهِ) أي بما يوجب سلب النعمة، وهو الكفر والعجب، (قَالَ مَا أظن ان تبيدِ هَذهِ أبدًا).

هو انكار البعث كما يدل الكلام أي تهلك هذه أي الجنة لاعتقاده أبوية الدهر، وان لاكون سوى ما تقع عليه مشاعره وهذا هو الظلم الحقيقي لنفس[(١)].

هكذا بين الله سبحانه وتعالى بعد ذكره المشركين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وإحسانهم كما يفعل اليوم تضرب لهم ولهم مثلا رجلين.

جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتها وفي وخلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، وقد دعا صاحبة الفقير المؤمن بالله بالبعث واليوم الآخر وان الملك كله الله يرزق من يشاء بغير حساب دخل مع صاحب هذه الجنة وهو يتراجع معه الكلام بانه صاحب الجنتين لا يظن ان تذهب وتبيد هذه الجنتين وبما فيها من نخيل وأعناب وانهار وثمارها الوافرة ابدأ وهو يكفر بالرحمن ولا يعتقد بالآخرة ويظن بالأبدية المطلقة وظن

---

(١) محاسن التاويل،ج١١،ص٤٠٥٩.

انها لا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ولا تزول وذلك لقله عقله وضعف بقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة وزاد على هذا الكلام ولئن كان معاد ورجعه ومرد الى الله (وهو شاك في ذلك) وليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولا لا كرامتي عليه ما أعطاني هذا. فيفعل الله سبحانه وتعالى زاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والإغرار (أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ) وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من مجرد ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله في س لاله من ماء مهين ويستمر الحوار بين الرجل الكافر صاحب الجنتين وبين المؤمن الفقير فيقول الله تعالى (لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا) أي انا لا أقول بمقالتك بل أعرف الله بالوحدانية والربوبية وهو الله المعبود وحده لا شريك له[١]

سورة مريم

قال تعالى: (فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ....)[٢].

قرأ بعضهم (مِن تَحْتِهَآ) بمعنى الذي تحتها، وقرأ الآخرون (مِن تَحْتِهَآ) على انها حرف جر. وأختلف المفسرون بذلك فمنهم من قال: هو جبريل ولم يتكلم عيسى عليه السلام حتى أتت به قرها. أي ناداها جبريل عليه السلام من أسفل الوادي.

وقالوا: هو عيسى ابن مريم، منهم مجاهد وغيره قال الحسن هو أبنها عيسى وهو أحدى الراويتين عن سعيد بن جبير: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسري النهر وقال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه وقال مجاهد هو النهر بالسريانية وقال سعيد بن جبير السري النهر الصغير بالنبطية وقيل هو الجدول بلغة أهل الحجاز.

---

(١) ابن كثير،ج٣،ص٩٣.

(٢) سورة مريم: الآيات ٢٣-٢٥.

(وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ) أي وخذي إليك بجذع النخلة، قيل كانت يابسة قاله أبن عباس وقيل مثمره قال مجاهد كانت عجوة، ولهذا أمتن الله سبحانه وتعالى عليها بذلك بان جعل عندها طعام وشراب فقال (تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ) أي طيبي نفسة ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفس من التمر والرطب. وقال الأطباء ان المرأة عند المخاض تحتاج الى الشد العضلاتها لكي تدفع بالولد وهذا ما جعل الله لها في (وَهُزِّيٓ) وهل تستطيع أمرآة ضعيفة حامل في طور المخاض ان تهز نخلة لتسقط منها الرطب الجني ؟ ولكن هو تسهيل رباني سيساعدها في دفع الجنين للولادة وكذلك لان تقوم بفعل تنال منه الرطب الجني وهذا أكرام خاص للسيدة مريم فجعل لها الماء من النهر السري وجعل لها طعاما مفيدة وغذاءة نافعة وهو الرطب الجني وطيب نفسها.

وقال رسول الله (ﷺ) **(أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها).**

سورة طه

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [(١)]أي فراشة وقرارا تستقرون عليها وتقدمون وتنامون عليها وتساخرون على ظهرها (وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا) أي جعل لكم طرق تمشون في مناكبها كما قال تعالى(وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ) أي انواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو وهو وسائر الانواع وهي مختلفة الأجناس في الطعم والرائحة والشكل والنفع (كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ) أي

---

(١) سورة طه: الآية ٥٣.

شيء لطعامكم وفاكهتكم ولانعامكم لأقواتها خضرا ويبسا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ) أي الدلالات والحجج والبراهين (لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ) أي ذوي العقول السليمة المستقيمة التي تقر بان لا إله إلا الله ولا رب سواه.

قال تعالى: (قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ (١)

يقوله تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رآى ما رآى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورآي الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في سحره فتهددهم وتوعدهم وقال (آمنم له).

أي وما أمرتكم بذلك وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم انه بهت وكذب (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ) أي انتم انما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم انتم وآياه على وعلى رعيتي لتظهروه كما قال تعالى في الآية الأخرى (إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ) ثم أخذ يتهددهم فقال (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ) أي لأجعلنكم مثله ولاقتلنكم ولأشهرنكم فقال أبن عباس فكان أول من فعل ذلك. وأختار جذوع النخل لانها أقوى الأخشاب وأخشنها.

قال تعالى (فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ)(٢)

---

(١) سورة طه: الآية ٧١.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٠.

مرة أخرى تعاد وتكرر قصة آدم عليه السلام وفيها في كل مرة عبرة ولكل وقت من الأوقات التي نزلت فيه الآية حكمة ودليل حيث تكررت هذه القصة في سورة البقرة وفي سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسورة الكهف وسورة ص.

سورة الانبياء

(فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ)(١)أي ما زالت تلك المطالعة وهي الأعتراف بالظلم هجيرهم حتى حصدناهم حصدا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودة، وهنا التشبيه بالنبات والحصد أي جعلناهم كنبات محصود وهذا جزاء الظالمين المكذبين.

(وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ) (٢)أي نضع الموازين العدل ليوم القيامة الكثر على انه ميزان واحد وانما جمع باعتبار تصدر الأعمال الموزونة فيها وقوله (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ) كما قال تعالى (يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وقال (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)وقال تعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ) وهنا جاءت حبة الخردل لصغر حجمها حيث كان العرب يضربون الأمثال في الصغر بحبة الخردل لمعرفتهم بصغر حجمها وجاء المثل تقريبا لاعتقادهم وظنهم. وهذا تعبير لدقة الموازين القسط يوم القيامة وان الله لا يغفل عن شيء وكفي الله حاسبة (وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) أي وحسب من شهد ذلك الموقف بنا

(١) سورة الانبياء: الآية ١٥.

(٢) سورة الانبياء: الآية ٤٧.

حاسبين لانه لا أحد أعلم بأعمالهم، وما سلف في الدنيا من صالح أوسيء منا وهنا يدخل النبات في القياس والمثل مرة أخرى.

قال تعالى (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ)[١]

قال أبن أسحق عن مرة عن أبن مسعود كان ذلك الحرث كرمة قد تدلت عناقيده والروايات كثيرة وقد وردت من أسانيد عده.

روي عن أبن مسعود في قوله (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ) قال كرم قد انبتت عناقيده فأفسدته غنم القوم حيث النفش الرعي النفش لا يكون إلا بالليل والهدل بالنهار.

و قال وقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يانبي الله قال وما ذاك قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله (فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ) وكذا روى العوفي عن ابن عباس

قال تعالى (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ) [٢]

بيان لفظة سبحانه وتعالى وانفراده بألوهية وربوبية، بانقياد هذه العوالم العظمى له، وجريها على وقف آمره وتدبيره فالسجود فيها مستعار من معناه المتعارف، لمطاوعه الأشياء الله تعالى، فيما يحدث فيها من أفعاله، ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها. ووجه الشبه الحصول على وفق الإراده من غير امتناع منها فيهما وقوله

(١) سورة الانبياء: الآية ٧٨.

(٢) سورة الحج: الآية ١٨.

(وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ) إما معطوف على ما قبله ان جوز استعمال اللفظ المشترك في مفهومه جميعا، فيكون السجود في الجمادات الانقياد وفي العقلاء العبادة. وقوله (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ) أي الناس. أي بكفره واستقصائه (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ) أي بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر.

من الإشارات الربانية في الكون:

١- وما جاء في هذه السورة النظر على ان الانسان مخلوق من تراب وقد وصف الله سبحانه وتعالى مراحل تكوين الانسان من النطفة حتى الولادة بشكل علمي بليغ ودقيق ثم بين الحياة والموت.

٢- الإشارة العلمية العجيبة الى اهتزاز الأرض وارتقاها وانباتها من كل زوج بهيج بمجرد انزال الماء عليها، وقد ثبت ذلك بالتجربة العلمية والتصوير البطيء لحركة الأرض عند نزول المطر كيف تهز ثم تربوا وتنتفخ لأسباب منها كيمياوية الماء والأيونات ومنها التشرب بالماء ومنها دفع البذور للتربة عند عملية الانبات. وقد شبه الله ذلك بخلق الانسان من تراب وبعثه منها بعملية الانبات للنبات.

٣- تأكيد حقيقة ان جميع خلق الله بما فيها السموات والأرض والأجرام السماوية تسجد لله سبحانه وتعالى.

٤- الإشارة إلى النسبية في كل من الزمان والمكان بين المنظور الانساني وبين حقيقة الكون ووسعه المتناهي.

٥- ان اختلاف الليل والنهار ودخول بعضها ببعض بصورة عجيبة يطلب حثيثا والتتابع العجيب بينهما وشروق وغروب الشمس مما أعطى صورة واضحة على كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس.

٦- الإشارة بان الأرض الميتة سرعان ما تنتابها الحياة من خلال اخضرارها بالنباتات النامية بتأثير نزول المطر عليها.

٧- ان كل المخلوقات والبحار والمحيطات والانهار والجبال والشمس والقمر كله مسخر للانسان المكرم عند ربه.

٨- حقيقة علمية تعتمد على الطرد المركزي والجاذبية وغيرها من الأمور الفيزياوية التي جعلها الله في نواميس مشيرا الى ان الله ممسك السماء ان تقع على الأرض.

٩- ضرب الأمثال بأحقر المخلوقات وأكثرها ألفة عند البشر مثل الذباب، بل هم أضعف من مما في استطاعتهم جلب ما يسلبه هذا المخلوق الصغير منهم وهذا نوع من التحقير لهم والإذلال والتصغير.

سورة المؤمنون

قال تعالى (فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ)[١]

بذكر الله تعالى نعمة على عبيده التي لا تعدو ولا تحصى في انزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيرة فيفسد الأرض والعراب ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى ان الأراضي التي تحتاج ماء كثيرا الزراعتها ولا تحتمل دمنتها انزال المطر عليها ويسوق الله إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الأرض الجرز يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجزنه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقي أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لان أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال فسبحانه اللطيف الخبير الرحيم الغفور، وهكذا في تتمة الآية الى ان يقول الله سبحانه (فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ) يعني فأخرجنا لكم بما انزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق

(١) سورة الاسراء: الآية ٩١.

(ذَاتَ بَهْجَةٍ) أي ذات منظر حسن فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يألفه أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء وبين نظيره وكذلك حق كل أهل أقليم عندهم من الثمار نعمة الله عليه ما يعجزون عن القيام بشكره، ولهم فيها من جمع الثمار كما قال (يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) إما قوله (وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ) يعني الزيتونة، والطور هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى طورا إذا كان فيه شجر فان عري عنها سمي جب لا طور، والله أعلم. وطور سيناء هو طور سنين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون. وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ) **(كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة)** وطور سيناء هو جبل في فلسطين محل المعروف اليوم (العقبة) وهو على مراحل من مصر قاله الشهاب و **(الشجرة)** شجرة الزيتون، بنسبة الى الطور لانه مبدؤها، أو لكثرتها فيه وهي فيها الزيت الذي هو ادم للآكلين.

(فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) [1] بعد ان أخذتهم الصيحة بالحق وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم الصيحة والريح الصرصر العاصف القوي البارد تدمر كل شي فجعلهم صرعى هلكي كغثاء السيل وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه (فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله، فليحذر السامعون ان يكذبوا رسولهم.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٤١.

سورة النور

قال تعالى (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)[1]

آية النور لهذه السورة كلام طيب في التفاسير وقد أبلى العلماء بلاء حسنا فيها وكل أخذ من منظار وسلط الضوء على موضوع، وهذه الآية بالذات آية (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) شرح العلماء فيها والمفسرون ما أوضح وبين قدرة الله وسعته وجعل المؤمن الإيمان والقران في صورة فأصبح له نور من آمن بالله العزيز القدير. والذي يهمنا من بحثنا ماورد فيها بقوله تعالى (يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ) أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة (زيتونة) بدل أو عطف بيان (لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ) أي ليست في شرق بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ولا في غربها فيقلص عنها الفي قبل الغروب بل هي في مكان وسط تقصدها الشمس من أول النهار إلى أخره فيجيء زيتا صافية معتدلا مشرقا وقال إبن عباس في (زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ) قال هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف لا يواريها شيء وهو أجود لزيتها وكذا قال آخرون.

(يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني كضوء إشراق الزيت.

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

وقوله تعالى (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ) قال مجاهد والسدي يعني نور النار نور الزيت وقال أبي بن كعب (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ) فهو يتقلب في خمسة من النور، فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره الى نور يوم القيامة الى الجنة.

(يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ) أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كماجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول **(ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل)** وقوله تعالى (وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) لما ذكر الله تعالى هذا مثلا لنوره هداه في قلب المؤمن، أي هو أعلم بمن يستحق الهداية فمن لا يستحق إلا ضلال، روى الإمام أحمد عن أبي س عيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ) **((القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهو، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلق فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق، عرف ثم انكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم القيح، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه، إسناده جيد ولم تجريده))** (١)

وقال أبن مسعود (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) أي يكاد يضئ بنفسه من غير نار لصفائه ولمعانه (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ) أي ذلك النور الذي عبر به عن القران، ومثلث صفته العجيبة بما حصل عن صفه المشكاة. نور عظيم كائن على نور كذلك. وهو نور متضاعف كتضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر. فان المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة، كان أضوأ له وأجمع لنوره. بخلاف المكان الواسع، فان الضوء ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة، وكذلك الزيت

---

(١) ابن كثير، ج٣، ص٢٩١.

وصفاؤه، وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها إشراقا، مرتبة أخرى عادة (يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ)أي لهذا النور الثاقب العظيم الشان، بان يوفقهم للإيمان به وفهم دلائل حقيقته.

(وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ) أي ليدنو لهم المعقول من المحسوس، توضيحا وبيانا. ولذلك مثل نوره المعبر عنه بالقران بنور المشكاة (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أي فلا يخفى عليه شيء، وفيه وعد ووعيد. لان علمه تعالى، عبارة عن مجازاته في أمثال الغزة الإلهية [1] **جعل الله سبحانه وتعالى في هذه السورة من الدلالات العلمية والكونية العظيمة والمتعددة:**

١- ان التشبيه القراني للظواهر الطبيعية بحال الانسان وما يقدم عليه من أعمال صالحة ان كانت أو سيئة تقرب الرؤيا لمن أراد ان يعتبر، فالظلمات المتراكبة بعضها فوق بعض في أعماق المحيطات والبحار ومن فوقها السحب، والأمواج، هو تشبيه الإعمال الكفار السيئة في هذه الحياة الدنيا وهي عليهم يوم القيامة وبال وظلمات،(وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا)[2].

٢- ان جميع خلق الله بما فيها السموات والأرض والجبال والشجر يسبح بحمد ربه وقد اشرنا الى ذلك في بحثنا عن الحياة الغير المنظورة في النبات.

٣- والحقيقة المهمة التي تقف عندها السورة المباركة هو ان الله سبحانه وتعالى هو نور السموات والأرض، وان كل ما جعل من نور في هذا الكون هو من نور الله سبحانه، جعله بين الخلائق بكل انواعها واختلاف وسيلة معايشها (مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ)[3]

---

(١) القاسمي، محاسن التاويل،ج١٢،ص٤٥٢٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

٤- قدرة الله عز وجل على تقليب الليل والنهار وإثبات كروية الأرض.

٥- ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان والدواب والنبات وكل شيء حي من ماء فمعظم الكائنات تتراوح نسبة الماء في تركيبها بين ٧٠-٨٠٪ وهذا أعجاز رباني عجيب.

٦- ان انزال المطر على الأرض الميتة وأحياءها بأذن الله سبحانه وتعالى وان ما يخرج من بين السحب من ودق كله يعمل على إدامة الحياة وانماء النبات.

٧- ان ارتباط الأرض والحياة التي عليها بالأجرام الأخرى وخاصة الشمس والقمر وظاهرة شروق الشمس وغروبها وأثر ذلك على تكوين المنتوج النباتي وجودته كما أتضح ذلك مع شجرة الزيتون وجودته زيتها لكون تعرضها للشمس فترة طويلة (لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ) فقد أثبت العلم الحديث ان ضوء الشمس مصدر الطاقة الكونية والتي تعتمد عليه الحياة على الأرض كافة يابسها ومياهها.

سورة الشعراء

قال تعالى (أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ)[1].

يقول لهم واعظا لهم ومحذرهم نقم الله ان تحل بهم ومذكرا بانعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة وجعلهم في أمن من المحذورات، وانبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات ولهذا قال (وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ) قال العوفي عن ابن عباس: أينع وبلغ فهو هضيم. ويقول أي معشبه وقال أذا رطب وأسترخى وقال مجاهد حين يطلع يقبض عليه فيهضمه فهو الرطب هضيم ومن اليابس الهشيم تقبض عليه فتهمشه. وقال الحسن البصري هو الذي لا نوى له،

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٤٦-١٤٨.

وقال أبو صخر: ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم[1].

سورة النمل

قال تعالى (ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...)[2]قال أبن عباس: يعلم كل خبيئه في السماء والأرض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد. وقال سعيد بن المسيب الخبء: الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيها من الأرزاق، المطر من السماء والنبات من الأرض وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل فيه من الخاصية ما ذكره أبن عباس وغيره انه من انه يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها وقوله (وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ) أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من قول أو عمل.

سورة القصص

قال تعالى (فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ...)[3]أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى: (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِىِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ) فهذا مما يرشد ان موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تصطدم في شجرة خضراء في كف الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتة في زمرها فناداه ربه (مِن شَٰطِىِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِى

---

(١) ابن كثير،ج٣،ص٣٤٣.

(٢)سورة النمل: الآية ٢٥.

(٣) سورة القصص: الآية ٢٥.

ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ) قال قتادة انها شجرة من العوسج وغصان من العوسج وقال وهب بن منبه: انها من العليق وقوله تعالى (ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه. وقوله (وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ) أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى (وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ) والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها.

والعصا هي من ضمن مبحثنا هذا لانها من النبات وفيها أعجاز رباني كبير في قصة موسى.

سورة القصص

قوله تعالى (وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) [(١)] يقول تعالى مخبرة عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدي حيث قال الرسول الله (ﷺ) (إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ) أي نخشى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالقنا من حولنا ما أحياء العرب المشركين ان يقصدونا بالأذى والمحاربة ويتخطفونا اينما كنا قال الله تعالى مجيبا لهم (أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا) يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل بان الله تعالى جعلهم في بلد امين وحرم معظم أمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم امنة لهم

(١) سورة القصص: الآية ٥٧.

في الحال كفرهم وشركهم ولا يكون أمن لهم وقد اسلموا وتابعوا الحق ؟ وقوله تعالى (يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ) أي من السائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكـذلك المتـاجر ولا متعـة (رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا) أي مـن عنـدنا (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ) وهكذا قالوا ما قالوا.

سورة لقمان

قال تعالى (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ) [1]

هذه وصاية نافعة قد حكاها الله سبحانه وتعالى على لقمان الحكيم ليتمثلها الناس ويقتدوا بها فقال (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ) أي ان المظلمة أو الخطيئة لـو كانـت مثقال حبـة مـن خـردل (وهـي حبـة مـن النبـات الخـردل صغيـرة الحجم جدا يضرب العرب فيها المثل للصغر والتحذير والتقليل من الشيء وقد مرت علينا في الأية سبقت وقولـه تعـالى (يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ) أي احضـرها الله يـوم القيامـة حـين يضـع المـوازين القسط وجازى عليها ان خيرا فخيرة، وان شرا فشرة كما قال تعالى (وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ) الآيـة وقـال تعـالى (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ) ولـو كانـت تلـك الـذرة محصـنة محجبـة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فان الله يأتـي بها لانـه لا يخفـى عليـه خـافين ولا يغرب عنـه مثقال ذرة فـي السموات ولا فـي الأرض ولـذا قال (إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ) أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وان دقت ولطفت وتضاعلت. (خبير) بدبيب النمل في الليل البهيم.

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٦.

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا أطلاع لبشر على كهنها وأحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل **((لا أحصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك))** فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي لو ان جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا أو مدة سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مددا، وانما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام يوشك ان ينفد فقال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ أي لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لينفد عجائب ربي وكلمته وخلقه وعمله. وقيل انها نزلت في اليهود الذين ناقشوا رسول الله (ﷺ) وجادلوا بالباطل فقال الأحبار:

يا محمد أرأيت قولك ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله (ﷺ) **((كلاكما))** قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء ؟ فقال رسول الله (ﷺ) **((انها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم))** وانزل الله فيما سألوه عنه من ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾[2]

من الوصايا القرانية الكريمة التي جعل الله سبحانه لعباده ان يأخذوا بها ويلتزموها سيرة لهم في حياتهم تلك التي جاءت على لسان لقمان الحكيم لابنه وهو يعضه.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٢) محاسن التاويل.

لهذه السورة المباركة ومضات إيمانيه وركائز دعوية تربوية ومنها:

١- ان القران الكريم كلام الله تبارك وتعالى نزل به الروح الأمين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وانه لا تنقطع عجائبه يتعبد به وهو هدى للناس (﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾)[1].

٢- على المؤمن ان يأخذ بالعزيمة من الأمر، ويلتزم فيه بقوة، ويتعبد الله بيقين ثابت فأقامه الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبات من عزائم الأمور.

٣- ان العمل الصالح في الدنيا له ثواب عظيم فاعله وهو الجنة خالدا فيها أبدا، وعلى نقيضه من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فله عذاب الآخرة وهي النار والعياذ بالله.

٤- الاعتقاد والتسليم المطلق بان الله خالق كل شيء ومليكه وانه المسيطر على كل مجريات الأمور. وانه خلق كل شيء بقدر في السموات والأرض وما بينهما وما فيهن وسخر ذلك للناس ليشكروا الله على نعمائه.

٥- (﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)، توصية لقمان لابنه، لانه يعلم انها المحبطة للعمل، وان الشرك من أعظم ما يظلم الانسان نفسه، وهو قمة ما يبغيه الشيطان اللعين لإغراء بني آدم.

٦- وأشارت السورة بان الغيبيات لا يعلمها إلا الله وهي من معجزاته سبحانه وان كل شيء مآله إليه وهو الذي يحي ويميت.

٧- ان الوالدين لهم مكانة كبيرة عند الله سبحانه مهما كان اعتقادهما وعملهما. وعلى الانسان المؤمن ان يبر والديه وان يحفظ لهما جناح الذل من الرحمة.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١-٢.

٨- الأدب القرانـي فـي تصفية النفوس وإلقاء المحبة بـين بنـي آدم، جاءت من خـلال إشارات وردت في هذه السورة بوصايا عظيمة على لسان لقمان يوصي بها أبنه وما أعظمهـا فالكبـر مـرض والتكبـر علـى الخلـق والاسـتعلاء فـي الأرض، والتبختـر والافتخـار والتعـالي علـى الآخـرين، ورفـع الصـوت كلهـا لا تليـق بـالمؤمن وتجعـل المجتمع نافرة منه لا يتقبل دعوته ولا يسمع له وما أذل ما يشبه الرجل بالحمار.

٩- معرفـة الله لا يعـاد لهـا شـيء فـالمؤمن عـارف الله في الوفـاء وعـارف بـه فـي الشـدة والأزمات وهكذا هم أولي العقول والعباب[١].

سورة السجدة

قـــال تعـــالى (﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾) [٢].

يقول الله تعالى أو لم يمهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياها فيما جاؤهم به من قديم السبل فلم يبقى منهم من باقية ولا عين ولأثر (﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾)[٣] ولهذا قال (﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ﴾) أي وهؤلاء المكذبون يعشون في مساكن أولئك المكذبـين فـلا يـرون أحدا مـن كـان يسكنها ويعمرهـا وذهبـوا عنهـا (﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ﴾)[٤] وقوله تعالى (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾) بين الله تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء أما من السماء أو السيح وهو ما تحمله الانهار

(١)الوصايا القران سعيد النورسي.

(٢)سورة السجدة: الآية ٢٦.

(٣)سورة مريم: الآية ٩٨.

(٤)سورة يونس: الآية ٢٤.

وينحدر من الجبال الى الأرض المحتاجه إليه في أوقاته ولهذا قال تعالى (ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ) وهي التي لانبات فيها كما قال تعالى (وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا) يبس لا تبنت شيئا، وليس المراد من قوله (إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ) أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود (وقد ذكرنا كيف ينقل الله الماء والطين للزراعة من أرض بلاد الحبشة إلى مصر لتصلح الأرض التي هي في أساسها قوة فيحصلون كل سنة على ماء جديد ممطور وعلى طين جديد من غير بلادهم) وكما يقول الله تعالى (فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا) ولهذا قال هنا (أَفَلَا يُبۡصِرُونَ) ونقل عن أبن عباس في قوله (إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ) قال هي التي لا تمطر إلا مطرة لا يغني عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول. وكقوله تعالى﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ)[1].

سورة سبأ

قال تعالى:(لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ)[2].

من المعروف ان سبأ كانت ملوك اليمن وأهلها وكانت بلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزرعهم وثمارهم وبعث الله تارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم ان يأكلوا من رزقه ويشكرون بتوحيد عبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق بالبلاد.

---

(١)أبن كثير ج٣، ص٤٩٣.

(٢)سورة سبأ: الآية ١٥.

وروي عن ابن عباس يقول ان رجلا سأل رسول الله (ﷺ) عن سبأ ما هو أرجل أم أمرأة أم أرض ؟ قال الله (ﷺ) بل هو رجل ولدله عشره فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذجح وكنده ولأزد والأشعريون وانمار وحمير.

أما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب (القصد والأمم بمعرفة أصول انساب العرب والعجم). وروي عن وجوه عدة فقال الله تعالى (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ) ثم فسرها بقوله عز وجل (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أي من ناحيتي الجبلين والبلده بين ذلك (كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) أي غفور لكم ان استمررتم على التوحيد. وقوله تعالى (فأعرضوا) أي عن توحيد الله عبادته وشكره على ما انعم به عليهم وعدلوا إلى عباده الشمس من دون الله كما قال الهدهد السليمان عليه السلام (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) وقوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ) المراد بالعرم المياه وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير، وقال قتادة والضحاك وغير واحد ان الله لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابه من الأرض يقال لها الجرذ نقبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرد.

وبانهيار السد انساب الماء أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار، وغير ذلك ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وبذلت تلك الأشجار المثمرة الانيقة النظرة كما قال تعالى (وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ) وقال قتادة والسدي هو الخمط وهو الأراك وأكلة البربر (وأثل) قال العوفي عن أبن عباس هو الطرفاء وقيل هو (السمر) الله أعلم. وقوله

(وَشَىۡءٍ مِّن سِدۡرٍ قَلِيلٍ) لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها السدر فهذا الذي صار إلى حال تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الأراك والطرفاء ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم أي عاقبناهم على كفرهم قال مجاهد وهل يعاقب إلا الكفور.

بعد الذي استبان من سورة سبأ وضح الله سبحان وتعالى لعباده ان يؤمنوا بحقائق وقواعد أساسية جعلها لهم في حياتهم وهي:

١- ان الله سبحانه وتعالى هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم هو رب كل شيء ومليكه هو الذي جعل الأرض مهدأ وجعل فيها سبلا وهو العزيز الحكيم.
٢- ان الله سبحانه وتعالي سبق علمه فهو يعلم كل شيء ويعلم الغيب فهو العالم وقد أحاط بكل شيء علما لأ يعزب عنه مثقال ذرة في ملكوت خلقه سبحانه.
٣- وقد بين الله سبحانه بان الحياة حق وان الموت حق وان البعث حق وان الجنة حق وان النار حق وان رسله وكتبه حق. فمن أيقن فهو مؤمن ومن كذب فهو كافر في النار.
٤- ان الإيمان الصادق مع العمل الصالح له جزاء ومغفرة من الله عز وجل.
٥- بين الله سبحانه وتعالى انه العدل يضع الموازين القسط يوم الحساب وان كل انسان مسؤول عن عمله.
٦- ان الله سبحانه وتعالى هو الرزاق العليم يبسطه لمن يشاء ويقدر.
٧- ان الدعوة الإسلامية للناس كافة وان محمد أبعث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا.

سورة فاطر

قــال تعــالى: (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ)[1].

وهذا من قدرة الله سبحانه وتعالى في تسخير الليل بظلمته والنهار بضيائه ويأخذ طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول ويقصر هذا ثم يتعارضـان صـيفا وشـتاءً (وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ) أي النجـوم السـيارات والثوابـت الثاقبـات، بأضـوائهن أجرام السموات، الجميـع يسيـرون بمقدار معين تقديـرا مـن عزيـز علـيم (يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ) أي الـى يـوم القيامـة (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ) أي الـذي فعـل هـذا هـو الـرب العظـيم الـذي لا إلـه غيـره (وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ) أي مـن الأصــنام والانــداد التــي هــي علــى صــورة مــن تــزعمون مــن الملائكــة المقربــين (مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ) قال ابن عباس رضـي الله عنهما ومجاهد وعكرمة و غيـر واحـد القطميـر هـو اللفافـة التـي تكـون علـى نـواة التمـر أي لا يملكـون مـن السـموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير. وهو تحقير لمن يدعون من دون الله عز وجل مالك الملك ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[2].

قــال تعــالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾[3].

---

(١)سورة فاطر: الآية ١٣.

(٢)سورة الملك: الآية ١.

(٣)سورة فاطر: الآية ٢٧.

يقول الله تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء (وقد مر شرح ذلك). الذي ينزل من السماء ليخرج به ثمرات مختلفة ألوانها من أصفر وأبيض وأحمر وأخضر الى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو شاهد في تنوع أحكامها وألوانها وأشكالها وروائحها. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في زيادة عدة هذا الأمر فقال الله تعالى (وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ) وقال تعالى (وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمۡرٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) أي كما للنبات من ألوان مختلفة فان للجبال ألوانها المختلفة كما هو المشاهد من بيض وحمر وكذلك غرابيب سود وهو المقدم كما يقال أسود غربيب. وكذلك اختلاف السنتكم وألوانكم وكذلك اختلاف الانعام والدواب مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد وهكذا فتبارك الله أحسن الخالقين. وقال تعالى (إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) قال ابن عباس الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير.

سورة يس

قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

(١)سورة يس: الآيات ٣٣-٣٦.

يقول تبارك وتعالى (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وأحيائه الموتى (ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ) أي إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا انزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، ولهذا قال تعالى (أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) أي جعلنا رزقا لهم ولانعامهم (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ) أي جعلنا فيها انهارا سارحة في أمكنه يحتاجون إليها يأكلون من ثمره، لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار المتنوعة وأصنافها وقوله تعالى: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كد هم ولا بحو لهم وقوتهم ولهذا قال تعالى (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) أي فهذا يشكرونه على ما انعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى.

ثم قال الله سبحانه وتعالى (سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ) أي من زرع وثمار ونبات (وَمِنْ أَنفُسِهِمْ) فجعلهم ذكر أو انثى ليتعارفوا (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمته (وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [١].

قال تعالى (إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ) [٢]، يخير الله تعالى: (أهل الجنة انهم يوم القيامة إذا أرتحلوا من العرصات فزلوا في روضات الجنات انهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم). قال الحسن البصري في شغل عما فيه أهل النار من العذاب وقال مجاهد: (فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ) أي في نعيم معجبون أي به وقال ابن عباس وقتادة وغير واحد فاكهون أي فرعون وقال

---

(١) ابن كثير، ج٣، ص٥٧٠.

(٢) سورة يس: الآيتان ٥٥-٥٧.

عبد الله بن مسعود وأبن عباس وسعيد بن المسيب وغير واحد (إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ) قالوا شغلهم إفتضاض الأبكار، وقال ابن عباس في رواية عنه في (شُغُلٍ فَٰكِهُونَ) أي بسماع الأوتار وقال حاتم لعله غلط من المستمع وانما هو إفتضاض الأبكار. وقوله تعالى (هم وأزواجهم، قال مجاهد وحلائلهم (فِى ظِلَٰلٍ) أي في ظلال الأشجار (عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ) هي السرر تحت المجال، وقوله تعالى عز وجل (لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ) أي من جميع الانواع (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ) أي مهما طلبوا وجدوا من جمع أصناف الملاذ. وفي الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله (ﷺ) قال: (ألاهل هل شمر الى الجنة ؟ فان الجنة لا فطر لها هي ورب الكعبة نور كلها يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجه حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في آمد في دار سلامة، وفاكهه خضرة وخيره ونعمة في محلة عالية بهية) قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال الله (ﷺ) (**قولوا ان شاء الله**) فقال القوم ان شاء الله وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننته من حديث وليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر. وقوله تعالى (سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ) فان الله سلام على أهل الجنة وهذا الذي قال ابن عباس كقوله تعالى (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) وهناك أحاديث كثيرة وردت في هذا المعنى[(١)].

قوله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) [(٢)]

أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرة نضرة فأثمر وينع ثم أعاده إلى ان صار حطبة يابسة توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، قال قتادة في قوله (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ

(١) تفسير ابن كثير ومحاسن التاويل.

(٢)سورة يس: الآية ٨٠.

ٱلۡأَخۡضَرِ..) يقول الذي أخرج هذه النار من الشجر قادر على ان يبعثه، وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينها كالزناد سواء وروي هذا أبن عباس رضي الله عنها وفي المثل لكل شجر نار وستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب[١].

قال تعالى (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ)[٢] يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من الجنة وما فيها من مأكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء وتكريم ((أم شجرة الزقوم)) أي التي في جهنم وقد يحتمل ان يكون المراد بذلك شجرة واحد بعينها كما قال بعضهم انها شجرة تمتد فروعها الى جميع محال جهنم كما ان شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن، وقد يحتمل ان يكون من ذلك جنس شجر يقال له الزقوم، كقوله تعالى: (أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ) وقوله تعالى (ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ) وقد تكلمنا عن هذه الشجرة في موضع آخر.

قال تعالى (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت. وقال مجاهد (انا جناها فتنة للظالمين) أي انما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبار نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تعالى (وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا) وقوله تعالى (إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ) أي أصل منبتها في قرار النار طلعها كانه رؤوس الشياطين تشيع لها وتكريه لذكرها. وانما شبهها برؤوس الشياطين وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لانه قد أستقر في النفوس ان

(١) محاسن التاويل.

(٢)سورة يس: الآية ٦٢.

الشياطين قبيحة المنظر، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤوسها بشعة المنظر، وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشه وفي هذين الاحتمالين نظر. وقوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ) ذكر تعالى انهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فانهم ليضطرون إلى الأكل منها لانهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ) وقال أبن حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن أبن عباس رضي الله عنها ان رسول الله (ﷺ) تلا هذه الآية وقال (اتقوا الله حق تقاته) فلو ان قطره من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبه وقال الترمذي حسن صحيح، وقوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) قال ابن عباس يعني شرب الحميم على الزقوم. وقال في روايه عنه شويا من حميم، مزجا من حميم، وقال غير واحد يخرج الهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم. والعياذ بالله [1].

سورة الصافات

قوله جل وعلا (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ) [2] قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فَوَاكِهُ) أي متنوعة (وَهُم مُّكْرَمُونَ) أي يخدمون ويدنون وينعمون (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [3].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) سورة الصافات: الآيتان ٤١-٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير.

قال تعالى (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ) [١] قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الانبياء، وفي الصحيحين عن رسول الله (ﷺ) انه قال (**ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى**) ونسبة الى أمه وفي رواية الى أبيه. والقصة معروفة والذي يفيدنا من بحثنا هذا قوله تعالى (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ) عندما طرح بالعراء بعد ان التقمه الحوت وانبت عليه الله سبحانه وتعالى

اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدباء قال أبو هريرة رضي الله عنه وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو قال هشاشي الأرض: قال فتنفسخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك:

فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله ألقي ضاحيا

ولهذا قال تعالى (فَنَبَذۡنَٰهُ) أي ألقيناه (بِٱلۡعَرَآءِ) قال ابن عباس وغيره وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن والله أعلم.

(وَهُوَ سَقِيمٞ) أي ضعيف البدن قال أبن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال السدي كهيئة السري حين يولد حديثا وهو المنفوس (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ) أي القرع وقد ذكر ذلك في موضع آخر. وللقرع فوائد وهي سرعة انباته وتضليل ورقة لكبره ونعومته وانه لا يقربها الذباب وجوده تغذية ثمرة وانه يؤكل نية، مطبوخا وقشره أيضا. ورود ان رسول الله (ﷺ) كان يحب الدباء وتتبعه من نواحي الصحفة[٢].

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٦.

(٢) محاسن التاويل وتفسير ابن كثير.

سورة ص

قال تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) [١] يقول تعالى فجرا عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنفقات في مخالفة الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة وقوله تعالى (أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ) أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أمولا وأولادا فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله في شيء لما جاء أمر ربك فلما قال الله سبحانه (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ) أي أصحاب مدينة الأيكة أو صاحبة الشجر الملتف الكثيف ومن قبلهم كانوا قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد. فهؤلاء جميعا كذبوا رسلنا فحق عليهم وعيد الأخرة وعذاب جهنم وبئس المهاد، وقد تكلمنا عن أصحاب الأيكة في مواضع أخر [٢].

قال الله تعالى (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [٣] يذكر الله تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام وما كان من ابتلاءه وما به من ضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مفرز إبرة سليما سوى قلبه، ولم يبقى له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوما ثمانية عشر سنة، والقصة معروفة.

والذي يهمنا من بحثنا ما ورد في قوله تعالى (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ) وذلك ان أيوب عليه الصلاة السلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلا مها على ذلك وحلف ان شافاه الله

---

(١) سورة ص: الآية ١٢.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) سورة ص: الآية ٤٤.

تعالى ليضربها مائة جلدية، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شافاه الله عز وجل أفتاه ربه تعالى ان بأخذ ضغث وهو الشمراخ فيه مائه قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفي بنذره. وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى م ا أراد ما كان من الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان ان تقابل زوجته بالضرب فأفتاه الله بذلك[١].

وقوله تعالى عز وجل (**مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا**)[٢] قيل متربعين على سرر تحت الحجال (**يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ**) أي مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا (**وَشَرَابٖ**) أي من أي انواعه شاء وائتهم به الخدم (**بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ**) [٣].

سورة الزمر

قال تعالى:﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾[٤].

هنا يؤكد الله سبحانه وتعالى بان أصل الماء في الأرض من السماء كما قال (**وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا**) فإذا نزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى (**فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**)، وعن ابن عباس رضي الله

---

(١)تفسير ابن كثير

(٢)سورة ص: الآية ٤٤.

(٣)تفسير ابن كثير.

(٤)سورة الزمر: الآية ٢١.

عنها في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ) وقال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروقه في الأرض كغيره وقوله تعالى (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ) وقد ورد هذا الكلام في عدة مواضع، ويقول تعالى (ثُمَّ يَهِيجُ) أي بعدنضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرة قد خالطه اليبس (ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا) أي ثم يعود يابسة يتحطم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ) أي الذين يتذكرون بهذا فيعبرون الى ان الدنيا هكذا تكون فنضره نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء. وكذلك الشاب يعود شيخا هرمة كبيرة ضعيفة وبعد ذلك كله الموت، فرحم الله من إعتبر وهيء لما بعد الموت. وقد ورد مثل هذا في آيات كثيرة ورد ذكرها ومنها قوله تعالى (وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) وهذا كقوله تعالى (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [١].

سورة فصلت

يقول الله تعالى﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾[٢] أي لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال رسول الله (ﷺ) وهو سيد البشر بجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من س ادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال:

---

(١) تفسير القاسمي محاسن التاويل.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٧.

ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، كما قال الله عز وجل (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ) وقال جل جلاله (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ) أي الجميع بعلمه لا يغرب عن عمله مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) وقال جلت عظمته يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وتزداد وكل شيء عنده بمقدار، تجلي في علاه سبحانه ما أخرج ثمره من أكمامها جلت قدرته وعظم شانه هو الأول وهو الأخر وهو الظاهر وهو الباطن، المبدأ المعيد له الأمر كله عالم الغيب لا يغرب عن أمره شيء [1].

سورة الشورى

بقول عز وجل ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [2] أي عمل الآخرة (نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ) أي نقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها الى سبعائة ضعف إلى ما يشاء الله. وعمل الأخر من الأعمال الصالحات الخالصه الله سبحانه وتعالى لا يشرك به شيء وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الأعمال الصالحة مقرونة بالإيمان (وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ). فالعمل الصالح يحتاج الى قلب مؤمن بان الله واحد وان المعاد إليه في الآخرة وان الله لا يتقبل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.

---

(١) تفسير القاسمي، مصدر سابق.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٠.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾
أي ومن كان انما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا ان شاء أعطاه منها وان لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه والآية هنا مقيدة بالآية التي في قوله تعالى (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) وحرث الدنيا هنا جاء تشبيها بالزرع ونتاجه في الدنيا وكذلك في الآخرة. والمؤمن من يقول (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) [١].

سورة الزخرف

يقول الله تعالى ﴿لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٢] وهكذا ان هذا السياق القراني في وصف الجنة وما فيها من نعيم كبير وبذكر الفاكهة وانواعها، هنا فاكهة كثيرة أي من جميع الانواع والأجناس فان اختلاف ألوانها وإطعامها وروائحها وأشكالها فهي متنوعة وكثيرة ووأخره ودانية (مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) أي مهما اخترتم وأردتم من هذه الفاكهة فهي لا تنقص ولا تنضب ولكم فيها ما تدعون [٣].

---

(١)تفسير القاسمي محاسن التاويل.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧٣.
(٣) تفسير ابن كثير.

سورة الدخان

قال الله سبحانه وتعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [1] وهي البساتين الوارفة الظلال (وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ) والمراد بها الانهار والآبار التي تتخلل هذه البساتين المليئة بالخضرة والزروع المختلفة بأشكالها وألوانها وإطعامها ورائحتها وأزهارها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) وهي المساكن الانيقة الفارهة المريحة الحسنة قال مجاهد وسعيد بن جبر (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) المنابر (وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ) أي عيشتهم التي كانوا يتفكرون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا الى جهنم وبئس المصير. وهذا جزاءهم لانهم عصوا رسول الله موسى لما جاءهم بالبينات ولكن ظلوا وأظلوا[2].

قال تعالى (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ)وهنا يذكر الله سبحانه وتعالى الشجرة الملعونة في القران وهي شجرة الزقوم ويصفها الله تعالى (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ) و الأثيم أي قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد انه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به وهي طعام الفاجر أي ليس له طعام غيرها وقوله (كَٱلْمُهْلِ) قالوا كعكر الزيت (يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ) أي من حرارتها وردائتها. وسبق ان تكلمعنها في موضع آخر [3].

ويقول الله تعالى عن مال أهل الجنة (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ) [4]. أي مهما

(١) سورة الدخان: الآيات ٢٥-٢٧.

(٢)تفسير القاسمي محاسن التاويل، تفسير ابن كثير.

(٣)سورة الدخان: الآية ٥٥.

(٤)تفسير القاسمي محاسن التاويل.

طلبوا من انواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا. وهم (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ) أي الخلود كله[١].

سورة محمد

قال الله تعالى﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ...﴾ [٢] فان عكرمة (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ) أي نعتها فيها انها (مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ) يعني الصافي الذي لم يتغير لونه وطعمه.

ويقال ان الماء إذا تغير ريحه وهو الصافي لا كدر وفي رواية ان انهار الجنة تفجر من جبل من مسك (وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ) أي بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة وفي حديث مرفوع (لم يخرج من ضروع الماشية) (وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ) أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) لا يصدعون عنها ولا تنزفون وبيضاء للشاربين، وفي حديث مرفوع (لم يعصرها الرجال بأقدامهم) (وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى) أي وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح وفي حديث مرفوع (لم يخرج من بطون النحل) وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجرجري عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **(وفي الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد)** رواه الترمذي في صفة الجنة[٣].

---

(١)المصدر نفسه.

(٢)سورة محمد: الآية ١٥.

(٣)تفسير القاسمي محاسن التاويل.

سورة الفتح

قال تعالى﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [(١)]

يخبر الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وانهم كانوا ألفا وأربعمائة وان الشجرة كانت سمره بأرض الحديبية.

وقوله تعالى (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ) أي من الصدق وأوفاء والسمع والطاعة (فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) وهي الطمانية (عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا) وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما وصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا).

و قال أبن حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى يعني أبن عبيدة حدثني إياس بن مسلمة عن أبيه قال: بينما نحن قائلون أذ نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: أيها الناس، البيعة البيعة نزل روح القدس: قال تعثرنا إلى رسول الله (ﷺ) وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فلذلك نزلت الآية[(٢)].

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ

(١) سورة الفتح: الآية ١٨.

(٢)تفسيرابن كثير، تفسير القاسمي محاسن التاويل.

﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

يخبر الله تعالى عن محمد الله (ﷺ) انه رسوله حق بلا شك ولا ريب فقال ((محمد رسول الله)) وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصيف جميل ثم أثني على الصحابة رضي الله عنها فقال (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) وهذه صفة المؤمنين ان يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيمة برة بالأخيار، غضوبة عيوبا في وجه الكافر ضحوكة بشوشة في وجه أخيه المؤمن وقال الله (ﷺ): مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد أذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. وقال الله (ﷺ) المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك الله (ﷺ) بين أصابعه: كلا الحديثين في الصحيح.

وقوله تعالى (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بلا خلاص فيها الله عز وجل.

والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال تعالى (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) وقوله ﷻ (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يعني السمت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع، وقال السدي الصلاة تحسن وجوههم. وقال بعض السلف الصالح من كثرة صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): **(من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)** والصحيح انه موقوف. وقد نوه الله تعالى بذكر الصحابة في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) ثم

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

قال (وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ) أي فراخه (فَـَٔازَرَهُۥ) أي شده (فَٱسۡتَغۡلَظَ) أي شيء وقال (فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ) أي فكذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع (لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ) ومن غاض صحابه رسول الله (ﷺ) فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم والرواية للأمام أحمد.

ثم قال الله تبارك وتعالى (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم) من هذه البيان الجنس (مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا) أي ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من أختفي آثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والبقاء والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل. وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله (ﷺ) قال **(لا تنسوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)** [١].

قال الزمخشري: هذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام، وترقية في الزيادة الى ان قوي وأستحكم، لان النبي الله (ﷺ) قام وحده، ثم قواه الله بمن آمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع، وما يحتف بها مما يتولد منها يعجب الزراع.

وهذا ما قاله البغوي من ان (الزرع) محمد، (شطأ) أصحابه والمؤمنون فجعل التمثيل للنبي (ﷺ) ولامته.

أما ما ورد في تكفير بعض من بغضوا الصحابة أو تكلموا عنهم فان هذا خلاف ما أتفق عليه المحققون من أهل السنة والجماعة من انه لا يكفر أحد من أهل القبلة، كما بسط في كتاب العقائد و أوضحة النووي في شرح (مقدمة مسلم) وقبله الأمام

---

(١)تفسيرابن كثير ،ج٤،ص٢٠٤.

الغزالي في كتاب (فيصل التفرقة). ثم ان التطرف والغلو في المباحث ليس من شان الحكماء المنصفين وإذا أشتد البياض صاد برص[١].

ولقد نوه الله بذكر أصحاب الرسول في الكتب المقدسة فسجل لهم هذا الوصف الخالد والخلق ليعلي من شانهم في الأمم السابقة ولكي يأخذ هذا الوصف الذي وصفهم به عز وجل صورة خاصة جعل مثلا لهم فقال تعالى (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ).

وبعد ان وصفهم الله بهذا الوصف الشامل لأفرادهم وصف جماعتهم في نشأتها وتكوينها خشبة قلة المؤمنين في بدء الإسلام ثم ترقيهم في الكثرة يوما فيوما الى ان عظم أمرهم وأصبحوا قوة على أعدائهم شبه هذه النشأة بنشأة الزرع بدأ ضعيفا ثم فرخ ونمت فراخه حتى قويت وقوى أصلها حتى استحكم الجميع وكثروا ستقام على سبعمائة وأخذ منظرا جميلا يسر الناظرين ويعجب الزراع الخبيرين بفن الزراعة الحسنة وبهاء رونقه وكثافته وإثماره.

ولقد نوه سبحانه وبهذا التمثيل في الانجيل فقال (مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ) وفي هذا التمثيل تذكير من الله لعباده بما ذكر عليه أول الأمر من قلة وضعف ثم بما انعم عليهم فصاروا بعد في عز ومنعه ليعرفوا هذه النعمة ويقابلوها بالشكر كما قال (وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[٢].

---

(١) محاسن التاويل، ج١٥،ص٥٤٣٦.

(٢) سورة الانفال: الآية ٢٦.

وقال صاحب الكشاف هو مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقية في الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبي الله (ﷺ) وحده ثم قوة الله تعالى بمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يختف بها مما يتولد منها.

وخلاصة هذا القول ان المؤمنين حول الرسول الأكرم كالشجر القائم حول أصل الدوحة أو كالأغصان المحيطة بها فما يلبث ان سيشتد ويقوي ويصير لها قوة ويتخذ منظرا يملأ عين الزراع بهجة وغبطه وهذا الذي ذكره الزمخشري وتابعه عليه البغوي ظاهر في رسول الله (ﷺ) داخل في التمثيل.

فالظاهر ان المذكور في التوراة هو الوصف السابق والمذكور في الانجيل هو التمثيل اللاحق وقد ذهب الى هذا الرأي جمع المفسرين وهو المروي عن الضحاك وأبن حاتم وقتادة.

وقد بحث بعض العلماء في هذا العصر في التوراة والانجيل ليقف على مدى هذه الصفات فأستخرج منها ما يؤيد ما جاء في الآية الكريمة[1].

سورة ق

(وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ) [2] أي بسطناها، ووسعناها وفرشناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ) أي جبالا ثوابت لئلا تميد بأهلها وتضرب لعقدة الجيشان في جوفها (وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ) أي صنف ومن جميع الزروع والثمار والنبات والانواع (بَهِيجٍ) حسن المنظر، يبتهج به لحسنة.

وقوله تعالى (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) أي كل عبد راجع الى ربه مفكر في بدائع صفه ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل فيها من الآيات العظيمة

---

(١) تفسير سورة الفتح.

(٢) سورة ق: الآية ٧.

تبصره ودلالة وذكرى لكل عبد خاضع خائف وجل رجاع الى الله عز وجل. وقوله تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا) أي المزن الكثيرة النافعة (فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ) أي حدائق من بساتين ونحوها فيها أشجار ذات ثمار (وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ) وهو الزرع الذي يراد لحبه وإدخاره وهي الزروع المحصودة مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب. وتخصيص حبه بالذكر، لانه المقصود بالذات. وقوله تعالى (وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ) أي طوال شاهقات. حوامل وهي ما أتينا من الماء النازل من السماء. وإفراد النخل بالدخول لبيان فضلها بكثرة منافعها. وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها و امتيازها عن البقية (لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ) أي منضود وهو المتراكم بعض فوق بعض (رِزْقًا لِّلْعِبَادِ) أي لرزق الخلق (وأحيينا به بلدة ميتا) وهي الأرض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثل للبعض بعد الموت والهلاك كذلك يحي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحسى أعظم مما انكره الجاحدون للبعث يوم القيامة، وهو تشبيه لخروجهم من القبور أحياء وهنا التشبيه واضح بين بعض الأموات ونشرهم، بقدرته تعالى وبن إخراج النبات من الأرض، بعض وقوع المطر عليها بأذنه.

وقال سبحانه وتعالى (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ).

وفي قوله تعالى (وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) فهؤلاء والأقوام وأصحاب شعيب أصحاب الأيكة وقد ورد ذكرهم في أكثر من موقع فكل هذه الأمم الأقوام (كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ) أي الرسل التي أرسلت إليهم ومن كذب رسولا فكانما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ) وانما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لرجاءهم جميع الرسل كذبوهم (فَحَقَّ وَعِيدِ) أي فحق عليهم ما

أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون ان يصيبهم ما أصابهم فانهم كذبوا رسولهم كما كذب أولئك [١].

سورة الطور

﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٢] أي ألحقناهم بفواكه ولحوم من انواع شتى مما سيستطاب ويشتهي، وقد ذكرت الفاكهة بانواعها الكثيرة وعلى اختلاف انواعها وطعومها ورائحتها وأشكالها بلا استثناء. وهي الزيادة منها وقتا بعد وقت دون انقطاع وهذا دليل على التفكه والسعادة في الجنة اللي وعد بها المنفقون [٣].

سورة النجم

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[٤] هذه المرة الثانية التي رأى رسول الله (ﷺ) فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء.

وقد روى الإمام أحمد عن أبن مسعود في هذه الآية قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):**(رأيت جبريل وله ستمائه جناح تبتثر من ريشة التهاويل من الدر والياقوت)**، وهذا إسناد به قوي، ومن حديث عائشة ان رسول الله (ﷺ) رأى جبريل مرتين، وكانت الرؤيا في ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

---

(١) تفسير ابن كثير وماحسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة الطور: الآية ٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير.

(٤) سورة النجم: الآيتين ١٣-١٥.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري رسول الله (ﷺ) انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله (ﷺ) ثلاثة: أعطى الصلوات الخمسة، وأعطى خواتم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من آمته المقحمات.

انظر بن مسلم وقوله: (إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ) أي من النور الخلاق والملائكة الكثيرة[١].

سورة الرحمن

قوله تعالى:﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٢] قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد أجماعهم على ان الشجر ما قام على ساق، وروى عن أبن عباس ان النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني من النباتات أي التي ليس لها ساق تقف عليه. (يَسْجُدَانِ) وكما مر بنا فان جميع خلق الله من جماد وحيوان ونبات وجن وانس يسجد الله سبحانه وتعالى ولكل جعل الله طريقة ومنها جاء والكل يسبح الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ).

وقوله تعالى: (وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) أي كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الانام وهم الخلائق المختلفة انواعهم وأشكالهم وألوانهم والسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها.

---

(١) محاسن التاويل.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبن زيد الانام الخلق (فِيهَا فَاكِهَةٌ) أي مختلفة الألوان والطعوم والأشكال والروائح (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبة يابسة والأكمام هي أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطلع فيه العنقود ثم بنشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبة ثم يضيح ويتناهى نفعه واستواؤه.

و قال بن أبي الحاتم: كتب قيصر الى عمر بن الخطاب أخبرك ان رسلي أتتني من قبلك فزعمت ان قبلكم شجره ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تتسقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر ثم تيخ فتنضبح فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمه للمقيم وزادا للمسافر فان تكن ارسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر بن الخطاب من

عبد الله أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي انبتها الله على مريم حين نفست بعيسى أبنها فأتق الله ولا تتخذ عيسى إله من دون الله فان(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ).

يعني التين، وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس وقال غير واحد والريحان يعني الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال ابن عباس والريحان خضر الزرع ومعنى هذا والله أعلم والكلام لأبن كثير:

ان الحب كالقمح والشعير ونحوها له في مال نباته عصف وهو على السنبلة وريحان وهو العذق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان والورق يعني إذا أدجن، وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وقـــولا لـــــه مــــن ينبـــت الحــــب فـــــي
الثـــرى فيصـــبح منـــه البقـــل يهتـــز رابـــية
ويخــــــرج منـــــه حبـــــه فـــــي رؤوســــه
ففــــي ذاك آيـــــات لمــــن كــــان واعيــــا.

وقوله تعالى في سورة الرحمن ٦٤: (مُدهَامتَّان).

وقوله تعالى في (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخلٌ وَرُمَّان).

وقولـه تعـالى: (مُـدهَامتَّان) أي سـوداوان مـن شـبه الـري مـن المـاء وقـال ابـن عبـاس (مُدهَامتَّان).

أي قـد أسـودتا مـن الخضـرة مـن شـدة الـري بالمـاء وفـي روايـة لأبـن عبـاس (مُدهَامتَّان) خضروان.

وقولـه تعـالى (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخلٌ وَرُمَّان) وافـرد النخـل والرمـان لشـرفها علـى غيـرها وتخصيص وبيان لهما وان الفاكهة انواع كثيرة ومختلفة فأكثر الله سبحانه وتعالى على وجود النخل والرمان مع هذه الفاكهة. فمن الممكن ان تقول ان هذا البستان ممتلئ بالفاكهة ومنوع ولكن لا يشتمل بحقيقته على جميع الأصناف ولذا خص الله سبحانه وتعالى ما في الجنة من جميع الفواكه وشخص منها النخل والرمان والله أعلم [١].

قوله تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) [٢]قال علي بن أبـي طلحة عن ابن عباس ((رفرف)) المحابس وقال غير واحد بذلك وقال سعيد بن جبير

(١) تفسير ابن كثير ومحاسن التأويل للقاسمي.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤٤.

الرفرف على السرير كهينة المحابس المنذلي. وقال عاصم المجدي: (متكئين على رفرف خضر يعني الوسائد وهو قول الحسن البصري، وقيل رياض الجنة وقوله (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي: العبقري الزرابي وقوله (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) هي بسط أهل الجنة فقال الحسن لا أبالكم فاطلبوها[1].

سورة الواقعة

قال تعالى:﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[2] ا لما ذكر الله سبحانه وتعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال وأصحاب اليمين) إلى أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم. ثم خسر ذلك بقوله تعالى (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال أبن عباس هو الذي لاشوك فيه، وان سدد الدين فيه شوك كثير وقليل الثمر وفي الآخرة على العكس من هذا الاشوك فيه وكثير الثمر. كما قال الحافظ قال أبو بكر بما أي داود منقولا عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جاك مع رسول الله (ﷺ) فجاء أعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها يعني الطلع فقال رسول الله (ﷺ) ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوه التيس المليود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر. وقوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) الطلع ش جر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاة واحدته طلحة وهو شجر كثير الشوك وانشد بن جرير لبعض الحداة:

بشـــــــــــــرها دليلهـــــــــــــا وقـــــــــــــالا

غـــــــدا تـــــــرين الطلـــــــع والجبـــــــالا.

---

(١)تفسير ابن كثير ومحاسن التأويل للقاسمي.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٢٧-٣٢.

وقال مجاهد (مَّنضُودٍ) متراكم الثمر بذكر بذلك قريشا لانهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلع وسدر وقال السدي منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أصلي من العسل.

وقوله تعالى (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) قال البخاري عن أبي هريرة ان النبي الله (ﷺ) قال: ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها إقراعوا ان شئتم (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) رواه مسلم من حديث الأعرج به، وقيل هي شجرة الخلد وقد ذكرناها في موضع آخر في الحديث عن الشجرة وقوله تعالى (وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) وهي متنوعة ومختلفة لا مصده لها (لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) أي لا تنتهي وتقف من الأكل منها شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عدد ولاشوك ولا بعد. وقد أوردنا هذا الكلام في موضوع آخر[١]. قال تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)[٢]

أحوال الناس بينها الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أحوال: أحوال الناس عند احتضارهم إما ان يكون: من القربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما ان يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله. وهذا الذي ذكره الله تعالى قوله (فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ). وأما ان كان من أصحاب اليمين. فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما ان كان من المكذبين الضالين. فنزل من حميم وتصلية جحيم. ان هذا لهو حق اليقين. فسبح بأسم ربك العظيم.

وقوله تعالى: (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) قال ابن عباس (فَرَوْحٌ) بقول راحة (وَرَيْحَانٌ) أي رزق طيب وعن مجاهد (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) جنة ورخاء وكل هذه الأقوال

---

(١) تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٩.

متقاربة فان من مات مقربا وصل على جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (١).

وقيل (وَرَيْحَانٌ) الريحان اليوم وهو من النبات ذو رائحة طيبة والله أعلم، وقيل شجر ناظر ينفيئ في ظلاله (٢).

سورة الحشر

قوله تعالى (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ) (٣) أي نخلة من نخيلهم أغاضة لهم، اللين من التمر الجيد، قال مجاهد ان رسول الله (ﷺ) لما حاصر اليهود أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم فبعث بنو قريضة إلى الرسول الله (ﷺ) انك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟

فانزل الله هذه الآية الكريمة أي (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ) وما تركتم من الأشجار فالجميع بأذن الله ومشيئته وقدرته ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم، وإرغام الانوفهم(٤).

---

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٣)محاسن التاويل وتفسير ابن كثير،ج٤،ص٣٠٠.

(٤) محاسن التاويل وتفسير ابن كثير،ج٤،ص٣٠٠.

سورة المنافقون

قـــال تعـــالى (﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾) [(١)]

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين انهم انما يتفوهون بالإسلام إذا جاؤا النبي الله (ﷺ) فإما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك وقد أعطى الله سبحانه وتعالى ص فاتهم وطبائعهم وأفعالهم وقوله تعالى (﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾) أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة وإذ أسمعهم السامع يصغي الى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى (﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾) أي كلما وقع أمر أو كائنه أو خوف يعتقدون لجبنهم انه نازل بهم كما قال تعالى (﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾) فهم جهامات وصد بلا معاني ولهذا قال تعالى: (﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾) أي كيف يصرفون عن الهدى الى الضلالة وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي (ﷺ) قال: ان للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنه وطعامهم نهية وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرة، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا، متكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل ضخب بالنهار [(٢)].

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٢) سورة ص: الآية ٤٤.

قوله تعالى (كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ) أي في الخلد عن الفائدة، لان الخشب انما تكون مسندة إذا لم تكن في بناء أو دعامه لشيء آخر.

قال الناشاني: روي عن بعض الحكماء، انه رأى غلام حسن وجهه، ما ستنطقه الظنه ذكاءه وفطنته، فما وجد عنده معنى، فقال ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن: وهذا معنى قوله (كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ) أي أجرام خالية عن الأرواح، لا نفع فيها ولا ثمر، كالأخشاب المسندة إلى الجدران عند الجفاف، وزوال الروح الناجين عنها، فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقة والروح الانساني، بمثابتها(١).

سورة الحاقة

قال تعالى (سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ) (٢)

بعد ان سلط الله سبحان وتعالى على الكفار الريح الصرصر العاتية والتي (سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ). قال تعالى (فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ). ا (فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ)، أي هلكى، جمع صريع، وقد مزقتهم الريح القضب وقوله (كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ) أي ساقطة مجتثه من أصولها تأية (كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ) (فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ) أي بقاء: أو نفس باقية، أو بقية من أحد.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ﷺ) انه قال (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**) (٣).

---

(١) محاسن التاويل.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٧.

(٣) محاسن التاويل.

سورة نوح

قوله تعالى (وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا)[١] أي انشأكم منها وشبه الله سبحانه وتعالى الخلق للانسان كما هو للنبات وأثبت العلم الحديث ان طينة الأرض في تراكيبها تشبه مركبات الانسان والخلق من الطين والانبات من الأرض فهو سلوك النبات و الله أعلم.

سورة الانسان

(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا) [٢] وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذه في الجنة قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال (عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا) أي هذا مزح هؤلاء الأبرار من الكافور وهو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا خرج ويروون بها [٣] قال تعالى (وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا) [٤] أي ظلال أشجارها. أي قريبة منهم. مظلة عليهم، زيادة في نعيمهم (وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا) أي سهلت ثمارها لمتناوليها. فلا يرد أيديهم عنها بقدر ولاشوك وهذا مال أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ) وقد تقدم الكلام عن هذا في سورة الصافات. ويقول تعالى (وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا) أي ما يشبه من الطعم

---

(١) سورة نوح: الآية ٧١.

(٢) سورة الانسان: الآيتين ٥-٦.

(٣) تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٤) سورة الانسان: الآيتين ١٣-١٤.

وكانت العرب يستانسون الشراب الممزوج به. والسقي هنا للأبرار أيضا في هذه الأكواب (كَأۡسٗا) أي خمرة (كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا) تاره يخرج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج الهم هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قال قتادة وغير واحد. الزنجبيل عين في الجنة وتسمى سلسبيلا عين سلسلة وستنفذ ماؤها وقيل انها سميت بذلك لسلاستها في الحلق واختاروها انها تعم ذلك كله وهو كما قال. وقوله تعالى (وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا) [١].

سورة النبأ

(وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا)[٢] وقوله تعالى (وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ) أي السحائب إذا أعصرت أي شارفت ان تعصرها الرياح (مَآءٗ ثَجَّاجٗا) أي منصبة متتابعة (لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا) قال ابن جرير: الحب كل ما تضمنه كمام الزرع التي حصد. والنبات الكلا الذي يرعى من الحشيش والزروع.

وقال الزمخشري: يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير. ما يعلف من التبن والحشيش كما قال (كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ) [٣] (وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا) أي حدائق ملتفة الشجر مجتمعة الأغصان.

قال الرازي: قدم الحب لانه الأصل في الغذاء وثني بالنبات لاحتياج الحيوانات إليه. وأخر الجنات لان الحاجة الى الفواكه ليست بضرورية.. وقال ابن كثير: (لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حَبّٗا) يدخر

---

(١) تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة النبأ: الآيتين ١٤-١٥.

(٣) سورة طه: الآية ٥٤.

للاناسي والانعام (وَنَبَاتًا) أي خضرا يؤكل رطبة (وجنات أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وان كان ذاك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعة ولهذا قال وجنات ألفافا[١].

وكذلك قال الله عز وجل (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) [٢] مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالي من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) قال أبن عباس ومجاهد: فازوا فنجوا من النار والأظهر هنا قول أبن عباس لان ما جاء بعدها (حَدَآئِقَ) والحدائق البساتين من النخيل والأعناب وغيرها (وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا) أي حور كواعب والكواعب أي النواهد، يعنون ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن أبكار عرب أتراب أي في سن واحد [٣].

سورة عبس

قوله تعالى (أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا)[٤] أي انزلناه من السماء على الأرض (ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا) أي أسكناه فيها فيدخل الماء في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، وخروجه هنا يؤدي الشق الأرض وتمزيق قشرنها ((فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبه ويقال العلف (وَزَيْتُونًا) وهو المعروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به (وَنَخْلًا) يؤكل بلحة بسرة ورطبة

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة النبأ: الآيتين ٣١-٣٢.

(٣)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٤) سورة عبس: الآية ٢٥.

وتمرة ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه ومنه خل (وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا) أي بساتين قال الحسن وقتادة وغلبا نخل غلاظ كرام وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التف واجتمع وقال أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به وقال ابن عباس حدائق طوال وقال عكرمة غلبة أي غ لاظ الأوساط وفي رواية غلاظ الرقاب، وقوله تعالى (وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار وقال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبة والأب ما انبتت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه انه الحشيش للبهائم وقيل الأب الكلأ وقال مجاهد والحسن وقتادة وأبن زيد: الأب للبهائم والفاكهة لبني آدم وعن أبن عطاء كل ما نبت على وجه الأرض فهو أب وقال الضحاك كل شيء تنبتة الأرض دون الفاكهة فهو أب. وقيل الأب مما تأكله الدواب ولا تأكله الناس وقال ابن عباس الأب: الكلأ والمرعى... وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا) فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان قلت في كتاب الله مالا أعلم [١].

سورة الجن

قال تعالى (وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا)[٢] أي توقد بهم، كما توقد بكفار الانس، وضرب هنا مثل الحطب لاستعمال النبات اليابس (حَطَبٗا) لوقود النار حيث تظرم النار به فهنا كناية للجن الكافر ان يجعلهم الله سبحانه وتعالى وقودا وحطبة للنار [٣].

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة الجن: الآية ١٥.

(٣)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

سورة التين

قال تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ (١)

لم يختلف المفسرون بان البلد الأمين هو مكة المكرمة الآمن أهلها ان يحاربوا كما قال (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ).

وقوله تعالى (وَٱلتِّينِ) الواو للقسم والله سبحانه وتعالى يقسم بمخلوقاته والتين الذي يؤكل (وَٱلزَّيْتُونِ) الذي يعصر قالوا: وخصهما الله سبحانه لكثر فوائدهما وعظم منافعهما وعن قتادة (وَٱلتِّينِ) الجبل الذي عليه دمشق (وَٱلزَّيْتُونِ) الذي عليه البيت المقدس وعن كعب وأبن زيد (وَٱلتِّينِ) مسجد دمشق (وَٱلزَّيْتُونِ) بيت المقدس وعن ابن عباس (وَٱلتِّينِ) مسجد نوح الذي بني على الجودي (وَٱلزَّيْتُونِ) الذي يؤكل (وَٱلزَّيْتُونِ) هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت. لان هذا معروف عند العرب ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون إلا ان يقول قائل، أقسم الله، ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون والمراد م ن كلام، القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبة، لان دمشق فيها منابت التين وبيت المقدس فيها منابت الزيتون انتهى كلام مجاهد والحسن.

قال (صاحب الذخيرة) في تعداد جبال فلسطين ويتصل لجبال فلسطين جبل الزيتون قال ودعي كذلك لكثرة الزيتون فيه، وفيه صعد المسيح لكي يرتفع إلى السماء انتهى.

ويسمى أيضا طور زيتا الى الان، قال ابن كثير: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله من كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار.

الأول: محل التين والزيتون وهو بيت المقدس الذي بعث الله فيه عيسى ابن مريم عليها السلام.

---

(١) سورة التين: الآيات ١-٥.

الثاني: طور سنين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران.

الثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمد(ﷺ) وقد ذكرت هذه الأماكن الثلاثة في التوراة. انتهى كلام أبن كثير).

وقال ابن تيمية: فقوله تعالى (وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ) أقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة. التي ظهر فيها نوره وهداه وانزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والانجيل والقران. كما ذكر الثلاثة في التوراة: (جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران). وفاران هي مكة المكرمة.

سورة الأعلى

قوله تعالى (وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ) [1] أي أخرج من الأرض مرعي الانعام من صنوف النبات المختلفة الكثيرة المتنوعة (فَجَعَلَهُۥ) أي بعد خضرته ونضارته (غُثَآءً) أي جافة يابسة تطير به الريح (أَحْوَىٰ) أي أسود وقال ابن عباس (فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ) أي هشيمة متغيرة. وهذا دليل على تغير الحال في الدنيا وكما هي النبات عليها في الحيوان والانسان [2].

سورة المرسلات

قال تعالى (إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ)[3] أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك وغير واحد يعني أصول الشجر كانه (جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ) أي كالأبل السود وقال سعيد بن جير وأبن عباس

---

(١) سورة الاعلى: الآيتين ٤-٥.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) سورة المرسلات: الآيتين ٣٢-٣٣.

(جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ) يعني حبال السفينة وعن ابن عباس (جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ) يعني قطع النحاس. قال ابن عباس كنا نعزو إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للبناء تسمية القصر.

وقوله تعالى (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

يقول الله تعالى مخبرا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات انهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف أولئك الأشقياء فيه من ظل البجموم وهو الدخان الأسود النتن وقوله تعالى (وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ) أي وسائر انواع الثمار مهما طلبوا وجدوا، كلوا واشربوا هنيئا لكم بما كنتم قدمتم من عمل الصالحات والإيمان بالله والتعبد المخلص له جل ثناؤه (١).

سورة الفيل

قال تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾(٢) وهذه السورة تحكي قصة الذين قدموا من أهم اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم.

والقصة معروفة والذي يهمنا منها قوله تعالى (تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ) أي من طين متحجر (فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ) قال ابن جرير كزرع أكلة الدواب فرائته، فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرق أراب أبدانهم بها، بتفرق أجزاء الروث، الذي حدث من أكل الزرع.: قال الشهاب: ولم يذكر الروث لهجنته. فجاء على الآداب القرانية، وفيه أظهار تشويه حالهم. وقال أبو مسلم

---

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

(٢) سورة الفيل: الآيات ١-٥.

(العصف) التين، لقوله ((ذو العصف والريحان...)) لانه تعصف به الريح عدد الذر فتفرقه عن الحب وهو إذا كان مأكولا فقد بطل ولا رجعه له ولا منعه فيه.

ومن لوجوه في الآية ان يكون المعنى: كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه، والتقرير كعصف مأكول الحب، كما يقال فلان حسن أي حسن الوجه. فأجرى (مَّأْكُولٍ) على (العصف) من أجل انه أكل حبه. لان هذا المعنى معلوم. ومنها أيضا ان معنى (مَّأْكُولٍ) مما يؤكل، يعني تأكله الدواب في التفرق والتفتت والهلاك. أشار له الرازي(١).

سورة مسد

قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ خسرت يداه، وخسر هو، واليدان كتابه عن الذات (وَتَبَّ) مذكرة لما قبلها. وأبو لهب أحد عمومة النبي الله (ﷺ) وأسمه عبد العزي، وقد أشتهر بكنيته وعرف بها لولد له يقال له لهب، أو لتلهب وجنتيه وإشراقهما. مع إشارة إلى انه من أهل النار وان مآله الى نار ذات لهب، فوافقت كنيته فحسن ذكره بها – وقصة أبو لهب معروفة وشدة عداوته للنبي الله (ﷺ)... وكانت تسانده وتشاطره العداوة للنبي (ﷺ) زوجته وكانت من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، وأسمها (روى) بنت حرب بن أمية. وهي أخت أبو سفيان وعمة معاوية وكان عوفها لزوجها على كفره وحجوده وعناده ((وامرأته حالة الحطب) أي وسيصلاها معه (امرأته أيضا ومعاونتها له على كفره تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ولهذا قال (حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ) قال مجاهد وعروه من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي حماله الحطب كانت تمشي بالنميمة وأختاره أبن جرير. وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وأبن زيد

---

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

كانت تضع الشوك (وهو من نبات في طريق رسول الله (ﷺ)، قال أبن جرير كانت تعير النبي الله (ﷺ) بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعز الى أحد والصحيح كما قال ابن كثير الأول والله أعلم. وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلاده فاخرة فقالت لانفقتها في عداوه محمد يعني فأعقبها الله عز وجل منها حبلا في جيدها من مسد النار وقيل ان المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعا، وقال الحيوي وغير واحد المسد هو الليف والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسدا إذا أجرت فتله.

قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ) فأخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما ان يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا لا مسرة ولا معلنة فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة [١].

(١)تفسير ابن كثير و محاسن التاويل للقاسمي.

الفصل السادس
النبات في ظلال القران

يتضمن هذا الفصل ما ورد عن تأويل وشرح الآيات في تفسير في ظلال القران لسيد قطب وقد أتبعنا طريقة تسلسل الآيات كما هو في المصحف الشريف من تسلسل لسور والآيات، مبينا كل ما يتعلق بموضوع النبات، كان بالامكان وضعه مع الفصل السابع في تفسير ماورد في السور من مصطلحات النبات ولكن اجتهدنا ان نضع ما قاله السيد في فصل خاص لتمييزه وافراده.

سورة البقرة

مر في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾(1) يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: وذكر انزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به، ما يفتأ يتردد في مواضع شتى من القران في معرض التذكير بقدرة الله، والتذكير بنعمته كذلك.. والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعا. فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ (2) سواء انبت الزرع مباشرة حين يختلط بالأرض، أو كون الانهار والبحيرات الفتية، أو انساح في طبقات الأرض فتألفت منه المياه الجوفية، التي تتفجر عيونا أو تحفر آبارة، أو تجذب بالآلات الى السطح مرة أخرى. فهذا الكون أرضه مفروشة لهذا الانسان. وسماؤه مبنية بنظام معينة بالماء الذي تخرج به الثمرات رزقا للناس... والفضل في هذا كله للخالق الواحد.

---

(1) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(2) سورة الانبياء: الآية ٣٠.

وبعد ان ذكر مشهد النار تأكل الأحجار ومشهد الناس الذين تزحمهم هذه الأحجار... في النار.

وفي مقابل ذلك المشهد المفزع يعرض المشهد المقابل – مشهد النعيم الذي ينتظر المؤمنين: (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)[1]

وهي ألوان من النعيم يستوقف النظر منها – الى جانب الأزواج المطهرة – تلك الثمار المتشابهة، التي يخيل إليهم انهم رزقوها من قبل – إما ثمار الدنيا التي تشبهها بالاسم أو الشكل، وإما ثمار الجنة التي رزقوها من قبل – فربما كان هذا التشابه الظاهري والتنوع في المزية، سمة واضحة في صنعة البارئ تعالى، تجعل الوجود أكبر في حقيقته من مظهره.

وقال تعالى (وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[2] يقول سيد قطب: لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة.. إلا شجرة.. شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض. فيعتبر محظور لا تنبت الإرادة ولا يتميز الانسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الانسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط. فالإرادة هي مفرق الطريق. والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة، ولو بدوا في شكل الآدميين ! |

ان قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية والصحوة من بعد السكرة والندم وطلب المغفرة انها هي تجربة البشرية المتجددة المكرور!

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٥.

ولقد اقتضت رحمه الله بهذا المخلوق ان المخلوق ان يهبط إلى مقر خلافته، مزودا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلا، استعدادا للمعركة الدانية وموعظة وتحذيرا !

أهمية القصص القراني في تركيز قواعد التصور الإسلامي، وإيضاح القيم التي يرتكز عليها... ومفرق الطريق فيه ان يسمع الانسان ويطبع لما يتلقاه من الله أو ان يسمع الانسان ويطبع لما يميله عليه الشيطان. وليس هناك طريق ثالث.. أما الله وأما الشيطان أما الهدى وأما الظلال. أما الحق وأما الباطل. أما الفلاح وأما الخسران... وهذه الحقيقة التي يعبر عنها القران الكريم كله. يوصفها الحقيقة الأولى، التي تقوم عليها س ائر التصورات وسائر الأوضاع في عالم الانسان...

وفي قوله تعالى (﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ....) [١] ويقول سيد قطب في تفسيره ج ١ ص ٧٤...

لقد كانوا بين الصحراء بجدبها وصخورها، والسماء بشواظها ورجومها، فأما الحجر فقد انبع الله لهم منه الماء. وأما السماء فانزل لهم منها المن والسلوى: عسلا وطيرة... ولكن البنية النفسية المعككة، والجبلة الهابطة المتداعية، أبي على القوم ان يرتفعوا الى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء... لقد أخرجهم الله – على يدي نبيهم موسى (الية) من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والصنعة... وللحرية ثمن، ولا يريدون ان ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون ان يدفعوا الفدية. حتى بان يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة. حتى بان يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم، وان يكيفوا انفسهم بظروف حياتهم الجديدة، في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة، انهم يريدون الأطعمة المنوعة التي ألقوها في مصر. يريدون العدس والثوم والبصل والقثاء.. وما إليها ! وهذا ما يذكرهم القران به. وهم يدعون في المدينة دعاواهم العريضة. ((وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد...)

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

وتلقي موسي (عليه السلام) طلبهم بالاستنكار: (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ)أتريدون الدنية وقد أراد الله لكم العلية ؟ (ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) أما بمعنى ان ما يطلبوا هين وزهيد، لا يستحق الدعاء، فهو موفور في أي مصر من الأمصار، فاهبطوا أية مدينة فانكم واجدوه فيها...

وأما بمعنى عودوا إذن إلى مصر التي أخرجتم منها.. عودوا إلى حياتكم الدارجة المألوفة. الى حياتكم الخانعة الذليلة حيث تجدون العدس والبصل والثوم والقثاء ! ودعوا الأمور الكبار التي تربتم لها... ويكون هذا من موسى (عليه السلام) تانيبا لهم وتوبيخا..

وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا....) [١]. ومرة أخرى يؤكد دعاء إبراهيم صفة الأمن للبيت. ومرة أخرى يؤكد معنى الوراثة للفضل والخير.. ان إبراهيم قد أفاد من عظه ربه له في الأولى. لقد وعي منذ ان قال له ربه: (لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) وعي هذا الدرس.. فهو هنا في دعائه ان يرزق الله أهل هذا البلد من الثمرات، يحترس ويستثني ويحدد من يعني: (مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ)...

انه إبراهيم الاناة الحليم القانت المستقيم، يتأدب بالأدب الذي علمه ربه، فيراعيه في طلبه ودعائه.. وعندئذ يجيئه رد ربه مكملا مبينا عن الشطر الآخر الذي سكت عنه. شطر الذين لا يؤمنون، ومصيرهم الأليم: (قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ).

يقول تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ) [٢]. يقول السيد في ظلال القران ج ١ ص ٦٤٥:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) سورة البقرة ١٥٥: الآية ٤٤.

ولا بد من تربية النفوس بالبلاء. ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف الشدائد، وبالجوع ونقص من الأموال والثمرات... لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمن تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف...

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوي. فالشدائد تستجيش مكنون القوي ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومآرب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تمت مطارق الشدائد. والقاعدة لهذا كله الالتجاء الى الله وحده حين تهتز الإسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلوا القلب الى الله وحده، لا يجد سندا إلا سنده هؤلاء هم الصابرون.. الذين يبلغهم الرسول الكريم (ﷺ) بالبشرى من المنعم الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[1]...

ان لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء. جزاء على التضحية بالأموال والانفس والشرات. وجزاء على الخوف والجوع والشدة وجزاء على القتل والشهادة.. ان الكفة تقل بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء.

وهنا تقول ان النقص أحيانا يكون شديدا يكاد يصل حدا العدم. والابتلاء درجات والصبر عليه يجب ان يكافئ الابتلاء، فالنقص بالمال والانفس ثم يعقب الله تعالى بالثمرات التي هي زينة الحياة الدنيا لانها ناتج الحرث الذي ينتظره الانسان ليقطف ثماره وينعم بها وهي ذخيرة له ولديمومة حياته المنعمة الهانئة المستقرة بالعطاء والانتاج والرضا. ويقول الله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[2] يقول سيد قطب ج١ ص٢٠٥

وإذا انصرف إلى العمل، كانت وجهته الشر والفساد، في قسوة وجفوة ولدد، تتمثل في أهلاك كل حي من الحرث الذي هو موضع الزرع والانبات والأثمار، ومن النسل الذي هو امتداد الحياة بلأتصال.. وأهلاك الحياة على هذا النحو كناية عما يعتمل في

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٠.

كيان هذا المخلوق النكد من الحقد والشر والغدر والفساد.. مما كان يستر بذلاقة اللسان، وتعوقه الدهان والتظاهر بالخبر والبر والسماحة والصلاح.. (**والله لا يحب الفساد**).. ولا يحب المفسدين الذين ينشئون في الأرض الفساد.. والله لا تخفى عليه حقيقة هذا الصنف من الناس، ولا يجوز عليه الدهان والطلاء الذي قد يجوز على الناس في الحياة الدنيا، فلا يعجبه من هذا الصنف النكد ما يعجب الناس الذين تخدعهم الظواهر وتخفى عليهم السرائر.

وبعد ان يهلك الحرث والنسل، ونشر الخراب والدمار وأخرج ما يعتمر في صورة من الحقد والضغن والشر والفساد.. إذا فعل هذا كله ثم قيل له: (**اتق الله**) أخذته العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير ولكن (**بالإثم**).. ما ستعز بالإجرام والخطيئة والذنب.. (**به جهنم وبئس المهاد**). وقوله تعالى: (**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ....**) [١]..

يقول صاحب الظلال: ان الدستور لا يبدأ بالغرض والتكليف، وانما يبدأ بالحض والتأليف.. انه يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الانساني كله.. انه يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة: صورة الزرع. هبة الأرض أو هبة الله. الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه، ويهب غلاته مضاعفة بالقياس بذوره. يعرض هذه الصورة الموصية مثلا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله: (**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**).

ان المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة الى سبعمائة حبة ! أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل، وأكثر استجاشه للمشاعر، وتأثيرا في الضمائر. انه مشهد الحياة النامية. مشهد

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

الطبيعة الحية. مشهد الزرعه الواهبة. ثم مشهد العجيبة في عالم النبات: العود الذي يحمل سبع سنبلات – السنبلة التي تحوي مائه حبة ! وفي موكب الحياة النامية الواهبة يتجه بالضمير البشري الى البذل والعطاء. انه لا يعطي بل يأخذ، وانه لا ينقص بل يزاد.. وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها. تضاعف المشاعر التي استجاشها مشهد الزرع والحصيلة. ان الله يضاعف لمن يشاء بلا عدة ولا حساب يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها: **(واللهُ واسع عليم)**. والسؤال أي انفاق هذا الذي ينمو ويربو ؟.

انه الانفاق الذي يرفع المشاعر الانسانية ولا يشوبها. الانفاق الذي لا يؤدي لحرامه ولا يخدش سفورة. الانفاق الذي ينبعث عن أريحيه ونقاء، ويتجه الى الله وحده ابتغاء رضاه. وقوله تعالى: **(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...)**[1] ان الآيات القرانية تعطي لنا منظرين من القلوب:

المنظر الأول: منظر القلب الصلد **(كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ)** لا يستشعر نداوة الإيمان وبشاشته ولكنه يغطي هذه الصلادة بغشاء من الرياء.

هذا القلب الصلد المغشي بالرياء يمثله **(صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ)** حجر لا خصب فيه ولا ليونه **(فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ)** وذهب المطر الغزير بالتراب القليل ان تكشف الحجر بجدية وقساوته، ولم ينبت زرعه ولم يثمر ثمر ! أما المنظر الثاني: المقابل له.. فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته – ينفق ماله **(ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ)** وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير. نابعة من الإيمان، عميقة الجذور في الضمير.. وإذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب، فالقلب المؤمن تمثله جنة، جنة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنه التراب على الصفوان. جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي يقوم عليه حفنه التراب ! ليكون المنظر

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

متناسق الأشكال ! فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها.. (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ) أحياها كما تحي الصدقة قلب المؤمن فيزكو ويزداد صله بالله، ويزكوا ماله كذلك ويضاعف له الله ما يشاء.

وكما تز كوا حياة الجماعة المسلمة بالانفاق وتصلح و تنمو: (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ).. عزير (فَطَل) من الرداد يكفي في التربة الخصبة ويكفي منه القليل !

وقوله تعالى: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[1] يقول سيد قطب: هذه الصدقة في أصلها وفي أثارها تمثل عالم المحسوسات: (جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ)[2].

انها ظليلة وارفه مخصبة مثمرة.. وكذلك الصدقة في طبيعتها وآثارها.. كذلك هي في حياة المعطي وفي حياة الأخذ وفي حياة الجماعة الانسانية. كذلك هي ذات روح وظل، وزات خير وبركة، وذات غذاء وري، وذات زكاة ونماء.

فمن ذا الذي يود ان تكون له هذه الجنة – أو هذه الحسنة – ثم يرسل عليها المن و الأذي يمحقها محقا، كما يمحق الجنة الإعصار فيه نار ؟ ومتى ؟ في أشد ساعاته عجز عن انقاذها وحاجة الى ظلها ونعمائها ! (وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٩٦.

ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ) من ذا الذي يود هذا ؟ ومن ذا الذي يفكر في ذلك المصير ثم لا يتقيه ؟ (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ) كل هذا التنسيق الرقيق يعرض بمشهد جميل، في المحيط متجانس، محيط زراعي ! حبة انبتت سبع سنابل، صفوان عليه تراب فأصابه وابل جنة بربوة فأتت أكلها ضعفين. جنة من نخيل وأعناب.. حتى الوابل والطل و الإعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير. انه القران.. كلمة الحق الجميلة.. من لدن حكيم خبير..

قوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ....)[1] يقول السيد: وفرن الى تلك الشهوات الانعام والحرث، وهما مقترنان عادة في الذهن وفسي الواقع، الانعام والحقول المخصبة.. والحرث شهوة بما فيه من مشهد الإتيات والنساء. وان تفتح الحياة في ذاته لمشهد حبيب فإذا أضيفت إليه شهوه الملك كان الحرث والانعام شهرة.

وهذه الشهوات التي ذكرت هنا هي نموذج الشهوات النفوس، يمثل شهوات البيئة التي كانت مخاطبة بهذا القران، ومنها ما هو شهوة كل نفس على مدار الزمان، والقران بعرضها ثم يقرر قيمتها الحقيقية لتبقى في مكانها هذا لا تتعداه، ولا تطغى على ما سواه. (ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ).

و قال تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ...) [2] (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ) أي جعل كفالتها له، وجعله أمينا عليها، وكان زكريا رئيس الهيكل اليهودي. من ذريه هارون الذين صارت إليهم سد انه الهيكل.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

ونشأت مباركة مجدودة، يهيئ لها الله من رزقه فيض من فيضانه: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا) ولا نخوض نحن في صفة هذا الرزق كما خاضت الروايات الكثيرة، فيكفي ان نعرف انها كانت مباركة يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقا. حتى ليعجب كافلها – وهو نبي – من فيض الرزق. فيسألها: كيف ومن أين هذا كله ؟ فلا تزيد على ان تقول في خشوع المؤمن وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله. (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وهي كلمة تصور حال المؤمن مه ربه، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبينه، والتواضع في الحديث عن هذا السر. لا التنفج به والمباهاة ! كما ان ذكر هذه الظاهرة غير المألوفة التي تثير عجب نبي الله زكريا. هي تمهيد العجائب التي تليها في ميلاد يحيي وميلاد عيسى، قال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ)[1]يقول صاحب الظلال: ج١ ص ٤٥١

(اننا ننظر فإذا نحن أمام حقل قد تهيأ للإخصاب، فهو حرث ثم إذا العاصفة تهب. انها عاصفة باردة ثلجية محرقة ! تحرق هذا الحرث بما فيها من صتر واللفظة ذاتها كانها مقذوف يلقي بعنف، فيصور معناه بجرسه النفاذ. وإذا الحرث كله مدمر خراب ! انها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك. وإذا الحرث كله يباب ! ذلك مثل ما ينفق الذين كفروا في هذه الدنيا – ولو كان ينفق فيما ظاهرة الخير والبر ومثل ما بأيديهم من نعم الأولاد والأموال.. كلها الى هلاك وفناء.. دون ما متاع حقيقي ودون ما جزاء..

وهكذا يتقرر ان لاجزاء على بذل وان لا قيمة لعمل إلا ان يرتبط بمنهج الإيمان وإلا ان يكون باعثه الإيمان.. يقول الله هذا ويقرره فلا تبقى بعده كلمة الانسان، ولا يجادل في هذا القرار إلا الذين يجادلون في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير..

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٧.

يقول سيد: انه ليس الناس هم الذين يزكون انفسهم، ويشهدون لها بالصلاح والقرب من الله واختيار الله. انما الله هو الذي يزكي من يشاء، فهو أعلم بالقلوب والأعمال، ولن يظلم الناس شيئا، إذا هم تركوا هذا التقدير لله سبحانه، واتجهوا إلى العمل. لا إلى الدعاء. فلئن عملوا وهم ساكتون متواضعون في حياة من الله، وبدون تزكية ولا ادعاء – فلن يغبنوا عند الله، ولن ينسى لهم عمل، ولن يبخس لهم حق. والله سبحانه – يشهد على اليهود انهم – إذ يزكون انفسهم ويدعون ان الله راض عنهم – يفترون عليه الكذب ويشنع بفعلتهم هذه. ويوجه الانظار إلى بشاعتها (ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا) [١]. ويقول تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا) [٢]و طراط يقول السيد:

يا عجبا ! انهم لا يطيقون ان ينعم الله على عبد من عباده بشيء من عنده.. فهل هم شركاؤه – سبحانه ! هل لهم نصيب في ملكه، الذي يمنح منه ويفيض ؟ لو كان لهم نصيب لضنوا بكزازتهم وشحهم – ان يعطوا الناس نقيرا.. والنقير النقرة تكون في ظهر النواة وهذه لا تسمح كزازة يهود وأثرتها البغيضة ان تعطيها للناس، لو كان لها في الملك نصيب ! والحمد الله ان ليس لها في الملك نصيب.. وإلا هلك الناس جميعا وهم لا يعطون حتى النقير !!! * وقوله تعالى (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا)[٣].

فلا غبن ولا ضير ولا نجس، إذا فاتهم شيء من متاع الدنيا. فهناك الآخرة. وهناك الجزاء الأوفي، الذي لا يبقى معه ظلم ولا نجس في الحساب الختامي للدنيا

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٧.

والآخرة جميعا ! ولكن بعض الناس قد تهفو نفسه – مع هذا كله – إلى أيام تطول به في هذه الأرض! حتى وهو يؤمن بالآخرة، وهو ينتظر جزاءها الخير.. وبخاصة حين يكون في المرحلة الإيمانية التي كانت فيها هذه الطائفة! (انتهى). وقد أشرنا إلى معنى الفتيل في مواضع أخرى

ويقول تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)[١].

سورة الانعام

يقول سيد قطب: ج٢ ص ٧٦٢

وهو نص صريح على وحدة القاعدة في معاملة شقي النفس الواحدة من ذكر وانثى. كما نص صريح في اشتراط الإيمان لقبول العمل وانه لا قيمة عند الله لعمل لا يصدر عن الإيمان. ولا يصاحبه الإيمان. وذلك طبيعي ومنطقي. لان الإيمان بالله هو الذي يجعل العمل الصالح يصدر عن تصور معين وقصد معلوم، كما يجعله حركة طبيعية مطرده، لا استجابة لهوى شخصي، ولا فلتة عابرة لا تقوم على قاعدة...

و يقول تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] (انها صورة لعلم الله الشامل المحيط، الذي لا يند عنه شيء في الزمان ولا في مكان، في الأرض ولا في السماء، في البر ولا في البحر، في جوف الأرض ولا في طبقات الجو، من حي وميت ويابس ورطب... ولكن أين هذا الذي نقوله نحن – بأسلوبا البشري المعهود – من ذلك النسق القراني العجيب

(١) سورة النساء: الآية ١٢٤.

(٢) سورة الانعام: الآية ٥٩.

؟ وأين هذا التعبير الإحصائي المجرد، من ذلك التصوير العميق الموحي ؟ ان الخيال البشري لينطلق وراء النص القصير يرتاد آفاق المعلوم والمجهول، وعالم الغيب وعالم الشهود، وهو يتبع ظلال علم الله في أرجاء الكون الفسيح، وراء حدود هذا الكون المشهود.. وان الوجدان ليرتعش وهو يستقبل الصور والمشاهد من كل فج وواد. وهو يرتاد – أو يحاول ان يرتاد – أستار الغيوب المختومة ف ي الماضي والحاضر والمستقبل، البعيدة الآماد والآفاق والأغوار.. مفاتحها كلها عند الله لا يعلمها إلا هو.. ويجول في مجاهل البر وفي غيابات البحر، المكشوفة كلها لعلم الله ويتبع الأوراق الساقطة من أشجار الأرض، لا يحصيها عد، وعين الله على كل ورقة تسقط، هنا وهنا وهناك. ويلحظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عين الله. ويرقب كل رطب وكل يابس في هذا الكون العريض، لا يند منه شيء عن علم الله المحيط....

ان مطارح الفكر البشري وانطلاقاته في هذا المجال لها طابع آخر ولها حدود.. انه ينتزع تصوراته التي تعبر عنها من اهتمامه.. فما اهتمام الفكر البشري بتقصي وإحصاء الورق الساقط من الشجر، في كل انحاء الأرض ؟ ان المسألة لا تخطر على بال الفكر البشري ابتداء. لا يخطر على باله ان يتتبع ويحصي ذلك الورق الساقط في انحاء الأرض، ومن ثم لا يخطر له ان يتجه هذا الاتجاه ولا ان يعبر هذا التعبير عن العلم الشامل ! انما الورق الساقط شان يحصية الخالق، ويعبر عنه الخالق ! |

وما اهتمام الفكر البشري بكل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض ؟ ان أقصى ما يحفل به بنو البشر هو الحب الذي يخبأونه هم في جوف الأرض ويرتقبون انباته.. فأما تتبع كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض، فمما لا يخطر للبشر على بال ان يهتموا به، ولا ان يلحظوا وجوده، ولا ان يعبروا به عن العلم الشامل ! انما الحب المخبوء في ظلمات الأرض شان يحصية الخالق، ويعبر عنه الخالق ! | وما اهتمام الفكر البشري بهذا الإطلاق (وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ).. ان أقصى ما يتجه إليه تفكير البشر هو الانتفاع بالرطب واليابس مما بين أيديهم.. فأما التحدث عنه كدليل للعلم

الشامل، فهذا ليس من المعهود في اتجاه البشر وتعبيراتهم كذلك ! انما كل رطب وكل يابس شان يحصيه الخالق، ويعبر عنه الخالق !

ولا يفكر البشر ان تكون كل ورقة ساقطة، وكل حبة مخبوءة، وكل رطب وكل يابس في كتاب مبين، وفي سجل محفوظ... فما شانهم بهذا، وما فائدته لهم ؟ وما احتفالهم بتسجيله ؟ انما الذي يحصيه ويسجله هو صاحب الملك، الذي لا يتوه عنه شيء في ملكه.. الصغير كالكبير، والحقير كالجليل، والمخبوء كالظاهر، والمجهول كالمعلوم، والبعيد كالقريب.. ان هذا المشهد الشامل الواسع العميق الرائع.. مشهد الورق الساقط من ش جر الأرض جميعا، والحب المخبوء في أطواء الأرض جميعا، والرطب واليابس في أرجاء الأرض جميعا... وهذه الآية وأمثالها في القران الكريم تكفي وحدها لمعرفة مصدر هذا الكتاب الكريم.

كذلك ننظر إليها من ناحية الإبداع الفني في التعبير ذاته، فنرى آفاقا من الجمال والتناسق لا تعرفها أعمال البشر، على هذا المستوى السامق.. (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ) آماد وآفاق وأغوار في (المجهول) المطلق. في الزمان والمكان، وفي الماضي والحاضر والمستقبل، وفي أحداث الحياة وتصورات الوجدانية.. (وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ) آماد وآفاق وأغوار في المنظور على استواء وسعه وشمول.. تناسب في عالم الشهود المشهود تلك الآماد والآفاق والأغوار في عالم الغيب المحجوب... (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا).. حركة الموت والفناء، وحركة السقوط والانحدار، من علو إلى أسفل، ومن حياة الى اندثار. (وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ) حركة البزوغ والنماء، المنبثقة من الغور الى السطح، ومن كمون وسكون الى اندفاع وانطلاق..

(وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ).. التعميم الشامل الذي يشمل الحياة والموت،: والأزهار والذبول، في كل حي على الإطلاق.. فمن ذا الذي يبدع ذلك الاتجاه والانطلاق ؟

ومن ذا الذي يبدع هذا التناسق والجمال ؟ من ذا الذي يبدع هذا كله وذلك كله. في مثل هذا النص القصير.. من ؟ إلا الله !

* قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) [١] يقول صاحب الظلال: ج٢ ص١١٥٣

ان المعجزة التي لا يدري سرها أحد، فضلا على ان يملك صنعها أحد ! معجزة الحياة تشأة وحركة.. وفي كل لحظة تنغلق الحية الساكنة عن نبتة نامية، وتنغلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة. والحياة الكامنة في الحية والنواة، النامية في النبتة والشجرة، سر مكنون، لا يعلم حقيقته إلا الله، ولا يعلم مصدره إلا الله.. وتقف البشرية بعد كل ما رأت من ظواهر الحياة وأشكالها، وبعد كل ما درست من خصائصها وأطوارها.. تقف ان السر الغيب كما وقف الانسان الأول، تدرك الوظيفة والمظهر، وتجهل المصدر والجوهر، والحياة ماضية في طريقها. والمعجزة تقع في كل لحظة !!!

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ) مبدع هذه المعجزة المتكررة المغيبة السر.. هو الله.. وهو ربكم الذي يستحق ان تدينوا له وحده.. بالعبودية والخضوع والإتباع. (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن هذا الحق الواضح للعقول والقلوب والعيون !

وقد استطرق رحمه الله كثيرا في الآية الكريمة (يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ).. وقال: ولا يقدر إلا الله ان يضع ذلك.. لا يقدر إلا الله ان ينشي الحياة منذ البدء من الموت. ولا يقدر إلا الله ان يجهز الكائن الحي بالقدرة على إحالة الذرات الميتة الى خلايا حية. ولا يقدر إلا الله على تحويل الخلايا الحية مرة أخرى إلى

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٥.

ذرات ميتة.. في دورة لم يعلم أحد يقينا بعد متى بدأت، ولا كيف تتم. وان هي إلا قروض ونظريات واحتمالات !!! لقد عجزت كل محاولة لتفسير ظاهرة الحياة، على غير أساس انها من خلق الله.

* قوله تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[1] ج٢ ص ١١٩٠.

يقول سيد قطب:

والماء كثيرة ما يذكر في القران في صدد ذكر الحياة والانبات. (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ) ودور الماء الظاهر في انبات كل شيء دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر، ويعرفه الجاهل والعالم.. ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القران الناس عامة. فقد شارك الماء ابتداء – بتقدير الله – في جعل تربة الأرض السطحية للانبات (إذا صحت النظريات التي تفترض ان سطح الأرض كان في فترة ملتهبا، ثم صلبا لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع. ثم تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها الى تربة لينة) ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة، وذلك بإسقاط النتروجين – الآزوت) من الجو كلما أبرق ما ستحصلت الشرارة الكهربائية التي تقع في الجو النتروجين الصالح للذوبان في الماء ويسقط مع المطر، البعيد الخصوبة إلى الأرض.. وهو السماد الذي تلد الانسان القوانين الكونية في ص نعه، فأصبح بصنعه الان بنفس الطريقة ! وهو المادة التي تخلو وجه الأرض من النبات لو نفذت من التربة !

(١) سورة الانعام: الآية ٩٩.

(فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ).

وكل نبت يبدأ أخضر واللفظ (خَضِرًا) أرق ظلا، وأعمق ألفه من لفظ (أخضر).. هذا النبت الخضر (نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) كالسنابل وأمثالها (وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) وقنوان جمع قنو وهو الفرع الصغير. وفي النخلة هو العنق الذي يحمل الثمر. ولفظة (قِنْوَانٌ) ووصفها (دَانِيَةٌ) يشتركان في إلقاء ظل لطيف أليف. وظل المشهد كله

ظل وديع حبيب.. (وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ). (وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ) هذا النبات كله بفصائله وسلالاته – (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ). (ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ). انظروا بالحس البصير، والقلب اليقظ.. انظروا إليه في ازدهاره، وازدهائه، عند كمال ن ضجه. انظروا إليه واستمتعوا بجماله.

لا يقول هنا، كلوا من ثمره إذا أثمر، ولكن يقول (ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ) لان المجال هنا مجال جمال ومتاع، كما انه مجال تدبر في آيات الله، وبدائع صنعته في مجالي.... فالإيمان هو الذي يفتح القلب، وينير البصيرة، وينبه أجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة، ويصل الكائن الانساني بالوجود، ويدعو الوجدان الى الإيمان بالله خالق الجميع.. وإلا فان هناك قلوبا مغلقة، وبصائر مطموسة، وخطرا منكسة، تمر بهذا الإبداع كله، وبهذه الآيات كلها، فلا تحس بها ولا تستجيب (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ) وانما يدرك هذه الآيات الذين يؤمنون !

قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن

ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)[1] يقول السيد رحمه الله: (ان الله سبحانه هو الذي خلق هذه الجنات ابتداء فهو الذي أخرج الحياة والموت وهذه الجنات منها الانسيان المعروشات التي يتعهدها الانسان بالعرائش والحوائط، ومنها البريات التي تنبت بذاتها – بقدر الله – وتنمو بلا مساعدة من الانسان ولا تنظيم. وان الله هو الذي انشا النخل والزرع مختلف الألوان والطعوم والأشكال. وان الله هو الذي خلق الزيتون والرمان، منوع الصنوف متشابها وغير متشابهة، وانه سبحانه – هو الذي خلق هذه الانعام وجعل منها (جمولة) عالية القوائم بعيدة عن الأرض حمالة للأثقال. وجعل منها (فرش) صغيرة الأجسام قريبة من الأرض يتخذ من أصوافها وأشعارها الفرش.. فان الخالق الرزاق الكافل وحده، هو الحقيق بان تكون له الربوبية والحاكمية والسلطان وحده.. بلا جوال: وها يحشد السياق مشاهد الزرع والأثمار ومشاهد الانعام وما فيها من نعم الله.. فيدل على ان هذه وتلك قضية واحدة في العقيدة الإسلامية.

سورة الاعراف

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

انها آثار الربوبية في الكون. آثار الفاعلية والسلطان والتدبير والتقدير. وكلها من صنع الله، الذي لا ينبغي ان يكون للناس ويدا سواه. وهو الخالق الرزاق بهذه الأسباب التي يبعثها برحمته للعباد.

---

(١) سورة الانعام: الآية ١١٤.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٥٧.

وفي كل لحظة تهب ريح، وفي كل وقت تحل الريح سحابة، وفي كل فترة ينزل من السحاب ماء. ولكن ربط هذا كله بفعل الله – كما هو في الحقيقة – هو الجديد الذي يعرضه القران هذا العرض المرتسم في المشاهد المتحركة. فان العين تراه... – انه هو الذي يرسل الرياح، مبشرات برحمته، والرياح تهب وفق النواميس الكونية التي أدرعها الله هذا الكون. فما كان الكون لينشئ نفسه، ثم بضع لنفسه هذه النواميس التي تحكمه ! ولكن التصور الإسلامي يقوم على اعتقاد ان كل حادث يجري في الكون – ولو انه يجري وفق الناموس الذي قدره الله – انما يقع ويحقق وفق الناموس – بقدر خاص ينشئه ويبرزه في عالم الواقع. وان الأمر القديم يجريان السنة، لا يتعارض مع تعلق قدر الله بكل حادث من فردي من الأحداث التي تجري وفق هذه السنة فإرسال الرياح – وفق النواميس الإلهية في الكون – حدث من الأحداث، يقع بمفرده وفق قدر خاص.

وحمل الرياح والسحاب يجري وفق نواميس الله في الكون أيضا ولكنه يقع بقدر خاص، ثم يسوق الله السحاب – بقدر خاص منه – الى **(البلد ميت)**.. صحراء أو جدباء.. فينزل منه الماء بقدر كذلك خاص – فيخرج من كل الثمرات – بقدر منه خاص – يجري كل أولئك وفق النواميس التي أودعها طبيعة الكون وطبيعة الحياة.

تتم السياق الرحلة في أقطار الكون وأسراره الموجود بمثل يضر به للطيب والخبيث من القلوب ينتزعه من جو المشهد المعروض مراعاة للتناسق في المرائي والمشاهد، وفي الطبائع والحقائق: (وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ).

والقلب الطيب يشبه في القران الكريم وفي حديث رسول الله (صلى الله غليه وسلم) بالأرض الطيبة، والتربة الطيبة. والقلب الخبيث يشبه بالأرض الخبيثة وبالتربة الخبيثة، فكلاهما.. القلب والتربة.. منيت زرع، ومأتي ثمر. القلب ينبت نوايا ومشاعر، وانفعالات واستجابات، واتجاهات وعزائم وأعمالا بعد ذلك وآثارة في واقع الحياة.

والأرض تنبت زرع وثمرة مختلفة أكله وألوانه ومذاقاته وانواعه.. (وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ).. طيبة خيرة، سهلا ميسرة (وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا).. في إذاء وجفوه، وفي عسر ومشقة..

والهدي والآيات والمواعظة والنصيحة تنزل على القلب كما ينزل الماء على التربة، فان كان القلب طيبا كالبلد الطيب، تفتح واستقبل، وزكا وخاض بالخير. وان كان فاسدا شريرا – كالذي خبث من البلاد والأماكن – استغلق وقسار وخاض بالشر والنكر والفساد والضر. وأخرج الشوك والأذى، كما تخرج الأرض النكرة !. (كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ). والشكر ينبع من القلب الطيب، ويدل على الاستقبال الطيب، والانفعال الطيب. ولهؤلاء الشاكرين الذين يحسنون التلقي والاستجابة تصرف الآيات. فهم الذين ينفعون بها، ويصلحون لها. ويصلحون بها.. والشكر هو لازمة هذه السور التي يتكرر ذكرها فيها.. كالانذار والتذكير وقد صادقنا هذا التعبير فيما مضى من السياق، وستصادفه فيما هو آت. فهو من ملامح السورة المميزة في التعبير. كالانذار والتذكير.. ج٣ ص ١٢٩٩

سورة يونس

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) يقول صاحب الظلال:

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها، حين يرضون بها، ويقعدن عندها، ولا يتطلعون منها إلى ما هو أكرم وأبقى..

هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر. وها هي ذي الأرض كانها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج وأهلها مزهوون بها، يظنون انها بجهدهم أزدهرت، وبإرادتهم تزينت، وانهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع.

وفي وسط هذا الخصب الممرع، وفي نشوة هذا الفرح الملعلع، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق.. ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾. وفي ومضة، وفي جملة، وفي خطفة، ذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرف مشهد الخصب والزينة والاطمئنان.

وهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس، ويضيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع. هذه هي لا آمن فيها ولا اطمئنان، ولا ثبات فيها ولا استقرار، ولا يملك الناس من أمرها شيئا إلا بمقدار [١].

سورة هود

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾[٢]

يقول السيد رحمه الله في ج٤ ص ١٩٢٧: ومصارع القوم معروضه، ومشاهدهم تزخم النفس والخيال، منهم الغارقون في لجة الطوفان الغامر، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار. وما حل بهم قبل في الدنيا يخيل للانظار.. وفي

---

(١) في ظلال القران،ج٣،ص١٧٧٥.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٠.

هذا الموضع وقد بلغ السياق من القلوب والمشاعر أعماقها بتلك المصارع والمشاهد.. هنا يأتي هذا التعقيب ! (ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ...)

فما كان لك به من علم، انما هو الحي ينبئك بهذا الغيب المطمور. وذلك بعض أغراض القصص في القران.

(مِنۡهَا قَآئِمٞ).. لا تزال آثاره تشهد بما بلغ أهله من القوة والعمران. كبقايا عاد في الأحقاف وبقايا ثمود في الحجر. ومنها (وَحَصِيدٞ) كالزرع المحصود. اجتث من فوق الأرض وتحري وجهها منه، كما حل بقوم نوح أو قوم لوط. وما الأقوام ؟ وما العمران ؟.. ان هي إلا حقول من الاناسي كحقول النبات.غرس منها يزكو وغرس منها خبيث ! غرس منها ينمو وغرس منها يموت !

سورة يوسف

قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴾ (١)

يقول سيد قطب في تفسيره في ظلال القران ج٤ ص ١٩٩٩ طبعة دار الشروق:

كلام يوسف هنا ليس هو التأويل المباشر المجرد، انما هو التأويل والنصح بمواجهة عواقبه. وهذا أكمل: (قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا). أي.. متوالية متتابعة. وهي السنوات السبع المخصبة المرموز لها بالبقرات السمان. (فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ). أي فاتركوه في سنابله لان هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية. (إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ)..

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٣.

فجرده من سنابله، واحتفظوا بالبقية للسنوات الأخرى المجدية المرموز لها بالبقرات العجاف. (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ).. لا زرع فيهن (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) وكان هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها ! (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ) أي إلا قليلا مما تحفظونه وتصدقونه من التهامها !

(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ).. أي ثم تنقضي هذه السنوات الشداد العجاف المجدية، التي تأتي على ما خزنتم وأدخرتم من سنوات الخصب. تنقضي ويعقبها عام رخاء، يحاف الناس فيه بالزرع والماء، وتنمو كرومهم فيعصرونها خمرا، وسمعهم وخسهم وزيتونهم فيعصرونه زيتا..

وهنا نلاحظ ان هذا العام الرخاء لا يقابله رمز في رؤيا الملك، فهو إذن من العلم اللدتي الذي علمه الله يوسف. فبشر به الساقي ليبشر الملك والناس. بالخلاص من الجدب والجوع بعام رخي رغيد.

سورة الرعد

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ) ((وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ...) [(١)]. يقول السيد في ج٤ ص٢٠٤٦ | والمشهد الأول فيضمن حقيقة لم تعرف للبشر من طريق علمهم وبحثهم إلا قريبا. هي ان كل الإحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وانثى، حتى النباتات التي كان مظنون ان ليس لها من جنسها ذكور بنين انها تحمل في ذاتها الزوج الآخر. فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التانيث مجتمعه في زهرة، أو متفرقة في العود. وهي حقيقة تتضامن مع المشهد في آثاره الفكر الى تدبر أسرار الخلق بعد تملي ظواهره.

---

(١) سورة الرعد: الآيتين(٣-٤).

ثم تمضي الريشة المبدعة في تخطيط وجه الأرض بخطوط جزئية أدق من الخطوط العريضة الأولى:

(وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ).. وهذه المشاهد الأرضية، فينا الكثيرون يمرون عليها فلا تثير فيهم حتى رغبة التطلع إليها إلا ان ترجع النفس الى حيوية الفطرة والاتصال بالكون الذي هي يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ قطعة منه، انفصلت عنه تتأمله ثم تندجح فيه.. (وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ)

متعددة الشيان، وإلا ما تبين انها (قِطَعٌ) فلو كانت متماثلة لكانت قطعة. منها الطيب الخصب. ومنها السيخ النكر. ومنها المقفر الجدب، ومنها الصخر الصلد، وكل واحد من هذه وتلك انواع وألوان ودرجات. ومنها العامر والغامر. ومنها المزروع الحي والمهمل الميت. ومنها الريان والعطشان، ومنها ومنها ومنها.. وهي كلها في الأرض متجاورات. هذه اللمسة العريضة الأولى التخطيط التفصيلي.. ثم تتبعها تفصيلات: (وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ) (وَزَرْعٌ) (وَنَخِيلٌ) تمثل ثلاثة انواع من النبات، الكرم المتسلق، والنخل السامق، والزرع من يقول وأزهار وما أشبه، مما يحقق تكوين المنظر، وملء فراغ اللوحة الطبيعية، والتمثيل لمختلف أشكال النبات.

ذلك النخيل، صنوان وغير صنوان.. منه ما هو عود واحد. ومنه ما هو عودان أو أكثر في أصل واحد.. وكله (يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ) والتربة واحدة ولكن الثمار مختلفات الطعوم. (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ).

" فمن غير الخالق المدير المريد بفعل هذا وذاك ؟! من منا لم يذق الطعوم مختلفات في نبت البقعة الواحدة. فكم منا التفت هذه النعمة التي وجه القران إليها العقول والقلوب ؟ انه بمثل هذا يبقى القران جديدا أبدا، لانه يجدد أحاسيس البشر

بالمناظر والمشاهد في الكون والنفس، وهي لا تنفذ لا يستقصيها انسان في عمره المحدود، ولا تستقصيها البشرية في أجلها الموعود. (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ).

– ومرة ثالثة نفق أمام التقابلات الفنية في اللوحة بين القطع المتجاورات المختلفات. والنخل صنوان وغير صنوان والطعوم مختلفات. والزرع والنخيل والأعناب. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾[1]

سورة ابراهيم

يقول السيد:طوبى (على وزن كبري من طاب يطيب) للتفخيم والتعظيم. وحسن مآب الى الله الذي انابوا إليه في الحياة.

قال تعالى (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ) [2]

يقول سيد قطب: ج٤ ص ٢٠٩٨

ان مشهد (كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ)..(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ).. هو مشهد مأخوذ من جو السياق، ومن قصة النبيين والمكذبين، ومصير هؤلاء وهؤلاء بوجه خاص. وشجرة النبوة هنا وظل إبراهيم أبي الانبياء عليها واضح، وهي تؤتي أكلها كل فترة أكلا جنية طيبة.. نبية من الانبياء. يثمر إيمانا وخيرة وحيوية..

---

(١) سورة الرعد: الآية٢٩.

(٢) سورة ابراهيم: الآية٢٤.

ولكن المثل.. بعد تناسقه مع جو السورة وجو القصة، أبعد من هذا آفاقا، وأعرض مساحة، واعرض حقيقة.

ان الكلمة الطيبة – كلمة الحق – كالشجرة الطيبة. ثابتة سامقة مثمرة.. ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معادل الطغيان – وان خيل للبعض انها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان – سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من علو – وان قيل الى بعض أحيانا ان الشر يزحمها في الفضاء – مثمرة لا ينقطع ثمرها، لان بذورها تتبث في النفوس المتكاثرة انا بعد ان.. وان الكلمة الخبيثة – كلمة الباطل – كالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتعالى وتتشابك ويخيل إلى بعض الناس انها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى. ولكنها تظل ناقصة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكانها على وجه الأرض.. وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء. | ليس هذا وذلك مجرد مثل يضرب، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجع انما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ محققة في بعض الأحيان. (وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ). فهي أمثال مصداقها واقع في الأرض، ولكن الناس كثيرا ما ينسونه في زحمة الحياة.

قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1].

يقول سيد قطب: عن طريق تلك القلوب التي ترف عليهم من كل فج.. لماذا ؟ اليأكلوا ويطعموا ويستمتعوا ؟ نعم ! ولكن لينشا من ذلك ما يرجوه إبراهيم الشكور...

(لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ).. وهكذا يبرز السياق هدف السكني بجوار البيت الحرام، انه أقامه الصلاة على أصولها كاملة لله.. ويبرز هدف الدعاء برفرفة القلوب وهديها

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٧.

إلى أهل البيت ورزقهم من ثمرات الأرض.. انه شكر الله المنعم الوهاب. وفي ظل هذا الدعاء تبدو المفارقة واضحة في موقف قريش جيره البيت الحرام.. فلا صلاة قائمة الله. ولا شكر بعد استجابة الدعاء وهوى القلوب والثمرات !.

سورة الحجر

قال تعالى: (وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ) [١].

يقول سيد: أصحاب الأيكة قوم شعيب، وقد فصل القران قصة شعيب مع قومه: أهل مدين وأصحاب الأيكة في مواضع أخرى. فأما هنا فيشير إشارة الى ظلمهم والى مصرعهم تصديقا لنبأ العذاب، في هذا الشوط، والإهلاك القرى بعد انقضاء الأجل المعلوم الوارد في مطالع السورة، ومدين والأيكة كانتا بالقرب من قرى لوط، والإشارة الواردة هنا.. (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ) قد تعني مدين والأيكة، فهما في طريق واضح غير مندثر، وقد تعني قرى لوط السالفة الذكر وقرية شعيب، جمعهما لانهما في طريق واحد بين الحجاز والشام. ووقوع القرى الدائرة على الطريق المطروق أدعى إلى العبرة، فهي شاهد حاضر براه الرائح والغادي. والحياة تجري من حولها وهي دائرة كان لم تكن يوما عامرة. والحياة لا تحفلها وهي ماضية في الطريق !

سورة النحل

يقـول تعـالى: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ) [٢] والماء ينزل من السماء وفق النواميس التي خلقها الله في هذا

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٨.

(٢) سورة النحل: الآية١٠.

الكون.. فيه حضر حبة الشراب التي تبرز في هذا المجال ثم خصوبة المرعى (وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ) وهي المراعي التي يرعون فيها السوائم.

ذلك بمناسبة ذكر الانعام قبلها وتنسيقا للجو العام بين المراعي والانعام، ثم الزروع التي يأكل منها الانسان مع الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من أشجار الثمار..

والذين يتفكرون هم الذين يدركون حكمة التدبير، وهم الذين يربطون بين ظاهرة المطر وما ينشئه على الأرض من حياة وشجر وزروع وثمار، وبين النواميس العليا للوجود، ودلالتها على الخالق وعلى وحدانية ذاته ووحدانية إرادته ووحدانية تدبيره. أما الغافلون فيدرون على مثل هذه الآية في الصباح والمساء، في الصيف والشتاء، فلا توقظ تطلعهم، ولا تثيرا استطلاعهم ولا تستجيش ضمائرهم إلى البحث عن صاحب هذا النظام الغزير.

وقوله تعالى (وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) (١)

يقول السيد في ج٤ ص ٢١٨٠:

والماء حياة كل حي. والنص عمله حياة للأرض كلها على وجه الشمول لكل ما عليها ومن عليها. والذي يحول الموت إلى حياة هو الذي يستحق ان يكون إلها. ويحده أخرى في الانعام تشير الى عجيب صنع الخالق وتدل على الألوهية بهذا المصنع العجيب، (وهذا ليس من ضمن اختصاص بحثنا). (وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ).

---

(١) سورة النحل: الآيات (٦٧-٦٩).

هذه الثمرات المنبثقة عن الحياة التي بثها الماء النازل من السماء تتخذون منه سكرا أو السكر الخمر ولم تكن حرمت بعدم ورزقا حسنا. والنص يلمح إلى ان الرزق الحسن غير الخمر وان الخمر ليست رزقا حسنا، وفي هذا توطئه لما جاء بعد من تحريمها، وانما كان يصف الواقع في ذلك الوقت من اتخاذهم الخمر من ثمرات النخيل والأعناب، وليس فيه نص بحلها. بل فيه توطئه لتحريمها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).. فيدركون ان من يصنع هذا الرزق هو الذي يستحق العبودية له وهو الله. (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ).

وتتخذ بيوتها حسب فطرتها في الجبال والشجر وما يعرشون أي ما يرفقون من الكروم وغيرها – وقد ذلك الله سبل الحياة بما أودع في قطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق.

سورة الاسراء

ويقول السيد: ونقف هنا أمام ظاهرة التناسق في عرض هذه النعم ! انزال الماء من السماء، وإخراج اللبن من بين فرث ولم، واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب والعسل من بطون النحل. انها كلها أشربه تخرج من أجسام مخالفة لها في شكلها.

* قال تعالى: (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا) (١).

يقول السيد قطب: ج٤ ص ٢٢٣٨:

ولقد أخبرهم بوعد الله له وبما أطلعه الله عليه في رؤياه الكاشفة الصادقة، ومنه شجرة الزقوم التي يخوف الله بها المكذبين. فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل متهكما.

(١) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

هاتوا لنا تمرة وزبدة، وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا !.

فماذا كانت الخوارق صانعه مع القوم لو كانت هي آية رسالته كما كانت علامة الرسالات قبله ومعجزة المرسلين ؟ وما زادتهم خارقة الإسراء ولا زادهم التخويف بشجرة الزقوم إلا طغيانا كبيرا ؟

ان الله لم يقدر إهلاكهم بعذاب من عنده – ومن ثم لم يرسل إليهم بخارقه، فقد اقتضت إرادته ان يهاك المكذبين بالخوارق، وأما قريش فقد أمهلت ولم تؤخذ بالإبادة كقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب... ومن المكذبين من آمن بعد ذلك وكان من جند الإسلام الصادقين. ومنهم من انجب المؤمنين الصادقين. وظل القران – معجزة الإسلام – كتابا مفتوحا لجيل محمد الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى الأجيال بعده. وقال تعـــــالى (وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا) [١].

يقول السيد في ج٤ في توضيح هذه الآية:

وهكذا قصر إدراكهم عن التطلع إلى آفاق الأعجاز القرانية، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة، على الطفولة العقلية، أو يتبجحون في حق الذات الإلهية بالآداب ولا تخرج. لم ينفعهم تصريف القران للأمثال والتنويع فيها لعرض حقائقه في أساليب شتى تناسب شتى العقول والمشاعر، وشتى الأجيال والأطوار ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ و علقوا إيمانهم بالرسول (صلى الله عليه وسلم) بان يفجر لهم من الأرض ينوعة ! أو بان نكون له جنة من نخيل وعنب يفجر الانهار خلالها تفجيرا ! أو ان يأخذهم بعذاب من السماء...

(١) سورة الاسراء: الآيتان(٩٠–٩١).

وتبدو طفولة الإدراك والتصور – كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة – والذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو انها خوارق، فإذا جاءهم بها نظروا في الأيمان له والتصديق به !

وتحقلوا عن الخارقة الباقية في القران، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه ومنهجه، ولكنهم لا يلمسون هذا الأعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس ! ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ يقف عند حدود بشرية ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إياه.

سورة الكهف

قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا... وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾[١].

يقول السيد قطب في ج٤ ص ٢٢٤٩-٢٢٧٢:

وبما ان هؤلاء كذلك (وهنا يشير إلى ما قبلها في ذكر الكفار) إذا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات عدن للإقامة، تجري من تحتهم الانهار بالري وبهجة المنظر واعتدال النسيم، وهم هنالك للارتفاق حق (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ) وهم رافلون في ألوان من الحرير (وقد ذكرنا في بحثنا الأرائك) من سندس ناعم خفيف ومن إستبرق خمل كثيف. تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع: (نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا).

---

(١) سورة الكهف: الآيات(٣١-٤٥).

ثم نجيء قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله وكلاهما نموذج انساني الطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة. ويحسب هذه النعمة خالدة لا تغني، فلن تخذله القوة والجاه، وصاحبه نموذج الرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه، يرى النعمة دليلا على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا عجوده وكفره. وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة.

قال تعالى: (وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا).. ا فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر.. انه المنظر البهيج والحيوية الدافقة والمتاع والمال: (كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا).. ويختار التعبير كلمة (ظَالِمٌ) في معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر وازدهي وتكبر. وهاهو ذا صاحب الجنتين تمتلي نفسه بهما، ويزد هبه النظر إليهما، فيحس بالزهور، وينتعش كالديك، ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: (فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا).. ا ثم يخطو بصاحبه إلى أحدى الجنتين، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور، وقد نسي الله، ونسي ان يشكره على ما أعطاه، وظن ان هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبدا، انكر قيام الساعة أصلا، وهبها فامن فسيجد هنالك الرعاية والإيثار ! أليس من أصحاب الجنان في الدنيا فلا بد ان يكون جنابه ملحوظا لآخرة !

قــال تعــالى: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا) انه الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء، ان القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملا الأعلى فماذا داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد ان يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ !

فإما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر.. فانه معتز بما هو أبقى وأعلى. معتز بعقيدته و إيمانه، معتز بالله الذي تعنو له الحياة؛ فهو يجبه صاحبة المتبطر المغرور منكرا عليه بطره وكبره. يذكره بمنشئه المهين من ماء وطين، ويوجه الى الأدب الواجب في حق المنعم. وينذره عاقبة البطر والكبر ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار.

قــال تعــالى: (قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا)(أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا).

وهكذا تنفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغني والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب. وهكذا يستشعر المؤمن انه عزيز أمام الجاه والمال، وان ما عند الله خير من أعراض الحياة، وان فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله. وان نعمة الله جبارة وانها وشيكة ان تصيب الغافلين المتبطرين.

وفجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار الى مشهد الدمار والبوار. ومن هيئة البطر والاستكبار إلى هيئة النوم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن.

قــال تعــالى (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا).

وهو مشهد شاخص كامل: الثمر كله مدمر كانما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمه. وصاحبها يقلب كفيه أسفا وحزنا على ماله الضائع وجاهه الذاهب. وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الان بربوبيته ووحدانيته. ومع انه لم يصرح بكلمه الشرك إلا ان إعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركا ينكره الان، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان.

هنا يتفرد الله بالولاية والقدرة: فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، وثوابه هو خير الثواب، وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى.

قال تعالى (وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)..

ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسقا وندما، وجلال الله يظلل الموقف حيث تتوارى قدره الانسان..

وأمام هذا المشهد يضرب مثلا للحياة الدنيا كلها. فإذا هي كتك الجنة المضروبة مثلا قصيرة قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار: (وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا).

هذا المشهد يعرض قصيرة خاطفة ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح حشيما تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار، ينتهي شريط الحياة.

ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد، بالتعقيب الذي تدل عليه القــــــاء: (كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ) فما أقصرها حياة ! وما أهونها حياة ! وبعد ان يلقي مشهد الحياة الذاهبة ظله

في النفس يقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التي يتعبدها الناس في الأرض والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام.

سورة مريم

يقول تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[(١)] هنا سوف لن نتناول قصة مريم بكاملها فمن أراد ان يستزيد فليرجع إلى تفسير الآيات كلها في قصة مريم، وسنكتفي بالجزء الذي فيه صله النبات في الآيات بهذه

يقول السيد رحمه الله: السيدة مريم تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية. تواجه المخاض الذي (فَأَجَآءَهَا) إجاءة إلى جذع النخلة، واضطرها اضطرارا الى الاستناد عليها. وهي وحيدة فريدة تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء.. فإذا هي قالت: (يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا) فاننا لنكاد نرى ملامحها. ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها. وهي نتمنى لو كانت (نَسْيًا): تلك الخرقة التي تتخذ الدم الحيض، ثم تلقى بعد ذلك وتنسي ! وفي حده الألم وغمره الهول تقع المفاجأة الكبرى ! | (فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا).

---

(١) سورة مريم: الآيات(٢٣-٢٥).

يالله ! طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها، يطمئن قلبها ويصلها جريها، ويرشدها الى طعامها وشرابها. ويدلها على حجتها وبرهانها ! لا تحزني.. (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) فلم ينسك ولم يتركك بل أجرى لك تحت قدميك جدولا سارية، الأرجح انه جرى اللحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل، وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيها فتساقط عليك رطبة. فهذا طعام وذاك شراب، والطعام الحلو مناسب للنفساء، والرطب والتمر من أجود طعام النفساء.

(فَكُلِي وَٱشْرَبِي) هنيئا (وَقَرِّي عَيْنًا) واطمئني قلبة، فإما إذا واجهت أحدا فأعلينه بطريقة غير الكلام، انك نذرت للرحمن صوما عن حديث الناس وانقطعت إليه اللعبادة، ولا تجيبي أحدا عن السؤال...

وتحسها قد دهشت طويلا، وبهتت طويلا، قبل ان تمديدها الى جذع النخلة تهزه اليساقط عليها رطبا جنيا.. ثم أفاقت فاطمانت إلى ان الله لا يتركها. والى حجتها معها.. هذا الطفل الذي ينطق في المهد فيكشف عن الخارقة التي جاءت به إليها.

سورة طه

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾[1].

قال السيد: ج٤ ص ٢٣٣٩:

والأرض كلها مهد للبشر في كل مكان وزمان. مهد كمهد الطفل. وما البشر إلا أطفال هذه الأرض. يضمهم حضنها ويغذوهم درها ! وهي ممهدة لهم كذلك للسير والحرث والزرع والحياة. جعلها الخالق المدبر كذلك يوم أعطى كل شيء خلقه. فأعطي هذه الأرض خلقها على الهيئة التي خلقت بها صالحة للحياة التي قدرها فيها، وأعطى

(١) سورة طه: الآية ٥٣.

البشر خلقهم كذلك على الهيئة التي خلقهم بها صالحين للحياة في هذه الأرض التي مهدها لهم وجعلها مهدهم.. المعنيان متقاربان متصلان.

وصورة المهد وصفه التمهيد لا تبدو في بقعة من الأرض كما تبدو في مصر. ذلك الوادي الخصيب الأخضر السهل الممهد الذي لا يحوج أهله إلا الى أيسر الكوفي زرعه وجناة. وكانما هو المهد الحاني على الطفل بضمه ويرعاه.

والخالق المدبر الذي جعل الأرض مهدا، شق للبشر فيها طوقا وانزل من السماء ماء. ومن ماء المطر تتكون الانهار وتفيض – ومنها نهر النيل القريب من فرعون – فيخرج النبات أزواج من أجناس كثيرة. وقد شاء الخالق المدبر ان يكون النبات أزواجا كسائر الأحياء. وهي ظاهرة مطردة في الأحياء كلها. والنبات في الغالب يحمل خلايا التذكير، وخلايا التانيث في النبتة الواحدة وأحيانا يكون اللقاح في نبتة ذكر منفردة كما هو الحال في الفصائل الحيوانية. وبذلك يتم التناسق في نواميس الحياة وبطرد في كل الفصائل والانواع.. (كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ) وما من عقل مستقيم يتأمل هذا النظام العجيب ثم لا يطلع فيه على آيات تدل على الخالق المدبر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هوى..

ومن هذه الأرض التي جعلناها لكم مهدأ وسكنا لكم فيها سبلا وانزلنا من السماء ماء فانبتنا به أزواجا من نبات شتى، للأكل والمرعى.. من هذه الأرض خلقناكم. وفي هذه الأرض نعيدكم، ومنها نخرجكم بعد موتكم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[(١)] قوله الطاغية الذي لا يدرك انهم هم انفسهم لا يملكون – وقد يمس الإيمان قلوبهم – ان يدفعوه عنها، والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء.

---

(١) سورة طه: الآية ٧١.

(إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ).. فذلك سر الاستسلام في نظره، لا انه الإيمان الذي دب في قلوبهم من حيث لا يحتسبون، لانها يد الرحمن تكشف عن بصائرهم غشاؤه الضلال.

ثم التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة.. ويسلفونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح. (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ) ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش في الغاية – القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال، ولا تعرف بين انسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ) !

ولكنه كان قد فات الأوان كانت اللمسة الإيمانية قد وصلت الذرة الصغيرة بمصدرها الهائل. فإذا هي قوية قويمة. وإذا القوى الأرضية كلها ضئيلة ضئيلة – وإذا الحياة الأرضية كلها زهيدة زهيدة. وكانت قد تفتحت هذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة لا تبالي ان تنظر بعدها الى الأرض وما بها من عرض زائل ولا الى حياة الأرض وما فيها من متاع تافه.

* قال تعالى (﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله: ج٤ ص ٢٣٥٤:

لقد لمس في نفسه الموضع الحساس، فالعمر البشري محدود، والقوة البشرية محدودة – من هنا يتطلع إلى الحياة الطويلة والى الملك الطويل، ومن هاتين النافذتين

(١) سورة طه: الآيتين(١٢٠-١٢١).

يدخل عليه الشيطان، وآدم مخلوق بفطرة البشر وضعف البشر، الأمر مقدور وحكمة مخبؤة..

ومن ثم نسي العهد، وأقدم على المحظور: بلاك (يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ)..

والظاهر انها السوءات الحسية تبدت لهما وكانت عنهما مستورة، وانها مواضع العفة في جسديهما. يرجح ذلك انها أخذا يسترانها بورق الجنة يشبكانه ليستر هذه المواضع. وقد يكون ذلك إيذانا باستيقاظ الدوافع الجنسية في كيانهما فقيل اليقظة هذه الدوافع لا يحس الانسان بالخجل من كشف مواضع العفة ولا ينتبه إليها ولكنه ينبته الى العورات عند استيقاظ دافع الجنس ويخجل من كشفها.

وربما كان خطر هذه الشجرة عليها، لان ثمارها مما يوقظ هذه الدوافع في الجسم تأجيلا لها فترة من الزمان كما يشاء الله. وربما كان نسيانهما عهد الله وعصيانهما له تبعه هبوط في عزيمتهما وانقطاع عن الصلة يخالقهما فسيطرت عليهما دوافع الجسد وتنبهت فيها دوافع الجنس. وربما كانت الرغبة في الخلود تجسمت في استيقاظ الدوافع الجنسية للتناسل، فهذه هي الوسيلة الميسرة للانسان للامتداد وراء العمر الفردي المحدود..

كل هذه الفروض التفسير مصاحبة ظهور سوآتهما لهما للآكل من الشجرة. فهو لم يقل: فبدت سوآتهما. انما قال: فبدت لهما سوآتهما مما يؤذن انها كانت محجوبة عنهما فظهرت لهما بدافع داخلي من إحساسهما.. وقد جاء في موضع آخر عن إبليس: (لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا) وجاء: (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۚ) وقد يكون اللباس الذي نزعه الشيطان ليس لباس مادية انما هو شعور ساتر. قد يكون هو شعور البراءة والطهارة والصلة بالله. وعلى أية حال فهي مجرد فروض كما أسلفنا الا نؤكدها ولا نرجح واحدا منها. انما هي لتقرب صورة لتجربة الأولى في حياة البشرية.

ثم أدركت آدم وزوجه رحمه الله، بعدما عصوه، فقد كانت هذه هي التجربة الأولى. (ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ). بعد ما أستغفر آدم وندم واعتذر، ولا يذكر هذا هنا لتبدو رحمة الله في الجو وحدها.

سورة الانبياء

* قال تعالى:(فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ) (١).

يقول سيد قطب:

ويا له من حصيد آدمي، لا حركة فيه ولا حياة، وكان منذ لحظة يموج بالحركة. وتضرب فيه الحياة !

يقول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (٢)

يقول سيد قطب: في ج٤

والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العين وأخف في الميزان، وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع والميزان الدقيق يشيل بها أو يميل ! فلتنظر نفس ماقدمت لغد. وليصغ قلب النذير. وليبادر الغافلون المعرضون المستهزمون قبل أن يحق النذير في الدنيا أو في الآخرة، فإنهم إن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذي تعد موازينه، ف لا تظلم نفس شيئا، ولا يهمل مثقال حبة من خردل.

(١) سورة الانبياء: الآية ١٥.

(٢) سورة الانبياء: الآية ٤٧.

وهكذا ترتبط موازين الآخرة الدقيقة، بنواميس الكون الدقيقة، بسنن الدعوات، وطبائع الحياة والناس، وتلقي كلها متناسقة موحدة في يد الإرادة الواحدة مما يشهد لقضية التوحيد وهي محور السورة الأصيل.

يقول تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴾(١).

يقول سيد قطب ج٤ ص ٢٣٨٩

وقصة الحرث التي حكم فيها داود وسليمان يقول الرواة في تفصيلها: إن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث أي حقل وقبل حديقة كرم، والآخر صاحب غنم – فقال صاحب الحرث: إن غنم هذا قد نفشت في حرثي – أي انطلقت فيه ليلا – فلم تبق منه شيئا. فحكم داود لصاحب الحرث أن يأخذ غنم خصمه في مقابل حرثه.. ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بقضاء داود. فدخل سليمان على أبيه فقال: يا بني الله إن القضاء غير ما قضيب. فقال: كيف ؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بها، وادفع الحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان. ثم يعيد كل منهما الى صاحبه ما تحت يده. فيأخذ صاحب الحرث حرثه، وصاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت وأمضي حكم سليمان.

وكان حكم داود وحكم سليمان اجتهادة منها. وكان الله حاضرة حكمهما. فألهم سليمان حكما أحكم، وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب.

لقد أتجه داود في حكمه الى مجرد التعويض لصاحب الحرث. وهذا عدل فحسب ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعا إلى البناء والتعمير. وهذا هو العدل الحي ولايجابي في صورته البانية الدافعة. وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء.

(١) سورة الانبياء: الآية ٧٨.

ولقد أوتي داود سليمان كلاهما الحكمة والعلم: (وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) ليس في القضاء داود خطأ. ولكن قضاء سليمان كان أصوب، لأنه من نبع الإلهام.

سورة الحج

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾(1).

يقول السيد قطب: ج٤ ص٢٤١٤:

ويتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام. مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم. وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان.. إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه، تتجه إليه وحده في وحده واتساق. إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يتفرق: (وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ) فيبدو هذا الإنسان عجيبا في ذلك الموكب المتناسق. وهنا يقرر أن من يحق عليه العذاب فقد حق عليه الهوان: (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ) فلا كرامة إلا بإكرام الله، ولا عزة إلا بعزة الله. وقد ذل وهان من دان لغير الريان.

---

(١) سورة الحج: الآية ١٨.

سورة المؤمنون

* ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾[١]

يقول سيد قطب: ج٤ ص ٢٤٦١:

أي وأنزلنا من السماء ماء بحكمة وتدبير إلا أكثر فيغرق ويفسد، ولا أقل فلا فيكون الجذب والمحل. ولا في غير أوانه فيذهب بدرة بلا فائدة (فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ) وما أشبهه وهو مستكن في الأرض بماء النطفة وهو مستقر في الرحم. (فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ).. كلاهما مستقر هنالك بتدبير الله لتنشأ عنه الحياة.. وهذا من تنسيق المشاهد على طريقه القرآن في التصوير. (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ).. فيغور في طبقات الأرض البعيدة بكسر أو شق في الطبقات الصخرية التي استقر عليها محفظته أو يغير هذا من الأسباب.

فالذي أسكنه بقدرته قادر على عبديره وإضاعته، إنما هو فضل الله على الناس ونعمته.(فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

والنخيل والأعناب نموذجان من الحياة التي تنشأ بالماء في عالم النبات كما ينشا الناس من ماء النطفة في عالم الإنسان - نموذجان قريبان لتصور المخاطبين إذ ذالك بالقرآن، يشير الى نظائرهم الكثيرة التي تحيا بالماء، ويخصص من الأنواع الأخرى شجرة الزيتون: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ)..

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات(١٨-٢٠).

وهي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعامها وخشبها، وأقرب منابتها من بلاد العرب طور سيناء. عند الوادي المقدس المذكور في القرآن لهذا ذكر المثبت على وجه خاص. وهي تنبت هناك من الماء الذي أسكن في الأرض وعليه تعيش. – قال تعالى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

يقول سيد قطب: ج٤ ص٢٤٦٨

والغثاء ما يحرفه السيل من حشائش وأعشاب وأشياء مبعثرة لا خير فيها، ولا قيمة لها، ولا رابط بينهما.. وهؤلاء لما تخلوا عن الخصائص التي كرمهم الله بها، وغفلوا عن حكمة وجودهم في الحياة الدنيا، وقطعوا ما بينهم وبين الملأ الأعلى.. لم يبق فيهم ما يستحق التكريم، فإذا هم غثاء كغثاء السيل. ملقى بلا احتفال ولا اهتمام وذلك من فوائد التعبير القرآني الدقيق.

ويزيدهم على هذه المهانة، الطرد من رحمة الله، والبعد عن اهتمام الناس: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. بعدا في الحياة وفي الذكرى. في عالم الواقع وفي عالم الضمير..

سورة النور

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢).

يقول سيد قطب: ج٤ ص ٢٠١٨-٢٠١٩:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٤١.

(٢) سورة النور: الآية٣٥.

وما يكاد النص العجيب يتجلى حتى يغيض النور الهادئ الوضئ، فيغمر الكون كله، ويغيض على المشاعر والجوارح، وينسكب في الحنايا والجوانح، وحتي يسبح الكون كله في نبض النور الباهر، وحتى تعانقه وترشقه العيون والبصائر، وحتى تنزاح الحجب، وتشن القلوب، وترف الأرواح ويسبح كل شيء في الفيض الغامر، ويتطهر كل شيء في بحر النور، ويتجرد كل شيء من كثافته ونقله، فإذا هو انطلاق ورفرفه، ولقاء ومعرفة وامتزاج وألقه، وخرج وحبور، وإذا الكون كله بما فيه ومن فيه نور طليق من القيود والحدود، تتصل فيه السموات بالأرض، والأحياء بالجماد، والبعيد بالقريب، ونلتقي فيه السقاب والدروب، والطوايا والظواهر، والحواس والقلوب (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ).

النور الذي منه قوامها ومنه نظامها. فهو الذي يهبها جوهر وجودها، ويودعها ناموسها.. ولقد استطاع البشر أخيرا أن يدركوا بعلمهم طرفا من هذه الحقيقة الكبرى. عندما استحال في أيديهم ما كان يسمى بالمادة. بعد عظيم الذرة – إلى إشعاعات منطلقة لأقوام لها إلا النور ؟ ولا (مادة) لها إلا النور ! قدرة المادة مؤلفة من كهارب و إلكترونيات، تنطلق – عند تحطيمها – في هيئة أشعاع قوامه هو النور ! فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون. كان يدركها كلما شف ورف، وانطلق إلى آفاق النور. ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففاض بها وهو عائد من الطائف، نافض كفيه من الناس عائد بوجه ربه يقول (**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة**) وفاض بها في رحلة الإسرار والمعراج. فلما سألته عائشة:

هل رأيت ربك ؟ قال: (نور أني أراه). ا ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلا على تلقي ذلك الفيض الغامر دائما، ولا يستشرف طويلا ذلك الأفق البعيد. فبعد أن جلا النص هذا الأفق المتناهي عاد يقارب مداه. ويقربه الى الإدراك البشري المحدود في مثل قريب محسوس. السا قال تعالى:(مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ.... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ).

وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صور غير المحدود، ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل. وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير.

وعن عرض السموات والأرض إلى المشكاة. وهي الكوة الصغيرة في الجذر غير النافذ. يوضع فيها المصباح، فتحصر نوره وتجمعه، فيبدو قوية متألقة: (كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ).. (ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ).. تقية الريح وتصغي نوره، فيتألق ويزداد.. ((الزجاجة كأنها كوكب دري).. فهي بذاتها شفافة رائقة سنية منيرة.. هنا يصل بين المثل والحقيقة. بين النموذج والأصل. حين يرتقي من الزجاجة الصغيرة الى الكوكب الكبير كي الا ينحصر التأمل في النموذج الصغير. الذي ما جعل إلا لتقريب الأصل الكبير.. وبعد اللفتة يعود الى النموذج. الى المصباح: (يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ) ونور زيت الزيتون كان أصفى نور يعرفه المخاطبون. ولكن ليس هذا وحده كان اختيار هذا المثل. إنما هو كذلك الظلال المقدسة التي تلقيها الشجرة المباركة. ظلال الوادي المقدس في الطور، وهو أقرب منابت الزيتون بجزيرة العرب وفي القرآن إشارة لها وظلال حولها: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ). وهي شجرة معمرة، وكل ما فيها مما يتفع الناس. زيتها وخشبها وورقها وثمرها.. ومرة أخرى يلتفت من النموذج الصغير ليذكر بالأصل الكبير. فهذه الشجرة ليست شجرة بعينها وليس متميزة إلى مكان أوجهه. إنما هي مثل مجرد للتقريب: (لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ).. وزيتها ليس زيتا من هذا المشهود المحدود إنما هو زيت آخر عجيب: (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ).. (نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ). وبذلك نعود إلى النور العميق الطليق في نهاية المطاف ! إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السموات والأرض النور الذي لا ندرك كنهه ولا مداه. إنما هي محاولة لوصل القلوب به والتطلع الى رؤياه ! (يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ) من يفتحون قلوبهم للنور فتراه. فهو شائع في السموات والأرض، فائض في السموات والأرض. دائم في السموات والأرض لا ينقطع، ولا

يحتبس ولا يخبو. فحيثما توجه إليه القلب رآه. وحيثما تطلع إليه الحائر هداه.. وحيثما اتصل به وجد الله. إنما المثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه الى المدارك، وهو العليم بطاقة البشر: (وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ).. و ذلك النور الطليق، الشائع في السموات والأرض، والفائض في السموات والأرض، يتجلى ويتبلور في بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بالله تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مغريات الحياة.

سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴾[1]

يقول سيد قطب: ج٥ ص ٢٩١١:

أتظنون أنكم متروكون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة وسائر ما يتضمنه هذا الأجمال من تفخيم وتضخيم.. أتتركون في هذا كله آمنين لا يردعكم فوت، ولا يزعمكم سلب، ولا يفزعكم تغيير ! أتتركون في هذا كله من جنات وعيون، وزرع متنوعات، ونخل في البطون ! وتتركون في البيوت تتخذوها في الصخور بمهارة وبراعة، وفي أناقة وفراهة؟

و قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾[2].

كان قوم سبا يسجدون للشمس من دون الله، وهنا يعلل ظلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العظيم العليم الخبير (يُخۡرِجُ

(١) سورة الشعراء: الآيات(١٤٦-١٤٨).

(٢) سورة النمل: الآية ١٢٥.

ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) والخبء: المخبوء إجمالا سواء كان هو مطر السماء ونبات الأرض، أم كان هو أسرار السموات والأرض. وهي كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض. (وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ) وهي مقابلة للخبء في السموات والأرض بالخبء في أطوار النفس. ما ظهر منه وما بطن.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]

يقول سيد قطب: ج٥ ص ٢٩٩١:

فها هو ذا يقصد إلى النار التي أنسها، وهما هو ذا في شاطئ الوادي الى جوار جبل الطور، الوادي الى يمينه (فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ).. المباركة، منذ هذه اللحظة.. ثم هذا هو الكون كله تتجاوب جنياته بالنداء العلوي الآتي الموسى (مِنَ ٱلشَّجَرَةِ) ولعلها كانت الوحيدة في هذا المكان.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

يقول صاحب الظلال: ج٥ ص ٢٧٠٣:

إنها النظرة السطحية القريبة، والتصور الأرضي المحدود، هو الذي أوحى لقريش وهو الذي يوحي للناس أن أتباع هدي الله يعرضهم للمخالفة، ويعزي بهم الأعداء، ويفقدهم العون والنصير، ويعود عليهم بالفقر والبوار: (وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ) فهم لا ينكرون الهدى ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس، وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ وأنه وحده الحامي، وان قوى الأرض كلها لا تملك

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٠.

أن تتخطفهم وهم في حمى الله، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله. ذلك أن الأيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تقديرهم للأمور ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه. وأن هذا الهدى موصل بالقوة موصل بالعزة، وأن هذا ليس وهما وليس قولا يقال لطمأنه القلوب إنما هو في حقيقة عميقة منشؤها أن أتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وقواه، والاستعانة بها وتسخيرها في الحياة. فالله خالق هذا الكون ومدبره وفق الناموس الذي ارتضاه له. والذي يتبع هدي الله يستمد مما في هذا الكون من قوى غير محدودة، ويأوي الى ركن شديد، في واقع الحياة.

إن هدى الله مزيج حياة صحيحة. حياة رائعة في هذه الأرض. وحين يتحقق هذا المنهج تكون له السيادة الأرضية الى جانب السعادة الأخروية. وميزته أنه لا انفصال فيه بين

طريق الدنيا وطريق الآخرة ولا يقتضي إلغاء هذه الحياة الدنيا أو تعطيلها ليحقق أهداف الحياة الآخرة إنما هو يربطها معا برباط واحد: صلاح القلب وصلاح المجتمع وصلاح الحياة في هذه الأرض. ومن ثم يكون الطريق الى الآخرة. فالدنيا مزرعة الآخرة، وعمارة فيه هذه الأرض وسيادتها وسيلة إلى عمارة جنة الآخرة والخلود فيها. بشرط أتباع هدى الله. والتوجه إليه بالعمل والتطلع الى رضاه.

وما حدث قط في تاريخ البشرية أن استقامت جماعة على هدى الله إلا منحها القوة والمتعة والسيادة في نهاية المطاف، بعد إعدادها لحمل هذه الأمانة، أمانة الخلافة في الأرض وتصريف الحياة.

وإن الكثيرين ليشفقون من أتباع شريعة الله والسير على هداه. يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم. ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون نمن المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية ! وان هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)(وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ) فلما أتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن أو اقل من الزمان.

وقد رد الله عليهم في وقتها بما كذب هذا العدو الموهوم. فمن ذا الذي وهبهم الأمن ؟ ومن ذا الذي جعل لهم البيت الحرام ؟ ومن ذا الذي جعل القلوب تهوي إليهم تحمل من ثمرات الأرض جميعا ؟ تتجمع في الحرم من كل أرض. وقد تفرقت في مواطنها ومواسمها الكثيرة: (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا)

فما بالهم يخافون أن يتخطفهم الناس لو اتبعوا هدى الله، والله هو الذي مكن لهم هذا الحرم الآمن منذ أيام أبيهم إبراهيم ؟ أفمن أمنهم وهم عصاه. يدع الناس يتخطفونهم وهم تقاة ؟! (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). و لا يعلمون أين يكون الأمن وأين تكون المخالفة، ولا يعلمون أن مرد الأمر كله لله.

سورة لقمان

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(١).

وفي سياق وصية لقمان لابنه تجئ الفقرة التالية في الوصية، لتقرر قضية الآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل. ولكن هذه الحقيقة لا تعرض هكذا مجرده، وإنما

تعرض في المجال الكون الفسيح، وفي صورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان، وهو يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق اللطيف: (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ.....).

وما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله، وعن قدره الله سبحانه، وعن دقه الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور، وهذا فضل طريقة القرآن المعجزة الجميلة الأداء العميقة الإيقاع.. حبة من خردل. صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٦.

قيمة. (فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ).. صلبة محشورة فيها ولا تظهر ولا يتوصل إليها. (أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ).. في ذلك الكيان الهائل الشامع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة.(أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ) ضائعة في ثراها وحصادها لا تبين. (يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ).. فعلمه بلاحقها. وقدرته لا تفلتها (إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف.

ويظل الخيال بلاحق تلك الحبة من خردل في مكانها تلك العميقة الرسمية، ويتملى علم الله الذي يتابعها. حتى يخشع القلب وينيب، الى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب. وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب. بهذا الأسلوب العجيب.

* قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٌ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

يقول سيد قطب: ج١ ص٢٧٩٠:

هذا المشهد الكوني يرمز إلى غنى الله الذي لا ينفذ، وعلمه الذي لا يحد، وقدرته على الخلق والتكوين المتجردين بغير ما نهاية ومشيئة المطلقة التي لا نهاية لما تريد:.. أنه مشهد منتزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة، ليقرب إلى تصورهم معنى تجدد المشيئة الذي ليس له حدود والذي لا يكاد وتصورهم البشري يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل. إن البشر يكتبون علمهم، ويسجلون قولهم، ويمضون أوامرهم، عن طريق كتابتها بأقلام – كانت تتخذ من الغاب والبوصي – يمدونها بمداد من الحبر رغوه. لا يزيد هذا الحبر على ملء دواة أو ملء زجاجة ! فها هو ذا يمثل لهم أن جميع ما في الأرض من شجر قول أقلاما – وجميع ما في الأرض من بحر تحول مدادا. بل أن هذا البحر أموته سبعة أبحر كذلك.. وجلس الكتاب يسجلون كلمات

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

الله المتجددة، والدالة على علمه، المعبرة عن مشيئة.. فماذا ؟ لقد نفدت الأقلام ونفد المداد نفذت الأشجار ونفدت البحار.. وكلمات الله باقية لم تنفد، ولم تأت لها نهاية.. إنه المحدود يواجه غير المحدود، ومهما يبلغ المحدود فسينتهي، ويبقى غير المحدود لم ينقص شيئا على الأطلاق.. إن كلمات الله لا تنفد، لأن علمه لا يحد، ولأن إرادته لا تكف ولأن مشيئة – سبحانه – ماضية ليس لها حدود ولا قيود.

وتتوارى الأشجار والبحار، وتنزوي الأحياء والأشياء، تتوارى الأشكال والأحوال، ويقف القلب البشري خاشعة أمام جلال الخالق الباقي الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يغيب، وأمام قدرة الخالق القوي المدبر الحكيم (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)..

قال تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾[١].

يقول سيد في: جه ص٢٨١٥:

فهذه الأرض الميتة البور، يرون أن يد الله تسوق إليها الماء المحي فإذا هي خضراء ممرعه بالزرع النابض بالحياة. الزرع الذي تأكل منه أنعامهم وتأكل منه أنفسهم. ولون مشهد الأرض الجدية والحي يصيبها فإذا هي خضراء.. أن هذا المشهد ليفتح نوافذ القلب المغلقة لاستجلاء هذه الحياة النامية واستقبالها، والشعور بحلاوة الحياة ونداوتها، والإحساس بواهب هذه الحياة الجميلة الناضرة، وإحساس حب وقربى و انعطاف، مع الشعور بالقدرة المبدعة واليد الصناع التي تشيع الحياة والجمال في صفحات الوجود.

وهكذا يطوف القرآن بالقلب البشري في مجالي الحياة والنماء، بعدما طوف به في مجالي البلى والدثور، ولا ستجاشة مشاعره هنا وهناك، وإيقاظه من بلادة الألفة. وهمود العادة، ولرفع الحواجز بينه وبين مشاهد الوجود، وأسرار الحياة، وعبر الأحداث وشواهد التاريخ.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٧.

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[1].

يقول صاحب الظلال: ج٥ ص٢٩٠٠.

وسبأ اسم لقوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن، وكانوا في أرض مخصبة ما تزال منها بقية الى اليوم. وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق فأقاموا خزانا طبيعيا بتألق جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سدا به عيون تفتح وتغلق، وخزنوا الماء بكميات عظيمة وراء السد. وتحكموا فيها وفق حاجتهم. فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم. وقد عرف باسم (سد مأرب).

وهذه الجنان عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل. ومن ثم كانت آية تذكر بالمنعم الوهاب وقد أمروا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين: (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ).. وذكروا بالنعمة. نعمة البلد الطيب وفوقها نعمة الغفران على القصور من الشرك والتجاوز عن السيئات. (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ).

سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء. وسماحة في السماء بالعفو والغفران. فماذا يقعدهم عن الحس والشكران ؟ ولكنهم لم يشكروا ولم يذكروا. (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ).

أعرضوا عن الشكر لله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم. فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، وأرسل السيل الجارف الذي

---

(١) سورة سبأ: الآيتين ١٥-١٦.

يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد وانساحت المياه فطفت وأغرقت، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت، وتبدلت تلك الجنان الفيح صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) والخمط شجر الأراك أو كل شجر ذي شوك – والأثل شجر يشبه الطرفاء. والسدر النبق. وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا قليل: (ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا).

والأرجح أنه كفران النعمة (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) هذا وقصة أهل سبأ ذكرت في القرآن كاملة ومعروفة..

سورة فاطر

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(١).

يقول سيد قطب رحمه الله: ج٥ ص ٢٩٢:

إنها لفتة كونية عجيبة اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب. لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها. في الثمرات. وفي الجبال. وفي الناس. وفي الدواب والأنعام. لفتة تجمع في كلمات قلائل. بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا.

(١) سورة فاطر: الآيتان ٢٧–٢٨.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المخلفات الألوان، ولأن المعرض أصباغ وشيات فإنه لا يذكر هنا من الثمرات إلا ألوانها (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ) وألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إيداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر. بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد. فعند التدقيق في أي ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون !

وينتقل من ألوان الثمار الى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية. ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها وبل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى تكاد تفرق من الثمار صغيرها وكبيرها !

(وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ). واللفتة الى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها الى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزة، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر الى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة، وعلى بعد ما بين وظيفتها في تقدير الإنسان، ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحده عنصرة مشتركة بين هذه وتلك، يستحق النظر والالتفاف.

ثم ألوان الناس. وهي لا تقف عند ألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه. بل متميز من توأمه الذي شاركه حملا واحدا في بطن واحدة. وكذلك ألوان الدواب والأنعام، والدواب أشمل والأنعام أخص والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء.

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين بفتحة القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون

الله: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

وهذه الصفحات التي قلبها في هذا الكتاب هي بعض صفحاته، والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب، ومن ثم يعرفونه الله معرفة حقيقية. يعرفونه بآثار ص نعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقية إبداعية ومن ثم يخشونه حقا ويتقونه حقا. ويعبدونه حقا. لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون. ولكن بالمعرفة الحقيقة والعلم المباشر. وهذه الصفحات نموذج من الكتاب. والألوان والأصباغ نموذج من بدائع التكوين الأخرى وبدائع التنسيق التي لا يدركها إلا العلماء بهذا الكتاب. العلماء به علما واصلا. علما يستشعره القلب. ويتحرك به، ويرى به يد الله المبدعة الألوان والأصباغ والتكوين والتنسيق في ذلك الكون الجميل..

أن عنصر الجمال يبدو مقصودة تعبدا في تصميم هذا الكون وتنسيقه. ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدي عن طريق جمالها. هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح. ووظيفة النحل والفراش بالقياس الى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح. لتنشأ الثمار. وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها!

والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر إليه، لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان. وهكذا تتم الوظيفة عن طريق الجمال، فالجمال عنصر مقصودا قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه، ومن ثم هذه الفئات في كتاب الله المنزل إلى الجمال في كتاب الله المعروض.

(إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ): عزيز قادر على الإبداع وعلى الجزاء غفور يتدارك بمغفرته من يقصرون في خشيته، وهم يرون بدائع صنعته.

سورة يس

يقــول تعــالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ..... وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾(١)

يقول سيد قطب: ج٥ ص ٢٩٩٧ وما بعدها:

إنهم يكذبون الرسل، ولا يتدبرون مصارع المكذبين، ولا يدركون دلاله كونهم يذهبون ولا يرجعون، والرسل إنما يدعونهم الى الله وكل ما في الوجود حولهم يحدثهم عن الله، ويدل عليه ويشهد بوجوده. وهذه هي الأرض القريبة منهم. يرونها ميتة لا حياة فيها، ولا ماء ينشئ الحياة، ثم يرونها حية تنبت الحب وتزدان بالجنات من نخيل وأعناب وتتفجر فيها العيون، فنجري بالحياة حيث تجري..

والحياة معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها، إنما هي يد الله التي تجري المعجزات، وتنبت روح الحياة في الموت. وأن رؤية الزرع النامي والجنان الوارفة، والثمر اليانع، لتفتح العين والقلب على يد الله المبدعة، وهي تشق التربة من النبتة المتطلعة للحرية والنور، وتهز العود المستشرق الشمس والضياء، وتزين الغصن اللون بالورق والثمار، وتفتح الزهرة وتطبخ الثمرة، وتهيئها للجني والقطاف.. (لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ) ويد الله هي التي أقدرتهم على العمل. كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء ! (أَفَلَا يَشۡكُرُونَ) ويلتفت عنهم بعد هذه اللمسة الرقيقة ليسبح الله الذي أطلع لهم النبت والجنان، وجعل الزرع أزواجا ذكرانا وإناثا كالناس وكغيرهم من خلق الله الذي لا يعلمه سواه:. (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ)...

وهذه التسبيحة تنطلق في ألوانها وفي موضعها، وترتسم معها حقيقة ضخمة من حقائق هذا الوجود، حقيقة وحدة الخلق.. وحدة القاعدة والتكوين.. فقد خلق الله الأحياء

---

(١) سورة يس: الآيات ٣٣-٣٩.

أزواجا. النبات فيها كالإنسان ومثل ذلك غيرهما.. ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وإن هذه الوحدة التشي بوحدة اليد المبدعة. التي توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس. والخصائص والسمات، وفي هذه الأحياء التي لا يعلم علمها إلا الله.. ومن يدري فربما كانت هذه قاعدة الكون كله حتى الجماد ! وقد أصبح معلومة أن الذرة – أصغر

ما عرف من قبل من أجزاء المادة – مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربي، سالب وموجب يتزاوجان ويتحدان كذلك شوهدت ألوف من الثنائيات النجمية، تتألف من نجمين مرتبطين يستر بعضها بعضا، ويدوران في مدار واحد كانما يوقعان على نغمة رتيبة !

ويستمر القرآن الكريم في أعطاء صورة لآية السماء وما يتعلق بها من ظواهر يراها العباد رأي العين ويد الله تجريها بالخوارق والمعجزات فشهد الليل والنهار تتابعها، ومشهد الشمس تجري وتدور ومشهد القمر في منازله ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ فالقمر يولد هلالا ثم بتحويله بعد ليله حتى يستكبر بدرا. ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالا مقوسا كالعرجون القديم. والعرجون هو العذق الذي يكون فيه البلح من النخلة. والذي يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة يدرك ظل التعبير القرآني العجيب ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ وبخاصة ظل ذلك اللفظ ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾، فالقمر في لياليه الأولى هلال وفي لياليه الأخيرة هلال. ولكنه في الأولى يبدو وكأن فيه نضاره وفتوة – وفي الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه سهوم ووجوم، ويكسوه شحوب وذبول، ذبول العرجون القديم ! فليست مصادقة أن يعبر القرآن الكريم عنه هذا التعبير الموحي العجيب !

* وقولـه تعـالى ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[1]

انهم مشغولون بما هم فيه من النعيم. ملتذون متفكرون. وأنهم لفي ظل مستطابة يستروحون نسيمها.. وعلى أرائك متكئين في راحة ونعيم هم وأزواجهم. لهم فيها فاكهة ولهم كل ما يشاعون وهم ملاك محقق لهم فيها كل ما يدعون. ولهم فوق اللذائذ التأهيل والتكريم: (سَلَٰمٌ).. يتلقونه من ربهم الكريم: (قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ).

قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾[2].

وهو نعيم مضاعف يجمع كل مظاهر النعيم. نعيم تستمتع به النفس ويستمتع به الحـس. وتجـد فيـه كـل نفـس مـا تشـتهيه مـن ألـوان النعـيم. فهم – أولا – عباد الله المخلصون. وفي هذه الإشارة أعلى مراتب التكريم وهم – ثانية –(مُكْرَمُونَ) في الملأ الأعلى. وباله من تكريم ! ثم إن لهم (فَوَٰكِهُ) وهم على (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ). وهم يخدمون فلا يتكلفون شيئا من الجهد في دار الراحة والرضوان والنعيم.

وقولـــــه تعـــــالى:﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[3].

---

(١) سورة يس: الآيتان ٢٧-٢٨.

(٢) سورة الصافات: الآية ٤١.

(٣) سورة الصافات: الآيات ٦٢-٦٥.

ولكي يتضح الفارق الهائل بين هذا النعيم الخالد الأمن الدائم الراضي والمصير الآخر الذي ينتظر الفريق الآخر. فإن السياق يستطرد إلى ما ينظر هذا الفريق بعد موقف الحشر والحساب الذي ورد في مطلع المشهد الفريق.

أذلك النعيم المقيم خير منزلا ومقامة أم شجرة الزقوم ؟ وما شجرة الزقوم ؟ (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ) والناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون ! ولكنها مفزعة ولا شك. ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب. فكيف إذا كانت طلعة يأكلونه ويمكون منه البطون ؟!

لقد جعل الله هذه الشجرة فتنة للظالمين، فحين سمعوا باسمها سخروا وقالوا: كيف تنبت شجرة في الجحيم ولا تحترق. وقال قائل منهم هو أبو جهل أبن هشام يسخر ويتفكه (يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا: لا، قال: عجوة يترب بالزبد ! والله لئن استمكنا منها لنزقمها تزقمة ! ولكن شجرة الزقوم هذه شيء آخر غير ذلك الطعام الذي كانوا يعرفون ! (فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ)..

فإذا شاكت حلوفهم وهي كرؤوس الشياطين – وحرقت بطونهم – وهي تنبت في أصل الجحيم ولا تحترق لأنها من نوع الجحيم ! وتطلعوا الى يرد الشراب ينقع القلة ويطفئ اللهيب. فإنهم لشاربون عليها ماء ساخن مشوية غير خالص: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ). وبعد هذه الوجبة يغادرون تلك المائدة عائدين إلى مقرهم المقيم. ويا له من نزل ! ويا له من معاد ! (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ).

* قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾[1] قصة يونس معروفة وقد سبق ذكرها.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٦.

فعندما التقمه الحوت وهو (سَقِيمٌ) أي مستحق للذم. لأنه تخلى عن المهمة الذي أرسل الله بها. وترك قومه مغاضبا قبل أن يأذن الله له. وعندما أحس بالضيق في البطن الحوت سبح الله وأستغفره وذكر أنه كان من الظاتلمين: (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) فسمع الله دعائه فستجاب له فلفظه الحوت (فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ))وقد خرج من بطن الحوت سقيمة عارية على الشاطئ (وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ).

يقطين: هو القرع يظلله بورقه العريض ويمنع عنه الذباب الذي يقال أنه لا يقرب هذه الشجرة وكان هذا من تدبير الله ولطفه فلما أستكمل عافيته رده الله الى قومه الذين تركهم مغاضبة. وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب بعد خروجه فآمنوا، واستغفروا، وطلبوا العفو من الله فسمع لهم ولم ينزل بهم عذاب المكذبين (فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ) وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون. وقد آمنوا أجمعين.

سورة ص

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾ (١).

فهذه أمثلة ممن سبقوا قريشة في التاريخ. قوم نوح وعاد وفرعون صاحب الإهرام التي تقوم في الأرض كالأوتاد. وثمود وقوم لوط وقوم شعيب أصحاب الأيكة الغابة الملتفة (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ) ! الذين كذبوا الرسل. فماذا كان من شأنهم وهم طغاة بغاة متجبرون ؟ (فَحَقَّ عِقَابِ).. وكان ما كان من أمرهم. وذهبوا فلم يبق منهم غير آثار

(١) سورة ص: الآيتان ١٢-١٣.

تنطق بالهزيمة والاندحار ! ذلك كان شأن الأحزاب الغابرة في التاريخ.. فأما هؤلاء فمتروكون في عمومهم الى الصيحة التي تنهي الحياة في الأرض قبيل يوم الحساب.

قال تعالى: ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[1].

يقول سيد: ج٥ ص ٣٠٢١:

وقصة ابتلاء أيوب وصبره ذا نعت مشهورة، وهي تضرب مثلا للابتلاء والصبر، ولكنها مشوبة بإسرائيليات تطغى عليها. والحد المأمون في هذه القصة هو أن أيوب (اليه) كان كما جاء في القرآن عبدا صالحا أوابا، وقد ابتلاه الله فصبر صبرا جميلا، ويبدوا أن الابتلاء كان بالمال والأهل والصحة جميعا ولكنه ظل على صلته بربه، وثقته به، ورضاه بما قسم الله له.

وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ومنهم زوجته بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه. وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء، فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليضربنها عددا عينه قيل مائة.

وبعد أن شفاه الله من مرضه (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ) ويقول تعالى (وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ) وتقول الروايات:

إن الله أحيا له أبناءه ووهب له مثلهم، وليس في النص ما يحتم أنه أحيا له من مات. وقد يكون معناه أنه بعودته الى الصحة والعافية قد أسترد أهله الذين كانوا بالنسبة إليه كالمفقودين.

والمهم في معرض القصص هنا هو تصوير رحمة الله وفضله على عباده الذين يتبليهم فيصبرون على بلائه وترضى نفوسهم بقضائه. فأما قسمه ليضربن زوجه.

---

(١) سورة ص: الآية ٤٤.

فرحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها به، أمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان بالعدد الذي حدده. فيضر بها به ضربه واحدة. تجزي عن يمينه، فلا يحنث فيها.

(وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ)

هذا التيسير، وذلك الأنعام، كانا جزاء على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على ابتلاء وحسن الطاعة والالتجاء. انتهى وقد أشرنا الى موضوع ومعنى الضغث وهو ما نقصده في بحثنا وسرد هذه القصة المباركة. وعلاقتها بالنبات.

* قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴾[1]، يبدأ المشهد بمنظرين متقابلين تمام التقابل في المجموع وفي الأجزاء، وفي السمات والهيئات: منظر (الْمُتَّقِينَ) لهم (حُسۡنَ مَـَٔابٖ) ومنظر (الطَّٰغِينَ) لهم (شَرَّ مَـَٔابٖ) فإما الأولون فلهم جنات عدن مفتحة لهم الأبواب. ولهم فيها راحة الاتكاء. ومتعة الطعام والشراب. ولهم كذلك متعة الحوريات الأتراب. وهن مع شبابهن (قَٰصِرَٰتُ) الطرف، لا يتطلعن ولا يمدون بأبصارهن. وكلهن ذوات أتراب وهو متاع دائم ورزق من عند الله (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ).

---

(١) سورة ص: الآية ٥١.

سورة الزمر

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(١)]

يقول سيد قطب: ج٥ ص ٣٠٤٧:

أن هذه الظاهرة التي يوجه القرآن إليها الأنظار للتأمل والتدبر، ظاهرة تتكرر في أنحاء الأرض، حتى لتذهب الألفة بجدتها وما فيها من عجائب في كل خطوة من خطواتها. والقرآن يوجه النظر الى رؤية يد الله وتتبع آثارها في كل خطوة من خطوات الحياة.

وبعد أن يتكلم عن الماء النازل من السماء.. ما هو وكيف ينزل ؟ ثم تجيء الخطوة التالية لإنزال الماء: (فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ) سواء في ذلك الأنهار الجارية على سطح الأرض.

يأتي منظر: (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ).. يقول السيد: والحياة النباتية التي تعقب نزول الماء وتنشأ عنه خارقه يقف أمامها جهد الإنسان حسيرة. ورؤية النبتة الصغيرة وهي تشق مجاب الأرض عنها. وتزيح أثقال الركام من فوقها، وتتطلع الى الفضاء والنور والحرية، وهي تصعد الى الفضاء رويدا رويدا.. هذه الرؤية كفيلة بأن تملأ القلب المفتوح ذكرى، وأن تثير فيه الإحساس بالله الخالق المبدع الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي. والزرع المختلف الألوان في البقعة الواحدة. بل في النبتة الواحدة. بل في الزهرة الواحدة إن هو إلا معرض لإبداع القدرة، يشعر الإنسان بالعجز المطلق عن الإتيان بشيء منه أصلا ! هذا الزرع الناصع اللون الرحض الطري بالحياة، يبلغ تمامه، ويستوخي أيامه: (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) وفي مراحل الحياة، فينضج

(١) سورة الزمر: الآية ٢١.

للحصاد: ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ وقد إستوفي أجله. وأدى دورة، وأنهى دورته كما قدر له واهب الحياة.. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾..

الذين يتدبرون فيذكرون. وينتفعون بما وهبهم من عقل وإدراك وكما ينزل الماء من السماء، فينبت لهم به زرعة مختلفة ألوانه، كذلك ينزل من السماء ذكرة تتلقاه القلوب الحية، فتتفتح وتنشرح وتتحرك حركة الحياة، وتتلقاه القلوب القاسية كما تتلقاه الصخرة القاسية التي لا حياة فيها ولا نداوة.

سورة فصلت

يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾(١).

والساعة غيب غائر في ضمير المجهول. والثمرات في أكمالها سر غير منظور، والحمل في الأرحام غيب كذلك مستور. وكلها في علم الله، وعلم الله بها محيط. ويذهب المراقب يتتبع الثمرات في أكمالها، والأجنة في أرحامها. يذهب في جنبات الأرض كلها يرقب الأكمام التي لا تحصى. ويتصور الأجنة التي لا يحصرها خيال ! وترتسم في الضمير صورة لعلم الله بقدر ما يطبق الضمير البشري أن يتصور من الحقيقة التي ليس لها حدود.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٢).

فالله لطيف بعباده يرزق من يشاء يرزق الصالح والطالع، والمؤمن والكافر. فهؤلاء البشر أعجز من أن يرزقوا أنفسهم شيئا، وقد وهبهم الله الحياة، وكفل لهم أسباب

(١) سورة فصلت: الآية ٤٧.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٠.

الأولية، ولو منع رزقه عن الكافر والفاسق والطالح ما استطاعوا أن يرزقوا أنفسهم ولماتوا جوعا وعرية وعطشة، وعجز عن أسباب الحياة الأولى، ولما تحققت حكمة الله من إحيائهم وإعطائهم الفرصة ليعملوا في الحياة الدنيا ما يحسب لهم في الآخرة أو عليهم، ومن ثم أخرج الرزق من دائرة الصلاح والطلاح، والأيمان والكفر، وعلقه بأسبابه الموصلة بأوضاع الحياة العامة واستعدادات الأفراد الخاصة. وجعله فتنة وابتلاء. يجزي عليها الناس يوم الجزاء.

ثم جعل الآخرة حرثا والدنيا حرثا يختار المرء منها ما يشاء. فمن كان يريد حرث الآخرة عمل فيه. وزاد له الله في حرثه، وأعانه عليه بنيته، وبارك له فيه بعمله. وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له في هذه الأرض لا يحرم منه شيئا. بل إن هذا الرزق الذي يعطاه في الأرض قد يكون هو بذاته حرث الآخرة بالقياس إليه، حين يرجو وجه الله في تثميره وتصديقه والاستمتاع به والاتفاق منه.. ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله من عرض الدنيا رزقه المكتوب له لا يحرم منه شيئا. ولكن لم يكن له في الآخرة نصيب. فهو الم يعمل في حرث الآخرة شيئا ينتظر عليه ذلك النصيب !

ونظرة إلى طلاب حرث الدنيا وطلاب حرث الآخرة. تكشف عن الحماقة في إراده حرث الدنيا ! فرزق الدنيا يتلطف الله فيمنه هؤلاء أو هؤلاء فلكل منهما نصيبه من حرث الدنيا وفق المقدور له في علم الله. ثم يبقى حرث الآخرة خالصا لمن أرادة وعمل فيه.

ومن طلاب حرث الدنيا نجد الأغنياء والفقراء، بحسب أسباب الرزق المتعلقة بالأوضاع العامة والاستعدادات الخاصة، وكذلك نجد الحال عند طلاب حرث الآخرة سواء بسواء. ففي هذه الأرض لا اختلاف بين الفريقين في قضية الرزق. إنما يظهر الاختلاف والامتياز هناك ! فمن هو الأحمق الذي يترك حرث الآخرة، وتركه لا يغير من أمره شيئا في هذه الحياة ؟!

والأمر في النهاية مرتبط بالحق والميزان الذي نزل به الكتاب من عند الله. فالحق والعدل ظاهران في تقدير الرزق لجميع الأحياء. وفي زيادة حرث الآخرة لمن يشاء. وفي حرمان الذين يريدون حرث الدنيا من حرث الآخرة يوم الجزاء...

سورة الفتح

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1]

يقول سيد رحمه الله:

ختام سورة الفتح بتلك الصورة التي يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي ترضي الله عنها. وبلغها رضاه فردا فردا.

إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع. صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة. حالاتها الظاهرة والمضمرة، فلقطة تصور حالتهم مع الكفار مع أنفسهم: (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ) ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: (تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا) والقطعة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها (يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ) والقطعة تصور أثر العبادة والتوجه الى الله في صفتهم ووجههم وسماتهم: (سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ).. (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ)..

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

وهذه صفتهم فيها.. لقطات متتابعة تصورهم كما هم في الإنجيل.. (كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ) (فَـَٔازَرَهُۥ).. (فَٱسۡتَغۡلَظَ) (فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ) (يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ).. (لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ) وتبدأ الإجابة بإثبات صفة محمد (صلى الله عليه وسلم) صفته التي أنكرها سهيل بن عمرو ومن وراءه من المشركين: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ).. ثم ترتسم تلك الصورة الوضيئة بذلك الأسلوب البديع.

والمؤمنون لهم حالات شتى، ولكن اللقطات تتناول الحالات الثانية في حياتهم ونقط الارتكاز الأصلية في هذه الحياة. وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة في الصور الوضيئة.. وإرادة التكريم واضحة في اختيار هذه اللقطات، وتثبيت الملامح والسمات التي تصورها. التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة.

إرادة التكريم واضحة، وهو يسجل لهم في اللقطة الأولى أنهم: (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ).. أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعا. رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين. فهي الشدة الله الرحمة الله. وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة. فليس لهم فيها في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء. وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها. يشترون على أعدائهم فيها. ويلينون لإخوانهم فيها. قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى، ومن الانفعال لغير الله، والوشيجة التي تربطهم بالله.

وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم، هيئة الركوع والسجود وحاله العبادة: (تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا).. والتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرأي حيثما يراها. ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة. وهي الحالة الأصلية الهم في حقيقة نفوسهم، فعبر عنها تعبيرا يثبتها كذلك في زمانهم، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعا سجدا.

واللقطة الثالثة مثلها. ولكنها لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم: (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا) فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة كل ما يشغل بالهم. وكل ما تتطلع إليه أشواقهم، هو فضل الله ورضوانه، ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه يشغلون به.

واللقطة الرابعة تثبت آثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر في ملامحهم ونضمها على سماتهم: (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ).. سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف. وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: (مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ).. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة وأختار لفظ السجود لأنه يمثل حاله الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع. آثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونيلا.

وهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة، إنما هي ثابتة لهم في لوحه القدر. ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة: (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ).. وصفتهم التي عرضهم الله بها في كتاب موسى وبشر الأرض بها أن يجيبوا إليها.

و(وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ).. وصفتهم في بشارته بمحمد ومن معه، أنهم: (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ).. فهو زرع نام قوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته. ولكن الفرخ لا يضعف العود بل يشده. (فَـَٔازَرَهُۥ). أو أن العود آزر فرخه فشده. (فَٱسْتَغْلَظَ) الزرع وضخمت ساقه وامتلات. (فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ) لا معوجة ومحنية ولكن مستقيمة قوية سوية.

هذه صورته في ذاته. فأما وقعه في نفوسهم أهل الخبرة في الزرع، العارفين بالنامي منه والذابل. المثمر منه والبائر. فهو وقع البهجة والإعجاب. (يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ) وفي قراءة يعجب (ٱلزُّرَّاعَ) وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صاحب هذا الزرع النامي القوي المخصب البهيج.. وأما وقعه في نفوسهم الكفار فعلى العكس. فهو وقع القيظ والكمد (لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ).. وتعمد إغاظة الكفار يوحي بأن الزرعه هي زرعه الله. أو زرعه رسوله وأنهم ستار للقدرة وأداة لأغاظه أعداء الله !.

وهذا المثل كذلك ليس مستحدثا. فهو ثابتة في صفحة القدر، ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه الى هذه الأرض، ثابت في الإنجيل في بشارته بـمحمد ومن معه حين يجيئون.

هكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة.. صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتثبت في صلب الوجود كله. وتتجاوب بها أرجاءه وهو يتسمع إليها من بارئ الوجود. وتبقى نموذجا للأجيال، تحاول أن تحققها لتحقق معنى الأيمان في أعلى الدرجات.

وفوق هذا التكريم كله. وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا).. وهو وعد يجيء في هذه الصيغة العامة بعدما تقدم من صفتهم، التي تجعلهم أول الداخلين في هذه الصيغة العامة.

مغفرة وأجر عظيم.. وذلك التكريم وحده حسبهم. وذلك الرضى وحده أجر عظيم. ولكنه الفيض الإلهي بلا حدود ولا قيود، والعطاء الإلهي عطاء غير مجذوذ.

ومرة أخرى (يقول سيد قطب) أحاول من وراء أربعة عشر قرنا أن أستشرف وجوه هؤلاء الرجال السعداء وقلوبهم، وهم يتلقون هذا الفيض الإلهي من الرضى والتكريم والوعد العظيم. وهم يرون أنفسهم هكذا في اعتبار الله، وفي ميزان الله، وفي كتاب الله. وأنظر إليهم وهم عائدون من الحديبية، وقد نزلت هذه السورة، وقد قرئت عليهم. وهم

يعيشون فيها بأرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم وسماتهم. وينظر بعضهم في وجوه بعض فيرى آثر النعمة التي يحسها هو في كيانه.

وأحاول أن أعيش معهم لحظات في هذا المهرجان العلوي الذي عاشوا فيه.. ولكن أتي لبشر لم يحضر هذا المهرجان أن يتذوقه. إلا من بعيد ؟ اللهم إلا من يكرمه الله أكرامهم: فيقرب له البعيد ؟! فاللهم أنك تعلم أنني أتطلع لهذا الزاد الفريد.

قال تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[١].

قال سيد قطب: ج ص ٣٣٥٩:

فالامتداد في الأرض والرواسي الثابتات والبهجة في النبات.. تمثل كذلك صفة الاستقرار والنبات والجمال، الى جانب من حكمة الخلق، ومن عرض صفحات الكون: (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ).. تبصره تكشف الحجب، وتنير البصيره، وتفتح القلوب، وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب، وما وراءه من إبداع وحكمة وترتيب.. تبصره ينتفع بها كل عبد منيب، يرجع الى ربه من قريب.

وهذه هي الوصلة بين القلب البشري وإيقاعات هذا الكون الهائل الجميل، هذه هي الوصلة التي تجعل للنظر في كتاب الكون، والتعرف إليه آثرا في القلب البشري، وقيمة في الحياة البشرية، وهذه هي الوصلة التي يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم وبين الإنسان الذي يعرف ويعلم.

إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح، الذي يقرأ بكل لغة، ويدرك بكل وسيلة، ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة والكوخ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور.

---

(١) سورة ق: الآيات ٧-١١.

كل يطالع بقدر إدراكه واستعداده، فيجد فيه زادا من الحق، حين يطالعه بشعور التطلع إلى الحق وهو قائم مفتوح في كل آن: (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ).

وبعد هذه اللفتة يمضي في عرض صفحات الحق في كتاب الكون – في طريقة الـى قضـية الأحيـاء والبعـث. ال مـال) (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ).... والمـاء النـازل مـن السـماء آيـة تحـي مـوات القلوب قبل أن تحي موات الأرض ومشهده ذو اثر خاص في القلب لا شك فيه. وليس الأطفال وحدهم هم الذين يفرحون بالمطر ويطيرون له خفاقا.. فقلوب الكبار الحساسين تستروح هذا المشهد وتصفق له كقلوب الأطفال الأبرياء، القريبي العهد لفطرة.

وحين المـاء هنـا بالبـركة، ويجعلـه فـي يد الله سببا لإنبـات جنـات الفاكهـة وحـب الحصـيد، وهـو النبـات المحصـود وممـا ينبتـه بـه النخـل، ويصـفها بالسـوق والجمـال: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ).. زيـادة هـذا الوصـف للطلـع مقصـود لإبـراز جمـال الطلـع المنضـد فـي النخـل الباسق. وذلـك تمشـيا مـع جـو الحـق وظلالـه. الحـق السـامق الجميل.

ويلمس القلـوب وهـو يمـتن عليهـا بالمـاء والجنـات والحـب والنخـل والطلـع: (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ).. رزقا يسوق الله سببه ويتولى نبتـه، ويطلـع ثمـره، للعبـاد، وهـو المـولى، وهـم لا يقدرون ولا يشكرون ! وهنا ينتهي موكب الكون كلـه الـى الهـدف الأخيـر: (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ).

فهـي عمليـة دائمـة التكـرار فيمـا حـولهم، مألوفـه لهـم، ولكـنهم لا ينتبهـون إليهـا ولا يلحظونـهـا قبـل الاعتـراض والتعجيـب.. كـذلك الخـروج.. علـى هـذه الوتيـرة، وبهـذه السـهولة.. الآن يقولهـا وقـد حشـد لهـا مـن الإيقاعـات الكونـيـة علـى القلـب البشـري ذلـك الحشـد الطويـل الجميـل المؤثـر الموحـي لكـل قلـب منـيـب.. وكـذلك يعـالج القلـوب خـالق القلوب.

سورة النجم

يقـول تعـالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾[١].

يقول السيد رحمه الله ج ٦ ص ٣٤٠٧:

رؤية الفؤاد أصدق وأثبت، لأنها تنفي خداع النظر. فلقد رأى فتثبت ماستيقن فؤاده أنه الملك، حامل الوحي، رسول ربه إليه، ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم. وانتهى المراء والجدال، فما عاد لهما مكان بعد تثبت القلب ويقين الفؤاد.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي رآه فيها على صورته. فقد تكررت مرة أخرى: (وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ) وكان ذلك في ليلة الإسراء والمعراج على الراجح من الروايات – وهو على هيئة التي خلقه الله بها مرة أخرى (عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ)

والسدرة كما يعرف من اللفظ شجرة. فأما أنها سدرة المنتهى. فقد يعني هذا أنها التي ينتهي إليها المطاف. فجنة المأوى عندها. أو التي انتهت إليها رحله المعراج. أو التي انتهت إليها صحبة جبريل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث وقف هو وصعد محمد (صلى الله عليه وسلم) درجة أخرى أقرب الى عرش ربه وأدني.. وكله غيب من غيب الله، أطلع عليه عبده المصطفى، ولم يرد إلينا عنه إلا هذا، وكله أمر فوق طاقتنا أن ندرك كيفيته. فلا يدركها الإنسان إلا بمشيئة من خالقه وخالق الملائكة، العليم بخصائص الإنسان وخصائص الملائكة.. ويذكر ما لا بس هذه الرواية عند سدرة المنتهى – زيادة في التوكيد واليقين (إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ).. مما لا يفصله ولا يحدده. فقد كان أهول وأضخم من الوصف والتحديد.

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٢-١٦.

وكان ذلك كله حقا يقينا (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) فلم يكن زغللة عين، ولا تجاوز رؤية. إنما هي المشاهدة الواضحة المحققة، التي لا تحتمل شكا ولا ظنا، وقد عاين فيها من آيات ربه الكبرى، وأتصل فيه بالحقيقة عارية مباشرة مكشوفة.

سورة القمر

و يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾[1].

يقول سيد قطب: ج٥ ص ٣٤٣١:

الريح الصرصر: الباردة العنيفة. وجرس اللفظ يصور نوع الريح، والنحس: الشؤم، وأي نحس يصيب قوما أشد مما أصاب عاد. والريح تنزعهم وتجذبهم وتحطمهم. فتدعهم كأنهم أعجاز نحل مهشمة مقلوعة من قعورها ؟!

والمشهد مفزع مخيف، وعاصف عنيف، والريح التي أرسلت على عاد (هي جند الله) وهي قوة من قوى هذا الكون، من خلق الله. تسير وفق الناموس الكوني الذي اختاره،وهو يسلطها على من يشاء بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس، بلا تعارض بين خط سيرها الكوني، وأدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله. صاحب الأمر وصاحب الناموس. قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾[2].

(وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ).. أن هذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بمصدره الأول، وخالقه المبدع، والنجم والشجر نموذجان منه، يدلان على اتجاهه كله.

---

(١) سورة القمر: الآيتان ١٩-٢٠.

(٢) سورة الرحمن: الآيات ٦-١٣.

وقد فسر بعضهم النجم بأنه النجم الذي في السماء. كما فسره بعضهم بأنه النبات الذي لا يحتوي على سوقه كالشجر. وسواء كان هذا أم كان ذاك فإن مدى الإشارة في النص واحد ينتهي إلى حقيقة اتجاه هذا الكون وارتباطه. والكون خليقة حبة ذات روح. روح يختلف مظهرها وشكلها ودرجتها من كائن إلى كائن. ولكنها في حقيقتها واحدة.

ولقد أدرك القلب البشري من عهود بعيدة حقيقة هذه الحياة السارية في الكون كله. وحقيقة اتجاه روحه إلى خالقه. أدركها بلا الهام اللوني فيه. ولكنها كانت تغيم عليه. وتتوارى عنه كلما حاول اقتناصها بعقله المقيد بتجارب الحواس !

ولقد استطاع أخيرا أن يصل إلى أطراف قريبة من حقيقة الواحدة في بناء الكون. ولكنه لا يزال بعيدا عن الوصول إلى حقيقة روحه الحية عن هذا الطريق !

والعلم يميل اليوم إلى افتراض أن الذرة هي وحده بناء الكون، وأنها في حقيقتها مجرد إشعاع. وأن الحركة هي قاعدة الكون، والخاصية المشتركة بين جميع أفراده. فإلى أين يتجه الكون بحركته التي هي قاعدته وخاصيته ؟.

القرآن يقول: أنه يتجه الى مبدعة بحركة روحه – وهي الحركة الأصلية فحركة ظاهرة لا تكون إلا تعبيرا عن حركة روحه – وهي الحركة التي تمثلها في القرآن آيات كثيرة منها هذه: (وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ).. ومنها (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا).. ومنهـــا: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ).. وتأمل هذه الحقيقة، ومتابعة الكون في عبادته وتسبيحه، مما يمنح القلب البشري متاعا عجيبة، وهو يشعر بكل ما حوله حيا يعاطفه ويتجه معه إلى خالقه وهو في وقفته بين أرواح الأشياء كلها، وهي تدب فيها جميعا، وتحيلها إخوانا له ورفقاء...

ومن ثم يرتبط الحق في الأرض وفي حياة البشر، ببناء الكون ونظامه، يرتبط بالسماء في مدلولها المعنوي حيث يتنزل منها وحي الله ونهجه. ومدلولها المنظور حيث

تمثل ضخامة الكون وثباته بأمر الله وقدرته.. ويلتقي هذان المدلولان في الحس بإيقاعهما وظلالهما الموحية.

(وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ) ونحن نقول استقرارنا على هذه الأرض وألفتنا لأوضاعها وظواهرها، ولو ضعنا نحن كذلك عليها لهذا كله لا نكاد نحس يد القدرة التي وضعت هذه الأرض للأنام، وجعله استقرارنا عليها ممكنا وميسورة الى الحد الذي لا نكاد نشعر به ولا ننتبه إلى ضخامة معنى الاستقرار، وعظمة نعمة الله علينا فيه، إلا بين الحين يثور بركان، أو يمور زلزال، فيؤرجح هذه الأرض المطمئنة من تحتنا، فنضطرب وتمور. عندئذ نتذكر معنى الاستقرار الذي نستمتع به على هذه الأرض بنعمة الله.

ولقد يسر للأنام فيها الحياة، وهي تدور حول نفسها وحول الشمس، وتركض مع الشمس وتوابعها بتلك السرعة المذهلة، وقرر فيها أقرتها التي يذكر منها هنا الفاكهة – ويخص منها النخل ذات الأكمام – (والكم كيس الطلع الذي ينشأ منه الثمر) ليشير الى جمال هيئتها بجانب فائدة ثمرها ويذكر منها الحب ذا الورق والسيقان التي تعصف وتصير طعاما للماشية. ويذكر منها الريحان – النبات ذا الرائحة.. وهي ألوان من نبات الأرض شتى. منها ما هو طعام للإنسان ومنها ما هو طعام للدواب، ومنها ما هو رؤح للناس ومتاع.

وعند هذا المقطع من تعداد أنعم الله وآلائه. تعليم القرآن. خلق الإنسان وتعليمه البيان – وتنسيق الشمس والقمر بحسبان. ورفع السماء ووضع الميزان. ووضع الأرض للأنام. وما فيها من فاكهة ونخل وحب ريحان.. عند هذا المقطع يهتف بالجن والإنسان، في مواجهة الكون وأهل الكون: (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وهو سؤال للتسجيل والإشهاد، فما يملك إنس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمن في مثل هذا المقام.

سورة الرحمن

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾[1]وردة حمراء، سائلة كالدهان.. ومجموع الآيات التي وردت في صفه الكون يوم القيامة تشير كلها إلى وقوع دمار كامل في هذه الأفلاك والكواكب. بعد انفلاتها من النسق الذي يحكمها الآن، وينسق بين مداراتها وحركتها. منها هذه الآية. ومنها: (إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا) ومنها: (وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ).. ومنها: (إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ).. وهذه وغيرها تشير الى ذلك الحادث الهائل الذي سيقع في الكون كله. ولا يعلم حقيقته إلا الله.

(فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ).. (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ولا تكذيب عندئذ ولا نكران.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[2].

يقول سيد: ج٦ ص ٣٤٥٧:

والمرة الأولى: فيما مر بنا من سورة القرآن تذكر الجنتان والأظهر أنهما ض من الجنة الكبيرة المعروفة ! ولكن اختصاصهما هنا بالذكر قد يكون المرتبتهما وسيأتي في سورة الواقعة أن أصحاب الجنة فريقان كبيران: هما السابقون المقربون. وأصحاب اليمين. ولكل منهما نعيم. فهنا كذلك نلمح أن هاتين الجنتين هما الفريق ذي مرتبة عالية. وقد يكون فريق السابقين المقربين المذكورين في سورة الواقعة. ثم نرى جنتين أخريين من دون هاتين. ونلمح أنهما لفريق يلي ذلك الفريق. وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين. على أية حال فلنشهد الجنتين الأوليين. ولنعش فيهما لحظات !.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٧.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

إنهما (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) والأفنان الأغصان الصغيرة الذوية. فهما ريانتان نضرتان. (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ).. فماؤهما غزير، وسهل يسير. (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوْجَانِ).. ففاكهتهما منوعة كثيرة وفيرة.

وأهل الجنتين ما حالهم ؟ إننا ننظرهم: (مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٖۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٖ) والإستبرق المخمل الحرير السميك، فكيف بظهائر هذه الفرش إذا كانت تلك بطائنها؟ (وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٖ).. قريب التناول. لا يتعب في قطافها. والآن إلى الفريق الآخر صاحب الجنتين الأخريين.

(ومن دونهما جنان).. وأوصافهما أدنى من الجنتين السابقتين، فهما: (مُدْهَآمَّتَانِ).. أي مخضرتان خضرة تميل الى السواد لما فيهما من أعشاب.

(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ).. تنضاف بالماء. وهذا دون الجريان ! (فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخْلٞ وَرُمَّانٞ) وهناك (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوْجَانِ). (تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)..أنسب ختام لسورة الرحمن.

سورة الواقعة

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ فِى سِدْرٖ مَّخْضُودٖ وَطَلْحٖ مَّنضُودٖ وَظِلّٖ مَّمْدُودٖ وَمَآءٖ مَّسْكُوبٖ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ لَّا مَقْطُوعَةٖ وَلَا مَمْنُوعَةٖ﴾[١].

يقول سيد: ج٦ ص٣٤٦٤:

وأصحاب اليمين هم أصحاب الميمنة الذين أشار إليهم تلك الإشارة المجملة في أول السورة. ثم أخر تفصيل نعيمهم، الى موعده هنا بعد السابقين المقربين، وهو يعيد السؤال عنهم بتلك الصيغة التي تقيد التفخيم والتهويل: (مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ). ولأصحابنا هؤلاء نعيم عادي محسوس، يبدو في أوصافه شيء من خشونة البداوه، ويلبي هواتف أهل البداوة حسبما بلغ مداركهم وتجاربهم من تصور ألوان النعيم !

(١) سورة الواقعة: الآيات ٢٧-٣٣.

إنهم (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ).. والصدر شجر النبق الشائك. ولكنه هنا مخضود شوكه ومنزوع. (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) والطلح شجر من شجر الحجاز من نوع العطاة فيه شوك. ولكنه هذا منضود معد للتاول بلا كد ولا شقه. (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ).. وتلك جميعا من مراتع اليدوي ومناعية، كما يطمح إليها خياله وتهتف بها أشواقه: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ).. تركها مجمله شاملة بغير تفصيل بعد ما ذكر الأنواع المعروفة لسكان البادية باليقين. (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ).. وهي هنا لا موضونة ولا ناعمة. ويحسبها أنها مرفوعة. وللدفع في الحس معنيان. مادي ومعنوي يستدعي أحدهما الآخر. ويلتقيان عند الارتفاع في المكان والطهارة من الدنس. فالمرفوع عن الأرض أبعد عن نجسها والمرفوع في المعنى أبعد عن دنسها، ولهذا ينتقل السياق من الفرش المرفوعة إلى ذكر من فيها من الأزواج: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) إما إبتداء وهن الحور. وإما استئنافا وهن الزوجات المبعوثات شباب: (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) لم يمسسن (عُرُبًا) محجبات إلى أزواجهن (أَتْرَابًا) متواقيات الصين والشباب. (لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ). مخصصات لهم،وهكذا تستمر السورة الكريمة في تصوير حال أهل الجنة تاره وحال أهل الجحيم تارة أخرى.. وهم المكذبون الضالون.

يقول الله تعالى: ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾[1]، وقد أوردنا تفسير ومعنى شجر الزقوم في بحثنا، ثم بتنقل سياق السورة الى حال المقربين يوم القيامة: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[2].

يقول السيد: وقد مرت بنا في أول السورة صورة من نعيم المقربين. فالروح هنا ترى علائم هذا النعيم الذي ينظرها: روح وريحان وجنة نعيم. والألفاظ ذاتها تقطر رقة

(١) سورة الواقعة: الآيات ٥٢-٥٦.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٨٨-٨٩.

ونـداوه. وتلقـي ظـلال الراحـة الحلـوة، والنعـيم اللـبن والأنـس الكـريم. (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ)..

سورة الحشر

قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

فالقرآن الكريم يطمئن المؤمنين على صواب ما أوقعوه بهؤلاء الذين كفروا وشاقوا الله ورسوله من تقطيع نخيلهم وتحريقه، أو تركه كذلك قائمة. وبيان حكم الله فيه. وقد دخل نفوس بعض المسلمين شيء من هذا: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا...) واللبنة الجيدة من النخل، أو نوع جيد منه معروف للعرب إذ ذاك. وقد قطع المسلمون بعض نخل اليهود، وأبقوا بعضه. فتحرجت صدورهم من الفعل ومن الترك. وكانوا منهيين قبل هذا الحادث وبعده عن مثل هذا الاتجاه في التخريب والتحريق. فاحتاج هذا الاستثناء الى بيان خاص، يطمئن القلوب. فجاءهم هذا البيان يربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذي تولى بيده هذه الموقعة، وأراد فيها ما أراد، وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه. وإرادة الله وراء هذا وذاك على السواء.

بذلك تستقر قلوب المؤمنين المتحرجة، وتشفي صدورهم مما حاك فيها، وتطمئن الى أن الله هو الذي أراد وهو الذي فعل. والله فعال لما يريد. وما كانوا هم إلا أداة لإنفاذ ما يريد.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٥.

سورة المنافقون

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[1] يقول سيد: ج٦ ص٣٥٧٤:

يرسم القرآن لهم السياق صورة فريدة مبدعة، تثير السخرية والهزء والزراية بهذا الصنف الممسوخ المطموس من الناس وتسمهم بالفراغ والخواء والانطماس والجبن والفزع والحقد والكنود. بل تنصبهم تمثالا وهدفا للسخرية في معرض الوجود.

فهم أجساد تعجب. لا أناسي تتجاوب ! وما داموا صامتين فهم أجسام معجبة العيون.. فأما حين ينطقون فهم خواء من كل معنى ومن كل حسن ومن كل خالجه.. (تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ).. ولكنها ليست خشبة فحسب. إنما هي (خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ).. الا حركة لها، ملطوعة بجانب الجدار !

هذا الجمود الراكد البارد بصورهم من ناحية فقه أرواحهم إن كانت لهم أرواح ! ويقابله من ناحية أخري حالة من التوجس الدائم والفزع الدائم والاهتزاز الدائم.

سورة نوح

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[2].

يقول سيد قطب: ج٦ ص٣٧١٤:

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٢) سورة نوح: الآية ١٧.

و هنا نوح (عليه السلام) يوجه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت ليقرر لهم حقيقة إخراجهم منها بالبعث: (وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا).

والتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات تعبير عجيب موح. وهو يكرر في القرآن في صور شتى. كقوله تعالى: (وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ). وهو يشير في هذا الى نشأة الناس كنشأة النبات. كما يقرن نشأة الإنسان بنشأة النبات في مواضع متفرقة: ففي سورة الحج يجمع بينهما في آية واحدة في صدر البرهنة على حقيقة البعث فيقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ وفي سورة (المؤمنون ١٤) بذكر أطوار النشأه الجنينية قريبة مما ذكرت في سورة الحج ويجيء بعدها: (فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ)..وهكذا. وهي ظاهرة تستدعي النظر ولا ريب، فهي توحي بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض، وأن نشأه الإنسان من الأرض كنشأة النبات. من عناصرها الأولية يتكون. ومن عناصرها الأولية يتغذى وينمو، فهو نبات من نباتها. وهبه الله هذا اللون من الحياة كما وهب النبات ذلك اللون من الحياة. وكلاهما من نتاج الأرض وكلاهما يرضع من هذه الأم !

وكذلك ينشئ الإيمان في المؤمن نضورا حقيقيا حيا لعلاقته بالأرض وبالأحياء. تصورا فيه دقة العلم وفيه حيوية الشعور. لأنه قائم على الحقيقة الحية في الضمير، وهذه ميزة المعرفة القرآنية الفريدة.

والناس الذين نبتوا من الأرض يعودون إلى جوفها مرة أخري. يعيدهم الله إليها كما أنبتهم منها. فيختلط رفاتهم بتربتها. وتندمج ذراتهم في ذراتها، كما كانوا فيها من قبل أن ينبتوا منها ! ثم يخرجهم الذي خلقهم أول مرة، وينبتهم كما أنبتهم أول مرة. مسألة سهلة يسيره لا تستدعي التوقف عندها لحظة. حين ينظر الإنسان إليها من هذه الزاوية التي يعرضها القرآن منها !

ونوح (عليه السلام) وجه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنتبهم من هذه الأرض نباتة، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى. ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة، بساطة البداهة التي لا تقبل جدلا.

سورة المرسلات

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾[1]. يقول سيد: فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر. (وقد كان العرب يطلقون كلمة القصر على كل بيت من حجر وليس من الضروري أن يكون في ضخامة ما نعهد الآن من قصر فإذا تتابع بدا كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك (كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ) يقول هذا هو الشرر فكيف بالنار التي ينطلق منها الشرر.

لقد أوردنا تفسير هذه الآية عند المفسرين، ولم يقل أحد بهذا القول وإنما كان التشبيه بجذوع النخل ما زاد عن ثلاثة أزرع تسمي بالقصد. وهو ما أخذناه من بحثنا تشبيها بالنبات.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٢.

ثم يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾[1].

يقول سيد في ج ا ص ٣٧٩٩:

إن المتقين في ظلال.. ظلال حقيقية في هذه المرة ! لا ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنـي من اللهب ! وفـي عيـون مـن مـاء لا مـن دخانـا خـانق يبعـث الظمـأ الحرور: (وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ). وهم يتلقون فوق هذا النعيم الحسي التكريم العلوي على مــرأى ومســـمع مـــن الجـــوع: (كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ) ويا لطف هذا التكريم من العلي العظيم (وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ) يقابل هذا النعيم والتكريم.

سورة النبأ

يقـول تعـالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾[2].

حين تعصر فتخر ويتساقط ما فيها من الماء. ومن يعصرها ؟ قد تكون هي الرياح وقد يكون هو السراج توقد وحرارة وضوء.. وهو ما يتوافر في الشمس فاختيار كلمة(سراج) دقيق كل الدقة ومختار.. ومن السراج الوهاج وما يسكبه من أشعه فيها ض وء وحرارة.. ومن المعصرات وما يعتصر منها من ماء ثجاج. ينصب دفعه بعد دفعه كلما وقع التفريغ الكهربائي مرة بعد مرة، وهو الثجاج، من هذا الماء مع هذا الإشعاع يخرج الحب والنبات الذي يؤكل هو ذاته، والجنات الألفاف الكثيفة الكثيرة الأشجار الملتفة الأغصان.

(١) سورة المرسلات: الآيتان ٤١-٤٢.

(٢) سورة النبأ: الآيتان ١٤-١٦.

توالي هذه الحقائق والمشاهد على هذا النحو يوحي بالتناسق الدقيق، وبشيء بالتدبير والتقدير، ويشعر بالخالق الحكيم القدير. ويلمس القلب لمسات موقظة موحية بما وراء هذه الحياة من قصد وغاية.. ومن هنا يلتقي السياق بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون!

ثم يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾(١).

يقول سيد: فإذا كانت جهنم هناك حصيدا ومابا للطاغين. لا يفلتون منها ولا يتجاوزونها، فإن المتقين ينتهون إلى مفازة ومنجاة، تتمثل (حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا) ويخص الأعناب بالذكر والتعيين لأنها مما يعرفه المخاطبون.

سورة عبس

يقول تعالى (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ.... مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ) (٢).

يقول سيد قطب: ج٦ ص ٣٨٣٢:

وينتقل السياق الى لمسه أخرى في مقطع جديد. فتلك هي نشأة هذا الإنسان.. فهلا نظر الى طعامه وطعام أنعامه في هذه الرحلة ؟ وهو شيء واحد من أشياء يسرها له خالقه ؟ (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ)..

هذه هي قصة طعامه. مفصلة مرحله مرحلة. هذه هي فلينظر إليها. فهل له من يد فيها ؟ هل له تدبير لأمرها ؟ إن اليد التي أخرجته إلى الهياة وأبدعت قصته، هي ذاتها اليد التي أخرجت طعامه وأبدعت قصته (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ).. ألصف شيء به، وأقرب شيء إليه.. وألزم شيء له.. لينظر إلى هذا الأمر الميسر الضروري

(١) سورة النبأ: الآيتان ٣١-٣٢.

(٢) سورة عبس: الآيتان ٢٣-٢٤.

الحاضر المكرر. لينظر إلى قصته العجيبة اليسيرة. فإن يسرها بنسبة ما فيها من العجب. وهي معجزة كمعجزة خلقه ونشأته. وكل خطوة من خطواتها بيد القدرة التي أبدعته.

(أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا).. وصب الماء في صورة المطر حقيقية يعرفها كل إنسان في كل بيئة. في أية درجة كان من درجات المعرفة والتجربة. فهي حقيقية يخاطب بها كل إنسان. فأما حين تقدم الإنسان في المعرفة فقد عرف من مدلول هذا النص ما هو أبعد مدى وأقدم عهدا من هذا المطر الذي يتكرر اليوم وبراه كل أحد. وأقرب الفروض الآن لتفسير وجود المحيطات الكبيرة التي يتبخر ماؤها ثم ينزل مطرا أقرب الفروض أن هذا المحيطات تكونت أو في السماء فعرقناثم صبت على الأرض صبا ! ورغم التفسير الكثيرة والنظريات يبقى النص القرآني صالحا لأن يخاطب به كل الناس في كل بيئة وفي كل جيل ذلك كان أول قصة الطعام (أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا) ولا يزعم أحد أنه أنشأ هذا الماء في أي صورة من صورة، وفي أي تاريخ لحدوثه، ولا أنه صبه على الأرض صبا. التسير قصة الطعام في هذا الطريق !

(ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا).. وهذه هي المرحلة التالية لصب الماء. وهي ص الحة الأن يخاطب بها الإنسان البدائي الذي يرى الماء ينصب من السماء بقدره غير قدرته. وتدبير غير تدبيره. ثم يراه يشق الأرض ويتخلل تربتها. أو يرى النبات يشق تربة الأرض ش قا بقدرة الخالق وينمو على وجهها. ويمتد في الهواء فوقها.. وهو نحيل نحيل، والأرض فوقه ثقيلة ثقيلة. ولكن اليد المدبرة تشق له الأرض شقا، وتعينه على النفاذ فيها وهو ناحل لبن الطيف. وهي معجزة يراها كل من يتأمل انبثاق النبتة من التربة، ويحس من ورائه انطلاق القوة الخفية الكامنة في النبتة الرخية.

فأما حين تتقدم معارف الإنسان فقد يعن له مدى آخر من التصور في هذا النص. وقد يكون شق الأرض لتصبح صالحة للنبات أقدم بكثير مما تتصور. إنه قد يكون ذلك التفتت في صخور القشرة الأرضية بسبب الفيضانات الهائلة التي يشير إليها الغرض العلمي السابق. وبسبب العوامل الجوية الكثيرة التي يفترض على اليوم أنها

تعاونت لتفتيت الصخور الصلبة التي كانت تكسو وجه الأرض وتكون قشرتها، حتى وجدت طبقة الطمي الصالحة للزرع. وكان هذا آثرا من آثار الماء تالية في تاريخه لصب الماء صبا. مما يتسق أكثر مع هذا التتابع الذي تشير إليه النصوص.

وسواء كان هذا أم ذاك أم سواهما هو الذي حدث، وهو الذي تشير إليه الآيتان السابقتان فقد كانت المرحلة الثالثة في القصة هي النبات بكل صنوفه وأنواعه. التي يذكر منها هنا أقربها للمخاطبين، وأعمها في طعام الناس والحيوان: (**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا**).. وهو يشمل جميع الحبوب. ما يأكله الناس في أية صورة من صورة، وما يتغذى به الحيوان في كل حالة من حالاته.. (**وَعِنَبًا وَقَضْبًا**) والعنب معروف. والقضب هو كل ما يؤكل رطبا غض من الخضر التي تقطع مرة بعد أخرى.. (**وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**) والزيتون والنخل معروفان لكل عربي، والحدائق جمع حديقة وهي البساتين ذات الأشجار المثمرة المسورة بحوائط تحميها. و (**غُلْبًا**) جمع غلباء. أي ضخمة عظيمة ملتفة الأشجار. والفاكهة من ثمار الحدائق و (**وَأَبًّا**) أغلب الظن أنه الذي ترعاه الأنعام، وهو الذي سأل عنه عمر بن الخطاب ثم راجع نفسه فيه متلوما ! كما سبق الحديث عن سورة النازعات ! فلا نزيد نحن شيئا !.

هذه هي قصة الطعام. كلها من إبداع اليد التي أبدعت الإنسان. وليس فيها للإنسان يد يدعيها، في أية مرحلة من مراحلها.. حتى الحبوب والبذور التي قد يلقيها هو في الأرض.. إنه لم يبدعها، ولم يبتدعها. والمعجزة في إنشائها ابتداء من وراء تصور الإنسان وإدراكه. والتربة واحدة بين يديه، ولكن البذور والحبوب منوعة، وكل منها يؤتي أكله في القطع المتجاورات من الأرض. وكلها تسقى بماء واحد. ولكن اليد المبدعة تنوع النبات وتنوع الثمار، وتحفظ في البذرة الصغيرة خصائص أمها التي ولدتها فتنقلها الى بنتها التي تلدها.. كل أولئك في خفية عن الإنسان ! لا يعلم سرها ولا يقضي أمرها، ولا يستشار في شأن من شؤونها. هذه هي قصة التي أخرجتها يد القدرة: (**مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**) إلى حين. ينتهي فيه المتاع، الذي قدره الله حين قدر

الحياة. ثم يكون بعد ذلك أمر آخر يعقب المتاع. أمر يجدر بالإنسان أن يتدبره قبل أن يجيء يوم الصافة..

سورة الاعلى

يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾[1].

يقول سيد قطب: ج٦ ص ٣٨٨٨:

والمرعى كل نبات. وما من نبات إلا هو صالح لخلق من خلق الله، فهو هنا أشمل مما تعهده من مرعي أنعامنا. فالله خلق هذه الأرض وقدر فيها أقواتها لكل حي يدب فوق ظهرها أو يختبئ في جوفها، أو يطير في جوها. والمرعى يخرج في أول أمره خضرا. ثم يذوي فإذا هو غثاء، أميل إلى السواد فهو أحوى، وقد يصلح أن يكون طعاما وهو أخضر، ويصلح أن يكون طعاما وهو غثاء أحوى. وما بينهما فهو في كل حاله صالح الأمر من أمور هذه الحياة. بتقدير الذي خلق فسوى وقدر فهدى.

والإشارة إلى حياة النبات هنا توحي من طرف خفي، بأن كل نبت الى حصاد وأن كل حي الى نهاية. وهي اللمسة التي تتفق مع الحديث عن الحياة الدنيا والحياة الأخرى.. (بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ) والحياة الدنيا كهذا المرعي، الذي ينتهي فيكون غثاء أحوى.. والآخرة هي التي تبقى.

سورة التين

يقول تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[2].

---

(١) سورة الاعلى: الآيتان ٤-٥.

(٢) سورة التين: الآيات ١-٣.

يقول السيد: ج٦ ص ٣٩٣٢: الحقيقة الرئيسية التي تعرضها هذه السورة هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها. واستقامة طبقها مع طبقة الإيمان. والوصول بها معه الى كما لها المقدور الها. وهبوط الإنسان حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الأيمان.

ويقسم الله –سبحانه– على هذه الحقيقة بالتين والزيتون، وطور سينين وهذا البلد الأمين، وهذا القسم على عهدنا في كثير من سور هذا الجزء هو الإطار الذي تعرض فيه تلك الحقيقة. وقد رأينا في السور المماثلة أن الإطار يتناسق مع الحقيقة التي تعرض فيه تناسقا دقيقا. وطور سينين هو الطور الذي نودي موسى (عليه السلام) من جانبه والبلد الأمين هو مكة بيت الله الحرام.. وعلاقتها بأمر الدين والأيمان واضحة.. فأما التين والزيتون فلا يتضح فيهما هذا الظل فيما يبدو لنا. وقد كثرت الأقاويل المأثورة في التين والزيتون.. قيل: أن التين إشارة إلى طور تينا بجوار دمشق. وقيل: هو إشارة إلى شجرة التين التي راح آدم وزوجه يخصفان من ورقها على سوآتهما في الجنة التي كانا فيها قبل هبوطها إلى هذه الحياة الدنيا. وقيل: هو منبت التين في الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح (عليه السلام)..

وقيل في الزيتون: إنه إشارة إلى طور زيتا في بيت المقدس، وقيل: هو إشارة الى بيت المقدس نفسه، وقيل: هو إشارة الى غصن الزيتون الذي عادت به الحمامة التي أطلقها نوح (العلية من السفينة لترتاد حالة الطوفان. فلما عادت ومعها هذا الغصن عرف أن الأرض انكشفت وأنبتت !

وقيل: بل التين والزيتون هما هذان الأكلان اللذان نعرفهما بحقيقتهما وليس هناك رمز لشيء وراءهما.. أو أنهما هما رمز لمنبتهما من الأرض.. وشجرة الزيتون أشير إليها في القرآن في موضع آخر بجوار الطور: فقال: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ)،كما ورد ذكر الزيتون: (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا).. فأما (زَيْتُون) فذكره يرد في هذا الموضع لأول مرة وللمرة الوحيدة في القرآن كله.

ومن ثم فإننا لا نملك أن نجزم بشيء في هذا الأمر. وكل ما نملك أن نقوله. اعتمادا على نظائر هذا الإطار في السور القرآنية: إن الأقرب أن يكون ذكر التين والزيتون إشارة إلى أماكن أو ذكريات ذات علاقة بالدين والأيمان. أو ذات علاقة بنشأة الإنسان في أحسن تقويم (وربما كان ذلك في الجنة التي بدأ فيها حياته.. كي تلتئم هذه الإشارة م ع الحقيقة الرئيسية البارزة في السورة، ويتناسق الإطار مع الحقيقة الموضوعة في داخله. على طريقة القرآن.

سورة الفيل

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[١]،تشير هذه السورة الى حادث متفبض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي أختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير. ومحضن العقيدة الجديدة. والحادثة هي الحاكم الحبشي لليمن (أبرهة الأشرم) أو (أبرهة الحبشي أراد أن يغزو الكعبة وينقلها إلى اليمن. والقصة معروفة: والذي يهمنا من بحثنا ما جاء في الآية (كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ).. سمي هذا العام بعام الفيل (لأن الجيش كان يقوده فيل ضخم) فاقترنت القصة بالفيل، والمشهور أن الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولد في عام الفيل ذاته. ولعل ذلك من بدائع الموافقات الإلهية المقدرة.

فأما كيف جعل كيدهم في تضليل فقد بينه في صورة وصفية رائعة: (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ).. والأبابـــيل: الجماعات. وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان حجر وطين. أو حجارة ملوثة بالطين. والعصف: الجاف من ورق الشجر – ووصفه بأنه مأكول: أي فتيت طحين ! حين تأكله الحشرات وتمزقه. أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه ! وهي

(١) سورة الفيل: الآية ٥.

صورة حسبة للتمزيق البدني بفعل هذه الأحجار التي ومتهم بها جماعات الطير. ولا ضرورة لتأويلها بأنها تصوير لحال هلاكهم بمرض الجدري أو الحصبة.

سورة المسد

(وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ). (أبو لهب سيصلي نارة ذات لهب.. وامرأته حمالة الحطب.. ستصلاها وفي عنقها حبل من مسد)...

تناسق في اللفظ. وتناسق في الصورة. فجهنم هنا نار ذات لهب – يصلاها أبو الهب ! وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد الإيذائه (بمعناه الحقيقي أو المجازي).. والحطب مما يوقد به اللهب. وهي تحزم الحطب بحبل. فعذابها في النار ذات اللهب أن تغل بحبل من مسد. ليتم الجزاء من جنس العمل وتتم الصورة بمحتوياتها الساذجة: الحطب والحبل. والنار واللهب. يصلى به أبو لهب وامرأته حمالة الحطب: (والتناسق من لون آخر في جرس الكلمات مع الصوت الذي يحدثه شد أحمال الحطب وجذب العنق بحبل من مسد).

إقرأ: (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ) تجد فيها عنف الحزم والشدة ! التشبيه بحزم الحطب وشده والشبيه كذلك بغل العنق وجذبه. والشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة.

وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي، مع حركة العمل الصوتية، بتناسق الصور في جزئياتها المتناسقة، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول، ويتم هذا كله في خمس فقرات قصرات. وفي سورة من قصار سور القرآن.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبن كثير: تفسير القران الكريم تأليف أبن كثير أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي. د.ت ٤ مج.

٣- الإتقان في علوم القران: السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. المشهد الحسيني.د.ت ٤مج (من مراجع الباب الأول).

٣- أسرار البلاغة في علم البيان: تأليف الجرجاني الأمام عبد القاهر أبن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تصحيح محمد رشيد رضا طه. القاهرة.دار المنار. ١٣٧٢هـ.

٤- الإسلام والطب الحديث: عبد العزيز إسماعيل - مكتبة الأعتماد بالقاهرة. ١٣٥٧هـ.

٥- أعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي مصطفى ص ادق الطبعة الثانية. مطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٩م.

٦- الأعشاب الطبية: تأليف سكاري وفاكلاف ترجمة شروق محمد كاظم. دار الرشيد.

٧- بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب.

٨- البيان في علم التبيان: أبن الروبكان.

٩- تفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. طبعة القسطنطينية. سنة ١٢٨٥هـ. وطبعة مصطفى محمد علي.

١٠- التبيان في أقسام القرآن: أبن القيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ٧٠١ / ٩٩١ هـ.

١١- التبيان في تفسير القران: الطوسي.

١٢- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب. القاهرة. دار المعارف. ١٣٨٩هـ/١٩٩٦م. ١٤- دلائل الأعجاز: الجرجاني / تأليف الإمام عبد القاهر أبن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) دار المنار ١٣٧٢هـ.

١٣- تفسير الرازي: فخر الدين محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. الطبعة الأولى المطبعة الخيرية. مصر ١٣٠٨هـ.

١٤- تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / تأليف الزمخشري جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٨٣هـ) القاهرة مطبعة الحلبي ١٣٨٠هـ/١٩٩٢م).

١٥- الصور الفنية في المثل القرآني: محمد حسين علي الصغير.

١٦- الطب نبوي: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) القاهرة.

١٧- تفسير الطبرسي:جوامع الجامع في تفسير القران المجيد طبعة مصباحي. إيران. ١٣٧٩هـ.

١٨- تفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القران / تأليف الطبري، محمد بن جرير أبي جعفر (ت٣١٠هـ)، القاهرة. مطبعة الحلبي. ١٩٨٩/ ١٣٧٣ م. (من مراجع الباب الثاني - ١٠مج).

١٩- الطبيعة في القرآن: الزيدي كاصد ياسر. دار الرشيد للنشر. جمهورية العراق. سلسلة٢٣٤. ط١.١٩٨٠م. ٢٢- الطراز. المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز: تأليف العلوي مطبعة المقتطف. مصر ١٩١٩م. ٢٣ - العلم يدعو إلى الإيمان: أبو الحسن الندوي.

٢٠- في ظلال القران: سيد قطب. دار أحياء العربي. ط. بيروت - لبنان.

٢١- قران والفلسفة: تأليف محمد يوسف موسى. دار المعارف بمصر.١٩٥٨م. ٢٩- قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار. دار أحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. ط٣.

٢٢- محقق الطب النبوي والتراث: عبد المعطي قلعجي. ٢٨- مشاهد في القران الكريم: القنيبي حامد صادق. مكتبة المنار الزرقاء. الأردن. ط
٢٣- معجم المفهرس لالفاظ القران الكريم: تأليف محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة. مطابع الشعب.د.ت.
٢٤- معجم مفردات الفاظ القران: تأليف الراغب الأصفهاني. الحسين محمد بن الفضل (ت ٥٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي. بيروت. الكاتب العربي. ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م. ٣١- المنار: تأليف محمد رشيد رضا. ط. القاهرة. دار المنار. ١٣٧٣ هـ /١٩٥٤م،١٠مج.
٢٥- منهج الفن الإسلامي: محمد قطب القاهرة. دار القلم.د.ت. ٣٣- نباتات طبية والعطرية والسامة في الوطن العربي: تأليف لجنة الجامعة العربية. ٣٤- النكت في أعجاز القرآن: يتضمن ثلاثة رسائل في أعجاز القران الرماني علي بن عيسى (ت ٣٨٩هـ) تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام. القاهرة. دار المعارف ١٩٥٠م.
٢٦- النور: تأليف أبو الأعلى المودودي. ٣٦- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بهامش الطبري. طبعة بولاق الأولى. ٣٧- صحيح مسلم.
٢٧- صحيح البخاري.
٢٨- السنن الترمذي.
٢٩- المستدرك للحاكم.
٣٠- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.
٣١- شرح السنة لابن نعم والبغوي.
٣٢- النهاية في غريب الحديث د. وهبة الزحيلي.
٣٣- آيات الله د. ماهر أحمد الصوفي.
٣٤- الحيوانات - النبات والإنسان. رينيه كي دي غروبو.

٣٥- الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار د. ماهر أحمد.

٣٦- علم فسيولوجيا النبات، د. فيصل عبد القادر، د. فهيمه عبد اللطيف، د. أحمد شوقي، | د. عباس أبو طبيخ، د. غسان الخطيب.

٣٧- روح الإسلام أمير علي.

٣٨- التنسيق الداخلي لنباتات الظل وإنتاج الزهور والقطف، د. طاهر نجم رسول.

٣٩- الإسلام والطب الحديث، عبد العزيز إسماعيل.

٤٠- القرآن والفلسفة، محمد يوسف موسى.

٤١- حضارة العرب.

٤٢- لسان العرب.

٤٣- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار.

٤٤- مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طباره.

٤٥- جامع النقول في أسباب النزول، بن خليفة.

٤٦- موسوعة الألفاظ القرآنية، مختار فوزي النعال.

٤٧- معجم ألفاظ النبات في القرآن.

٤٨- الكليات، الكفوي.

٤٩- الشفاء في النبات، وديع جبر.

٥٠- حديقة الأزهار، للغاني.

٥١- التبيان في أقسام القرآن، لإبن قيم الجوزية.

٥٢- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس.

٥٣- أحكام القرآن، للقرطبي.

٥٤- عمده الحائط في تفسير الألفاظ – السمين الحلبي

٥٥- مقاييس القرآن، للفراء.

٥٦- زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي البغدادي.

٥٧- موسوعة المورد لمنير العنبكي.

٥٨- تفسير أبن السعود.

٥٩- عمده الحائط في تفسير أشر الألفاظ، للسمين الحلبي.

٦٠- لسان العرب، أبن منظور.

٦١- تاج العروس معجم أسماء النبات.

٦٢- الشفاء في النبات.

٦٣- المصباح المنير للفيومي.

٦٤- الإصمام في اللغة والعلوم للآخرين، نديم وأسامة مرعشلى، دائرة معارف القرن العشرين، الفريد وجدي. ٧٦- تحفة الأديب لأبي حيان الأندلسي.

٦٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادي.

٦٦- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

٦٧- صمام العربية، للجواهري.

٦٨- معاني القرآن وإعرابه للزجاج.

٦٩- لغات القبائل الوارد في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٧٠- تفسير الحكيم المشهور بالمنار، محمد رشيد رضا، طبعة دار الفكر.

٧١- الحيوان في القرآن الكريم، د. زغلول النجار.

فهرست الكتاب